

الحروب الصليبية

الجزء الرابع

تأليف : وليم الصوري

ترجمة : د. حسن حبشي



الهيئة الوطنية للأرشيف والمكتبات

الحروب الصليبية

الجزء الرابع

تأليف: وليم الصوري
ترجمة وتعليق: د. حسن حبشي



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٥



رئيس مجلس الإدارة
د. سمير سرحان

رئيس التحرير
د. عبد العظيم رمضان

الإخراج الفني : مراد أسيم

الحروب الصليبية

الجزء الرابع

تأليف: وليم الصوري
ترجمة وتعليق: د. حسن حبشي



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٥

تقديم

يسرني أن أقدم للقارئ العزيز الجزء الرابع من تاريخ الحروب الصليبية لأوليم الصوري ، وبه ينتهي هذا الكتاب الهام الذي يعد أحد المصادر الأساسية في دراسة تاريخ الحروب الصليبية .

لقد كتب هذا الكتاب وليم الصوري (١١٢٠ - ١١٨٤م) رئيس أساقفة صور بالشام أثناء الحروب الصليبية ، وقد شجعه على كتابة هذا التاريخ عموري ملك بيت المقدس ليوضحه أحداث الحرب التي أزمع شنها على مصر ، والتي كان يعتقد أنه سوف ينتصر فيها .

وقد ذواشرت لدى وليم الصوري أدوات البحث التاريخي من وثائق وقرارات في المملكة الصليبية والقسطنطينية وروما ، وحادثته به شهود العيان لأحداث معينة خلت منها كتب التاريخ الاسلامي والمسيحي ، وما كان يقوم به شخصيا من تقصى الحقائق .

وقد راعى وليم الصوري في كتابته هذه الديدة التاريخية إلى حد كبير انعكس على نقده للملك عموري نفسه ، وتحمله اللوم على ضياع هدفه في الاستيلاء على مصر ، كما تناول بالنقد كثيرين من كبار القادة الصليبيين وقمم المسيحية في الشرق والغرب ، بل

ان بعض البابوات لم يسلموا من نقده . ولم يقتصر تناول وليم
الصوري للحروب الصليبية على الجانب العسكري ، بل تعداه الى
النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعمرانية التي
تمخضت عنها .

وهكذا يقدم لنا كتاب الحروب الصليبية بأجزائه الأربعة المترجمة
الى العربية ، والتي نشرناها في سلسلة تاريخ المصريين ، سجلا
حافلا بأحداث فترة قاربت قرنا من الزمان مليئة بالصراع ، وقد
حظي هذا الكتاب بمكان الصدارة بين المؤلفات التي كتبت عن
الحروب الصليبية ، على نحو دعا كبار المؤرخين في أوروبا والولايات
المتحدة الى ترجمته الى لغاتهم ، والاستعانة به كمصدر أساسي
لمعرفة تاريخ هذه الحروب وعالمها وأهلها وأوضاع العالمين الاسلامي
والمسيحي .

وقد ترجم هذا الكتاب الى العربية أستاذ كبير في تاريخ
العصور الوسطى هو الدكتور حسن حبشي بجامعة عين شمس ،
وعلق عليه بالتصحيح والتدقيق بفضل إلمامه بالانجليزية والفرنسية
والملايينية والفرنسية القديمة ، فخرجت الترجمة في أسلوب عربي
سليم وديباجة مشرقة .

ونلاحظ ان الأستاذ الدكتور حسن حبشي كان أول من صرف
جانباً كبيراً من حياته العلمية في اثناء المكتبة العربية بترجمة بعض
المصادر الأساسية عن الحروب الصليبية التي شارك أصحابها فيها
ووقفوا على أحداثها ورأوها رأى العين ومن كان لهم نصيب في
تدبيرها ، ومن تأثروا بها .

لقد ترجم د . حسن حبشي الكتاب المعروف بالمجستا أو
تاريخ الفرنجة وحجاج بيت المقدس عن الحرب الصليبية الأولى ،

وقد ظهرت منذ الترجمة فى العربية قبل أربع سنوات من ظهور أول ترجمة لها بالانجليزية ، كما ترجم كتاب المؤرخ الفرنسى جوفانفيل عن الملك لويس التاسع وحملته على مصر والشام ، كما نشرت له جامعة الملك عبد العزيز بجدة مذكرات السفير الفرنسى «فلهاردوان» عن الحملة الصليبية الرابعة كذلك ترجم مذكرات الجندى الشعبى « روبرت كلارى » عن هذه الحملة ذاتها ، وهو يعد للطبع كتاب يادربورن عن الحملة الصليبية التى استولى فيها الصليبيون على دمياط، وكتاب «الكسياد» الضخم للمؤرخة اليونانية «أنا كرمينا» ابنة الامبراطور الكسورس كومنين الذى كان له ضلع ربما أغضب رجال عصره الغربيين لما قرئ عليه من نكبات لحقت بالقسم الأول من الحملة الصليبية الأولى المعروفة بحملة الرعاى ، كما أن د/ حسن حبشى يعد للطبع حوليات مؤرخ سريانى مجهول عن الحربين الأولى والثانية الى غير ذلك من المصادر الصليبية الأولى .

ويظهر اهتمام د / حسن حبشى بالمصادر الأساسية فى نشره وتحقيقه لكتابات المؤرخين المسلمين عن فترات شاهدها وساهموا فى أحداثها كانباء الغمر بأنباء العمر لشيخ الاسلام ابن حجر فى أجزاءه الأربعة التى قام المجلس الأعلى للشئون الاسلاميه بنشر ثلاثة أجزاء ضخمة عنها والرابع فى طريقه للظهور ، وكتاب « نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ أهل الزمان » لعلى بن داود الصيرفى فى أربعة أجزاء كبار ظهر آخرها فى يناير ١٩٩٤ ، وانباء المصيرلنفس المؤلف ، وكتاب حوليات دمشقية عن دمشق وغير ذلك ، الى تحقيقه للمعجم الضخم الموسوم بعنوان الزمان فى تراجم الشيوخ والاقربان للامام البقاعى وهو فى ستة مجلدات ضخمة وينشره مركز التراث بدار الكتب المصرية ، ومختصره « عنوان الحفوان » وكلاهما لمن عاصرهم المؤلف من رجال وقته ونسائه ، وأدرج المؤلف فيه عرضا للحركة الأدبية والشعرية وأحداث عصره .

الى غير ذلك من مؤلفات وأبحاث قام المترجم بها في اللغتين العربية والانجليزية يراها القارئ في ختام هذا الجزء .

ويسرنا أن الأستاذ الدكتور حسن حبشي قد أضاف بأخر الترجمة ملحقا - يكاد أن يكون وحده كتابا مستقلا وهو ما يثرى هذه الترجمة ثراء كبيرا ، كما قام بنفسه بعمل كشاف كامل يساعد القارئ على الوقوف سريعا على ما يستغيه ، كما عمد الى تصويب الأخطاء التي وقعت في بعض صفحات الأجزاء السابقة .

والله أدعو أن يفيد بهذا الكتاب أمتنا العربية ، التي استقبلت أجزاءه السابقة بالحفاوة والترحيب والتقدير .

والله الموفق

الهرم في ١/٩/١٩٩٤

رئيس تحرير السلسلة

١ . د . عبد العظيم رمضان

مقدمة الجزء الرابع

بقلم المترجم

هذا الجزء الرابع هو ختام دراسة ضخمة متصلة كتبها المؤرخ وليم المصوري (١١٣٠ - ١١٨٤م) عن فترة عاش معظمها وشارك في كثير من أحداثها مشاركة ايجابية ، وانكب على دراسة ما توفّر عنده من وثائق واتفاقيات ورسائل في العربية واللاتينية واليونانية ، وأخرج منها هذا السفر الذي يسعدني أن أضمه الى سلسلة وثائق ومصادر الحروب الصليبية التي أرى أنه لا يمكن أن تستقيم كتابتها الا بعد تزويد القارئ العربي بهذه المصادر الاصلية أو - على الأقل - بجانب كبير منها لمتتبع حقيقتها ويغدو الحكم عليها أقرب للصحة واليقين .

ولقد رأيت ان أضيف الى الترجمة العربية كشافات بالأعلام والأماكن الجغرافية وغيرها مما ورد في ثنايا الترجمة ، كما استعنت بمصادر عربية وغربية في هذه الترجمة : تطبيقا وإضافة وشرحا ونقدا وتصحيحا وعرضا .

ولم يفتنى أن أثبت الصورة القلمية للأسماء الأعجمية حسب منطوقها في ذلك العصر برسمها الأجنبي ليسهل على الباحث التفتيش عنها في مظانها الأصلية .

والدقت الترجمة بملحق لبعض الأسماء والتعابير الصليبية
والمسيحية واليهودية والأماكن المقدسة في العبيدين القديم والجديد
مستعينا بالمصادر العلمية والشروح الدقيقة المتعلقة بالتوراة والانجيل
وكذلك فسرت في هذا الملحق بعض ما بينهم فيهم ذلك العصر
حتى يتمكن القارئ العربي الحديث عن الرفض على مايرد في
الترجمة العربية من اشارات لأماكن وأشخاص وأحداث قد بينهم عليه
فهميا إن لم يطالع هذا الملحق .

ولا أحب أن يفوتني أن أشكر البيئة المصرية العache للكتاب
ورئيسها أ. د. سمير سرعان ، وكذلك أ. د. عبد العظيم رمضان
رئيس سلسلة تاريخ المصريين .

والشكر أولا وأخيرا لله شكر المقر بفضل له لما أولاني من النعمة
والبركة إذ أعانني في تحقيق أمنية من أمانى العلمية كانت أملا
يرادني في أن أرى هذا المصدر التاريخي في يد القارئ العربي
الى جانب ما ترجمته من المصادر الأصلية وما أرجو من الله أن يحين
على تقديمه من هذه المصادر .

وما هدفي الا خدمة التاريخ الصحيح والقارئ واتارة السبيل
إمامه في درب الدراسات التاريخية الجادة . ومن الله السداد
والتوفيق .

القاهرة في ١٤ أكتوبر ١٩٩٤ أ. د. حسن حبشي



عمورى الأول والنزاع حول مصر

- ١ - عمورى يخلف أخاه بلدوين على العرش .
- ٢ - خصائص الملك عمورى وبعض ملاحظات عن حياته وعاداته
- ٣ - صفاته الجثمانية ، وسؤاله أحد أصدقائه للخلاص الروحى .
- ٤ - خبر اضطرابه - قبل تنويجه - لفارقة زوجته الشرعية طبقا للقوانين الكنسية .
- ٥ - الملك يزحف على مصر ويدور القتال بينه وبين السلطان ضرغام . شاور يستدعى شيركوه الى مصر . ضرغام يرسل الرسل الى الملك عمورى فى طلب الصلح .
- ٦ - موت بطرس رئيس أساقفة صور واستخلاف فردريك أسقف عكا مكانه .
- ٧ - مصرع السلطان بتدبير من بعض جماعته فيصبح شاور

سلطانا مكانه • شاور يدعو عمورى لمساعدته فيزحف الملك
الى مصر ويخرج شيركوه بالقوة •

٨ - هزيمة نور الدين قرب طرابلس ونجاة هربا من الوقوع فى
أيدي الصليبيين بعد طول مشقة •

٩ - نور الدين يحاصر حصن حارم من أرض أنطاكية • وقوع
أمير أنطاكية وكونت طرابلس و « كولمان » حاكم قيليقية فى
أسره •

١٠ - وصول تيمورى كونت فلاندرز الى الشام ومحاصرة نور الدين
مدينة « بانياس » واستيلائه عليها •

١١ - الملك يمضى الى أنطاكية بعد رجوعه من مصر • إطلاق
سراح الأمير من أسره بعد دفع الفدية وتسليم قلعة فى صيدا
الى الترك الذين يستولون أيضا على حصن آخر وراء
الأردن •

١٢ - وليم مؤلف هذا الكتاب يعود الى دياره ووصف ذلك وفذلكة
عن بعض نشاطه •

١٣ - شيركوه يزحف الى مصر على رأس قوة كبيرة من المعسكر •

١٤ - الملك عمورى يذهب هو الآخر الى مصر لمساعدة المصريين
متتبعا لشيركوه •

١٥ - وصف وليم لمدينة القاهرة وبعض الملاحظات عن مؤسستها •

١٦ - الملك يزحف شمالا لمواجهة شيركوه الذى يعبر النهر ان
يتوقع هذه الحركة •

١٧ - السلطان يجدد الاتفاقية لكى يطيل بقاء الملك الى جانبه فى
مصر •

- ١٨ - ايفاد الرسل للحصول من الخليفة على تجديد الاتفاق .
وصف روعة القصر الخلفي .
- ١٩ - ابرام الاتفاقية وتأكيدهما من جانب الخليفة بمد يده اليمنى
مصافحا « هييج » صاحب قيصرية .
- ٢٠ - لماذا يدعى خليفة مصر مولانا .
- ٢١ - السبب فى تلقيب أمير مصر بالخليفة ، ولماذا هو خصم
لخليفة بغداد .
- ٢٢ - الملك « عمورى » يقيم جسرا على النيل ، وشيركوه ينزل
فى الجزيرة فيهاجمه الملك .
- ٢٣ - وصف الجزيرة وأسماء فروع النيل التى تصب فى البحر
وعدد هذه الفروع . الصليبيون يخرجون العدو ويتملكون
الجزيرة فيهرب شيركوه الى الصحراء .
- ٢٤ - أرض مصر وخصائصها .
- ٢٥ - نشوب معركة حامية فى الصحراء بين الملك وشيركوه .
- ٢٦ - شيركوه ينسحب الى الاسكندرية فيمضى اليه الملك على
جناح السرعة ويحاصر المدينة .
- ٢٧ - وصف موقع الاسكندرية .
- ٢٨ - استمرار الملك فى الحصار وفى مضايقة المصريين أشد
المضايقة .
- ٢٩ - مبادرة شيركوه عند سماعه هذا الخبر للتفاوض مع «هييج»
صاحب قيصرية لعقد الصلح .
- ٣٠ - هييج يعد بنود الاتفاقية مع الملك والبارونات .
- ٣١ - استسلام مدينة الاسكندرية للملك وإعلان الصلح الى أهلها .
- ٣٢ - عودة الملك الى دياره منتصرا وتسريحه للجند .

بمفسرنا

الكتاب التاسع عشر

الملك عمورى والمرحلة الأولى من النزاع حول مصر

- ١ -

مات بلدوين الثالث رابع ملوك بيت المقدس اللاتين دون أن يترك ولدا من بعده كما ذكرنا ، فخلفه على المدينة المقدسة أخوه الوحيد « عمورى » كرنث يافا وعسقلان ، وبذلك صار فى سنة ١١٩٣ م من ميلاد سيدنا (المسيح) رابع ملك لاتينى لها ، وهذه السنة هى العام الثانى والسفون من تحرير تلك المدينة الحبيبة الى الله ، وكان على كرسى الكنيسة اللاتينية يوحنا البابا اسكندر الذى كان قد حضى على بابويته ثلاث سنوات ، أما كنيسة القيامة فكان يتولاها « اماريك » (١) وهو تاسع بطاركتها اللاتين الذى احدى فى بطركيتها اربع سنوات ، أما كنيسة انطاكية فكان يرأسها

أما كنيسة صور فكانت تحت أمرة « بطرس » ثالث رؤساء أساقفتها اللاتين بعد الاستيلاء على هذه المدينة (من أيدي المسلمين المصريين) ، وهى السنة الثالثة عشرة من ولايته أيها .

أدى اعتلاء « عمورى » العرش بدموت أخيه بلدوين الى ظهور شقاق كبير بين بارونات المملكة الذين كان تغير الملوك ذا أثر يختلف فى الواحد منهم عن الآخر ، والحق أن هذا النزاع أوشك أن ينتهى الى تصدع حاد كاد أن يطفى على خطر الانشقاق الدينى ، لكن حسن طالعنا تمثل فى أن العناية الالهية لم يكن يقوتها أنجادنا واسعا فذا بالعلاج الشافى فى أشد الأزمات حليكة ، فقد كان رجال الدين والشعب ورهط غير ضئيل من كبار رجال المملكة يؤيدون « عمورى » كل التأييد مما عجل بفشل محاولات النبلاء المتذمرين ، ومن ثم فانه فى اليوم الثامن من وفاة الملك بلدوين (الثالث) تبوأ سدة المملكة أخوه « عمورى » وكانت وراثته أيها شرعا ، ومن ثم مسح بالزيت المقدس فى كنيسة القيامة بيد البطريرك الذى كان يساعده من كانوا موجودين حينذاك من رؤساء الأساقفة والأساقفة وكافة رجال الكنيسة ووضعوا التاج على رأسه . وكان أخوه الملك بلدوين (الراحل) قد نصبه من قبل فارسا ومنحه بمحض إرادته التاج وأصبح كوندت ياغا ثم قام أخوه بلدوين الطيب الذكر فتفضل عليه بكرمه الملوكى فأقطعه مدينة عسقلان ، التى هى مدينة الفلسطينيين العظيمة التى كان قد تم الاستيلاء عليها زمن بلدوين ، وهكذا عادت بعد فترة طويلة الى حظيرة الايمان المسيحى ، وقد فصلنا ذلك بأوضح مما نقوله الآن حين كنا نرى أخبار عهد بلدوين .

كان « عمورى » يوم اعتلائه العرش فى السابعة والعشرين من عمره ، واحتد حكمه احدى عشرة سنة وخمسة أشهر .

امتاز « عموري » بالحصافة والرشد ، والخبرة بالشئون الدنيوية ، وكانت فيه لكنة بسيطة اذا تكلم ، لكنها لا تحييه عيبا شديدا فتعد عامة تمسك لسانه عن التعبير بطلاقة عما يريد الافصاح عنه ، لذلك كان رأيه أحسن من نطقه أو تعبيره ، هذا الى جانب المانة بالقانون الساري الذي تسير المملكة على هديه ، وكان لا يوجد له ضريب في هذا الالام ، بالاضافة الى تفوقه على جميع اشرف المملكة في حدة الذكاء وحضور البديهة ، فساس الأمور بحزم وفطنة ابان الأزمات الكثيرة التي وقعت أثناء محاولاته القرية المستمرة لد حدود مملكته ، كما أنه كان جريئا على الدوام في ابداء رأيه من غير خوف مع تصميم بات ، هذا الى جانب أنه كان قد تلقى قسما كبيرا من التعليم وأن يكن أقل مما أتيح لأخيه ، ويرجع الفضل الى ذكائه الحاد وذاكرته الواعية في أنه كان على جانب كبير من الدراية بالمسائل التي لم تكن بذات موضوع عنه سلذه ، وقد أعانه على ذلك ما جرى عليه من مناوئته سؤال غيره والنظر في الكتب كلما أتت له فرصة فراغ من مشاغل المملكة فيمضيها في القراءة ، وكثيرا ما كان يسأل أسئلة تفصح عن براعته ، ثم يجد اللذة في ايجاد حلول لها ، وكان يصغى الى رواية التاريخ اصغاء تاما جيدا ويؤثره على شتى فنون المعرفة ، وكان لا يسمع شيئا الا وعاه ولا ينسأه أبدا بل يرويه بعد حين في يسر ودقة ، وكانت الأمور الجدية تستغرق كل انتباهه فلا يميل الى المظاهر الترفيهية أو ألعاب الحظ ، بل يلتذ بمشاهدة الصقور والشرايين وهي تطارد فريستها ، كما كان صبوراً جلدا على تحمل المشاق وإن كان يضيق بالحر والبرد الشديدين لامتلاء جسمه ولقود سمته .

وبلغ من تقواه أنه أمر برد العشور للكنيسة كاملة غير منقوصة ولا متنازع عليها ، كما بلغ عن ورعه أنه كأن يستمع الى القداس كل يوم ما لم يمنعه من ذلك مرض يقعده أو طارئ جسمي يحول بينه وبين السماع ، هذا الى جانب رباطة جأشه في تحمل الشتائم والتقويم الذي طالما واجهه وهو يسير بين العامة أو في مجالسه الخاصة ، وربما صدر ذلك من أفراد لا يعتد بهم ، ولكنه كان يبالغ في كتم مشاعره حتى ليخيل لرائيه أنه لم يسمع قط شيئاً مما قيل .

كان « عموري » الى جانب ذلك وسطاً في مأكله ومشربه ، مؤثراً الاعتدال ، كارهاً الإفراط في تناول الطعام ، ويقال انه كان كبير الثقة في عماله فلم يكن يسألهم موافقاته بكشوف الحسابات ثقة منه بهم حتى عهد اليهم بإدارة شؤونه ، وكان يرفض الاستماع الى أى طعن فيهم وفي أمانتهم ، وهو أمر يعد بعض الناس خطأ منه ويعتبرونه عيباً يلام عليه ، على حين يراه غيره فضيلة ويقولون ان ذلك برهان على صحة اعتقاداته اليهم .

الى جانب هذه الصفات الذهنية والمخلاقية العظيمة الا أنه كانت فيه نقائص جليلة للعيان شملت من الصفات الحميدة التي نكرناها ولمست بعض رونقها ، اذ كان ينقصه المزاج اللطيف مع ندرة كلامه ، كما تميزه البشاشة التي ربما كان الأمرأ أكثر احتياجاً اليها من بقية الناس كي يكسبوا حب رعاياهم ، فقلما كان « عموري » يتكلم الى أحد مالم ترغمه الضرورة على الكلام اليه ، مما كان منقصة فيه تلاحظ أكثر ملاحظ اذا ما تورن بأخيه بلديين الذي كانت تسعفه الكلمات على الدوام ويصطنع البشاشة مع الجميع .

ويقال ان « عموري » أطلق المنان لشبهواته فلم يكبح جماح رغائب جسده ، فكم من نساء متزوجات أفسدهن ، .. فليغفر له الرب ما فعل ، وليسلمحه .

وزيادة على ذلك فانه كان شديد المناهضة لحرية الكنائس حتى انها وجدت أشد المفزنة زمن حكمه بسبب ما أرققها به من مطالبه المستمرة التي كان يفرضها على أوقافها حتى غرقت الأماكن الظاهرة في الديون بصورة لم تستطع عائداتها الوفاء بسدادها .

كان حب « عمورى » للمال أكبر مما قد يحتاجه أو مما يكون حقاً مشروعاً له ، ان كان يحصل عليه تارة غى صيرة شدايا . وتارة أخرى يتوسل اليه بطرق مخالف حقنضيات العدالة والانصاف ، ولقد حاول فى حديث دار بينى وبينه أن يبرر جشعه للمال فقال :

« يجب على كل أمير أو ملك أن يعمل على ألا يكون غى خديق ذات اليد لسببين ، أولهما : أن ثروة الرعية تكون دائماً فى أمان تام ما ظل الحاكم غير محتاج للمال ، وثانياً : أنه يجب أن يكون تحت يد هذا الحاكم أو ذاك من المال ما يكفيه لسد ضرورات مملكته الملحة ان جد طارئ لم يكن فى الحساب ، ان يجب على الملك غى هذه الحال - ان كان فظفاً - أن يكون أسخى ما يكون يدا على هذه الاحتياجات ، فلا يمسك كفه عن الصرف عليها ومن ثم فانه من الواضح الجلى أن كل شىء يحوزة الملك إنما يحوزة لا لمنفعته الخاصة بل لصالح المملكة » .

ولا يستطيع أحد ما حتى - خصوصاً - أن ينكروا أن هذه مبررات كانت ملائمة لظروفه ، ذلك لأنه غى الظروف العصيبة التى مرت بها المملكة لم يقصر غى المصرف . ولم يمنعه الارهاق الجثمانى عن بذل الجهد ، غير أن أموال رعاياه كانت أبعد ما تكون عن الأمان لأنه كان يغتنم الفرصة بين أن وأخر ويتذرع بأتفه الذرائع لاغتصاب ممتلكاتهم .

كان « عمورى » ذا قامة مديدة ، فهو أطول من كثيرين وان
يكن أقصر من أصحاب البنية البالغة الضخامة ، وكان وسيم
التقاسيم ، يفصح سلوكه بجلاء - حتى للغرباء عنه - عن سلوك
ملكى يستحق الاحترام ، وكانت له عيانان مراقدان متوسطتى الحجم ،
وأما أنفه فكان أفتى متناسبا كأثف أخيه ، وأما شعره فأشقر تمتد
خصلاته الى الخلف ، وتكسو خديه وذقنه لحية جميلة كثة ، وكان
إذا ضحك فقه حتى ليهتز جسده كله ، كما يدب الحديث مع أهل
الحكمة والفطنة ومن لهم المام كبير بالبلاد البعيدة ومعرفة تامة
بالعادات الأجنبية .

وانذكر أنه تفضل لدعائى ذات مرة دعوة ودية الى قلعة
« صور » وقت أن كان يعانى من حمى خفيفة ليست بالخطيرة ، وكنت
خلال ساعات استجمامى وفى الفترات التى تكون بين نوبات النحى
المنقطعة أتناول معه كثيرا من المواضع تناولوا وديا ، وأجيبه عن بعض
أسئلته بقدر ما يسمح به الوقت ان ذاك ، والدق أنه استفاد كثيرا
من مناقشاتنا معا ، وكان من بين ما سألنيه ان ذاك سؤال أفرغنى
أشد الفزع لأنه لم يكن استفسارا مألوفا ، الى جانب أن موضوعه
قل أن يتكون موضوع نقاش ، لأن ديننا العالمى قضى فيه بما لا مجال
للمناقشة ، واعتبره عقيدة صادقة ، كما أنه جرح قلبى جرحا غائرا
ان أحس أن أميرا ارثوذكسيا صادق الايمان مثله رسول أسلاف
مؤمدين ، تساور الريبة فى عقيدة ثابتة ، ان لا يجوز أن تكون هذه
العقيدة عرضة شك يتلجأج به صدره .

ومختصر القول أنه سألنى « هل لو أننا خلينا جانبا تعاليم
المخلص وتعاليم الإنرار الذين اقتبعوا المسيح ، والمبادئ التى ليست

موضع شك ، فهل ثم دليل حريج وبينة قاطعة على أن هناك قيامة بعد الموت ؟ » ، ففزعت من بدعة الاستفسار وقلت له : « أن في تعاليم سيدنا وفادينا الكفاية في الرد على ما تسأل عنه ، فالمسيح يبشر في فقرات كثيرة من الإنجيل بقيام الجسد بعد الموت ، كما وعد بأنه هو ذاته سوف يأتى كقاض يقضى فى كل شيء بما يرى ، وأنه ليقول للصفوة انه معطيهم مملكة طاهرة ، أما الأشرار فسوف يخلدون فى الجحيم الأبدى الذى أعد للشيطان وأعوانه ، ويكفى بيان الرسل الطوبائيين وأنبياء العهد القديم » . فرد على كلامى بقوله : « اننى أعتقد اعتقادا جازما بكل ما قلته ، ولكننى أتمسك ردا قاطعا يمكن البرهنة به لمن يشك فى هذه الأمور ولا يؤمن بدين المسيح ولا يعتقد فى بعث مقبل ، أو فى وجود حياة أخرى بعد الموت » .

فاجبته : « انن ضع نفسك موضع رجل منكوب ، ودعنا نحاول تأكيد شيء حول هذا الموضوع » .

قال : « حسنا » .

فسأله : « الست تعترف بأن الله حق ؟ » .

قال : « بلى » . وأنه لحق ما بعده حق » .

فتابعته كلامى قائلا : « ثم أليس من الحق أيضا أن تجازى الحسنه بالحسنه ، والسيئة بالسيئة ؟ » .

فأجاب : « صدقت فيما قلت » .

فاسترسلت قائلا : « ان عثل هذا الأمر لا يقع على الدوام ، لأن هناك بعض الخيرين لا يلقون سوى المتاعب والعداء فى هذه الدنيا ، بينما هناك قوم سوء ينعمون بالسعادة الدائمة ، ولنا فى الحياة البرهنية ما يؤكد هذه البرهنة » .

فأجاب : « ان الأمر كما تقول » .

فواصلت حديثي قائلاً : « اذن فان هذا سوف يقع فى حياة اخرى ، لأنه من المستحيل ألا يعدل الرب فى قضائه ، ومن ثم فمما سوف تكون حياة اخرى ، ويكون ثم بعث لهذا الجسد حيث يجرى كل امرئ عما فعل فى هذه الدنيا : ان خيرا فخير ، وان شرا فشر » .

غرد قائلاً : « يبدو لى ان هذا الأمر صواب فوق كل صواب .
وانك أنجيت عن قلبى كل شك وغموض منه كل ارتياب » .

واطمأن قلبه بهذا الكلام كل الاطمئنان .

لكن هيا بنا نعود الى موضوعنا .



لقد كان « عمورى » مفرط السمعة ، ذا شديدين كبيرين كنديى المرأة يتدليان حتى وسطه ، غير أن الطبيعة رحمت بقية أعضائه وعطفت عليها فلم تكتف بأن تحبوها بالتناسق ، بل زادت فحبتها بجمال غير عادى ، وما كان خصومه بقادرين أن يفكروا أنه كان معتدلا فى ملذاته الجسدية ، فحرم على نفسه الخمر فلم يكن يقربها أبدا .

— ٤ —

تزوج « عمورى » من « أجنس » ابنة جوسلين الصغير كونت الرها (سنة ١١٥٧ م) وقت أن كان أخوه بلدوين (الثالث) لا يزال منصرفا الى سدة الحكم ، وقد حالفه النجاح فى حكم المملكة ، وأنجب من « أجنس » خلال حياة أخيه طفلين أما أحدهما فنذكر سناه « بلدوين » وهو الذى عمده عمه وسميه (بلدوين الثالث) فى جرن المعمودية الطاهر ، وأما الآخر فكان بنتا سماها « سيبىلا » باسم

عديتها كونتيسة فلاندرز ، التي هي شقيقة كل من بلدوين (الثالث)
و « عموري » .

ولما آلت الملكية الى عموري بالطريق الشرعى بعد موت أخيه
اضطر الى ابعاد زوجته (٢) التي كان قد تمزواجه منها في البداية
رغم معارضة البطررك « فولشر » الطيب الذكرك ، وكانت هذه
المعارضة من جانب البطررك بسبب أن القرابة بين « عموري »
و « أجنس » كانت قرابة من الدرجة الرابعة ، وقد أثبت صحتها
وأكدتها في وجه الكنيسة أقارب كل من الطرفين « عموري »
و « أجنس » ، ومن ثم لم يتوان الملك عن فسخ عقد الزواج حسبما
يقضى القانون الكنسي ، وتم الطلاق في حضور كل من البطررك
« أماريك » (٤) الطيب الذكرك والنائب البابوي « يوحنا كردينال
كنيسة القديسين يوحنا وبولص » وقد قام جماعة من أقارب
« عموري وأجنس » بتأكيد هذه الرابطة باليمين الغليظة ، محسمين
بأن الحقيقة انما هي التي تبروها ، ثم اضيف شرط ينص على
وجوب اعتبار ابني الطرفين شرعيين ، وأن لهما الحق التام في
ارث ما خلفه أبوهما .

ولما كنت شديد الاستغراب لأحور كئذه الأمور فقد قمت فيما بعد
بتقص دقيق عن درجة القرابة التي تربط بين الاثنين ، وذلك لأنه
في الوقت الذي جرى فيه هذا النقاش الحاد بالقدس كنت لا أزال
تلميذا في المدارس ، بعيدا فيما وراء البحر ، منحصرافا لدراسة
الآداب والقانون ، وأقضى بي الأمر أخيرا للحصول على ما حصلت
عليه من الملاحظات من السيدة « تيفانيا » رئيسة راهبات دير المقدسة
حريم الكبيرة ، وهي الدير الواقع قبالة قبر السيد في القدس ، وكانت
هذه المرأة التي عاشت ما عاشت طاهرة النيل نقية السريرة هي
ابنة « جوسلين » الكبير كونت الرها وأخت « روجر » أمير أنطاكية

ابن « ريتشارد » وعلى الرغم من أنها كانت قد بلغت من العمر أرذله
إلا أنها كانت تعنى تفاصيل هذا الموضوع وعيا تاما مكنيا من أن
تسرد على الصورة التالية أنساب الزوجين سرنا عن ظهر قلب .



كان « بلدوين دى بورج » ثنى ملوك بيت المقدس الرجل الرائع
فى كل ناحية (والذي فصلنا كل جوانب حياته : الطيب منها والسيئ
على السواء حين تناولنا عهده) أقول انه هو وجوسلين الكبير
كانا ابنين لأختين شقيقتين .

وقد ولدت الملكة مليزند لبلدوين ملكين هما : بلدوين الثالث
وعمرى .

كذلك خلف جوسلين الكبير : جوسلين الصغير والد الكونتيسة
« أجنس » التي كانت فى الواقع - وليست شرعا - زوجة لعمرى ،
كما أنه خلف أخاها جوسلين الثالث الذى هو الآن « سنكال » الملك
وخال الملك « بلدوين » الرابع الحاكم الآن .

ولقد ظل « عمرى » فترة من الوقت أعزب لم يتزوج ، غير
أن « أجنس » سرعان ما ربطت نفسها برابطة الزواج بالذيل السرى
« هيج دى إيلين » (ابن باليان الكبير) أخى بلدوين صاحب مدينة
الرملة الذى له الحكم قريبا الآن والذي مات أخوه من غير ولد يخلقه
ويرثه ، كما أنه كان أخا لبليان الصغير الذى اقترن (فيما بعد)
بأرملة الملك عمرى .

وحدث بعد وفاة « هيج » وفى حياسة عمرى أن ارتبطت
« أجنس » رينو صاحب صيدا بن « جيرارد » بنفس وشيعة الحب
التي سبق لها أن ارتبطت بمثليا - وكانت أبعد عن الشرعية -
بعد ارتباطها الشرعى السابق بالملك « عمرى » ، وذلك لأن « جيرارد »

والد رينو كانت تربطه وشيجة الدم والقربى بها ، كما يؤكد هو بنفسه أنه سمع ذلك من أسلافه .

وقرب على ذلك أن صدر قرار ثان بفسخ الزواج ، وكان هذا القرار مطابقا لما ذكرناه حالا .

- ٥ -

بعد أن وطد « عموري » نفسه على عرش القدس وخلال العام الأول من حكمه قام المصريون فرفضوا دفع الجزية التي كانوا قد قبلوا أن يدفعوها حسب الاتفاق المبرم بينهم وبين أخيه ، لذلك جمع الملك طائفة كبيرة من الفرسان وجيشا كثيفا زحف به على مصر في مستهل شهر سبتمبر ، فهب لصدده « ضرغام » حاكم تلك المملكة الملقب في لغة أهلها بالسلطان ، وتصدى له على رأس جماعات لا يحصيها العد ، ولم يحجم عن المخاطرة بلقائه في الصحراء بمصر ، لكنه لم يكن قادرا على احتمال هجوم الصليبيين ، وانتهى الأمر بأن راح معظم عسكره ما بين أسير وقتيل مما أرغمه على الارتداد الى أقرب مدينة اليه يسمونها بلغتهم المصرية « بلبيس » (٥) .

حينذاك تسرب الفزع الى نفوس المصريين مخافة أن يصمم الملك (عموري) على الزحف بعسكره والتوغل في المملكة حتى أقصاها بعد احرازه هذا النصر ، لذلك راحوا يلتمسون علاجا لموقف حملاتنا ، فدفعه اليأس على كسر السدود المائية التي كانوا يحجزون مياه الفيضان وراءها حتى يحدن الوقت المناسب ، فيعمدون الى تفجيرها وضي شي أقصى ارتفاعها فتغرق ما حولها ، وكان المصريون يطمعون أن تقوم هذه السدود بالحويلة دون أي تقدم آخر من جانب أعدائهم ، كما أنهم كانوا يطمعون أن يطمئنوا الى سلامتهم بسبب هذه المياه التي تكتنفهم في كل مكان .

حينذاك عاد الملك « عمورى » الى مملكته ظافرا مجللا بالمجد .
فقد قهر أعداءه وتكلفت حملته عليهم بالنجاح .

وكان قد حدث قبل هذا بقليل ان ضرغاما الذى كان له الحكم
فى مصر كلها وسلطانا لها كما ذكرنا قد نحى عن نفس المنصب
آخيرا آخر قويا اسمه « شاور » ، وتوسل بالعنف قارة وبالكيدة
تارة أخرى لاحداث هذا التغيير ، الا أن الأمير شساور نجح فى
الفرار سالما بنفسه ومضى الى أبناء عشيرته العرب مستصحباً معه
أصدقاءه وأتباعه ، وحاملا كل ما استطاع حمله من الأموال ،
واختبأ هناك بين خاصته فى انتظار ما ينجلي عنه الموقف وتمخض
عنه الحرب ، وكان يطمح أن تسعفه قريبا الفرصة الطيبة ليقلب
فيها المائدة على منافسه ، ثم بلغه خبر عودة الملك الى وطنه مع
خبر استمرار خصمه فى الحكم ، جامعا بين السطورة والجاه ، وازدهى
الغرور ضرغاما فزاد عن ذي قبل ، وتباهى عن غير حق بأنه قاتل
فى ساحة الرغى زعيما قويا (٦) ، وأرغمه على الارتداد من غير
أن يمكنه من ازالة الضرر الكبير بالبلاد ، لذلك أسرع شاور الى
الأمير القوي نور الدين (٧) صاحب دمشق ملتسما منه العون والنجدة
راغبا فى عودته الى مصر ليخرج منها منافسه ضرغاما فيستعيد
هو سيطرته على البلاد مرة أخرى فاستجاب نور الدين لعرض شاور
واستمالته اليه هدايا ووعوده ، وطمع أن يستحوذ على مملكة مصر
لنفسه لو تمكن جيشه من دخولها ، لذلك أرفق شاورا بكبير فرسانه
شيركوه المحارب القدير ، وكان شاور جم النشاط ، ذاتفس عتلاعة
للمجد ، وصاحب خبرة واسعة فى الشؤون الحربية ، هذا الى جانب
ما كان عليه من الكرم الذى جازى حدود دخل اقتناعه ، بالإضافة
الى حب أتباعه له حبا عظيما ناجما عن سخائه عليهم وبسطه كفه
جوده اليهم .

وكان شيركوه رجلاً ضئيل البنية ، شديد البدانة ، مفرط السمنة بصرة ظاهرة ، وقد تقدم به السن ، وعلى الرغم من تفاهة أصله إلا أنه ارتفع بموهبته عن أدنى الرتب حتى بلغ مرتبة الأمراء ، وكان يشكو من مرض باحدى عينيه ، ولكنه كان صبوراً على تحمل الآلام والشدائد والجوع والظما تحملاً غير مألوف .

هذا هو الرجل الذى أرسله نور الدين الى مصر على رأس جيش كبير ، وكانت الرسل دائمة التردد بينهما ، فعصر فمقيم الأمير ضرغام (٨) بأن عدوه الذى أخرجه من قبل عائد الآن بجيش تركى قوامه الآلاف المؤلفة من الجند ، وما لبث هذا الخبر أن ذاع وشاع .

ولما كان ضرغام قليل الثقة فى قوته الذاتية فقد اضطر لمطلب النجدة على يد رسل بعثهم الى الملك « عمورى » ومعهم كتاب سلام ألح فى سطره على التماس الغوث لمجابهة العدو الذى أصبح الآن يهدده بالهجوم عليه ، وتعيد ضرغام من جانبه ألا يقتصر على دفع الجزية التى كان قد اتفق عليها مع عمورى من قبل ، بل زاد فى المبلغ حسبما يقرر الملك ، كما صرح بأنه مستعد لارسال الرهائن اليه دليلاً على صدق خضوعه الدائم له ، وأنه عائد الحزم على مخالفته مخالفة لا يشجبها بأى حال من الاحوال .

- ٦ -

فى هذا الوقت وفى مستهل عارس من السنة الثانية من حكم الملك « عمورى » سار بطرس رئيس أساقفة صور الموقر المخلص لله فى الطريق الذى لابد لكل مخلوق أن يسير فيه ، وما انقضت أيام قتائل على ذلك - وقبل انصرام الشهر - حتى تم تعيين « فردريك »

أسقف عكا وكبير رجال كنيسة مكان بطرس حسب إرادة الملك .

كان « فردريك » - وهو من حواليد « لوتارنجيا » - نبيلًا في ذاته ، فارح الطول بصورة ملفتة للنظر ، وهو وإن كان قد تلقى من العلم قسطًا طيبًا إلا أنه كان مكرسًا نفسه كل التكريس لفن الحرب (٩) .

- ٧ -

أخذ الرسل المصريون في هذه الأثناء في مفاوضات الملك ، وتوصلوا في الواقع إلى اتفاق ارتضاه الطرفان ، لكن حدث قبل قليل من رجوعهم إلى ديارهم أن تمكن شاور وشيركوه المشار إليهما من دخول مصر على رأس عسكريهما ، والتقى في ساحة القتال بالسلطان ضرغام الذي هزمهما في أول لقاء بين الجانبين هزيمة نكراء ، وحدث قبل أن يجربا حظهما في معركة أخرى أن أصيب ضرغام بسهم غرب رماه به أحد رجاله (١٠) فعات منه فبكاه أتباعه أحر بكاء ، فدخل شاور القاهرة إذ مات خصمه دخول الظافر المنتصر كما كان يتمنى ، وحكم السيف في رقاب أصحاب ضرغام كلهم وأقاربه وحواشييه الذين أمكنه العثور عليهم ، وبذلك عاد إلى المكانة السابقة التي كان عليها من قبل ، ولم يكن تولى هذا المناقش أو ذاك بأمر ذي بال عند الخليفة (العاضد) حتى يكثرث به ظالما أن هناك من سوف يكرس نفسه كالعبد لرعاية شؤون مولاة الخاصة وشؤون رجال المملكة .

ويادر شيركوه إلى مهاجمة مدينة « بليس » القروية منه واعتبرها من ممتلكاته الخاصة ، وظهر من أعماله بل وعن أقواله أيضا أنه عازم - لو واثق الحظ - على إخضاع بقية البلاد لسلطانه

رغم وجود السلطان (١١) والخليفة ، لكن ما لبث الفزع أن تسرب الى نفس شاور فقد خاف أن يؤدي استدعاؤه مثل هذا الضيف (١٢) الى الاضرار بصالحه الخاص وبصالح مولاة ، وأنه ادخل رجلا « أشبه بالفأر قى الصيوان ، وبالمحية الرقطاء فى الصدر » ، وأن هذا الرجل سوف يجازى غضبيه أسوأ المجازاة ، لذلك أسرع ما وسعته السرعة لإرسال رسل من ناعيته الى « عمورى » فى الشام يحملون اليه رسائل المواعدة من سيدهم الذى زودهم بالصلاحيات لينفذوا فى الحال بالقول والعمل شروط الاتفاق المبرم عن قبل بين جلالة الملك والسلطان ضرغام وأن يقدموا - اذا دعت الضرورة - قنازلات أكبر مما سبق .

ما كاد الاتفاق يبرم ويؤكد بين الطرفين حتى قام الملك (عمورى) فى السنة الثانية من حكمه بالزحف على رأس كل جيشه ومضى الى مصر للمرة الثانية حيث انضم اليه هناك شاور بمن معه من العساكر المصرية ، وحاصروا معا شـيركوه فى مدينة « بلبيس » التى اعتصم بها كما لو كانت قلعة ، ولكنه اضطر بعد الحصار الطويل وتحت وطأة المجاعة الى تسليم الموضع ، وكانت الشروط التى اشترطها فى السماح له بالرجوع الى بلاده بجميع قواته دون أى مضايقة ، فأذن له بذلك ومن ثم أخلى المدينة وعاد عبر الصحراء الى دمشق .

... ٨ ...

كان نور الدين فى هذا الوقت يذرع نواحي طرابلس فى موضع يعرف بالبقاع وكان زعمو العظم الذى أحسه يرجع الى انتصاراته ، فقل أكتراثه وتراخى بعض النشء ، مما أسفر عن نكبة فادحة كاد ألا يبرأ منها ، فقد قسم فى هذا الوقت رهط

كبير من النبلاء من بلاد «أكويثانيا» في رحلة الحج للعبادة ، وكان من بينهم واحد اسمه «جود فروي» ويلقب «بمارتل» (١٢) ، وهو أحد أخوة «كونت» أنجوليم ، و «ديج اللوزنيسانى» الكبير المنعوت بالأسمر ، فلما فرغوا من حجهم ولحق العادة الجارية تابعوا سيرهم إلى أرض أنطاكية ، وهنا علموا أن نور الدين لا يزال موجودا في ضواحي طرابلس بمسكنه في المكان الذي أشرنا إليه آنفا ، وكان الظن عدده أنه آمن كل الأمان ، فكان يتخفى فراغه في الراحة والاستجمام ، لذلك جمع الصليبيون قواتهم وباغتوا جيشه بغارة لم تكن في الحسبان ، فأخذته الدهشة ووقع رهط كبير من رجاله في الأسر ، ولقى أكثر منهم حتفهم بالسيوف .

لقد دارت دائرة البوار على رجاله فهلك معظمهم عن آخرهم ، أما هو نفسه فقد نجا وإن لم يشعر بالاطمئنان في نجاته ، وقد ترك وراءه عتاقه بل وسيفه وخرج حافى القدمين ، واحتطى إحدى دواب الحمل إذ كان قاب قوسين أو أدنى من الوقوع في أيدي قواتنا .

أما الصليبيون فقد عادوا منصورين إلى وطنهم ، محمطين بالأسلاب والثروات المطائلة .

وكان قائد هذه الحملة هي «جيلبرت دى لاسى» وكان رجلا شريفا سامى المكانة ، وحققا تفرس بالحرب ، وهو في الوقت ذاته قائد فرسان المعبد في ذلك النواحي ، ويعاونه الرجلان العظيمان المذكوران أعلاه ، وكذلك «روبرت هانزل» قائد العسكر الغاليين في تلك الحملة وطائفة أخرى من الفرسان .

- ٦ -

بلغ الغضب بنور الدين ذروته ، واضطرب أشد الاضطراب ، واستبد به القلق ، واستولى عليه اليأس بسبب هذه النكبة الفادحة.

وتحرق لحد العار الذي لحقه والثار للبلاء الذي حل به وبمن معه من النبلاء ، فراح يلتصق العون من الأقارب والأصحاب ، وقل أن كان هناك أمير من أمراء المشرق لم يستدعه نور الدين إلى مساعدته كما أنه أخذ يلتصق المساعدة بالصمالات وتقطع المعهد على نفسه بـ«كفاة الجميع» . وحشد في الوقت ذاته عسكره ، وجمع الإمدادات الحربية من شتى الأنحاء ، فأسفر ذلك عن جيش كثيف وآلاف من الفرسان الذين جمعهم وحاصر بهم حصن حارم أحد محافل الصليبيين الحصينة في إمارة أنطاكية ، ونصب آلاته الحربية حوله بالأسلوب التقليدي ، وأسرع يغير عليه في غضب جارف ، ولم يسمح للسكان بشيء من الراحة .

وسرعان ما قرأى إلى القادة الصليبيين نبأ نشاطه فأسرعوا في لحظتهم إلى «حارم» بالمشاة والفرسان الذين تسنى لهم جمعهم وكان من بينهم «بوديموند» الثالث أمير أنطاكية ، وريموند الصغير كونت طرابلس بن ريموند (كونت تولوز الصجيلي) «وكونان» حاكم «كليكية» وهو أحد أقارب الإمبراطور ، وكان له النظر في الشؤون الإمبراطورية في تلك الولاية ، ثم «توروس» أحد أمراء الأرمن وقد بلغ من القوة شأوا كبيرا ، فساروا بالعسكر الذين هم على أهبة القتال وفي عزمهم رفع الحصار رغم قوة نور الدين .

غير أن الأمير (١٤) ومن معه من القادة البارثيين (١٥) قرروا بعد التشاور أنه من الأصوب رفع الحصار (١٦) والرحيل عن تلقاء أنفسهم ، فذلك أجدى عليهم من المخاطرة بالتصدي للعدو الذي كان على وشك القدوم عليهم ، لذلك جمعوا أثقالهم وحرضوا على الارتداد سالفين ، غير أن الصليبيين قويت عزائمهم بما هيأته لهم مساعدتهم من النصر فشرعوا في تعقب العدو غير مكتفين بانقضاء

المواطنين من الحصار الذي فرضه عليهم هؤلاء الأمراء العظام ،
فأقدموا غير حبالين بقواعد التكتيك الصربي وانطلقوا على غير
هدى ، وتفرقوا هنا وهناك يطاردون أعداءهم الأتراك الذين سرعان
ما استوردوا شجاعتهم وبأسهم .

ثم وقع الصليبيون فى مأزق خطر حين وجدوا أنفسهم فى
موضع شديد الضيق كثير الرجل والمستنقعات ، وقد كر الترك عليهم
كرة عنيفة فرقوا فيها حصوفهم ، وهكذا أصبح الذين كانوا من قبل
يبثون الفزع فى قلوب الترك ألغوبة يلهو بها الترك الذين أطلقوا
عليهم من كل ناحية ومزقوهم بسيفوفهم شر مزق ، وفككوا بهم أقبح
فتك حتى لكأنهم القرابين تقدم أمام المذبذب ، ولم يستطع أحد منهم
استرداد شجاعته المفقودة ، بل لقد نسى كل منهم هيبته ومكانة
آبائه فلم يحم أحدهم بمحاولة يدرأ بها النكبة التى نزلت بهم ، أو
يقاوم دفاعا عن الحرية وعن أمجاد أسلافه ، ولم يعودوا يكثرثون بما
يمليه عليهم الشرف ، فالتقوا سلاحهم ، وراحوا يتنزلون للعدو كى
يبقى على أرواحهم التى كان أجدى عليهم أن يبذلوها فى القتال
بشجاعة من أجل أرض آبائهم ليكونوا مثالا تقتدى به ذرائعهم .

فلما رأى « توروس » الأرمنى أن الغلبة حاصرت للترك وأن
الهزيمة قد حاقت بالمسيحيين أجمع العزم فى هذه اللحظة الحرجة
على النجاة بنفسه والابقاء على حياته بالانسحاب من أتون المعركة
وكان من رأيه عند البداية ألا يجدوا فى مطاردة الترك ، كما أنه بذل
قصارى جهده فى ثنى الصليبيين عن محاولتهم هذه فلم يستمعوا
له بل أخذوا بمشورة الآخرين الطائفة .

غير أن « بوهيموند » أمير أنطسாகية و « ريموند » كرنك
طرابلس استسلما للعدو ، ومؤثرين الحفاظ على روحهما حتى ولو

كلفيما ذلك أن يجلبا على نفسيهما العار والملامة ، واقتفى أثرهما « كولان » والى كيليكية ، « هيج دى لورنيان » المشار اليه من قبل وجوسلين الثالث كونت الرها وغيرهم من سسرة النبلاء ، فصقدهم العدو فى الحديد كأخس العبيد ، وساقهم تجلبهم الفضيحة الى حلب حيث رَج بهم فى حبسها ، وصاروا تسلية للكفار .

تشجع نور الدين وعن معه بهذا النجاح وبالحظ الحسن الذى صادفوه فعادوا ثانية يهاجمون الحصن المنيع الذى كانوا يحاصرونه من قبل ، واتسم حصارهم ايام هذه المرة بثقة أعظم من السابقة ، حتى أنه لم تنقض أيام قلائل الا وقد تم الاستيلاء على المكان عنوة وقسرا .

وقد جرت هذه الحادثة فى اليوم الرابع قبل منتصف أغسطس من سنة ١١٦٥ م عن مولد سيدنا ، وفى العام الثانى من حكم الملك عمورى الذى كان لا يزال موجودا فى مصر وقتذاك ، لأن مشاغله بها استلزمت وجوده هناك .

- ١٠ -

خلفت هذه التغيرات الكبرى والنكبات الفظيعة بصماتها على أوضاع الصليبيين وأحوالهم ، فتدهورت معنوياتهم النفسية غاية التشور ، ولم يبق الآن بصيص من الأمل لهم ، فرادوا كلهم بقلوب يائسة يتوقعون أياما أشد أسودادا عما قبلها حين وصل اليهم « تييرى كونت فلاندرز » وفى صحبته أخت الملك وهى امرأة متدينة تقية ، وكان معه مائة كبيرة من الفرسان . ففرح الجميع بعقدته ، وتلقوه بالثبطة فقد بدى لهم وكأنه نجدة كبرى أهديت لهم ، وكان مجيؤه أشبه بالنسمة الرقيقة بعد القيظ اللافتح ، وطمعوا أن يتمكنوا بمعاونته لهم من الصمود حتى يعود الملك والجيش الصليبنى .

لكن وا أسفاه !! فان هذه الحالة من الاطمئنان التي بدت
أصفى ما تكون سرعان ما غطتها سحابة دكناء جاءت اليهم على
غير انتظار فأحالت كل شيء الى ظلام دامس ، « وتحولت الشمس
الى ظلمة ، والقمر الى دم » (١٧) ، فقد شمع نور الدين بأنفه فيها
لنجاحه حتى لقد عزم على اغتنام الفرصة لحاصرة مدينة «بانياس»
ليقينه النام بخلي المملكة ممن اعتادوا الدفاع عنها بسبب الملك على
رأس معظم قوة المملكة الحربية ولمعرفته بوجود القادة الكبار في
أسره يحلب .

وبانياس مدينة قديمة كل القدم ، تقع عند سفح جبل لبنان
الشهير ، وكانت في الأزمنة الغابرة وفي أيام اسرائيل تسمى « دان »
وهي الحد الشمالي للأراضي الاسرائيلية ، كما كانت « بير سبع »
الحد الجنوبي لها ، ومن ثم فانه عند الكلام عن طول أرض الميعاد
يقال : « من دان الى بير سبع » ، كما نقرا في انجيل لوقا أن
فيلبس بن هيرودس (١٨) حاكم ربع « ايطورية » وكورة تراخونيتس
زاد في رقعة تلك الناحية تكريما واجلالا للقيصر « طيبريوس »
ورغبة منه في تخليد اسمه هو ذاته فقد سماها قيصرية فيلبس ، كما
انها تعرف أيضا ببانياس ، لكن جماعتنا اللاتين حرفوا الاسم كدأبهم
في أسماء المدن فسموها « بلنياس » .

وتتأخما من الشرق أرض دمشق قرب الموضع الذي ينبع
منه نهر الأردن ، وهذه هي المدينة التي ورد الكلام عنها في
الانجيل (١٩) حيث جاء « ولما جاء يسوع الى قيصرية فيلبس سأل
تلاميذه قائلا : من يقول الناس اني أنا ابن الانسان » . وهنا أيضا
تسلم « بطرس » احير الحواريين مفتاح مملكة السماء من السيد
المسيح مكافأة له على اعترافه الرائع .

ولقد حاصر نور الدين هذا الموضع فوجده خاليا من كل مدافع عنه ، وذلك لأن صاحبه الذى ورثه وهو « همفرى » الكونستابل الملكى كان غائبا فى مصر برفقة الملك (عمورى) ، كما أن أسقف هذا المكان كان هو الآخر بعيدا عنه - أما الأتالى فقد نقص عددهم نقصا بينا بسبب ما جرى عليهم من القتل ، لذلك نصب نور الدين مكائن الحرب وآلات القتال فى هذه اللحظة ذاتها وأحرق بالبلد الذى تديم سوره وضعفت أبراج معظم نواحيه بسبب القذائف الحجرية المستمرة مما حمل من كانوا بداخلها على الاستسلام بعد أيام قلائل على أن يؤذن لهم بمغادرة المدينة بما ملكته أيديهم سالمين من غير سوء ، وهكذا تمكن نور الدين من أخذ البلد فى سنة ١١٦٧ من مولد سيدنا .

وقد جرت هذه الحادثة فى السنة الثانية من حكم الملك « عمورى » وفى اليوم الثامن عشر من أكتوبر (٢٠) .

وكان الكونستابل المبجل قد عهد ببانياس عند رحيله لمصر الى واحد من خاصة فرسانه هو « وولتر دى كيسنوى » Quesony الذى يؤكد البعض أنه أهدل الدفاع عن المكان ، كما أشيع أكثر من هذا أنه تراطأ مع قسيس اسمه « روجر » من رجال الكنيسة وخانا الأمانة، حين قبلا من العدو رشوة ليسلماد الموقع ففعل، فلما عاد الملك من مصر استبد الذعر الشديد بالخائنين مخافة أن يأخذ الملك باعدامهما ، وليس بين أيدينا النبأ اليقين عن هذا الأمر ، الا ما نعرفه من أن المدينة استسلمت للعدو .

على هذه الصورة كان الوضع في الشام .

وبعد أن تم للملك اخراج شيركوه على هذه الصورة من مصر وتنصيبه «شاور» سلطانا يكون له الحكم في البلاد رجع هو الى القدس رجوع القائد الظافر حيث علم ببدأ الأحداث المحرنة التي جرت في المملكة ، وعلى الرغم من أن بعض هذه الأخبار كانت قد بلغته من قبل الا أنه أوصى الآن الى بيان مفصل عن تلك النكبات ، وعلم أن أهالي أنطاكية قد صاروا في خوف يبعث على الأسى فراحوا يلتمسون منه المعونة ، ومن ثم نهض بدافع ما يكنه من الشفقة الأخوية والحب الصادق الى الاسراع الى أنطاكية المنكوبة ليقيم لها ما هي في أمس الحاجة اليه من العون ، واصطحب معه في هذه المرة «كرنت فلاندرز» يرعاه بعطفه ، وما كاد يبلغ أنطاكية حتى أخذ لنفسه صلاحيات أميرها فدير أمورهما في صدق وإخلاص ، ويذل لها من عنايته قدرا ربما كان أكبر مما يبذله في العادة تجاه شؤونه الخاصة ، كما بسط مظلة الرحمة البالغة والحكمة العظيمة على جميع الذلاء والرعاة على السواء ، فاقام في كل مدينة رجلا كفؤا لإدارة دفة جميع الأمور المتعلقة بأُملاك الأمير إدارة أدنية دقيقة حتى اذا اطمأن باله الى حسن سير الأمور وانتظاعها عاد أدراجه الى مملكته ، ومع ذلك فانه استعان باتباع الأمير (بوهيموند) وأصدقائه المخلصين في متابعة الاهتمام بما يتعلق بتدبير الشدائد يفتقدون بها هذا الأمير ، واثت جهود الملك النشطة ثمارها فعاد أمير أنطاكية في صيف نفس السنة الى مكانته الجليلة بعمريته السابقة بعد أن دفع قهرا كبيرا من المال بعد مقاومته في أسر العدو ما يقرب من سنة ، فلما قدر لبوهيموند أن يعود الى أنطاكية لم يركن الى الهدوء بل أبدى نشاطا كبيرا في جمع الشدائد

من أجل الرهائن الذين أسلمهم للندو حتى لا يطول بقاؤهم في
يديهم .



وكان امبراطور القسطنطينية (مانويل) (٢١) قد تزوج قبل
قليل من هذا الوقت من « مارية » صغرى شقيقات الأمير « بوهيموند »
الذى أسرع اليه فرحب به الامبراطور ترحيبا بالغيا وأدناى اليه
وأحسن معاملته كل الاحسان ، فأقام بوهيموند عنده بعض الوقت ثم
عاد الى أنطاكية محملا من جلالته الامبراطورية بالبدايا والتحف
الرائحة .

ربما بدى من العجب أن يقبل نور الدين - وهو من هو في
رجاحة عقله وبعد نظره - أن يطلق سراح أمير أنطاكية مع أنه كان
ينفر على الدوام من تحرير أسراه المسيحيين ، ولا يكف عن التباهي
بأنه قد أسر كثيرا من قومنا لاسيما ذوى المكانة الرفيعة منهم ،
وعندى لهذا الأمر تفسيران محتملان أولهما أنه كان يخشى أن يتدخل
الامبراطور (البيزنطى مانويل) بنفسه فيسأله اطلاق سراح الأمير
بلا فدية فلا يجرق نور الدين حينذاك على رفض سؤال مثل هذا
الحاكم الرفيع الشأن .

وأما ثانى التفسيرين عندى فربما أن نور الدين قدر أن يعتمد
أهالى أنطاكية أن طال حبس الأمير عنده - لاسيما ودر شاب - أن
يدفعهم حرصهم على مصالحهم الى التماس واحد آخر يولونه مكانه ،
وربما يكون هذا الآخر أقوى من بوهيموند فيكون بذلك خصما أشد
عنه عنفا ، لذلك دله ذكاؤه وأرشدته فطنته الى أن الخير له في أن
يستمر بوهيموند في حكم مملكته أنطاكية حتى لا يدخل محله من قديكون
أشد بأسا منه وأصعب مراسا فيصعب التعامل معه إذ ذاك أثقل .

والرأى عندي أن هذه النظرية الثانية تفسر الدوافع الحقيقية
التي كانت تسيطر على نور الدين ، وهو الأمير اللبيب الفطن .

وكثيراً ما نرد الإشارة إلى أن شيركوه الذي ألقى على نفسه
الأن أن يحطم الصليبيين كان قد احتل فجأة وعلى غرة منهم قلعة لهم
قرب صيدا وتعرف بحصن صور ، ويعتبر محقلاً حصينا لا يمكن
اقتحامه ، لكن يقل أن الإسديلاء عليه ثم برشوة حراسه ، واتضح
صديق ذلك القول في أنه ما كاد الحصن يستسلم حتى فر جميع من
كانوا فيه إلى أرض العدو . ولم يبق فيه غير كبيرهم الذي شاء
قدره أن يتم القبض عليه وتكون نهايته أسوأ نهاية فقد شفق .

وفي أثناء هذه السنة ذاتها (٢٢) امتدت يد الموت إلى ولیم ملك
صقلية ذي الصيت المدوي وهو ابن الملك روجر .

كما حدث قرابة هذا الوقت أيضاً أن أخذ شيركوه قلعة شبيهة
لتلك القلعة التي ذكرناها ، وكانت حنيعة الجانب لا يمكن اقتحامها
وهي واقعة وراء الأردن على حدود بلاد العرب وقدسلحها لشيركوه
بعض الأخوة من فرسان البيكل الموكول اليهم حراستها ، فبادر
الملك في ساعته إليها في طائفة كبيرة من الفرسان نجدة لها ، فلما
كان في بعض الطريق وقد نزل على شواطئ الأردن جاءه الخبر بأن
هذا الحصن قد سقط في يد العدو فتبلبل خاطره ، وأمر بشنق حوالى
أثنى عشر رجلاً من الفرسان الداوية كانوا هم المسئولين عن هذا
التسليم .

وبكذا ففي السنة الثالثة من حكم عموري ابتلى الصليبيون
بكثير من المصائب ، وصارت المملكة كلها - بسبب خطايانا - تعاني
أشد الأخطار التي تهددها .

خات الأصول من نص لهذا الفصل (٢٢) .

على هذه الصورة كان وضع قومنا يومذاك .

كما انتشرت في كل النواحي في هذه الآونة اشاعة تعددت مصادرها تقول ان شيركوه خرج على رأس قوة ضخمة من الفرسان الذين جمعهم من ممالك المشرق ومن الجهات الشمالية ، وانه يستعد للاغارة على مصر مرة أخرى بقوة كبيرة ، ولم تكن هذه الشائعة نابعة من فراغ اذ كان شيركوه قد زار خليفة بغداد وهو اعظم حكام المسلمين وأخطرهم شأنًا ، كما أنه يعتبر صاحب السلطان الأعلى بين الجميع ، فما جاءه شيركوه وحياء التحية المألوفة حتى شرع يفصل له ضخامة ثراء مصر ، وأنباه أنها حوت كثرة عجيبة من كل رائع ونادر ، كما قص عليه ما عليه أميرها (الخليفة الفاطمي) من غنى فاحش وذكر له الأموال السكثيرة المتدفقة في خزائنه من الضرائب والمكوس التي يفرضها على البلاد ومن دخله السنوي الهائل ، وزاد على ذلك فقال ان أهل البلاد قد استقاموا الى حياة الترف واستراحوا الى البلبنية فوهنت حميتهم لطول عيدهم بالسلم الدائم ، وراح يكرر على سمع الخليفة مرة بعد أخرى ان الأمير الحاكم الآن في مصر واسلافه قد أقاموا خلافة مناقسة لخلافته وخلافة أسلافه ، وأنهم تجرؤوا على القول بأن خلافتهم (الشيعية) هذه مكافئة لخلافة صاحب بغداد (السنية) التي لا يمكن أن يقارن بها شيء قط ، أضف الى ذلك أنهم بذلوا جهدهم في الدعاية لشريعة أخرى وتعاليم تمام المخالفة لشريعة خليفة بغداد وتعاليمه .

وأنت كثرة تكرار شيركود لهذه الأقوال على سمع الخليفة (العباسي) إلى استجابة الأخير لتنفيذ رغبته نكتب إلى جميع من كان على مثل مذهبه من أمراء المشرق أمرا يأهم أمرا حاسما لا رجعة فيه بجمع جيوشهم والسير وراء شيركود لمساعدته .

فلما ترامى هذا الخبر إلى سمع عموري نادى بمقد اجتماع عام في نابلس لرسم خطة تؤدي إلى انقضاء خطط الخليفة (العباسي) وقام الملك في حضور البطرك والأساقفة ورؤساءهم وغيرهم من رجال الكنيسة وكذلك البارونات والناس قاطبة شارحا لهم شرحا وافيا مدى الخطر الذي يهدد المملكة ، وسعى السعي الحديث في طلب معونتهم ، ومن ثم فانه نظرا لهذه الظروف الطارئة المحيطة بهم فقد انعقد أجمعهم على أن يدفع كل فرد جزءا من عشرة من أملاكه العينية من أجل انقاذ المملكة ، ثم وضع هذا القرار موضع التنفيذ .

واستمرت الأخبار تدرى بأن شيركود قد زود بما يلزمه من الطعام لأيام طويلة ، وبكمية وفيرة من الماء اخزها في القسرب والروايا ، وأنه بدأ سيره عبر الصحراء ، سالكا الطريق الذي سلكه بنو اسرائيل حين دخلوا أرض الميعاد ، وحينذاك حشد الملك كل ما استطاع حشده من الفرسان وأسرع في الخروج لمواجهة شيركود وصده ، وظل يتقدم حتى بلغ موضعا يعرف بقادس بارنيه Kades Barnea في الصحراء ، لكنه لم يجد خصمه هناك ، فبادر في ساعته لقصر أثره .

- ١٤ -

صدر الأمر حينذاك إلى المتنادين أن ينادوا بأن يخرج عسكر كل مدينة من مدن المملكة : فرسانا كانوا أو حشاة ، وتكون عسقلان

مركز تجمعهم ، حتى اذا كان اليوم الثلاثين من يناير بدأ الجيش زحفه حاملا معه ما يحتاجه من المؤونة اللازمة للرحلة ، واستطاع بغطى قوية أن يجتاز صحراء القيه المترامية الأطراف الواقعة بين غزة التي هى آخر مدن المملكة وبين أرض مصر عند قلعة العريش القديمة بالصحراء ، وهذا أحصوا عسكرهم وتلبثوا فى انتظار بقية الجيش الذى تكامل بوصوله الى المدينة المعروفة الآن بـبليس (٢٤) وان عرفت فى الأزمنة القديمة باسم « بيلوزيوم » التى طالما وردت بهذا الاسم فى سفر الأنبياء .

اشتمد الفزع بالسلطان شاور اذ علم بحضور الملك عمورى ، وطار قلبه شعاعا عند ظهور الصليبيين الفجائي ، وساوره القلق من العسكر الزاحف وخاف أن يوجه هذا الزحف الحربى ضده هو ذاته ومع أن المعروف عنه أنه كان حاكما لبيا قادرا ، واشتهر ببعده نظره الا أنه أبدى فى هذه المناسبة جبنا شديدا وجبلا فاضحا ، ومع أنه كان يعلم بالسبب الذى حدى بنا للحضور الا أنه لم يطمئن الى صدق ما علم ، وانتهى به الأمر أخيرا - وان جاء متأخرا جدا وفى تردد - الى ارسال كشافته الى الصحراء يأتونه بالنبا اليقين حول حركات العدو ، فلما عاد اليه رسله أنبأوه بأن العسكر التركى قد وصل الى « اطفيح » (٢٥) ، وان ذلك تعجب السلطان من شدة وفاء الصليبيين واثنى عليهم الثناء العاطر ، وبادر - اعترافا منه بوفاء الجيش الصليبي تجاه حلفائه المصريين - فوضع رهن تصرف الملك كل ما تملكه الدولة والخليفة من الأموال ، كما أظهر منذ ذلك اليوم الحماسة القصوى فى تنفيذ جميع رغبات الملك « عمورى » الذى أصبح قائدا على تحقيق كل ما كان فى حاجة اليه بفضل هذه الأموال .

مر الصليبيون في طريقهم بمدينة بلبيس والقاهرة التي كانت بمبانيتها الفخمة تعتبر مقعد السلطة الملوكية وتعتل حقد مصر الرفيع الرائع ، فغزبوا معسكرهم على اليسار من المدينة الجليظة المشهيرة المسماة ببابلليون (٢٦) والمعروفة في العربية باسم « مصر » ولم استطع الوقوف على اسمها الذي كان يطلق عليها في الأزمنة القديمة ذلك لأن بابليون كانت مدينة بالغة القدم في الشرق ، ولكن التواريخ التي تؤرخ للعصور القديمة لا تشير الى أى مدينة بهذا الاسم منذ أن عرفت مصر في الوجود ، ومن ثم فمن المحتمل أن لا تكون قد تأسست في عهد الفراعنة الذين كانوا أول من حكموا مصر ، ولا زمن البطالة الذين تولوا الحكم فيما بعد ، بل ربما كانت ترجع الى عصر الرومان الذين حولوا مصر الى ولاية رومانية .

أما فيما يتعلق بمدينة القاهرة فالمعروف أنها تأسست على يد جوهر (الصقلي) بعد أن تم له فتح كل بلاد مصر وهو قائد جيوش المعز لدين الله (الفاطمي) الذي كان له الحكم آنذاك في أفريقية .

أما كيف حدث هذا الأمر فلذلك قصة نسردها فيما بعد .

يذهب بعض المؤرخين للجزم بأن « بابليون » هذه هي مدينة « ممفيس » القديمة الرائعة التي طبقت شهرتها الآفاق ، والتي كثيرا ما وردت الإشارة إليها في كتب التاريخ القديم وفي الأتبياء والتي قبل أنها كانت عاصمة المملكة كلها وكثير من الولايات المجاورة ، وأنها هي واسطة عقدها ، على أنه لا يزال يوجد حتى اليوم على بعد عشرة أميال وراء النيل الذي يجري الى حوار بابليون التي نتكلم عنها الآن ، أقول لا تزال توجد حتى اليوم أطلال مدينة جليظة

كبيرة الانتساع تشهد بمظمة مندثرة ، ويصر سكان تلك النواحي
على أن هذه هي معفيس الدارسة .

وعلى ذلك فمن المحتمل أن يكون أهالى « معفيس » قد رحلوا
عنها تحت ظروف الحاجة الملحة أو لأن هذا المكان (الجديد) كان
أنفع لهم ، ومن ثم نقلوا مساكنهم الى الضفة الأخرى من النهر ،
وحدث فى ذلك الوقت - أو ربما بعد حين - أن تغير اسمها القديم
الأصلى ، ونحن لا نشك فى أن مولاه الأدير العظيم (المعز لدين الله
الفاطمي) كان قد أرسل مولاه جوشر الصقلى مؤسس القاهرة
على رأس العسكر لفتح مصر ، فلما تم له فى سنة ٢٥٨ هـ التغلب
على كل البلاد وفرض الجزية على الأهالى أنشأ هذه المدينة قرب
بابلون وأصبحت المقر الأثير عند سيده واتخذ مقامه بها ، فلما
انقضت ثلاثة أعوام على هذا الفتح غادر المعز « القيروان » التى
كانت كرسى مملكته لسنوات عدة ، ثم بذل غاية اهتمامه لجعل من
القاهرة بلدا رائعا يليق أن يكون عاصمة لدولته ومقرا لها .

وقد جرى هذا سنة ٢٦١ هـ أعزى فى العام العشرين من ولاية
المعز - حسبما أفضنا فى ذلك بموضع آخر من كتابنا عن أمراء
المشرق -

- ١٦ -

حينما ضرب الصليبيون معسكرهم على شاطئ النهر وعلى
بعد أقل من مرحلتين من المدينة المذكورة أنفا عقدوا مجلسا من بينهم
وطال الجدل فى الاجتماع ، وفوقشت فيه الآراء المختلفة مناقشة
جدية حتى انتهى الراى بعم الى أن خير ما ينبغي عليهم عمله هو
أن يسيروا لمواجهة شيركود وقواته قبل اجتيازهم النهر ، كما رأوا

أن منحه من دخول المملكة (المصرية) أصوب من مقاتلتهم أياه بعد أن يكون عسكريه قد شقوا طريقهم اليها ، وأذ ذاك تصعب على الصليبيين العودة ثانية للعبور ، وهو أمر يؤدي بهم الى مقاتلته قتال اليأس .

وعلى الرغم من ذلك فقد نقضوا خيامهم وأغذوا السير الى الموضع الذى كانوا يتوقعون أن يكرن العدو معسكرا عنده ، ويقال ان هذا الموضع كان يبعد قرابة عشرة أميال عن المكان الذى كان جنودنا معسكرين فيه من قبل ، فلما وصلوا الى هناك علموا أن شيركوه - وهو القائد المحنك - قد اجتازه بكل جنده تقريبا ، ولم يبق منهم الا شردمة قليلون فبادر رجالنا الى القبض عليهم وتقييدهم ولما شرع الصليبيون فى استجوابهم أفادوهم بأخبار عظيمة النفع لا سيما فيما يتعلق بعبور شيركوه للنهر وعن عدد عسكريه .

واماطت أقوالهم اللثام عن حقيقة كانت مجهولة لرجالنا تلك هى أنه بعد اجتياز قوات شيركوه لحدراء جنوب سورية فاجأتهم زوبعة ارتفعت معها ذرات الرمل ارتفاعا عاليا ودارت فى الجو على غير توقع من أحد ، ثم انعقدت أمامهم كأنها كسف السحاب القائمة أو الضباب الكثيف ، فلم يجرؤ أحد منهم على فتح فمه للكلام مع رفيقه ، وأغمضوا كلهم عيونهم ولم يستطيعوا فتحها ، فترجلوا عن جيادهم وانطرحوا على الأرض محتضمين بها وأنشبهوا أيديهم فى الرمال حتى لا تجرفهم العاصفة الهوجاء فترفعهم الى أعلى ثم تلقىهم أرضا ، ذلك أنه قد يئب فى الصدراء عواصف رملية كعواصف البحر فترتفع ثم تهوى كالسيل ، مما يجعل عبور هذه المناطق لا يقل خطورة عن ركوب ظهر الماء .

ثم عاد الجو ثانية صحرا لطيفا بعد أن ظلوا (٢٧) أياما عدة هائمين على وجوههم هنا وهناك وقد ضلوا السبيل فلا يعرفون أى

الطرق يسلكون ، ولم يعد لهم من مطمع سوى البقاء أحياء لمظلوا
هكذا حتى انتهى بهم الأمر الى الوصول الى ما ذكرنا بعد أن نفقت
جدالهم ، وضاع الجانب الأعظم من ممتلكاتهم ، وملك طائفة كبيرة
من رجالهم ، وتشرد أكثر منها في هذه الصحراء المضلة الشاسعة
التي لا حدود لها .

ولما اتضح أن شديركوه ورجاله قد عبروا النهر قام جيشنا
فتعقبهم سالكا نفس الطريق الذي كانوا قد جاءوا منه ، وضربوا
معسكرهم على شاطئ النهر قرب المدينة التي غادروها من قبل .

- ١٧ -

أيقن شاوور الآن أنه من المستحيل عليه أن يقاوم هؤلاء الخصوم
الذين دخلوا مملكته حتى بلغوا أقصاها ، وأنه عاجز عن طردهم
منها بعون يرفده به الملك ، ومن ثم بسذل غساية جهده
ليعرف أضمن وسيلة يمكنه بها استبقاء عموري في مصر فقد خشي
أن يحمله الضجر من المصاعب التي يلقاها على العودة الى بلاده .

والواقع أن شاوور أدرك أن الوسيلة الوحيدة لاستبقاء الملك
في البلاد إنما تتمثل في أن يقوم من جازبه بمضاعفة الجزية التي
التزم بدفعها له حتى تكون هذه الجزية كافية لسداد نفقات الملك
ذاته ونفقات باروناته .

لذلك عزم على أن يجدد الاتفاقيات القديمة ويعقد صلحا
دائما بين الملك (الصليبي) وبين الخليفة (الفاطمي) وقد استعصر
الصليبيون هم أيضا هذه الشروط ، على أن يقوم هذا الصلح على
أساس ثابت لا ينقض ولا يشجب ولا يتصرم أجله بحال من الأحوال ،

ونما من سبيل الى ذلك الا بزيادة الجزية السنوية مع اضافة مبلغ معين من المال يكون منحة للملك من خزينة الخليفة ، لأن الأعر كما بدى للعيان كان أمرا لا يمكن اتجاذه بيسر بل يتطلب المزيد من الجهد والزمن .

وبعد مناقشة مطالب كل من الجانبين ورغباتهم قرر المسئولون عن اعداد الاتفاقية وعن ترتيب الشروط أن تدفع (مصر) للملك أربعة آلاف دينار ذهبى منحة لا ترد ، يجعل بنصفها حالا ، أما النصف الآخر وقدره مائتا ألف دينار ذهبى فيرسل فى اوقات معينة حدودها فيما بينهم ، وكانت الشروط كالتالى :

« يؤكد الملك عمورى بخط يده وبصدق من غير غش ولا سوء نية على أنه لن يغادر أرض مصر حتى يتم القضاء على شيركود وجميع عسكره ، أو يخرجوا من البلاد عن بكرة أبيهم » .

ووافق الطرفان على هذه الشروط ، وأراد الملك أن يظهر رضاه عن الاتفاقية فعد يده اليمنى مصافحا ثواب الخليفة ، كما اختار فى الوقت ذاته « ديج » صاحب قيصرية ، وكان شادا على جانب كبير من العقل والحكمة الرائعة وحسن التصرف لا يتوقعها أحد ممن كان فى مثل عمره ، وأرسله مع نفر آخرين ليحصلوا على موافقة الخليفة على العهد المتفق عليه لأن موافقة الوزير وحدها فى مثل هذا الموضوع بدت غير كافية .

- ١٨ -

ولما كان قصر هذا الحاكم (أعنى الخليفة الفاطمى) نريدا فى نوعه ويسير على تقاليد لم نألفها فى الغالب فى عالمنا (الغربى) فقد رأيت من الأوفق أن أدون بالتفصيل ما وقفت عليه من الأخبار

الموثوق بها والتي رواها من زاروا هذا الأمير (٢٨) العظيم ، وإن
أصف أحواله وعظمته وثراده الفاحش ، وأبعته التي تفوق الوصف ،
ذلك أن الحصول على فهم دقيق لكل هذا إن يذهب هباء من غير
جدوى لقرائى .

لقد دخل القاهرة « هيچ القيصرى » وسفارته التي بعثناها
الى هناك ، وقى صحبتة « جود فروى فولشر » أحد فرسان الداوية ،
وكان دخولهم اياها فى حماية حرس السلطان فلما بلغوا القصر الذى
يسمونه فى اللغة المصرية بالـ Cascare (٢٩) سار بهم الحرس
فى دهاليز ضيقة ليس فيها بصيص من النور، ووراءهم عدد كبير من
المرافقين حاملى السيوف ، كما رأوا عند كل مدخل زمرا من
السودان المسلحين الذين يبالبغون فى اظهار توقيرهم للسلطان بكثرة
تحدياتهم له .

ولما اجتازت السفارة طائفتى الحرس الأولى والثانية جىء
بالرسولين جود فروى فولشر وهيچ القيصرى الى ساحة كبيرة
فسيحة غير مسقوفة تأذن للشمس بالدخول ، وتؤدي الى ردهات
ذات أعمدة رخامية منقوشة برسوم بارزة ، تحمل سقوبا ذهبية ،
وحولها أرضيات من الأحجار المختلفة الألوان وتبدو فى هذا المكان
كل مظاهر الأبهة الملكية التى أبديتها يد الصانع الماهر مما يشير
الى روعة الصنعة . هذا الى أنها بلغت حدا من الإبداع تجعل
العين لا تستطيع الا أن تحلق فى دهشة من روعة هذا الجمال
النادر الذى لا يكل المرء من التطلع اليه ، فهناك برك من الرخام
للسمك ملائى بالماء الصافى ، وهنا طيور من شتى الأنواع لانعرقها
فى عالمنا ، وهى أكبر حجما من الطيور التى ألفناها ذات أشكال
عجيبة وألوان متنوعة ، وتغريدها يختلف عما نألفه ، وكان طعام

كل منها يختلف عن طعام الآخر حسب أنواعها ، اذ لكل نوع عنها طعامه الخاص به .

وتقدم كبير الخصيان بهيج (القيصري) وبصاحبه من هذه الساحة الى عيان قبر في روعتها تلك المباني التي تسنى لهما مشاهدتها حتى هذه اللحظة ، فقد كان ما وقعت عليه عيونهما أخيرا أروع من كل ما مشاهدته العين من مبان تبدو عادية ، فقد كانت هناك مجموعات عجيبة عن الحيوانات تتعنى يد الفنان ابداع حثيا ويعجز خيال الشاعر عن تصور ما ، اذ كانت أشبه بما يراه المنام في حلمه ، ولكنها مخلوقات موجودة في الواقع في بلاد الشرق وفي الجنوب ولكن لم ير الغرب مثيلا لها أو يسمع عنها الا نادرا ، غير أنها كانت بلا جدال من الأماكن التي استمد منها كاتبنا « سوليذوس » ما ذكره في كتابه .

- ١٩ -

وانتهى المطاف بهؤلاء السفراء المبعوثين الى القصر بعد اجتيازهم كثيرا من المرات المتعرجة ، وسلوكهم طرقا يضل فيها المرء وتستلقت عجائبها انتباه الجميع حتى أكثر الناس استغراقا في تأملاتهم ، ولما بلغوا القصر وجدوا جماعات أكثر عددا وكلهم من حملة السلاح ، وأرتالا عن الأتباع يدل مظهرهم وكثرة عددهم على عظمة مولاهم التي لا تقاربها أية عظمة ، كما أن منظر المكان يدل دلالة صريحة على ما عليه الحاكم من الثراء الفاحش الذي لا يماثله ثراء .

ثم سير بالمبعوثين الى القسم الداخلي من القصر حيث أظهر السلطان (شاور) التوقير الذي اعتاد إظهاره لمولاه ، فقد انطرح

على الأرض مرتين وقدم فروض الطاعة المهينة كما لو كان يقدمها
لأولاد معبود ، وذلك ترجمة عن اجلاله الدليل له ، ثم ركع على الأرض
مرة ثالثة ثم أحسك بسيفه الذى يتلقده والذى يتدلى من عنقه والقاد
على البساط ، واذ ذاك انزاحت فى سزعة عجيبة الستائر المرسعة
بالجواهر والذهب وظهر العرش خلفها ، والخليفة سافر الى جهة
جالس على تخته الذهبى ، وحوله طائفة من مستشاريه وعبيده ،
وقد بدى منظره أكثر من منظر ملوكى ، فدنى السلطان (شاور)
منه بكل احترام وقبل فى مذلة قدميه وهو على عرشه ، ذاكرا
له الخرض من زيارة المبعوث (الصليبي) وفحوى شروط الاتفاق
وحاجة الملكة (٣٠) الشديدة اليه ، كما شرح له أن فى قلب
الامبراطورية (٢١) ذاتها عدوا (٢٢) شديدا المراس ، وأوجز فى
كلمات قلائل ما هو مطلوب منه كخليفة ، وما سيقدمه الملك
(الصليبي) لقاء ذلك ، فأجاب الخليفة بوجه طلق غير متجهم وفى
حودة ظاهرة وقال انه مستعد للوفاء بنصوص الاتفاق الذى اتفق
عليه الجانبان وارتضياه ، وأنه يفضل ذلك وفاء منه للملك (عمورى)
وبنفس راضية غاية الرضاء تقديرا منه له .

حينذاك التمس الصليبيون من الخليفة ان يذبح ذوهيچ فى تأكيد
ما قال بيده ، لكن حدث فى بادىء الأمر أن اضطرب رجال البلاط
الذين يمحيطون بالخليفة ، كما فزع من هذا الطلب مستشاروه وكبار
حاشيته المسؤولين عن تنفيذ خطط الخليفة ، وكان انزعاجهم ناجما
عن أن مثل هذا الطلب شيء لا تتصوره عقولهم أبدا ، غير أن الخليفة
استجاب بتد لئى وطول جدل وتحدث الساج (وزيره) المستمر ،
فقد يده ولكن على مضض منه وكانت مغفلة ، وزاد من فزع
المصريين الذين دهشوا غاية الدهشة من أن يتحدث شخص ما
الى الخليفة بالصراحة التى تحدث بها « هيچ » معه اذ قال له :
« دولاي ، ان العهد الصادق لا يخفى شيئا ، لكن اذا كان الأمراء

الكبار صادقين كل الصديق مع انفسهم فيجب أن يكون كل شيء واضحا جليا ، وأن تكون الصراحة طابع ما يقولون ، في رفض أو قبول الشروط المقدمة ، ومن ثم فانه اذا لم تبسط يدك عارية فاننا نكون مضطرين للظن بأن عندك اعتراضا أو تحفظا مرجعه النقص في الاخلاص » .

وأخيرا وضع الخليفة(٢٢) يده من غير قفاز في يد « هيج » وقد فعل ذلك على كره منه كما لو كان هذا العمل يقلل من هيئته الملوكية ، ورفت ابتسامه خاطفة أزعجت المصريين ثم راح الخليفة يردد كل ما يقوله « هيج » كلمة بعد الأخرى وهو يملأ صورة الاتفاقية ، وأقسم صادقا بلامين ، أو سوء نية على ألا يشجبها .

كان الخليفة كما حدثني « هيج » شابا على جانب كبير من الخلق الكريم لم تنبت لحيته الا منذ وقت قريب جدا ، وكان طويل القامة ، أسمر البشرة ، رائع البنية ، وعنده زوجات كثيرات .

وبعد انصرف المبعوثين(٢٤) أرسل الخليفة اليهم الهدايا والتحف رمزا لمساخنة الملوكي ، وكانت هذه الصلوات في كمها وكيفتها مما زكت العطاء الخلفي أكبر تزكية في ندوس السفراء الذين غادروا الحضرة الخليفية وهم في غاية السرور وعادوا الى ديارهم .

— ٢٠ —

أما وقد وصفنا عظمة الخليفة بناء على ما ذكره لنا أولئك الذين شاهدوا بأعينهم ما ذكره لنا فاننا نواصل الآن الخبر عن عظمتهم ، وأصل ذلك وتطوره بقدر ما نعرف ، ونحن نستمع هذا البيان من النظر في كتب تاريخ العصور السالفة ، وكذلك من

شهادات الكثيرين التى يوثق بها كل الثقة ، ذلك لأنه سوف يكون من المستحيل - من غير الاستعانة بالتاريخ - أن نفصل للقارىء هذه الأمور .



يطلق قوم مصر على أميرهم اسمين ، أحدهما هو « الخليفة » أى الوريث لأنه يشغل نفس مكانة نبيه العظيم وهى المكانة التى نلت إلى « الخليفة » شرعا .

وأما ثانيهما فانهم ينادونه « بمولانا » (٢٥) أى مالك أخورنا ، ويظهر أن الأصل فى ذلك يرجع إلى عهد « فرعون » حين جاء يوسف (٢٦) الشهير واشترى إقليم مصر كله ، واضطر الأهالى تحت وطأة المجاعة المروعة لبيع كل ممتلكاتهم فقام يوسف وجعل كل السكان والأراضى من أديانها إلى أقصاها خاضعين لفرعون ، وقال للمزارعين :

« عليكم أن تقدموا الخدم للملك ، أما الأربعة أخداس الباقية فانى أنن لكم أن تقيموا بفلاحتها لتعيشوا عايبا أنتم وذوكم وصغاركم » .

لقد اشترى يوسف أولا أملاكهم ثم اشتراهم هم أنفسهم .

وهكذا ارتبط المصريون بمولاهم برباط وثيق غليظ أشد مما ارتبط به سكان أى بلد بحاكمهم ، وهذا الأمر يفسر لنا لماذا هم مرتبطون به ارتباط العبودية .

هكذا صار المصريون عبيدا لحكامهم حتى لقد راحوا ينادون فيما بعد أميرهم بكلمة « مولانا » التى فتحت على الاحترام ، وقد ترسخت هذه الظاهرة فى أيام الفراعنة وانتشرت فى عصر البطالة ثم استمرت خلال عهد الرومان الذين أنزلوا البلد - كعادتهم فى

فتوحاتهم الأخرى - إلى مرتبة الولاية ، ولا يزال هذا الوضع القديم مستمرا مما يجعل في الواقع أمير مصر لا يتحمل أبدا أية مسئولية ولا يدري شيئا عن الاضطرابات والفن ، ومن ثم ينصرف تمام الانصراف إلى مافيه حقيقته ، على حين أن حاكما كيوسوف (٢٧) في العهد القديم يقوم بتصريف كل أمور المملكة معتمدا في ذلك على قوة السيف ومنفذا العدالة بدلا من مولاة ، ويسمى هذا الحاكم بالسلطان ، وكان يتقلد هذه الوظيفة (حينئذ) شاور الذي أشرفنا إليه كثيرا .

- ٢١ -

أما السبب في لقب الخليفة فهو كما يلي : ذلك أن محمدا نبي المسلمين (٣٨) عليه الصلاة والسلام (خلفه بعده مباشرة أحد أتباعه واسمه أبو بكر الذي خلفه هو الآخر عمر بن الخطاب ثم جاء من بعده علي ابن أبي طالب (٣٩) ، ونعت كل من هؤلاء الأربعة بالخليفة وكذلك من جاءوا بعدهم لأنهم جميعا خلفوا النبي ، وكانوا ورثته ، على أن خامسهم عليا كان محاربا أكثر من أسلافه وأعلم من معاصريه بالأمور الحربية ، ثم أنه فرق ذلك كله كان ابن عم محمد (عليه الصلاة والسلام) فرأى أن ليس من الملائم الاقتصار على نعته بأنه ابن عمه -

..... (٤٠)

.....

.....

ومات علي غيلة فالت السيادة إلى يد الحزب المناهض له . وأصبحت مملكة الشرق تحت سلطان خلفاء محمد (عليه الصلاة

والسلام) ، فلما صارت القوة فى أيديهم ألجئوا جميع أصحاب
الرأى المعارض ، فلما كانت السنة المائتين والسادسة والثمانين بعد
موت الرسول قام رجل بارز يدعى « عبيد الله بن محمد بن جعفر بن
محمد بن على ابن الحسين بن الامام على » فخرج من مدينة سلعية (٤١)
بالمشرق ومضى نحو أفريقية حتى اذا فتح كل بلادها أعلن نفسه
المهدى (٤٢) وبنى مدينة عظيمة سميت بنعته هى « المدينة » شاءها أن تكون
عاصمة ملكه وبلاداً ضخمة يفرق كل ما سواد من البلدان ، كما
أنشأ أسطولاً احتل به صقلية وخرب بعض أجزاء من إيطاليا ، وكان
هو أول من تجرأ من بين جميع من جاءوا من ذرية (الامام) على ،
ولقب بالخليفة يعنى « خليفة على » الذى هو الامام دون غيره ،
ثم قام واحد من ذريته واسمه « أبو تميم » ويلقب بالمعز فبعث قائده
جوهراً الصقلي فاستولى على مصر وشيد القاهرة التى معناها
« الغالية » لأنه شاءها أن تكون مقام سيده العظيم ومولاد « قاهر »
الجميع .

وترك هذا الخليفة (المعز) مدينة القيروان الواقعة فى ولاية
أفريقية التى كان قد أقام بها أربعة من أسلافه ومضى الى القاهرة
المذكورة حيث اتخذها قاعدة لمملكته ، ولكنه لم يحدث منذ ذلك
الوقت حتى الآن (٤٣) أن تولى حكم مصر منافس لخليفة الشرق
الذى كانت له الرياسة على مدى سنين كثيرة .

وإذا أراد أحد أن يعرف المزيد عن هذه الأمور فليقرأ التاريخ
الذى راعينا الدقة الكبيرة فى كتابته وجمعنا مادته عن المصادر
العربية بإشارة عن الملك عمورى وبأمر منه ، إذ أنه تاريخ يتوافق
بأمرام المشرق وأعمالهم هذه زمن محمد (عليه السلام) أى أنه يغطى
فترة من التاريخ تبلغ خمسمائة وسبعين عاماً ، أعنى حتى السنة
الراشدة سنة ١١٨٢ من مولد المسيح .

حينئذ جددت الاتفاقية(٤٤) ووافق الطرفان على بنودها كما فصلنا ذلك من قبل ، راحا يشعران عن مساعد الجد لانجاز العمل الذي بين ايديهم ، واستعدوا لمهاجمة العدو(٤٥) واخراجهم من كل أرجاء البلاد ، غير أن دخول الليل أتاح لهم لعظائم عن الراحة تستجم فيها أبدانهم ، فلما أسفر الصباح وجدوا الموقف قد تغير بعض الشيء ذلك أن شيركوه كان قد وصل خلال الليل وعسكر على الجانب الآخر من نفس النهر في مواجهة عسكرنا ، واذ ذلك أمر الملك بأحضار المراكب وجذوع أشجار النخيل الموجود هناك بكثرة وبني من ذلك كله جسرا وأمر بجلب السفن وربط كل اثنتين منهما بعضهما ببعض بالهلب ، ثم بسطوا عليها ألواح الخشب وهالوا عليها التراب ، فتم بذلك تدعيم الجسر بأبراج خشبية مزودة بالآلات الحربية ، واستمروا في هذا العمل بضعة أيام حتى بلغوا وسط النهر ثم توقفوا خوفاً من أن يحول العدو بينهم وبين مد الجسر الى الشاطئ المواجه لنا ، وتوقفت جميع أعمال المقاومة لشهر أو يزيد ، لأن الصليبيين أصبحوا عاجزين من جانبهم عن عبور النهر، كما أن الأعداء لم يجرؤوا على القيام بمثل هذا العمل تجنبا لغارة نشنها على مؤخرتهم .

• هكذا كان الموقف في مدينة القاهرة .

وفي خلال فترة الهدوء هذه كان شيركوه قد أرسل طائفة من الرجال للاستيلاء - أن امكن - على جزيرة مجاورة زاخرة بشتى أنواع المثونة ، راحيا من وراء ذلك أن يتمكن من منع الصليبيين من الاغارة عليها فيما بعد ، ولقد تم انجاز هذا العمل (من جانب شيركوه) على أحسن صورة ممكنة .

ما كاد الملك يسمع بخبر استيلاء العدو على الجزيرة حتى يادر فأرسل اليها « ميلون دى بلانسى » والكامل بن السلطان (شاور) على رأس فرقة من الغزسان ، فلما جاؤوها وجدوها وقد قرغ الترك حالا حين احتلالهم اياها ، وانهم كانوا يسومون الأهالى المذلة ، فهاجموهم فى لحظتهم وشببت معركة قاتل فيها كل من الجاذبين قتالا ضاريا وانتهت أخيرا بانتصار الصليبيين بعون الرب ، إذ أرغموا العدو كله على الاندفاع شطرالنهر الذى ابتلعت مياهه الهادرة بعض من نجوا من القتل بالسيف ، وهلك فى هذا اليوم من عسكر العدو ورجاله بمختلف صور الهلاك خمسمائة نفس ، فلما سمع شيركوه بذلك تملكه الغضب واستولت عليه الشكوك القائلة عن مدى النجاح الذى يمكن أن تحرزه حملته .



كانت الأمور تجري على هذه الصورة حين وصل الى ساحة القتال اثنان من رجال الملك من ذوى الرأى ، هما الكونستابل الملكى « همفري » صاحب تورون و « فيليب » صاحب دابلز وكانا قد تخلقا عن مرافقة « عمورى » لأمر شخصية ، ثم ما لبثا أن لحقا بالجيش وانضبا الى معسكرنا ، فهب العسكر للترحيب بهما وهم أشد ما يكونون غبطة وسرورا لما ذاع بين الناس من شجاعتيهما وبراعتيهما فى حمل السلاح والتفريس بأعمال الحروب منذ نعومة أظفارهما .

لذلك انعقد فى الحال مجلس للتشاور فى الخطة التى ينبغى اتخاذها ، وانتهى اجماعهم الى وجوب اغتنام فرصة سكون الليل غيرج الأسطول كله دون أن يعلم العدو بخروجه ويمضى الى جزيرة واقعة أسفل المعسكر على بعد ثمانية أميال تقريبا ، واتفقوا على أن يخرج الجيش فى أول نوبة حراسة ليلية على العبارات فيجتاز النهر ، ثم يهاجم العدو تحت جنح الظلام ويصيبه بأكبر خسارة ممكنة .

وصير الأمر بتنفيذ هذه الخطة ، وسرعان ما مضى الأسطول الى الموضع المتفق على مهاجمته والعدو فى جهل بخبره ، وسار الجيش فى أثر الأسطول الى الموضع المتفق على مهاجمته والمكون مطابق على الكون تمام الاطباء ، وعلموا أن وصلوا الى هناك وتم لهم الاستيلاء على الجزيرة .

وبينما كانوا يحاولون اجتياز آخر نقطة فى مجرى النهر وهم على ما هم عليه من التوقيف فى تنفيذ الخطة اذا برىح عاصفة تهب فجأة وتحول بينهم وبين اكمال غرضهم ، فاضطربوا لأن يعسكروا حيث هم فى تلك الناحية من الجزيرة المواجهة للشاطئ الآخر ، وتركوا خلفهم بعض قواتهم لاتمام بناء الجسر وحراسته بعد تشييده وولكت قيادة هذا الفريق الى « هيج دى ابلين » الفارس المغوار ذى البطش الشديد والذى كان قد تزوج من (أجنس) (٤٦) مطلقة الملك عمورى .

- ٢٢ -

كانت الجزيرة التى نتكلم عنها الآن تسمى عند الأهالى بالمدلة وهى ذات تربة شديدة الخصب تجود بشتى أنواع الثمار ، وقد تكونت من التقاء مياه النيل التى تتفرع عندها ولا تلتقى هذه الأفرع ثانية ، بل تمضى فتختلط بمياه البحر عن طريق أربعة فروع أما أولها الذى يواجه بلدنا الشام فيصب فى البحر بين مدينتين قديمتين هما تنيس (٤٧) والفرما ، وتقترب مياه هذا الفرع اقترابا شديدا فى جرياتها من احدى هاتين المدينتين حتى لتكاد أن تعم عبانيتها ، ولكنها تبعد عن الأخرى بما يقرب من ثلاثة أميال أو أربعة .

أما الفرع الثانى فيصب فى البحر عند مدينة دمياط (٤٨) .

وأما الفرع الثالث فيصب عند ستريو .

وأما الرابع فيصب في البحر عند مدينة رشيد (٤٩) التي تبعد عن الاسكندرية بأربعة أميال أو خمسة .

ولم يقس لي أن أكتشف فروعاً أخرى لهذا النهر رغم ما قمت به من استقصاء وبحث دقيقين ، وعندى أن نهر النيل هذا فريد في نوعه لأن القدماء يصفونه بالنهر « السباعى الفروع » لأن له سبعة منافذ تصب في البحر ، وربما كان التفسير الوحيد الذي يخطر ببالنا هو أن التغير اعنى وجه الاقليم ، كما بدل النهر مجراه كما حدث في كثير من الأنهار الأخرى ، على أنه يمكن أن يقال ان أهل تلك الحقب البعيدة لم يفهموا حقيقة الموضوع أو ربما أن النهر قد زادت مياهه أكثر من المألوف ففاضت فأغرقت الأراضي فكان ذلك فيضانا لم تجر به العادة ترتب عليه شق مجار أخرى أكثر من هذه الأربعة التي يخلفها البحر حين ترجع المياه الى مجراها الأصلي ، فان كان شيء من هذا القبيل لا يزال باقيا فانا لم نحسبه في عداد الفروع لعدم احتلائها على الدوام بالمياه ، ولكن تلك الفروع هي أشبه ما تكون بالسيول التي تحدث في فصول معينة من السنة .



وعلى الرغم من الاستيلاء على الجزيرة الا أن الفرع الأصغر ظل كما هو ، فلما أشرق الصباح استيقظ العدو من نومه ليجد خصمه قد رحل وأن الأسطول قد أبحر ، فذهب رجاله الى سلاحهم خوفاً من هجمة صليبية عليهم يحتاجون بنا على غرة ، فلما أسرعوا في التقدم وبنوا مساكنهم على طول النهر شعاعدا رجالنا قد استولوا على الجزيرة وأدركوا أنهم يادخلهم الأسطول أصيبوا واثقين من عبورهم هذا الفرع دون غيرهم ، وعن ثم نصيبوا معسكرهم حيث هم وإن كان موقعهم هذا خلف الشاطئ بعض الشيء ، على الرغم

من أنهم بوضعهم هذا لم يعد لهم مجال للوصول الى النهر ، لكنهم كانوا مضطرين للذهاب بعيدا كى تشرب جيادهم .

صمم الصليبيون على تجربة حظهم حتى النهاية فى اليوم التالى وأن يشقوا لأنفسهم طريقا بالسيف ان دعت الضرورة الى ذلك ، لكنهم لم يعلموا أن الكفار قد رحلوا أثناء الليل ، فلما تبلىح الصبح ورأى عسكرنا أن العدو قد رحل عبروا هم النهر على عجل وأسرعوا يطاردونه ، وخلفوا وراءهم المشاة حيث تكون الخيالة أسرع تقدما .

وخرج الملك غير مستصحب معه سوى نفر ضئيل من الفرسان وان كان قد بعث « ميخ الابلىنى » والكامل بن السلطان على رأس قوة كبيرة من الفرسان الصليبيين والمصريين محاطة بحماية القاهرة والجسر الذى كان العسكر قد بنوه ، ولصد أى غزوة عدوانية مفاجئة ، وعبد الى رجال من رجالنا بحراسة أبراج هذه المدينة الرائعة وبجميع تحصيناتها . أما قصر الخليفة الذى لم يكن معروفا للصليبيين فقد أصبح مألوقا عندهم ، لأن صاحبه الخليفة وكل أهل بيته أضحوا يعتمدون فى سلامتهم اعتمادا تاما على قوات الملك ، وهكذا أصبح مفتوحا - أمام المسيحيين - قدس الأقداس بعد أن كان سرا مغلقا فى وجه الناس أجمعين ، وانكشف ما كان سرا من أدق الأسرار كانت عجائبه غير معروفة الا لنفر قليل .

كذلك بعث الملك بجيرار « دى بوجى » وابنا (٥٠) آخر للسلطان (شاور) الى الجانب الآخر من النهر على رأس قوة من الشعبين (٥١) ، وصدرت اليهم الأوامر بصد العدو ان (٥٢) هو حاول عبور النهر ، ولما كان الملك نفسه قد خلف وراءه - كما قلنا - معظم أثقال الجيش فقد راح يطارد العدو مطاردة فى عكس اتجاه جريان النهر لأن طبيعة تكوين البلاد كانت تجعل تعقب العدو أمرا من السهولة بمكان .

تقع مصر من أقصى حدودها التى يقال انها على تخوم بلاد
 الأثيوبيين بين صهرارويين رمليتين قضى عليهما أن تظلا قاحلتين
 الى الآن ، كما أن أرض البلد نفسها لا تنتج أى نوع من الغلة
 الا فى فصول معينة من السنة بفضل فيضان النيل ، اذا أن هذا النهر
 يجعل تربتها صالحة لانتاج الغلة التى جرى ماؤه ، فهو كلما صادف
 سطحا منبسطا فى البلاد انتشر فيه وأحاله أرضا خصبة منتجة ،
 وكلما زادت مساحة الأرض التى تروىها مياهه كلما كثر الزرع
 ونما .

وتجد المياه تتسعا كبيرا لها فيما وراء القاهرة كلما اتجهنا
 نحو البحر حيث تكون الأرض مستوية كل الاستواء ، ولذلك كانت
 النواحي التى تفيض بالانتاج الوفير هى الجهات التى يروىها نهر
 النيل الخصب ، وتجد الفلاحة لمسافة مائة ميل أو أكثر تعمد من
 حصن فاقوس (٥٢) المواجه للشام حتى الاسسكندرية القريبة من
 الحدود الليبية الصحراوية ، على أنه يوجد فيما بين القاهرة
 وقوص (٥٤) التى هى أقصى مدن جنوب مصر أراض تعمد حتى
 تجاور مملكة الأثيوبيين ، وتحميها التلال الرملية ، لكن النهر
 ينساب فى تلك النواحي هنا وهناك حتى يبلغ أقصى اتساع له
 (ويقدر بسبعة أميال أو ثمانية ، وقد تضيق الأرض التى على ضفتيه
 فتصل الى أربعة أو خمسة أميال تبعا لاتساع مدى فيضان النيل ،
 وبهذه الطريقة فإن حدود المملكة تنكمش هنا أو تتسع هناك لأن
 الأراضي الزراعية التى لا يروىها النهر إنما هى أراض محكوم
 عليها بالجذب الدائم بسبب حرارة الشمس القوية ، ويسمى هذا
 الاقليم الأعلى فى لغة المصريين بالصعيد ، ولم نتمكن من الوصول
 الى أصل هذه التسمية وان كان كاتبنا « افلاطون » يذكر الاقليم

لتلميذه « كرتياس » فى حديثه عن سولون المؤلف العظيم . وربما كان أحسن من هذا كله أن نورد نص كلماته حتى يتأكد ما نقوله وهو أن مياه النيل تنقسم عند نهايتها الى فرعين .

وكانت توجد بالقرب من هذه الناحية مدينة عظيمة اسمها « سيس » (٥٥) تحكم حسب العادة القديمة بالقانون الساتيرانى ، وقد كان الامبراطور « أماسيس » فى الأصل من هذه المدينة .

وهناك قسم آخر من هذه الناحية فى مصر يقع على مسيرة يوم من القاهرة ، ولكنه غير صالح للسكن وان كان ذا تربة خصبة بفضل فروع النهر التى تروى حقوله وبساتينه المثمرة ، ويسمى المصريون هذا القسم من البلد باسم « الفيوم » (٥٦) .

وتقول الأخبار القديمة ان هذا الاقليم كان أرضا قاحلة جديبا لم يعرف المحراث أبدا طريقه اليها ، وأنه كان مهجورا فلم يعرف الزراعة ولا الفلاحة منذ بداية العالم شأنه فى ذلك شأن بقية النواحي الأخرى من تلك الصحراء ، ولكن لما جاء يوسف (النبى) الى مصر وكان يستعد لكل شئ ويحيله الى ما فيه النفع لمصر فقد استكشف تلك الناحية وعرف انخفاض مستوى أرضها عما حولها من الأراضي وأدرك أنه لو أزيلت بعض الأكمات الواقعة بين المناطق الصالحة للسكن وبين هذا الجزء من الصحراء ففى الامكان ان ذاك أن توجد الأرض بأحسن ما يمكنها ان تبلغها مياه الري ، لذلك شيد المسدود ومهد الأرض متيحا لمياه الفيضان أن تخمرها وصارت المياه تجري فى ترع شقت من أجلها بالذات فأخصبت الأرض بعد اعمال واهتزت وربت وأنتجت ما لم يكن معروفا من قبل .

وعلى الرغم من أننى لا أعرف اسمها القديم الا أننى اعتقد ان هذا الاقليم كان يطلق عليه فى العصور الأولى اسم « طيبة »

التي تزعم الأسطورة القديمة أنه جاء منها الطيبون الطاهرون الذين
توجوا بتاج الشهادة في « أجونيم » Agunim زمن «دقلديانوس»
و « مكسيماتوس » أوجستوس والذين يقال أن أول شهيد منهم هو
« موريشيوس » *

وهناك إشارة أخرى الى أن أحسن أنواع الخشخاش كانت
تسمى هنا ، ومن ثم عرفه المطيبون باسم « الخشخاش الطيبى » *

وان أرض « جرشن » Goshen التي يقال ان يوسف
منحبا لاختوته انما هي هذا الجزء من مصر وهي تواجه الشام
بذاء على الوصف الوارد في سفر التكوين ، وهي أمر يستطیع
القارئ اللبق أن يستنبطه من تلقاء ذاته من قراءة آيات، وهذا القسم
من الأرض هو الذي يتاخم لیبیا ويقع في أقصى الطرف الآخر من
مصر وعلى أبعد نقطة من شاطئ النهر ، وهو إقليم فسيح الأرجاء
يضم فيما يقال ثلاثمائة وستين مدينة وقرية *

وتعتبر المملكة بسبب طبيعة الاقليم شديدة الصخر كما قلنا
حتى أنه لا يمكن التحرك فيها الى اليمين ولا الى اليسار *

كانت الأخبار عن تقدم العدو تأتي الى الملك « عموري » والى
الوزير (الفاطمي) من غير انقطاع ، وكان ينقلها اليهما كشافتهما
وقد استمرت المطاردة ثلاثة أيام بطولها ، فلما كان اليوم الرابع (٥٧)
— وهو السبت الذي يسبق اليوم الذي تنشد فيه نبي الكنائس ترنيمة
« افرحي يا اورشليم » جاء الخبر بأن العدو قد أصبح قريبا منهم *

— ٢٥ —

عقد رجالنا مجلسا اقتضت الضرورة ان يكون قصيرا ، ان
كان واضحا أن هناك حاجة ملحة لسماع المشورة الحكيمة التي

يملئها الإخلاص القوي وتتطلبها الظروف القاهرة التي لا يصح معها شيء من التسويف فأجمعوا رأيهم على وجوب القتال ، وصفقوا إذ أوصى بأن يكون الحكم للسيف في هذه المسألة ، إلا أن عدد الفرسان المدرعين بزرديات الحديد لم يكن متكافئا بين الجانبين ، فقد كان عند شيركوه اثنا عشر ألف تركماني ، منهم تسعة آلاف يلبسون الدروع على صدورهم والمغافر على رؤوسهم ، أما الثلاثة آلاف الآخرون فقد اقتصر سلاحهم على الأقواس والسهام ، كما كان تحت امرته غير هؤلاء عشرة آلاف أو أحد عشر ألف عربي يحاربون كعادتهم بالرماح ولا شيء سواها .

أما الصليبيون من الناحية الأخرى فلم يكن لديهم من الفرسان سوى ثلاثمائة وأربعة وسبعين فارسا إلى جانب من لا جدوى منهم من المصريين الذين كانوا يشكلون عبئا ثقيلا عليهم وعقبة كاداء أمامهم أكثر من أن يكونوا عوناً لهم ، كذلك كان عندهم من أصحاب الأسلحة الخفيفة الجند المسمون بالتركوبولية وهم من الخيالة ، وإن كنت لا أعرف عددهم .

ولقد أخبرني الكثيرون أنه شئ خلال الاشتباك الحربي الكبير في ذلك اليوم لم يكن لهذه الطائفة من المسكر أي جدوى .

ما كاد كل جانب من المحاربين يدرك اقتراب الآخر منه حتى رتب صفوفه حسبما تتطلبه الظروف ، ونظم رجاله كذائبهم وأشهبوا أسلحتهم ، فأما كبارهم من أهل الرأي السديد الذي هو خلاصة تجاربهم القتالية السابقة فلم ييخلوا على الجند بالمشورة وبذلوا لهم النصيحة واثاروا حميتهم ووعدوهم بالنصر ، وأنهم سوف يجنون ثمار نجاحهم فوزا عظيما ومجدا تليدا .

كانت ساحة القتال المتوقع وقوع المعركة فيها هي المنطقة الفاصلة بين الصحراء والأرض الخصبة ، وهي أرض غير ممهدة تكثر بها الكثبان الرملية وتتخللها الحفر مما لا يتسنى معها رؤية القادمين أو الخارجين ان كانوا على بعد منها ، ويعرف هذا الموضع باسم البابين « (٥٨) لشدة ضيق النهر الواقع في تلك المنطقة بين المرتفعات الموجودة على الجانبين . ويبعد هذا المكان عشرة أميال عن النيا . وعن ثم عرفت هذه البقعة أحيانا بوقعة النيا .

كان العدو لبعد نظره قد احتل المرتفعات الموجودة على اليمين واليسار . ونظم كتائبه استعدادا للقتال ، وأدت تضاريس الأرض وارتفاعها وطبيعة الأرض الرملية الى أن يصادف رجالها مشقة كبرى في الهجوم على هذا الموقع الذي تمكن شيركوه بمن معه من التركيز فيه ، واصطف الآخرون على الجانبين ، وسرعان ما أصبحت المعركة وشيكة الوقوع لوقوف كل واحد من الخصمين في وجه الآخر . ولم يعد ثم مناص من الحرب بينهما ، وحينذاك تقدم من كانوا مع الملك في شجاعة وعزم أكيد فأحذقوا برجال شيركوه وأعملوا السيف فيهم ، كما أن شيركوه ذاته لاذ بالفرار فانطلق خصمه في أثره يطارد عن قريب .

وأما « هيج القيصرى » فقد هاجم الجماعة التي كانت بقيادة صلاح الدين بن أخى شيركوه ، غير أن رجاله فروا عنه مما أسفر عن هزيمته ووقوعه في يد خصمه الذي أسر طائفة كبيرة من رجاله « هيج » وقتك بأكثر منهم، وسقط في هذا الصدام النبيل « استاس شوليه » الذي كان سيدا شجاعا من منطقة « بنتيو » .

أزدهى النصر الكتائب التركية فضمت صفوفها بعضها الى بعض وأحذقت من كل جانب بالقوات الصليبية التي كان موكولا

اليها المحافظة على المتاع والذخيرة ، وهاجموها هجوما ضاريا
أسفر عن تفرق جموعها وأنزل العدو البلاء بنا .

ولقد لقي « هيج » الذي هو من « كريونا » حصروا في هذه
المعركة ، وكان صقلى المولد ذا مجد أثيل وسيرة عطرة .

على هذه الصورة كان اندحار القوات الصليبية وهلك الكثيرين
من رجالنا ، أما الذين نجوا من السيف فقتلوا بأذيال الفرار
فاستولى العدو على متاعهم وذخيرتهم دون أن يجد أحدا يصدده ،
فصل كل ذلك معه .

أما القوات المشتتة هنا وهناك في الأودية الصغيرة فقد حاربت
حربا لا تدري فيه مصيرها ، وكان المقاتلون أنفسهم هم الشاهد
الوحيد على ما جرى ، لأنه لم يكن في قدرة أحد سواهم أن يرى
ما حدث ، على أن معركتهم هذه لم تكن بالمعركة الفاصلة فقد كن
النصر تارة في جانب الترك وتارة أخرى في جانب الصليبيين ، وكان
كل منهما يجهل ما حل بالطرف الآخر ، فبينما كان الواحد منهم
يرى نفسه وقد رجحت كفته في ناحية إذا به لا يلبث أن يراها تشيل
فتلحقه الهزيمة في موضع آخر ، ولقد جرح أخونا الموقر « رالف »
أسقف بيت لحم والمستشار الملكى الذى تولينا من بعده (٥٩) هذه
الوظيفة (٦٠) ، وكان جرحه شديدا وفقد كل مناعه .

ولقد ظلت نتيجة الموقعة غير معروفة وقتا طويلا دون أن يتبين
أحد الأمر الفصل الا عند انصرام النهار حين عاد الجند المشتتون
للقوف تحت راياتهم ، وسرعان ما انضم اليهم من كانوا قد انطلقوا
بعيدين عنهم ، وكان الدافع لهم الى ذلك هو خوفهم من دخول الليل
وحرصهم على أن يكونوا مع الملك ، فعادوا من شتى النواحي وعاء
الملك وهو على وشك الانتصار من حيث كان يقاتل عسكريا ، أما

غيرهم فكافوا يقاتلون هذا وهناك فتلاحقهم البرزيمة فى موضع
ويوانتهم النصر فى موضع آخر ، وبذلك استحال على أحد من
الجانبيين أن يزعم أن المعركة كانت فاصلة ، وانتهى الأمر
أخيرا بأن انسحب الملك وقلة ممن كانوا معه الى أحد التلال الذى
يرتفع بعض الشيء عن السهل فربطوا به ، ثم رفع « عمورى »
علمه ليتجمع تحته عسكره المشتتون ، ووقف هو يرقب قوائى حضور
رفاقه ، فلما تجمعوا رأى الصليبيون الفريق التركى الذى كان قد
استولى على مخاضهم وقتك برهط منهم وأسر غيرهم ٠٠ أقول رأوه
وقد ساءتة الفوضى وعنه الاضطراب وهو على التلحين المواجهين
لهم ، ولم يكن هناك أى طريق يسلكه جيشنا ان هو اراد الارتداد
الا أن يمر بين هذين التلين اللذين يحتلهم العدو ،
وان أجمع الصليبيون عزيمهم على الارتداد مهما كانت الظروف فقد
رقبوا صفوفهم وشرعوا فى التقدم فى بطء بين العدو الذى كانوا
يرونه على يمينهم وشمالهم ، وساروا فى ثبات عجيب حتى أن
الكفار لم يجرؤوا على محاولة التصمدد لهم بالأذى ، ولما كان
رجالنا قد أرقفوا أقوى رجالهم وأحسنهم تسليحا حولهم فقد شقوا
طريقهم الى موضع معين من النهر وجدوا به مخاضة فعبروه منها
سالمين ، واستمعروا على هذا النسق من التنظيم فى ارتدادهم طول
الليل فى نفس الطريق الذى سبق لهم أن تقدموا حته .

وصادفهم فى المنيا « جيرارد دى بوجى » ومعه خمسون
فارسا ومائة من التركبولية يعاونهم أحد أبناء السلطان واسمه
حديى الدين (٦١) الذى كان يقف على الشاطئ الآخر من النهر
لصد العدو ان حاول العبور ، والواقع أن القرحة قد دبّت فى
النفوس بوصول « جيرارد دى بوجى » لأن الملك كان يخشى أن
يتأججه الأعداء وهو وحيد على إحدى ضفتى النهر ، كما أنه كان
جزءا على طائفة المشاة التى كانت تدير تحت قيادة الفارس الحكيم

الشجاع «جوسلين» صاحب سميسداط . وكان أشد ما يبعث على الخوف أن يعترضهم العدو فجأة وهم بلا حراسة .

وظل الملك فى انتظار وصولهم الى « المنيا » مدة طالت حتى بلغت ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الرابع أخذ المشاة فى التجمع شيئا فشيئا وانضموا الى قواته ، ثم تابعوا الزحف بلا توقف حتى بلغوا الجسر الموجود أمام بابلليون فعسكروا عنده ، وشـرع الملك فى احصاء فرسانه فـُتـبين له مـلاك مائة منهم ، وقيل ان هلكى العدو حين احصوا كانوا ألفا وخمسمائة .

- ٢٦ -

حينذاك جمع شيركوه كل من بقى من عسكره وجعلهم طائفة واحدة ثم زحف سرا دون علم الصليبيين مجتازا بهم الصدراء وقاصدا الاسكندرية فأسرع أهلها لتسليمه المدينة وجاء فى الحال خبر هذا الزحف الى الملك الذى استدعى فى لحظته كبار مستشاريه ومحهم السلطان (شاور) وأولاده وعلية المصريين ، وشاورهم فى الأمر فى ما يتخذه من الاجراءات ، وبعد الحوار الطويل الذى يطول فى مثل هذه الأحوال التى هى موضع خلاف فى وجهات النظر تم الاتفاق على انزال الأسطول فى البحر المضائق العدو وتعطيله ، لأنه لم يكن فى داخل الاسكندرية مخزون من الحبوب ولا غيرها من مواد الطعام ، ومرجع ذلك اعتماد المدينة كليا على ما تجلبه اليها السفن من صعيد مصر ، ومن ثم كان وضع الأسطول على هذه الصورة يسد فى وجوههم جميع منافذ التجارة مع من هم فى خارجها ، فلما فعلوا ذلك قاد الملك جيشه كله وضرب معسكره بين قروجة (٦٢) ودمنهور فى مريضع يبعد عن الاسكندرية ثمانية أميال وراح يطلق منه عيونـه لاستكشاف تلك الناحية ،

وافساد ما يستطيعون افساده عن المنشآت والمساكن ، مستهدفا من وراء ذلك قطع الطريق على أية نجدة تريد الوصول اليهم ومنع أى رسل يحاولون مغادرة المدينة لمطلب النجدة من خارجها ، وزاد على ذلك بأن قام رجال الأسطول بسد كل المنفذ النهرية ، ولم يعد يسمح لأحد ما - مهما كان معروفا عندهم - بركوب النهر الا بعد استئصال ونهر دقيقين .

وانقضى شهر على هذه الاجراءات الاحتياطية انقطع خلاله عن المدينة وصول أى امدادات تموينية من خارجها ، وعم التذمر الناس قاطبة ، فقد قل الخبز عندهم وهدموا الطعام ، فلما وصل خبر ذلك الى علم شيركوه تسرب الخوف الى نفسه خوفا من أن يكابد جيشه هو الآخر المجاعة التي يقاسيها هؤلاء ، لذلك ترك ابن أخيه صلاح الدين ومعه ما يقرب من ألف فارس لحراسة المدينة ، أما هو فقد انسحب تحت جناح الظلام مجازا الصحراء ، وعلى الرغم من أنه كان قريبا كل القرب من قواتنا الا أنه دبر خطة فواره الى صعيد مصر الذي كان قد جاء منه منذ قليل .

ما كاد الملك يعلم برحيل شيركوه حتى بادر فتعقبه حتى بلغ بابلليون ، وكان جنده جميعا على استعداد للتقدم حين جاءه على غير توقع واحد من كبار رجالات مصر الأقوياء واسمه ابن عبد الرسول (٦٢) وأفضى اليه بما تكابده الاسكندرية من المجاعة القاتلة ، وزاد فأخبره أن له أقارب من ذوى النفوذ الكبير فيها وانهم أشبه ما يكونون بحكام لها ، وانهم قادرون فى سهولة ويسر على توجيه سكانها الجوعى للرجة التي يريدونها الملك حتى ولو كان فى ذلك تسليمهم المدينة اليه هى وجميع من بها عن الترك ، فتأثر الملك بهذا الخبر وراح يستفسر من مستشاريه عن أحسن السبل التي يرون اتباعها ، ولما كانت رغبات الجميع واحدة بما فيهم السلطان

(شاور) ذاته فقد كروا راجعين الى الاسكندرية وحاصروها
بالجيشين معا .

- ٢٧ -

تعتبر الاسكندرية آخر مدن مصر الواقعة فى الاقليم الممتد
غربا نحو ليبيا ، وهى تقع على الحدود الفاصلة بين المناطق
الخصبة وبين الصحراء الجرداء ، كما يقع خلف أسوارها وعلى
تخومها الغربية مباشرة منطقة فسيحة لم تنعم قط بنعمة الزراعة
ولم يتم بها أحد مشاريعها ، وقد جاء فى كتب التاريخ القديم أن
الاسكندر المقدونى بن فيليب الذى بناها فسميت باسمه ، ويذهب
« يوليوس سوليونوس » للقول بأنها شيدت أيام الألباد الثانى عشر
بعد المائة فى أيام قنصلية « لوكيانوس بابيروس » بن « فوريوس »
وزمن « بتيليوس بن جايوس » ووضع حجر أسسها المهندس
« دنيوكريتس » الذى كان يتبوأ المرتبة الثانية فى نظر الشعب
تمجيذا له .

ولا تبعد الاسكندرية كثيرا عن مصب النيل الذى يسمى
بعضهم بالفرع المرقلى ، ويسميه البعض الآخر بالفرع الكاثوبى .
على أن هذا الموضع الذى اشتهق منه اسمه وكان أقرب الفروع الى
المدينة ضاع فيما ضاع من الأسماء ، ثم أطلق عليه اسم فرع
رشيد .

وتقع هذه المدينة على بعد خمسة أو ستة أميال عن مجرى
النهر ، فإذا كانت أيام فيضائه جاءت مياحه عبر كثير من القنوات ،
وتبذل العناية الكبرى فى الاحتفاظ بمياه الفيضان هذه فى صهاريج
ضخمة أعدت خصيصا لهذا الغرض ليستعملها الناس على مدار

السنة ، وتحصرف - كلما دعت الضرورة - فى شذرات تدئية لرى
البسدين الواقعة خارج المدينة .

والاسكندرية أصلح ما تكون للتجارة الواسعة ، ولها ميناءان
يفصلهما عن بعضهما لسان من الأرض ضيق جدا ، ويقوم عنده
برج شاهق الارتفاع يسمى بفاروس ينسب الى بوليوس قيصر الذى
بناه للانتفاع العام به ولانشاء مستعمرة هناك .

وترد الى الاسكندرية من مصر العليا عبر النيل مختلف أنواع
الأطعمة وكميات هائلة من شتى صنوف البضائع ، وإذا احتاج البلد
الى شىء ما جاءت السفن الضخمة بأحمال كبيرة منه من البلاد
الواقعة وراء البحر مما ترتب عليه ذبوع شهرة الاسكندرية ، وأنه
يصل اليها كميات هائلة من مختلف أنواع البضائع التى تفوق فى
حجمها الكميات التى تصل الى أى مدينة بحرية أخرى ، وإن كل
ما تحتاجه بلادنا من أنواع القوابل والجواهر والتحف الشرقية
والمصنوعات الأجنبية إنما يرد من بلاد الهند وسبأ وبلاد العرب
والحبشة والسودان وكذلك من فارس وغيرها من البلدان المجاورة
لها ، حيث يتم نقل كل هذه السلع الى صعيد مصر عبر البحر الأحمر
الذى يعبر المنفذ لهذه الشعوب اليها ، ثم تفرغ السفن حملاتها
فى عيذاب (٦٤) الواقعة على ساحل هذا البحر ثم ينزلونها فى النيل
الى الاسكندرية ، ولذلك فإنه يتدفق عليها جموع غفيرة من أهل
الشرق والغرب معا وتصبح الاسكندرية سوقا عاما لكلا العالمين ،
ولذلك ذاع صيتها فى العالم القديم والحديث على السواء ، وإن
قبوات ذروة الشرف وكانت لها الحمادة بسبب المبارك الطوباني
مرقص الابن الروحى لأخير الرسل الذى بعثته العناية الالهية
لكنيستها فيشر بها بين الناس وهدام ، وزيادة على ذلك فقد ارتفع
صيتها إذ اختارها الأيموان الطوبانيان « أثناسيوس »

و « كيريل » سكننا لهما ثم دفنا نبي شراما بعد موتهما . وتمد كنيسة الاسكندرية ثانيا الكنائس الأربعة الكبرى ، كما أنها تعتبر الكنيسة الأم للكنائس مصر ولبنيا وبنقياوليس وغيرها من الولايات .

ولقد أرسل الأسطول كله الى الاسكندرية ولكن كانت جميع وسائل الاقتراب منها موصدة غي وجهنا ولم يؤذن لأحد ما بدخلها .

- ٢٨ -

حينذاك علم من بقى من الصليبيين في الشام بحصار الملك للاسكندرية وعرفوا أنهم قادرون على بلوغ هذه المدينة في أيام قلائل لو أنهم ظلوا مبحرين بلا توقف ومن ثم جعلوا السلاح وتلفوا على السفر سديعا ، وأوسقوا سفنهم بكل ما يلزمهم من الميرة ، وفردوا قلاعهم مبحرين فرحين الفرحة الفامرة ، ورافقهم في سفرهم هذا سلفنا « ثردريك » رئيس أساقفة صور الذي أثارته حماسة الآخرين وحببه الكبير الملك ، فعضى الى حصر على ظهر إحدى السفن في زمرة من أتباعه الأفضل ، لكن سرعان ما دامه مرض الدوسنتاريا الخبيث لشربه من مياه النيل ، وزادت عليه العلة حتى اضطر الى الرجوع الى بلده قبل استيلاء الملك على الاسكندرية .

احتشد أمام الاسكندرية الجيش المحاصر لها وجمع أعدادا كبيرة من السفن ، وأرسل القوم في طلب الصناع والنجارين وكلفهم ببناء برج شاهق الارتفاع يمكن للواقف أعلاه أن يطالع كل نواحي المدينة ، كما أن الآلات التي تسمى بالبطاريات والتي ترعى بالأحجار الثقيلة الضخمة وضعت في الأخرى في أماكن استراتيجية حول الأسوار ، وشرعت ترمى من غير انقطاع كتلا صخرية ضخمة ثقيلة

الوزن فدكت الأسوار التي تصليا ، وبيئت الفزع في قلوب السكان بصورة لاقدرة لأحد على احتعالها .

كانت البساتين المثمرة البهية المنظر والمحلة بخل أنواع الشار والذاكهة والنباتات الطبية تحيط بالمدينة حتى لتبدو وكأنها غابة ملتفة ، وكان هذا المنظر البهيج يغري عن يمر بهذه الحدائق على دخولها ، فإن دخلها طاب له أن يستريح بها ، ولقد اقتحمها عسكرينا في جموع ضخمة وكان الحافز لهم على هذا الاقتحام أولا رغبتهم في العثور على المواد التي تعينهم على بناء ألاتهم ، لكن سرعان ما تملكتهم همة واحدة هي التخريب وانزال المضرة بالبلد فاندفعوا اندفاعا جنونيا فاجتثوا النباتات العطرية التي تصلح لكثير من الأغراض ، وما لبثت هذه الحدائق والبساتين أن سويت بالأرض ولم يعد ثم أذر الى ماكانت عليه من قبل ، وتربت على هذه الانتباكات أن تعالت شكوى الناس المريرة وزادت من مرارتهم أنها جرت بعد عقد معاهدة الصلح التي تمت الموافقة عليها ، وأوا أنهم جوزوا على ما وافقوا عليه أسيرا الجزاء .

واستمر جيشنا في حصاره الذي تضاعف عن ذي قبل . ولم يدع وسيلة تؤدي الى الأذى الا استعملها وتفنن في أساليب جديدة لازعاج المحصورين ، ولم تترك الهجمات المستمرة للمدافعين المجتهدين فرصة يلتفتون فيها أنفاسهم ، أما الأهالي الذين اقتصر نشاطهم على ممارسة المناجزة ولم يتعرضوا على القتل ولم تكن لهم خبرة بالحرب فقد رأوا أن ما نزل بهم من حشقة غير معبوذة إنما هو أمر بالغ الشدة ولايطيقون معه صبرا .

وأما الترك الذين ظلوا حقيمين بالمدينة فكانوا شرذمة قليلين لا يستطيعون الاطمئنان على أنفسهم أن هم ركزوا في حماية أنفسهم

الى الأهالى الذين ضعف عزيمتهم وزهى بأسهم ، لذلك كانوا نادرا ما يبرزون للقتال ، فان هم قاتلوا لم يكن قتالهم بالذى يشجع غيرهم على الحرب .

نهل ثمت حاجة لمزيد من القوى ؟

لقد فت القتال الدائر رجاء كل يوم فى عضد الناس ، وأحزنهم هلاك الكثيرين من اخوانهم وقيامهم بالحراسة طول الليل ، وكانوا اذا خيم الظلام فزعوا من الظلام ، وفوق ذلك كله فقد أضنتهم شدة حاجتهم للطعام ونزرتهم عندهم مما أدى الى استيلاء اليأس على نفوسهم ، فثبطت معنهم حتى لقد تحوا جانبا كل رغبة فى الحرية ، وآثروا أن يسلموا المدينة وأن يكونوا رقيقا لأى من الناس حفضلين ذلك على أن يموتوا هم ونسائهم وصغارهم غرثى فى بيوتهم ، وعم التذمر الناس فى أول الأمر فكان مهمة ثم حاليث أن صار جهازا وعلانية فصرخوا أنه يجب عليهم اتخاذ اجراءات معينة تخلصهم من هذه الكوارث الفادحة وتؤدي الى رفع الحصار عنهم فتعود المدينة الى سابق عهدها من الكرامة والحرية .

ما كان لهذا الشعور العام الذى استولى على الناس أن يفوت انتباه صلاح الدين فبادر بارسال المبعوثين من ناحيته فى سرية تامة الى عمه (شيركوه) مع تقرير مفصل عما فيه المدينة من هازق وشدة ، وأظير حاجته الملحة الى الطعام وميل الأهالى للانفضاض عنه هو ذاته ، وكان أعظم ما ألج به عليه هو أن يبعث اليه فى الحال بنجدة تنقذه ، ووجه همته أثناء انتظاره هذه النجدة الى كبار رجال المدينة وأهلها على السواء فذكروهم بأن واجبهم يقتضيهم أن يحاربوا حتى آخر رمق من أجل نسائهم وأطفالهم ، وحثهم على الافتداء بتقاليد أسلافهم ، وأنبأهم أن الغوث قريب ،

وأن النجدة على وشك الوصول ممثلة في دخول عمه شيركوه مصر
فيطرد منها الأعداء وينقذ الاسكندرية ، وأنه واصل على جذاح
السريعة على رأس أعداد كبيرة من العسكر .

أما ما كان من الملك (عموري) فإنه لما كان مدركا تمام الإدراك
مدى القلق الذي يعانيه الأهالي فقد طالب بمضاعفة الحصان
واستمراره ، وكان كلما علم بما فيه الناس من أحوال سيئة باثثة
كلما شدد من هجومه عليهم . كما استعد السلطان (شاور) من
ذاحيته فلم يقصر في تحريض جميع القادة وبسط كفه بالمال في
الصرف على آلات البناء الخاصة ، وبذل المبالغ الكبيرة على كل
ما تتطلبه الحرب ، وغالى في أجور العمال ، وأجزل العطاء للفقراء
والمحرزين ، كما أهتم اهتماما خاصا بالجرحى وأولاهم العناية
الواجبة ، وسخى على المقاتلين لاسيما من اشتهروا بالمشجاعة في
القتال .

- ٢٩ -

بينما كانت هذه الأحداث تجري أمام الاسكندرية كان شيركوه
يحارب في مصر العليا ، وتابع زحفه حتى اذا بلغ مدينة قوص حاول
الاستيلاء عليها عنوة ، وشن عليها هجوما خاطفا لكنه سرعان
ما أدرك أن جهوده في هذا المجال لن تثمر الثمرة المرجوة ، لما
يتطلبه انجاز هذا العمل من وقت طويل ، هذا بالإضافة الى أن وضع
ابن أخيه (صلاح الدين) المتأزم يفرض عليه الانصراف الى عمل
آخر ، ومن ثم قبل أن يتسلم من هذه المدينة ما تقدمه من المال وأن
يسرع في متابعة زحفه على رأس قواته الى مصر السفلى .

ولما وصل شيركوه الى بابلليون وجد أن الملك كان قد أرسل
« هيج دى ابلين » ليتولى حراسة القاهرة والجسر الذي بها ، أي

انه وجد الأمور على غير ما تصوره ولذلك بحث فى استقدام صاحب
قيصرية الذى كان أسيرا عنده ودعاه الى حديث ودى . ولما كان
شريكوه رجلا ذلق اللسان ، لطيف المعشر ، بشوش الوجه فقد بدأ
يتكلم اليه بكلمات تفنن فى اختيارها وقال له :

« انك أمير جليل القدر سامى الرتبة وعظيم النفوذ بين قومك .
وانى ما كنت أوثر أحدا من البارونات غيرك لى شئت لأععله موضع
ثقتى وأتعمنه على سر يتلجلج فى صدرى ، ولكن شاء حسن الطالع
وحده أن تكون أنت دون سواك هذا الرجل ، رشاعت الحرب أن تقدم
لى فرصة ما كان يمكن الحصول عليها الا بشق النفس لأستعين
بخبرتك فى هذا الأمر الذى أنا فى حاجة ماسة اليك فيه ، وانى
لأعترف لك بصراحة أننى طموح للمجد شأنى فى ذلك شأن الخلق
أجمعين ، وقد اجتذبنى ثراء مملكة مصر ، كما لا أكتفك أن نفسى
روادتنى أن تكون هذه المملكة لى فى يوم من الأيام اعتمادا على
طبيعة أهلها الذين لا حول لهم ولا قوة لذلك جئت الى مصر رغم
كثير من الأخطار وبذلت البذل الكبير ، ولقيت الصعاب الجمة ،
وجاء معى اليها نفر كبير من الفرسان ، تحذروهم نفس الرغبة
الجامحة التى تضطرم فى صدرى ، لكن آمالى لم تتحقق ، إذ انى
أرى الآن أن المقادير تحول بينى وبين دخولى البلد ، قيل تراها
تسمح لى بالعودة اليه تحت ظروف أطيب ؟ انك كما أقول رجل
عالى الهمة سامى القدر وقريب الى قلب الملك ، كما أنك نافذ الكلمة
عنده مسموعها ، فهل لك أن تكون وسيط الصلح بينى وبينه ؟ ، ولحل
النجاح يتم على يدك فى هذا المسعى ، فامض الى الملك (شورى)
وقل له : انذا (٦٥) نصيح وقتنا هنا سدى ، وهاهى الأيام تمر دون
أن تتمخض عن شىء ، وهناك أميرا هامة تستلزم وجودناغى ديارنا ،
كما أن تواجد الملك فى مملكته من الأزم الأمور ، ولكنه يبعثر جهوده
هنا من أجل غيره ، فلى أنه تغلب علينا فلا بد له من أن يسلم كل

ثروات هذا البلد الى سكانه المتعساء الذين حرموا الحياة فدعه يسترد أسرار الذين هم فى يدى الآن ، واطلب اليه أن يرفع الحصار ويرد على أسراى الذين فى يده ، كذلك الذين سدت عليهم المنافذ فى مدينة الاسكندرية . وانى لمستعد من جهتى للخروج حالما اتسلم منه تأكيدا بعدم ازهاج عسكره لنا فى الطريق والتعرض لهم بما يضرهم » .

- ٣٠ -

بعد ان استمع « هيج » لهذا الكلام أخذ يدير فى ذهنه هذا العرض الذى تقدم به شيركوه ، ومضى يفكر فيه تفكيرا دقيقا بما طبع عليه من الفراسة والفتنة ، ولم يساوره أدنى شك فى أن الصلح تحت ظروف الاتفاقية لابد وأن يكون خيرا للأصليين ، لكنه تردد فى أن يقوم بنفسه بإداء هذه المهمة مخافة أن تذهب الظنون ببعض الى أنه يسعى لما فيه حريته هو ذاته أكثر مما يسعى لما فيه النفع العام ، لذلك رأى أن ربما كان من الأشرف له أن يقوم أحد غيره بالخطوة الأولى فى هذا الموضوع ، ولقد ذكر لى (٦٦) فيما بعد وأفضى الى سرا بشعوره هذا واتمنى عليه .

وعن ثم فقد عهد بهذه المهمة الى أسير آخر هو « أرثولف » من قل بأشر وكان صديقا للملك ، كما أنه كان قد وقع أسيرا فى نفس المعركة التى وقع فيها « هيج » الذى نتكلم عنه الآن ، وكلقه هيج بحمل الرسالة الى الملك (عمورى) فعضى (أرثولف) فى لحظته اليه وشرح له بالتفصيل الغرض من حضوره ، فبادر الملك الى عقد مجلس باروناته ، كما حضره السلطان (شاور) وولداه ، فبسط أرثولف عرض شيركوه وشرح طبيعة العرض ، فقابل الجريح فكرة الصلح بالاستحسان ، وتبينوا أن ليس فى الشروط المقدمة ما

يخل بالاتفاقية المبرمة بين الملك والخليفة ، بل أنها تضمن الوفاء بها وفاء صحيحا ، وتقضى هذه الشروط بوضع المدينة فى يد الملك ، ويتم تبادل جميع الأسرى من الطرفين ، وأن يطلق سراح الترك الموجودين تحت الحصار الذى يجب أن يرفع عنهم ، وأن تغادر مصر كلها جميع قوات شيركوه الموجودة بها .

ووافق شاور وجميع ولاة مصر على الاتفاقية وقبوا شروطها عن طيب خاطر ، وصرح شاور عن رضائه التام عنها لاسيما أنها قضت على أشد حصومه عداوة له ، وفعلنى بذلك من يذاقره فى السيادة على المملكة .

ثم كشف « هيج » عن نفسه بعدئذ فقام بوضع اللمسات الأخيرة للاتفاقية بعد مناقشتها مناقشة دقيقة من الجانبين ، ووصل بالموضوع الى الغاية المرضية .

- ٣١ -

ونودى بعد ذلك فى الجيشين وبين العامة أنه قد توقف القتال، وصدر مرسوم ملزم بكف الأذى عن أهل الاسكندرية، وما كاد السلام يعلن حتى عمت الفرحة الناس الذين مرّتهم طول الحصار واستمراره، والقوا عن كواهلهم ما يتقلبوا ، وانطلقوا يمرحون لا يعترضهم معترض ، وتخلصوا من متاعبهم ، وتوالت الطعام بكثرة عندهم ، واستعادت التجارة حريتها ، ولم تخلص الناس من المجاعة التى ظلوا يقاسونها زمنا طويلا أخذوا فى الاهتمام بصحتهم وارتفعت معنوياتهم، وراحوا يستمتعون أنظارهم بالقوات التى أصبحوا ينظرون اليها الآن نظرة مودة بعد أن كانوا حتى الأعس القريب يرمقونها بعيون ملؤها الحقد وتشف عن الاحتقار ، أمام اليوم فهم يتجاذبون معها الأحاديث فى

مودة لاتشويها شائبة ويبتسلون فى الكلام مع العسكر الذين كانوا
يخافونهم منذ قريب ويعدونهم رسل الخطر والهلاك .

لم يكن الصليبيون أقل حنيم ليفة وشوقا لدخول المدينة التى
كانت هدفا لحملتهم منذ آمد بعيد ، وراحوا يتجولون فى شوارعها
أحرار ، ويمألون فواظرهم من أبوابها وحصونها ، وتجمعت من
ملاحظاتهم الدقيقة مادة كانوا يستطيعون - بعد عودتهم الى ديارهم -
أن يقصروا حنيا على اخرانهم مختلف القصص فقلتذ بها أذان
سامعيها .



ويشرف على هذه المدينة الرائعة برج شاهق الارتفاع يقال له
« فاروس » يطاول النجم بنوره المشع المذيق من كثير من المشاعل
المنيرة التى تهدى السفن التى لا تعرف المنطقة حتى لا تضل طريقها
ليلا ، وذلك لأن الاقتراب من الاسكندرية محفوف بالمخاطر الجسيمة ،
بالاضافة الى أن البحر المظلم هلىء بكل ما ينطوى عليه من الأخطار،
فتكون هذه المصاييح المتقدة على الدوام والمرتجدة فوق هذا البناء
تحذيرا للبحارة لتنجو سفنهم من العطب وتأمين خطر الجنوح ،
وليبحروا بها سالمين .

ورفع على هذا البناء علم الملك (عمورى) خفاقا رمزا لانتصاره
ودايلا على الاستسلام الذى ظل الكثيرون يجهلونه حتى لحظتهم هذه
وحينذاك - وقد رفرفت راية الملك - أصبح معروفا للجميع أن السلام
قد استتب ، وعلى ذلك فإن الكثيرون الذين كانوا يتخوفون فى بادىء
الأمر من الاتفاقية وينظرون اليها نظرة الشك والريبة ويخشون
الاستسلام للصليبيين فانهم - وقد رفرف السلم - لم يترددوا فى
الاتصال بنا ، واطمأنوا الى صدق عهدنا - على أن شيئا واحدا فقط
هو الذى بدى غريبا كل الخرابة وأعنى به أن جيشا قليل العدد استطاع

أن يحبس في الاسكندرية مثل هذا العدد الكبير من الأهالي ومعهم كثير من الأغراب الذين تعاونوا تعاوناً صادقاً في الدفاع عن البلد ، وأن هذا الجيش (الصليبي) أرغبهم على الاستسلام المهين ، إذ لم يكن عند الصليبيين أكثر من خمسمائة فارس وأربعة آلاف أو خمسة آلاف من المشاة - أما المحصورون فكانوا يزيدون على خمسة آلاف رجلاً ، وكلهم من القادرين على حمل السلاح .

- ٢٢ -

حينذاك خرج صلاح الدين عن المدينة وعصى إلى الملك وظل مقيماً في المعسكر الصليبي تاهباً للرحيل ، ولقى صلاح الدين كل مظاهر الاحترام في المعاملة ، وجعلوا له حرساً لحمايته من أي إهانة قد يتعرض لها من قبل أئناس لا خلاق لهم .

أما السلطان (شاور) فقد سار على رأس عسكره في صفوف يتلو بعضها بعضاً ، واجتاز أبواب المدينة مزهواً زهو المنتصر ، تتقدمه الطبول ، وتنفخ أمامه الأبواق وكل آلات العزف ، ومشى حوله أجواق المغنين وسار أمامه الخدم الكثيرون وزمر من المنادين في زيمهم الحربي ، ولكن القلاق أفزع البعض إذ أدان نفراً فأمر بقتلهم وأطلق سراح الآخرين ، ذلك أنه وإن كان يأخذ المذنب بالشدة إلا أنه كان يصفى نعمة وصلاته على من يستحق النعمة والصفة .

ثم قضى أخيراً على أهل الاسكندرية بدفع مبلغ كبير من المال لم يحدد قدره ، ورثب طائفة لجمع الضرائب ، وعين الجباة من المدينة لجمع المكوس ، فلما جمعوا قدراً كبيراً من المال عهد شاور بأمر المدينة إلى عمال مخلصين لهم خاصة أتباعه ، وعاد إلى معسكره فهذه نشوة الجند .

بعدئذ تشرق الجيش الصليبي الى دياره ، فأما الذين كانوا قد قدموا عن طريق البحر فقد أعدوا ما يحتاجونه في رحلتهم ، وركبوا السفن راجعين الى بلادهم غتبطين بما هم فيه ، كما أمر الملك بحرق الآلات وحزم الأمتعة ، ثم مضى في طريقه الى بابلين حيث انضم الى عسكره من كان قد تركهم هناك من قبل ، ثم أقر السلطان في حكومة المملكة وأخرج العدو واسترد رجاله الذين كانوا في الأسر ، ودخل عسقلان يوم الحادى والعشرين من أغسطس سنة ١١٦٧ ، وكان ذلك في السنة الخامسة من حكمه .

انتهى الكتاب التاسع عشر

حواشي الكتاب التاسع عشر

(١) هو أمالريك أو عموري دى نيزل الذى رلى بطركية بيت القدس خلفا للبترك فرلشير فى نوفمبر ١١٥٧ م ، وذلك باختيار خفى من الملكة الوصية عليزند لمعرفتها القوية به وصداقتها الراسخة ، وقد تم علو يده عقد قران « ماريا كومينا » فى كنيسة صور فى أغسطس ١١٦٧ م ، ثم أرسله الملك عمورى على رأس سفارة الى كل من الامبراطور ثودريك ولويس السابع وهنرى الثانى ملك انجلترا ومرجريت الوصية على هتلية ، والى كونت فلاندرز ودى بلوا وذلك سنة ١١٦٩ م لكن لم يقدر اتمام هذه السفارة فقد ميت عليها ربح عاتية ودتها الى عكا ، كما ان أمالريك البترك هذا صاحب عمورى فى ديسمبر ١١٧٠ م فى زحفه على الداروم .

(٢) تولى « ايمرى » الذى هو من ليموجيس بطركية أنطاكية بعد نزاع ١١٦٩ م الدينى الذى تدخلت فيه البابوية ونجم عنه خلع البطررك « رودلف » لعدم امتثاله للحضور أمام المجمع فاختر مكانه « ايمرى » الذى كان كثير التدخل فى السياسة المحلية بالامارة ، كما كان صديقا حبيبا للمؤرخ الصليبي عيخائيل السرياني ، هذا الى جانب موقفه فى استدعاء الملك بلدوين حين حاث ريموند أمير أنطاكية خوفا من تقدم نور الدين ، وقد تدخل بصورة مباشرة فى النزاع البيزنطى الأرمينى ، كما أدى طيش « أرنط » الى مطالبته « ايمرى » بمبالغ مالية ضخمة لم يكن فى استطاعته دفعها

فأهانته أرناط وسجنه وجرمه وجرسه حتى لقد لطح جراح رأسه بالعسس وأوقفه في حبارة القيث وكبله بالحديد يوما بأكمله مما أغضب بلدوين ملك القدس وأرغم أرناط على إطلاق سراح البطريرك فأطلقه فعصى إلى القدس فحربه ملكها وأمه الملكة ملبزند ، ولكنه كره العودة إلى كرسي بطريركيته ، ولما فودى بيوهينغوند الثالث أميراً شرعياً على البلاد عهد الملك بلدوين إلى « أخرى » دي ليموجيس « يحكومة البلد بعض الوقت مما أغضب الأميرة « كونستانس » فالتصمت من الإمبراطور ماتويل التخلل لصالحها كما يشير إلى ذلك ولیم في الترجمة أعلاه . راجع في هذا أيضاً

Michael Le Syrien, Chronique, t. II, P. 324.

(٢) المقصود بذلك الأميرة « أجنس » التي تزوجها - بعد انفصالها عن عموري - أحد نبلاء الملكة وهو كوت ميج دي ابلين صاحب الرحلة .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ من ٨١ .

(٥) بلبيس من المدن المصرية القديمة واسمها القبطى Beok والرومى Biblos وأشار محمد رمزي : القاموس الجغرافى ق ٢ . ج ١ ، من ١٠٠ إلى تعدد اسمائها ، وقد وردت الإشارة إليها في ابن خرداذبة وابن حوقل والمقدسى وفي صبح الأعشى ، ووصف القرينى أهلها في خططه بأنهم « أصحاب نعمة ويسار » .

(٦) المقصود بذلك عموري ملك القدس .

(٧) راجع حسن حبشى : نور الدين والصليبيون : حركة الافاق الإسلامية في القرن السادس الهجرى .

(٨) في الأصل « السلطان » وهى الكلمة التى دأب ولیم العموري على استعمالها للزوريين شاور وضرغام .

(٩) عن الأمور الجديرة بالملاحظة مساهمة رجال الدين المسيحي مساهمة فعالة في حمل السلاح واستعماله ، وقد أشارت إلى ذلك الأمر المؤرخة أنا كوخينا وأوردت في كتابها « الكسياد » أمثلة عدة على هذه الظاهرة في بيزنطة .

(١٠) وكان ذلك في أغسطس ١١٦٤ م ، وانظر

Stanley Lane-Poole, Hist. of Egypt in the Middle Ages, PP. 177 — 178.

(١١) المقصود بلفظ السلطان « هنا الوزير شاور » انظر الحاشية رقم ٨

(١٢) المقصود بذلك نور الدين وأسد الدين شيركوه .

(١٣) يتكرر لفظ « عارتل » أى « المطرقة » فى كثير من الأسماء الفرنسية فى العصور الوسطى ، ويعرف العرب عن هؤلاء على وجه الخصوص « شارل عارتل » فى معركة بواتييه عام ٨٢٢ م .

(١٤) المقصود بذلك نور الدين محمود بن عباد الدين زنكى . راجع عن سيرته وجهاده حسن حبشى : نور الدين والصليبيون .

(١٥) يريد المؤلف بهذا اللفظ هنا « الأكراد » . وان كان المراد به الفرس عامة والسلاجقة .

(١٦) المقصود رفع الحصار عن حارم . وتمثل احدى هذا المكان فى انه قطعة شديدة الحصانة مجاورة لانطاكية ولكنها داخلية فى أعمال حلب . وقد أشار الى « حارم » الجغرافيون المسلمون فى العصور الوسطى أمثال ياقوت فى معجمه ، وابن عبد الحق فى مراصده وأبى الفدا فى جغرافيته . راجع ذلك بالتفصيل فى

Le Strange (G) : Palestine Under The Moslems, P. ٤٤٩.

(١٧) فى هذا إشارة الى ما جاء فى أعمال الرسل ١٩/٢ - ٢٠ « وأعطى عجائب فى السماء من فوق ، وأتات على الأرض من أسفل : دنا ونارا وبخار دخان ، تتحول الشمس الى ظلمة ، والقمر الى دم قبل أن يجرى يوم الرب العظيم » وعمل هذا الكلام وارد أيضا فى يوثيل ٢١/٢ .

(١٨) ضبطلت الأسماء وصححت فى العربية على ما ورد فى لوقا ١/٢ . وانظر أيضا : قاعوس الكتاب المقدس ، حرره بطرس عبد الملك ، وجون الكساندرطس ، وإبراهيم نطر .

(١٩) راجع عني ١٢/١٦ - ١٩ . أما بقية النص فبى « فقالوا يوحنا المعمدان ، وآخرون ايليا ، وآخرون ارميا أو واحد عن الأنبياء . قال لهم : وأنتم عن تقولون ائى أنا ؟ ، فاجاب سمعان بن بطرس وقال : « انت هو المسيح الحى » فاجاب يسوع وقال له : « طوبى لك ياسمعان بن يونا . ان لحما ودنا لم يعلن لك ، لكن أبى الذى فى السموات وأنا أقول لك أيضا : انت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيسة » .

(٢٠) بعدد المؤرخ الانجليزى ستيفنسون سقوط البلد بانتياس بسنة

١١٦٧ هـ .

(٢١) فيما يتعلق بزواج الامبراطور مانويل من عارية الانطاكية أخت
يوهيموند، راجع حارود عن ذلك فى الجزء الثالث من هذه الترجمة، ويزيدفنتزل
فى هذه الحاشية انه بعد وفاة « برتا سيليزياخ » حوالى سنة ١١٥٩ م قرحل
الامبراطور مانويل ، فلما كانت السنة اثنى عشرية بعث سفارة الى ملك القدس
يرجوه اختيار احدى الأميرات اللاتينيات فاقترح الملك له الأميرة « عزيزند »
أبنة أخت ملكة القدس وشقيقة ريموند الثانى كونت طرابلس الذى رغب بهذا
الأمر أعظم ترحيب وجزىسا أحسن جنان وأغلاؤه وتسابقى الأمراء اللاتين فى
المشوق ببعد هداياهم إليها ، ولكن مانويل انسك من الرد بلا أو نعم وطال
حسبه وتردعت الشائعات سرا بما يمس أنها قد أثر ذلك الحدث على الفتاة
فأثيرا سينا وأصابها الاكتئاب والاحباط منها أغضب أخاها ريموند أشد
الغضب فلم يتورع عن سلك أى طريق مهما كانت دفاعته مما سبق مؤرخنا
وليم شرحه فى الجزء الثالث من هذه الترجمة العربية . ولقد قام الامبراطور
مانويل فى الوقت ذاته بإرسال سفارة ساحية الى انطاكية عقدت له على
« الأميرة مارية » أخت الأمير ، وعلى الرغم مما كان فى ذلك العمل من حرج
وجرح لك بيت المقدس إلا أنه لم يجد بدا من الرضوخ لما جرى ، وراح يفلسف
الأمر فعد ما حدث فاتحة خير تؤدى الى تأكيد المودة بين الفرنجة والبيزنطيين
للوقوف فى وجه المسلمين ، وسافرت الأميرة « مارية » الى القسطنطينية
وعقد لها فى كنيسة سنت صوفيا فى دقل حضره وباركه بطاركة القسطنطينية
والاسكندرية وانطاكية . وعلى أية حال فقد كانت « مارية » هذه أول امرأة
لاتينية فرنجية تعتلى العرش البيزنطى فكرمها أهل القسطنطينية الى جانب
كراهيتهم للجنس اللاتينى عامة ، ومما زاد الطين بلة ان مارية اتخذت
مستشارا لها البروتوسياسستوس الكسبوس كيرمدين . وما لاكنه الأنس من
اتخاذها إياه عشيقا لها بالإضافة الى ما هو عليه من التهور وعدم الثمالة .
مما أدى الى تأليب النفوس ضد الامبراطورة الوصائية فعاكروا مزارعة
لاعتقالها راجع فى ذلك :

Ostrogorsky : Hist. of The Byzantine State (tr. by Hussey) ;

Runciman : Hist. of the Crusades, Vol. II, P. 359, Vasiliev :
Hist. of the Byzantine Empire, Vol. I P. 370.

(٢٢) أعنى سنة ١١٨٩ م .

(٢٣) خلت نسخة ولیم الاصلية (كما أشارت الترجمة الانجليزية) عن
اى كلام كان المؤلف يفوى تضمينه هذا الفصل .

(٢٤) راجع ما سبق . الحاشية رقم ٥ .

(٢٥) اطفیح او Altai من المدن المصرية القديمة بمركز الصف
فى محافظة الجيزة ، راجع عنها محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق ٢ ،
ج ٢ ، ص ٢٥ .

(٢٦) بابليون ، ويقال ان اسمها الاصلی هو « باب اليون » ، وذكر
تاج العروس ان « اليون » حصن فتحه عمرو بن العاصی . انظر محمد رمزى
شرحه ، ج ١ ص ١٢٨ .

(٢٧) الضمير هنا عائد على شيركوه ورجاله بعد ان ظنوا هاتين على
وجودهم عن العاصفة وهم فى طريقهم الى مصر .

(٢٨) التصود بالأمير هنا الخليفة الفاطمى . يلاحظ أن المؤلف لم يكن
دقيقا فى استعماله الانقلاب الاسلامية الصحيحة .

(٢٩) علق الترجمة الانجليزية على هذا اللفظ بأن ثالت انه مستمد من
الاسم اللاتينى للقلعة وهو Castrum ، ونعلق نحن هنا فنقول انه
ليس هناك ما يشير الى أصل لاتينى لهذه الكلمة ، ولكن الأرجح أن تكون
كلمة Castrum تصحيفا لكلمة « القصر » العربية ، ونطالع فى بعض
المراجع اللاتينية ان هذه الكلمة مرادفة لكلمة Casa اللاتينية التى
يقصد بها البيت أو الكوخ . مما يرجح الأصل العربى للكلمة .

(٣٠) يقصد بذلك عملة مصر .

(٣١) يقصد بذلك مصر .

(٣٢) هذه اشارة الى قوات نور الدين وشيركوه الموجودة فى مصر .

(٣٣) كان الخليفة الفاطمى المشار اليه فى المتن هو أبو محمد عبد الله
العاضد لدين الله وهو آخر الخلفاء الفاطميين فى مصر ، وتختلف المصادر
فى تقدير سنه حين ولى الخلافة فمنها ما يزعم أنه كان فى التاسعة من عمره

ومعها ما يصل به الى السابعة عشرة وهو الأرجح ، ومن المعروف أنه مات سنة ١١٧١ م خلفا اثني عشر ولدا ، انظر عن بقية بيته
Casanova : Les Derniers Fatimides (in) Mem. de la Mission
Arch., t. VI, PP. 415 et seq.

(٢٤) يلاحظ أن وليم يستعمل في الإشارة الى هذه السفارة صيغة المفرد
حينا وصيغة التثنية والجمع حينا آخر .

(٢٥) تشير الترجمة الانجليزية (ج ٢ . ص ٢٢٢ . حاشية رقم ٤٢)
الى أن لقب مولانا هذا ظهر على نقش كانت تحلوه طبقة من الجص في المسجد
الأقصى ، وقد قصد به الخليفة المستنصر (١٠٢٥ - ١٠٩٤ م) وتعلق الترجمة
الانجليزية على ذلك بقولها « انه من المحتمل جدا أن يكون وليم الصوري
قد طالع هذا النص ذاته ، ثم تحيل القارئ الى التحقيق الذي كتبه :

S.A.S. Husaini : Inscription of the Caliph al-Mostansir (in)
Palest. Deptt. of Antiquities. (1942), PP. 77 — 80.

(٢٦) المقصود بذلك النبي يوسف عليه السلام .
(٢٧) هذه رواية يظهر فيها الخيال والوضع عما لا يتلاءم مع التاريخ ،
وهذه سقطت من وليم في محاولته تفسير الأحداث التاريخية ولسنا نعرف
من أين استقى وليم هذه الأخبار ، كما أن أخباره عن النبي يوسف مضطربة
أشد الاضطراب .

(٢٨) أورد المؤلف في المتن كلمات نثره عنها نبي الرحمة عليه الصلاة
والسلام ، وقد حذفناها من الترجمة وحذفها لا يضير التاريخ الذي نحن
بصدده ، وكما نود لو ترفع وليم عما قال وهو من المؤرخين الكسبار
القاتل الذين نظروا في كتب التاريخ ، وكان عن اليسير عليه - وهو المدقق
الباحث والعارف بالعربية - أن يتبين في جلاء حقيقة الاسلام ونبيه ، ولكنها
زلة تؤخذ عليه ، وحسابه عند خالقه .

(٢٩) ترتيب الخلفاء الراشدين كما هو معروف كالاتي : أبو بكر فعمرو
فعثمان فعلي ، وليس كما ذكر المؤلف في المتن أعلاه .

(٤٠) هنا أسطر قلائل حذفناها لما فيها من ضلالة لا يليق صدورها من
مؤرخ كبير تفترض فيه العدالة التاريخية ، والأسطر المحذوفة تحف الامام

عليها بما لا يرضاه على ، وما كان الذى يقوله ولیم عنه فى تلك السطور الا من اسرائيليات ابن سبا . راجع فان فلوثن : الشيعة والاسرائيليات فى عهد بنى أمية ، ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن ومحمد زكى ابراهيم .

(٤١) تعرف مدينة سلبية عند الصليبيين باسم Salaminias وهى مركز من أكبر مراكز الشيعة ، راجع حاذكره عنها الجغرافيون المسلمون أمثال ياقوت وابن عبد الحق واليعقوبى والاصطخرى وابن الفداء والادريسى والمقدسى مما جمعه Le-Strange op. cit. P. 528.

(٤٢) فسر المؤلف كلمة «المهدى» بأنه الشخص الذى «أخضع كل شيء للإسلام ، وعبد الطرق ويسرها للناس» ، ولكن للفظ دلالاته التاريخية والدينية قديما وحديثا ، وقد ترجمت النسخة الانجليزية كلمة المهدى بـ Leveller أى المنصف والمساوى بين الناس .

(٤٣) أى حتى سنة ١١٨٢ م وقت أن كان ولیم يختم هذا الكتاب .

(٤٤) Runciman : op. cit. II, P. 373.

وانظر فى هذا الموضوع حاسبق وروده فى هذا الجزء عن سفارة هيچ .

(٤٥) المقصود بالعدو هنا شيركوه وقوات نور الدين محمود .

(٤٦) راجع عن اجنس وخبر طلاقها من عمورى وزواجها من هيچ دى ابلين ما سبق حاشية رقم ٢ .

(٤٧) تنيس من المدن المصرية القديمة المندثرة كما يشير الى ذلك محمد رمزي : القاموس الجغرافى ، ق ١ ، ص ١٩٧ ، وأشار الى أن ياقوت ذكر أنه تصنع بها الثياب الملونة والقرش ، ويكون حاؤها أكثر أيام السنة حلحا لدخول ماء البحر الأبيض المتوسط اليبا فى أول الشتاء ، ويقول محمد رمزي أن تنيس كانت سنة ٢٠ هـ - وقت دخول العرب - أخصاصا عن قصب ، وكانت تعرف الى صدر زمن بنى أمية بذات الأخصاص ، ثم بنى أهلها بها قصورا ، ثم دخلها أحمد بن طولون سنة ٢٦٩ هـ فبنى بها عدة صهاريج عرفت بصهاريج الأمير . أما القرما فمن أقدم الرباطات المصرية ، وكانت زمن الفراعنة حصن مصر من جهة الشرق لأنها فى طريق الغيرين على البلاد ، واسمها المصرى

القديم « بر آخن » أى مدينة الآلهة آمون ، وعنه اسمها العبرى « يروحون » ،
والقبطى « برما » والعربى « الفرما » وسموها الروم « بيلون » أى الأرض
الوحلة ، وقد ذكر ذلك بالتفصيل القاموس الجغرافى ، ق ١ ص ٩١ ، وزاد
فقال اندثرت وتعرف آثارها اليوم بقى الفرما على بعد ثلاثة أميال من ساحل
البحر الأبيض المتوسط ، وعندها أطلال قلعة كانت تعرف بقلعة الطينة ، كانت
منفى لمن يغضب عليهم الحكام .

(٤٨) دمياط من ثغور مصر القديمة على الشاطئ الشرقى لفرع النيل
المعروف بفرع دمياط واسمها المصرى القديم Ta Meht أى بلد الشمال
وجاء فى القاموس الجغرافى ق ٢ ، ج ١ ، ص ٨ أنها كانت فى الأصل واقعة
فى الشمال من دمياط الحالية ثم نقلت الى موضعها الحالى من سنة ٦٢٢ .
(٤٩) رشيد من الثغور المصرية القديمة وكان اسمها Bolbitine

وأما اسمها القبطى فكان Raschit واللاتينى Rosetto وقد ذكرها ابن
حوقل فى مسالكه وقال أن بها أسواقا صالحة وحمامات ونخيل . انظر عنها
بالتفصيل حمد رمزى : شرحه ق ٢ ، ج ٢ ص ٢٠٠ .

(٥٠) الوارد فى الترجمة الانجليزية ، نقلا عن الأصل اللاتينى كلمة
ترجمناها الى أقرب لفظ لها وهو محبى الدين ، وقال أنه ابن شاور
والمعروف أنه كان لشاور ولدان هما « طى » الذى قتل فى رمضان ٥٥٨ هـ ،
و « الكامل » الذى تولى الوزارة نيابة عن أبيه ، راجع القلتشندى : صبح
الاعشى ٢١٨/١٠ - ٢٢٥ .

(٥١) يعنى بذلك الحلبيين والمصريين .

(٥٢) المقصود بالعدو هنا قوات نور الدين وشيركوه .

(٥٣) انظر ما قاله جرتييه وأميلينو عن « فاقوس » مما أورده محمد
رمزى فى قاموسه الجغرافى ق ٢ ، ج ١ ص ١١٦ وما بعدها ، وعنه نستفيد
أن « فاقوس » الحالية عن مستجدات العصر العثمانى .

(٥٤) قوص من المدن المصرية القديمة واسمها Hat Hor أى قصر
الآله حوريس ، ويقال للبلد « بربر قوص » أى « قوص الحارة » . وعرفت
حذ أواخر القرن الثالث باسم Diocletianopolis نسبة الى « دقلديانوس »
الطاغية ، الذى أسرف فى اضطهاد المسيحية والمسيحيين ، وقد أشار اليها
الادريسي فقال أن بها جامعاً وأسواقاً عامرة جامعة ووصفها بكثرة الوافدين
عليها والخارجين منها . انظر ما كتبه الجغرافيون والرحالة العرب فى رمزى :
شرح ق ٢ ، ج ٤ ، ص ١٨٧ .

(٥٥) لانعرف المداعى الى اقحام ، سيس ، وهى عاصمة الارمن فى هذا
الموضع ولا ندرى ما الذى يقصده المؤلف ،

(٥٦) انظر تاريخها ونشأتها وتطورها فى محمد رمزى : المرجع السابق
ق ٢ ، ج ٢ ص ٩٦ ،

(٥٧) كان ذلك يوم ١٨ ابريل سنة ١١٦٧ م .

(٥٨) فيما يتعلق بالمنيا حيث جرت وقعة البابين راجع المقاموس
الجغرافى للسند المصرية ، ق ٢ ، ج ٢ ، ص ١٨٢ وما بعدها ، و ص ١٩٦ .

(٥٩) تشير عبارة « عن يده » الى أن وليم الصورى مؤلف هذا الكتاب
كتب هذا الخبر بعد أن صار مستشارا للملك عمورى ، ولقد رجح مترجما
الكتاب الى الانجليزية (ج ٢ ، ص ٢٢٢ حاشية رقم ٤٥) أن وليم قد كتب
ما بالثن أعلاه بعد وفاة عمورى ملك بيت المقدس ، ولكنهما لم يبينا السبب
الذى يحدوهما الى هذا الترجيح .

(٦٠) أى وظيفة مستشار الملك عمورى .

(٦١) راجع ما سبق الحاشية رقم ٥٠ .

(٦٢) قروجة من البلاد المصرية القديمة ، ذكر معجم البلدان انها من
قرى البحيرة من أعمال الاسكندرية ، وذكر محمد رمزى ، المقاموس الجغرافى ،
ق ١ ، ص ١٦٠ انها اندثرت ومكانها اليوم كوم قروجة بمرکز اوى المطاير
بالبهيرة .

أما دمنهور فقد أشار رمزى : شرحه ، ق ٢ ، ج ٢ ص ٢٨٤ الى انها
مذكورة فى قاموس جوتييه باسم Demi n Hor أى مدينة الاله حور وكانت
مسرحا لمعارك حربية هامة فى بداية الفتح الاسلامى ، وأورها ابن ممانى
فى قوانينه باسم دمنهور الوحش . وذكر رمزى انها قاعدة لاتليم البحيرة
عن عهد الفراعنة الى اليوم .

(٦٣) فى الأصل Ben Areselle وقد ترجمناها بابن عبد الرسول
وهذا اجتياح هنا ، لعل هناك من يؤكد أو يرشدنا الى التصحيح .

(٦٤) عذاب : ذكر ياقوت في معجمه أنها ثغر على ساحل بحر القلزم تابع لمصر كما أشار رمزي : شرحه ، ق ١ ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ أنها كانت مرساة شهيرة للسفن وكانت طريق الحج المصري في القرون الوسطى ومنها يجتازون الى جدة فمكة .

(٦٥) يقصد شيركوه بذلك نفسه والمك عبوري ، ولعل قيسا يذكره وليم في المتن أعلاه ما يبعث على التفكير اكان شيركوه - ان كان ما نقل عنه حقا - يريد الاستئثار بملك حصر قيسا بعد موت رعاية لالتزاماته تجاه مولاه نور الدين ؟ ، أم انه كان يريد التمرية على عبوري حتى يفرج من حصر مع ضمان سلامة الجيش النوري الشامي ؟ ، على أننا لا نستبعد صدور ذلك القول من شيركوه ، فمما كان من أحد من هؤلاء القادة الا وهو يسعى لما فيه صالحه ، وحسبنا في الاستدلال على عوقف صلاح الدين حين تخلص من الخليفة القاطم ثم تجاهله لمولاه نور الدين ثم عواقفه مع ابن نور الدين وأخيه قطب الدين مسعود .

(٦٦) تشير كلمة « لى » هنا الى وليم نفسه ، وهو بذلك يسوق لنا معلومات خاصة لم يتسن لأحد سواه من المؤرخين الصليبيين أو المسلمين أن يعلم بها ويبدنا بها ، فقد تلقاها هر عن هيچ ذاته مباشرة .

فصول الكتاب العشرين

الصراع حول مصر

- ١ - « هيرنليسيوس » رئيس أساقفة قيصرية ، و « ايود » دى سانت اماند الساقى الملكى يعودان من القسطنطينية وفى صحبتهما زوجة الملك المقبلة ، وتتويج «عمورى» فى كنيسة صور وزواجه .
- ٢ - اندرونيكوس « أحد اقارب الامبراطور يضى بتيودورا أرملة الملك بلدوين الى بلاد العدو .
- ٣ - انشاء كنيستين احدهما فى تدمر والاخرى فى الجليل وتعيين اسقفين لهما . مجيء « ستيفن » مستشار ملك صقلية واسقف الكنيسة المنتخب فى بالرمو . وفاة وليم كونت نيفيرز اثناء وجوده معذا .
- ٤ - حضور رسل من جهة الامبراطور الى الملك فى طلب عقد اتفاق

معه، ارسال رئيس شمامسة صور رسولا الى القسطنطينية .
امضاؤه الاتفاقية المقترحة مع الامبراطور .

٥ - الملك يقود جيشا يشير به على مصر مناقضا بذلك شروط
الاتفاقية التي كان قد عقدها مع المصريين ويشن الحرب
عليهم .

٦ - حصار مدينة بلبيس والاستيلاء عليها . السلطان شاور يفرى
الملك ويعدده بدفع مبلغ كبير من المال له .

٧ - الملك ينصب معسكره أمام القاهرة في انتظار المال الذي وعده
به شاور .

٨ - أسطولنا يبحر في النيل وينضم الى القوات البرية . السلطان
(شاور) ينقض اتفاهه ويحاول المقاومة ويلتمس المساعدة
من الترك .

٩ - « هيلون دى بلانسى » يفسد تفكير الملك برأيه الشرير .
وصول شيركوه (الى مصر) تلبية لاستغاثة المصريين به .
الملك يتقدم عبر هذه الصحراء فلما لم يصادفه يعود
أدراجه الى مملكته من غير أن يحقق غرضه .

١٠ - شيركوه يستولى على مصر ويقتل السلطان . نهاية شيركوه .

١١ - صلاح الدين يخلف عمه شيركوه (في قيادة الجيش) ويحكم
مملكة مصر .

١٢ - تعيين « برنارد » رئيس دير جبل الطور مشرفا على كنيسة
اللد ورحيل « فرديناند » رئيس أساقفة صور الى الغرب في
طلب المعونة من الأمراء هناك .

- ١٢ - الامبراطور في تشوقه لامضاء الاتفاقية يرسل أسطولا الى الشام بقيادة بعض أتباعه النبلاء .
- ١٤ - الملك يزحف بجيشه على مصر ويصحبه البيزنطيون بقوات برية وبحرية .
- ١٥ - الملك يحاصر مدينة دمياط . الاغريق واللاتين يجهدون أنفسهم في الحصار ولكن بلا جدوى .
- ١٦ - انتشار المجاعة في المعسكر المسيحي . أسطولنا ينجو بمعجزة من الهلاك بالنار . ضياع جميع جهودنا هباء وأخيرا يتم رفع الحصار .
- ١٧ - استدعاء الحملة ثانية وعودة الملك الى دياره . ضياع معظم الأسطول البيزنطي في العودة بسبب هبوب رياح أغرقته .
- ١٨ - دمار المدن القديمة أثر زلزال يكتسح في الواقع الشرق كله .
- ١٩ - صلاح الدين يغزو أرضنا ويحاصر قلعة الداروم .
- ٢٠ - الملك يسرع الى هناك في رشح قليل من الفرسان ويفتك بالعدو بكثير من قومننا في مدينة غزة في أثناء زحفه .
- ٢١ - عودة صلاح الدين الى أرضه ورجوع الملك الى عسقلان بعد زيارته الداروم التي صار بعضها الآن خرابا . اغتيال الشهيد المجد « توماس » رئيس أساقفة كانتربري في نفس هذا العام، ويكون اغتياله في كنيسة .
- ٢٢ - الملك يزور القسطنطينية وفي سميته بعض نبلائه وينفق عليه الامبراطور كثيرا من عطايا الشرق .
- ٢٣ - ادخل الملك الى حضرة الامبراطور الذي يلقاه بالتجلة

والاحترام العظيمين • الحادثات الكثيرة بينهما حول مسائل ذات أهمية خطيرة •

٢٤ - عودة الملك واششرافه الى بلدهم محمليين بالهدايا بعد أن تحققت أغراض الرحلة •

٢٥ - الملك يمشد الجيش في عودة رئيس أساقفة صور من البلاد الواقعة فيما وراء البحر ومقتل وليم أسقف عكا في بلاد الروم •

٢٦ - « مليح » الأرمني - أخو تزروس - ينضم بقواته الى نور الدين ويفسد في أرض أنطاكية فيسرع الملك الى هناك لكبح أعماله الشريرة •

٢٧ - صلاح الدين يحاصر قلعة الكرك الواقعة وراء الأردن وينجح في محاولته هذه ثم يعود الى بلده •

٢٨ - صلاح الدين يخرّب كل الأراضي الواقعة وراء الأردن فيحصر الملك وجيشه في مكان يسمى بالكرمل • عودة كوزنت طرابلس من الأسر •

٢٩ - وصف طائفة الحشاشين ووصف السفارة التي بعثوها الى الملك •

٣٠ - الاخوان الفرسان الداوية يذبّحون مبعوث الحشاشين ويترتب على هذا الحادث وقوع اضطرابات عنيفة في المملكة • وفاة « رالف » أسقف بيت لحم •

٣١ - وفاة نور الدين • الملك يفرض الحصار على باندياس ولكنه يهرم في النجاة اتفاقية وينسحب • مرضه واسرعه الى القدس لكنه يموت في مدى أيام قلائل •

هنا يبدأ
الكتاب العشرون

الصراع حول مصر والتحالف مع الامبراطور مانويل

- ١ -

عاد في هذه الآونة الى صور وأرسي بها كل من «هيرنيسيوس»
Hernesius رئيس أساقفة قيصريّة الطيب الذكرو « ايود
Eudes دى سانت اماند » الذى كان فى ذلك الوقت ساقى الملك
وكان الاثنان قد أنجزا على أحسن وجه المهمة التى عهد اليهما القيام
بها عند الامبراطور « مانويل » وتكللت سفارتهما بعد عامين بالنجاح
لأنهما أحضرا معهما ابنة جون « البروتوسيباستوس » لتكون زوجة
الملك المقبلة .

وما كاد الملك يعلم بوصولهما حتى أسرع الى صور ، وبعد
استدعائه كبار رجال الكنيسة وأشرف المملكة زف الى الأميرة

« مارية » التى كانت قد نالت نعمة المسح بالزيت المقدس والترسيم الكنسى ، وتم الاحتفال بالزواج فى أئمة رائعة وتعظيم كبير ، وذلك يوم ٢٩ أغسطس فى كنيسة صور على يد البطريرك «أماريك» الطيب الطيب الذكر ، وقد طلع الملك متدثراً باللباس الملكى فكان حراً رثماً وقد وضع على مفرقه تاج أسلافه .

كان « البروسيپاستوس » جرن الذى تزوج الملك كذا قلنا بانته هو الابن الأكبر لشقيق الامبراطور مانويل الذى أرسله برفقة بنة أخيه فى طائفة من علية القوم وكبار الأشراف ممن تربطهم به ذواته وشيعة القربى ، وكان فيهم المجل « باليولجس » ، والسرى الأمد « مانويل سيستوس » أحد ذوى قرباد وكثيرون غيرهم (١) ، وعهد اليهم يرافقة الملكة المقبلة والقوم بها فى أروع أبهة الى جلالة الملك ، وكلفهم بالحرص على استيفاء جميع المراسيم المقررة وملاحظة عدم التقصير فى شىء منها .

وكانت كنيسة صور فى الموضع الذى ستقام فيه الاحتفالات ، وكان رئيسها حينذاك هو المعظم « فردريك » الذى كان قد انتقل اليها من كنيسة عكا ، وبعد انقضاء ثلاثة أيام من تنويع الملك وحفلات قرانه تفصل « فردريك » على بوظيفة رئيس أساقفة كنيسة صور وهى الوظيفة التى كان وليهم قد تركها حين استدعائه لكنيسة عكا ، وقد فعل فردريك هذا العمل بتوجيه من الملك وفى حضور الكثيرين من الرجال الأماجد .

- ٢ -

وفى هذه الأثناء ، وبينما كان الملك (عمورى) لا يزال موجوداً فى مصر جاء كيليكية أحد كبار رجال بينظمة واسمه « أندرونيكوس » (٢) فى حاشية كبيرة من أتباعه ذوى النفوذ الضخم ، وكان ذا صلة قرابة

بامبراطور القسطنطينية وظل مقيما بيننا حتى عاد الملك من مصر ،
والحق أن وجوده ، بيننا كان مبعث غبطة كبيرة لنا ، ولكنه كان أشبه
بالحية فى الصدر وبالفأر فى صيوان الملابس إذ رد جميل مضيفيه
أسوأ رد ، وبرهن على صدق المثل الذى قاله « مارو » لست أطمئن
للاغريق ولو جاءوا محملين بالهدايا وماكاد الملك يعود (من مصر)
حتى تفضل عليه فأقطعه مدينة بيروت ، وإذ ذاك بادر هذا الاغريقى
فدعى « تيودورا » أرملة بلدوين لمرافقته لزيارة بيروت ، وكانت
« تيودورا » تمتلك مدينة عكا التى كانت قد أخذتها كصداق لنا وقت
زواجها ، وكانت تيودورا هذه قد استضافت فى بيتها « أندرونيكوس »
فترة طويلة حيث تقيم فوضى عندما ليست بالقصيرة وحدث
فى أثناء سفرته هذه أن اتصل بنور الدين ، ثم خان الأمانة فاختطف
الملكة وحملها معه الى دمشق من بلاد العدو ثم مضى بها قيدا بعد
الى بلاد فارس (٣) .

- ٣ -

لم يجد فى هذه الأثناء خلال هذه السنة جديد يستحق الإشارة
الا ما كان من تشييد كنيسةين وقت عيد الفصح وتعيين أسقفين لهما ،
وكانت أولى هاتين الكنيسةين فى وادى موسى الواقع وراء الأردن
فى أرض مؤاب وعاصمة إقليم تدمر ، ولم يحدث قط أن كان لهذه المنطقة
أسقف لاتينى منذ قدوم المسيحيين الى أرض الميعاد ، كما أنه لم يتسن
للأخرى - وهى كنيسة الجليل - أبدا أن حظيت بهذا الشرف ، فقد
ظلت طوال عهد البيزنطيين وهى لاتعد أن تكون أبرشية ، وكذلك
كان الحال إزاء كنيسة بيت لحم كما هو معروف تمام المحرفة ، غير
أن ما كانت تنعم به بيت لحم من توقير باعتبارها البقعة التى ولد بها
سيدنا المسيح رفعها عن جدارة الى هذه المكانة السامية ، كما أنها

نالت كل ما تتمتع به الكاتدرائية من حقوق وامتيازات ، وكان ذلك زمن الملك بلدوين الأول في أعقاب تحرير المدينة المقدسة مباشرة (٤) .

كذلك حظيت حديقة الجليل في الأخرى في نفس السنة التي نتحدث عنها ولأول مرة بهذا التعظيم الذي هي أهل له بسبب ما كان لها من صلات بخدام المسيح الخالدين المباركين إلى الأبد وهم ابراهيم واسحق ويعقوب ، واختير « جيريكوس » أسقفًا لكنيسة تدمر وكان من قبل قيما على ميكل السيد ، كما اعتبر هذا الأسقف ذاته مطرانا لاقليم الكرك ، ونصب « رينالد » ابن أخي البطررك فولشر ذي الذكر المجيد رئيسا لكنيسة الجليل ، فلما كان صيف العام التالي وصل « ستيفن » إلى المملكة في رهط قليل ، وكان رجلا رفيع القدر سامي المكانة ويعمل مستشارا للملك صقلية وهو الأسقف المنتخب لكنيسة بالرمو وهو شقيق « كونت ريترو دي بيرش » الذي كان شابا جميل المنظر موهوبا بطبعه ، وقد وقع « ستيفن » ضحية مؤامرات دبرها ضده رهط من نبلاء صقلية الذين نجحوا في اخراجه من تلك البلاد فخرج من غير موافقة مليكها الشاب الذي كان لا يزال صغيرا ، وكذلك رغم أنف أمه ، لكن لم يكن لهما حول ولا قوة تمكنهما من منع ما جرى ، على أن « ستيفن » استطاع بصعوبة شديدة أن يتجنب أحابيل النبلاء ومكرهم ، ونجح في الوصول إليها بحرا لكن ما لبث أن وافته منيته إثر مرض خطير اعتراه ولم يفارقه الا وقد فارق الحياة فدفن بالقدس بدا يليق به من الاحترام ، وسجى جثمانه في إحدى كنائس هيكل الرب .

كذلك حدث في نفس هذا الوقت أن وفد إلى القدس من مملكة فرنسا في زمرة من الفرسان الأشرف « وليم كونت نيفيرز » وكان أميرا اقطاعيا كبيرا من عائلة شريفة وأسحة النفوذ ، وكان دافعه إلى المجيء هزيمة خصوم العقيدة تحت لواء المسيحية ، وذلك على نفقته الخاصة . غير أن الموت (٥) أحس الخيرة من نجاحه

فبكر اليه ، وهكذا حال سوء الحظ بين هذا الرجل الورع « وليم دى نيفيرز » وبين مشروعه النبيل ، فقدألت به وعكة شديدة طالمت عليه فعمات منها وهو على أول درجات حياة كانت تبشر بالأمل العريض فحزن الجميع على وفاته ونرفوا عليه الدمع السخين .

- ٤ -

وجاءت فى صيف هذه السنة ذاتها سفارة (٦) امبراطورية فيها اثنان من بلاط امبراطور القسطنطينية هما «اسكندر» كوزت جرافينا دُ وآخر اسمه « ميخائيل هيدر نتيس » الذى هو من اترانقو فأمر الملك بعقد اجتماع خاص لسماع ما يقولانه وما جاء من أجله، ودعى الملك الى هذا الاجتماع من أراد أن يكونوا حاضريه ، فشرع الرسولان فى شرح الدواعى وراء مجيئهما ، وحملوا الى الملك رسالة من صاحب الجلالة الامبراطورية عما قدما من أجله ، وكان فدواها حيا يلى :

« لقد لاحظ الامبراطور أن مملكة مصر التى ظلت حتى هذه اللحظة الحاضرة قوية وبأذا فاحش الثراء قد وقعت فى أيدي جنس ضعيف ألف الاسترخاء ، كما أن الشعوب المجاورة لها هى الأخرى لم يفتها ماكان عليه حاكم مصر وأمرأؤه من الرمن وعدم الكفاءة مما يشير بوضوح الى انه يستحيل على هذه المملكة أن تستمر طويلا فيما هى عليه الآن ، وأنه لابد أن تؤول حكومتها والاشتراف عليها الى غيرها من الأمم ، وان الامبراطور مؤمن بأن باستطاعته - بمساعدة الملك - أن يضمها اليه » (٧) .

لذلك فان الامبراطور أرسل من أجل هذا الغرض رسولييه الى الملك .

ويقول البعض - وهذا امر كبير الاحتمال - أن الملك كان هو

البادئ في التفكير في اقتراحه هذا الموضوع وعرضه على
الامبراطور على أيدي رسل انفذهم اليه برسائل ألح فيها عليه أن
يسعفه من لدته بالعسكر وبالأسطول والمال اللازم لانجاز هذا الأمر ،
على أن يكون للامبراطور (البيزنطي) لقاء ذلك نصيب في هذه
المملكة وفي جميع الغنائم التي يمكن الاستيلاء عليها .

كانت هذه هي طبيعة المهمة التي جاء بها الرسولان الى الملك
فلما تم الاتفاق بين الطرفين على شروط الاتفاقية أضافوني « انا »
الى اللجنة كواحد منهم وكان ذلك بأمر الملك ، ولما كنت أنا حامل
رسائله فقد كان على أن أזור الامبراطور وأتقل اليه قرار الملك وعزم
المملكة (٨) كلها ، وزيادة على ذلك فقد خولني صلاحية الموافقة على
مايرم من اتفاق بينهما (٩) ، كما طلب مني ذلك ولكن وفق الصورة
التي اتفق عليها . وعلى هذا الأساس انضمت الى المبعوثين
الامبراطوريين اللذين كانا في انتظارى بطرابلس حسب التوجيهات
الصادرة من الملك ، وأبحرنا جميعا معا الى القسطنطينية فعلمنا أن
الامبراطور كان متغيبا اذ ذاك في الصرب حيث كان أهلها ذاثرين
على حكومته التي اقامها لتحكمهم .

وبلاد الصرب اقليم جبلى واقع بين دماشيا والمجر والليريا ،
غنى بالغابات الكثيفة مما يجعل اقتحامه أمرا عسيرا أشد العسر ،
ولقد قام الصربيون بالثورة اعتمادا منهم على استحالة دخول أحد
بلادهم لشدة ضيق الممرات الموصلة اليها .

وتقول الأخبار القديمة ان هذا الشعب كله يرجع في أصله الى
المنفيين الذين طردوا الى تلك الناحية ، وفرض عليهم العمل في
محاجر الرخام وفي المناجم ، ويقال انه بسبب هذه العبودية اشتق
اسمهم (١٠) .

والصرب قوم غلاظ لا يعرفون النظام وهم يسكنون الغابات
ويقيدون فى الجبال ، لا يدرون شيئا عن الزراعة لكن عندهم قطعان
كبيرة من الماشية وأسراب ضخمة من الدواب التى توفر لهم الكميات
الهائلة من الألبان والأجبان والزبد واللحم ، ويطلق على رؤسائهم
اسم « سوباتى » .

وكانوا يخضعون للإمبراطور فى بعض الأحيان ، كما كانوا
فى أحيان أخرى ينسلون من معاقلهم الجبلية ويعيثون فسادا وتخريبا
فى كل النواحي المحيطة بهم ، وكانوا مدفوعين الى ذلك بما فطروا
عليه من البطش وما طبعوا عليه من حب القتال ، وقد أدت اعتداءاتهم
التي لا تحتمل وما أوقعوه بجيرانهم الى اقدام الامبراطور (مانويل)
اقداما بطوليا على الزحف عليهم بجيش كثيف ، وتمخض زحفه هذا
فى النهاية عن نجاحه وقتل شوكتهم وأسر زعيمهم الأكبر .

ولقد تسنى لى ولن معنى أن نقابل الامبراطور بعد عودته من
حملته هذه وبعد أن تغلبنا على الكثير من متاعب الطرق ، وكان لقاءنا
اياه فى المدينة المسماة « بوتيللا » فى ولاية « بالجونيا » قرب المدينة
القديمة التى كانت تعرف باسم « جستنيانا » الكبرى وهى مهبط رأس
أحكم الناس وأسعدهم طالما الذى لم يقهر وهو الامبراطور
« جستنيان » ، ولكنها أصبحت تعرف الآن باسم « أوكريدا » . وقد
استقبلنا الامبراطور فى هذه المدينة استقبالا كريما وحيانا بلطفه
الامبراطورى فأخبرناه بالدافع الذى دفعنا للقيام بهذه الرحلة وذلك
السفارة ، وشرحنا له شرحا دقيقا مضمون المعاهدة فأضفى لكل
ما قلناه بنفس راضية وتقبله قبولا حسنا ، وأعلن موافقته على جميع
ما كان قد تم الاتفاق عليه ، وبعد تبادل الطرفين الأيمان الخليفة وافق
الامبراطور بما له من الصلاحية على الشروط كما ارتضاها المبعوثون
وصادق عليها ، وأخذنا كتبنا امبراطورية تتضمن نص الاتفاق فى

صورته الكاملة ، وأذن لنا بالسفر بعد أن حصلنا كثيرا من الهدايا
حسب العادة المتبعة ، وهكذا نجحت سفارتنا في انجاز ما جاءت
من أجله ، وحينذاك شرعنا في رحلة العودة في الأول من أكتوبر .

- ٥ -

في هذه الأثناء وبعد مغادرتنا مباشرة وقبل أن نتوّد سفارتنا
لتخبر الملك بالمساعدة التي وعدنا بها الامبراطور سرت في أرجاء
البلاد شائعة تقول أن شاوّر سلطان مصر دأب على أن يتبعث في السر
بالكتب الى نور الدين ملتصا منه مد يد المساعدة اليه ، وادعى له أن
كل مشاركة من جانبه في عقد أي اتفاقية سلام معنا إنما تمت على
كره منه ، وعلى غير رضائه ، وأنه راغب في الانسحاب من الاتفاق
الذي كان أبرمه مع الملك (عموري) وأنه سوف يشجب هذا الاتفاق
ويستقل عن الملك نهائيا أن تأكد تماما من مساعدة نور الدين له .

ويقال أن هذا الخبر أسخط الملك كل السخط وحقله ان يسخط ،
ولذلك جمع خيالاته وفرسانه من كل نواحي المملكة وغادرها على
جناح السرعة الى حصر .

على أن هناك من راحوا يزعمون أن هذه الأقوال التي نسبت
الى شاوّر ان هي الا اغترافات اغتريت عليه وأنه برى عنها كل البراءة ،
وأنه لا يستحق أبدا مثل هذه المعاملة من جانب الملك ، اذ هو مخلص
في حفاظه على الاتفاق والوفاء بما تضمنه ، كما أكد هذا البعض أن
الحرب القائمة ضده ان هي الا حرب ظالمة منافية للحق الالهي .
وما هي الا ذريعة يتذرّع بها البعض للدفاع عن مشروع عدواني ،
ومن ثم غنى رأيهم أن الرب العالم بأسرار القلوب ، المطلع على ما في
الصدائر قد قبض عنا رحمته ولم ينهيء لنا النجاح في خطتنا
الظالمة .

ويقال ان « جيلبرت الأسالى » رئيس الاسبتارية بالقدس كان اكبر المؤيدين - ان لم يكن هو المخطط الأول - لهذه الحملة الكريهة، وكان « جيلبرت » رجلا طموحا سعى اليد ولكن لا يقر له قرار ولا يثبت على رأى ، وانه بعد استنفاده جميع احوال الاسبتارية اقترض مالا كبيرا صرفه كله على الفرسان الذين جمعهم عن كل ناحية ، وبهذا تراكمت الديون على طائفته تراكما أثقل كاهها حتى لم تعد هناك أى امكانية فى اقامتها من عثرتها والنزوح بها من كروتيا ، وحمله الناس على التنحى عن وظيفته فى رئاسة الاسبتارية فخلعها حثقة بديون تبلغ مائة الف قطعة ذهبية ، ويقال انه صرف كل تلك المبالغ الضخمة على أساس تفاهه مع الملك على أن تصبح بلبس التى كانت تعرف قديما ببلوزيوم بكل ماحولها من الأراضى ملكا دائما لهذه المنظمة وذلك حين يتم للملك فتح مصر واخضاعها .

أما فرسان الهيكل فنهجوا عكس هذا المنهج تماما إذ رغبوا أن يساهموا فى هذه الحملة ، وربما كان مرجع ذلك عندهم أنها كانت حملة مخالفة لما تمليه عليهم ضمائرهم ، أو لأن رئيس المنظمة المناهضة لهم كان كما يظهر هو المخطط لهذا المشروع ومنفذ ، ومن هنا كان رفض الداوية مرافقة الملك أو امداده بقوات عن عندهم ، ذلك أنهم رأوا أن اعلان الحرب على بلد صديق لنا يثق فى صدق يميننا انما هو عمل خاطئ ومخالف لنصوص الاتفاقية ، وفيه تحد للحق والعدالة ، لأن مصر ظلت رفية مخلصه لما أبرمته معنا ، ومن ثم فهي لا تستحق مثل هذه المعاملة .

- ٦ -

أتم الملك كل استعداداته وجمع كل ما يحتاجه للحرب ، ولذلك فانه ما كان يبدأ شهر أكتوبر من السنة الخامسة من حكمه حتى كان قد حشد قوات المملكة لازحف على مصر ، وبعد مسيرة استغرقت

عشرة أيام عبر الصحراء الفاصلة وصل الى بلبيس حيث شرع فى الحال فى القيام بعمليات الحصار واستطاع فى مدى ثلاثة أيام ان يشق طريقه بالسيف فيما فاستولى عليها بالحرب ، فلما كان الثالث من نوفمبر كان عسكره قد ملكوا المدينة تماما .

ما كاد يتم الاستيلاء على المكان حتى حكم الملك السيف فى رقاب الكثيرين من الأهالى دون مراعاة لعمر أو جنس ، قاما الذين شاء القدر لهم النجاة من الموت فقد كتب عليهم ان يفقدوا حريتهم وان يقعوا فى ريقة الأسر البخىض وهو أمر يراء الشرفاء أقبح من أى صورة من صور الموت ، وكان من بين كبار الأسرى فى بلبيس ومن أصحاب المكانة الرفيعة فففيها محبى الدين(١١) ابن السلطان ، وكذلك احد أبناء أخوة الأخير ، وكانا مسئولين عن المدينة وقيادة القوات الموجودة هناك .

ما كاد باب المدينة يفتح حتى اندفعت منه القوات فعم الهرج واختلط الحابل بالنابل ولم تراع حرمة أى شىء فتوغل العسكر فى البلد حتى اقصى نواحيه ، واقتحموا البيوت الخاصة وجعلوا الأصفاذ فى أيدي كل اللاتئين بها الذين ظنوا انهم ناجون اذ اعتصموا بها فخانهم ظنهم واقتيدوا الى الموت الشنيع ، وعرضوا على السيف فى الحال جميع الذكور الذين هم فى مقتبل العمر القادرين على حمل السلاح ، وقل ان نجا من بطشهم الشيوخ ولا الأطفال ، ولم يهتموا كثيرا بالعادة البسطاء ، وغنموا كل ما رغبوا فى غنيمته ، وقسمت بالقرعة باعتبارها اسلأبا .

لم يدرك السلطان ماذا يفعل حين وافته انباء هذه الانتهاكات . وتحير لا يدرك أى الطرق يسلك ، ثم أخذ الأمور بقدر ما يسمح له الوقت والظروف المحيطة به ، ولم يعد يدرك أىحمد الى تهدئة دائرة

الملك بتقديم مبلغ من المال اليه ، أم تراه يلتزم من الزعماء المجاورين ممن على دينه المجيء لمساعدته طوعا أو مাজورين ، فحينئذ في النهاية أن الأمر يتطلب اجراء سريعا فغزم في الحال على أن يسلك الطريقين معا في آن واحدة ، ومن ثم أرسل سفارة الى نور الدين تسأله النجدة فاستجاب له نور الدين واستدعى اليه شيركوه الذي أشرنا اليه من قبل وعهد اليه بقيادة طائفة من الجيش وأيده بالكثير من كبار خاصته ليشاركوه تبعة الأمر ثم أمر بتجهيز الذخيرة اللازمة للزحف ، وأعد عددا كبيرا من الابل لحمل المتاع وبعث بالحملة الى مصر .

- ٧ -

بعد أن فرغ الملك من تدميره بلبيس زحف بكل عسكره نحو القاهرة في بطاء شديد فلم يقطع في عشرة أيام الا ما يستغرق يوما واحدا فقط ، فلما بلغ غاية زحفه نصب معسكره أمام القاهرة وأعد آلات القتال ، ومدت الستائر المجدولة من الحبال ، ووضع كلما يمكن أن يجدي في عمليات الحصار ، وكانت هذه الاستعدادات المقامة وراء الأسوار تنبئ عن هجوم وشيك الوقوع مما أوقع الفزع في القلوب ورفضت هلمنا ، وقد أصبح شبح الهلاك يهدد الناس .

وقال الواقفون على بواطن الأمور ، العارفون بما وراء أفعال الملك هذه أنه تلكأ في الهجوم عن قصد حتى تتوفر للسلطان (شاور) فسحة طويلة من الوقت فيقدم المال الذي يحمل العسكر على الانسحاب ، أي أن الهدف الذي يسمى اليه الملك هو أن يبتز المال من السلطان ، وقال هؤلاء الناس انه كان يفضل أن يأخذ رشوة كبيرة فيذهب سحب بدلا عن أن يدع هذه المدينة نهبا لعصابات قومه كما حدث في بلبيس ، وسنفصل شرح هذه الحقيقة فيما بعد . ولقد حاول السلطان خلال هذه الفترة بثمته الطرق التقرب الى عموري عن طريق رجال من

خاصة أهل بيته هو ذاته ومن خاصة أقارب الملك نفسه ، ولم يدع
أى وسيلة مهما بلغت من المكر إلا اصطفتها فنجحت عروضه فى
النباية فى التأثير على الملك الذى كان شرها كل الشراة فى حيد
للمال .

كان المبلغ الذى وعد به شاور كبيرا جدا قل أن تكفى جميع
موارد المملكة (١٢) للوفاء به حتى ولو أضيف اليه ما يمكن استخلاصه
من كل بلادها ، أن يقال أنه وعد بدفع مليونى قطعة ذهبية لذك أسر
ولده وابن أخيه وانسحاب القوات الصليبية الى ديارها ، ولقد كشف
القناع فيما بعد أنه قدم هذا العرض وهو يدرك أن ليس فى
قدرته سدائه ، لكنه عرضه لا لشيء إلا لكي يحتم الملك من
الزحف الفجائى على مدينة القاهرة التى لم تكن على استعداد مطلقا
للمقاومة مما يجعل الاستيلاء عليها أمرا يسيرا أن هى فوجئت
بالغارة تشن عليها أن كانت تعوزها وسائل الدفاع .

ويعتقد الذين كانوا موجودين أن ذاك أنه كان من الممكن حدوث
هذا الأمر (١٢) لو أن جيشا كان قد تقدم الى القاهرة فى أعقاب
استيلاء الملك على بلبيس ، فقد كان المصريون حينذاك فى الواقع فى
أشد حالات الفزع ونزل عليهم خبر المذبحة التى حدثت حذق قريبا
نزول الصاعقة ، وأفزعتهم النكبة التى لم تكن متوقعة أشد الفزع ،
وكان هذا رأيا محتملا كل الاحتمال لأن سكان القاهرة كانوا قد
استنابوا للتراخى لطول البلينية التى كانوا يتقلبون فى أعطافها ،
ولأن أعداد الدخان كانت لاتزال تتصاعد فى الناحية المجاورة ، وكانوا
هم أنفسهم حزائى على هلاك أصحاب لهم لا يحسبهم العد ، وعلى
ذلك فقد كان متوقعا فى هذه الظروف أن تفرقهم شجاعتهم وترث
حيال صمودهم خوفا من أن يلاقوا المصير الذى لقيه الآخرون .

هكذا كان الوضع في نواحي القاهرة .

ثم وصل في هذا الوقت الأسطول الذي كان الملك عند مغادرته المملكة (١٤) قد أمر أن يبحر بأقصى سرعة ، وكانت الرياح طيبة ، ودخل النيل من فرع المعروف بالفرع « الكاريبي » ، واستولت القوات البحرية في لحظتها على « تنيس » (١٥) وهي مدينة موزلة في القدم وتقع على شاطئ النهر وسلمتها إلى العسكر لينهبوها ويسلبوها ، ثم حاول الأسطول المضى قدما لينضم إلى الملك ولكن المصريين سدوا عليه النيل بقواربهم وأغلقوا كل طريق للعبور فيه ، واذ ذاك بعث الملك بهمفري صاحب ثورون مع طائفة منتقاة من الفرسان لاحتلال الشاطئ الآخر من النهر أن أمكنهم احتلاله عسى أن يظل هناك منقذ ولي واحد على هذا الجانب مفتوحا أمام المغير ، ويبدو أنه كان في مقدور همفري ورجاله انجاز هذا العمل من غير شقة لولا انطلاق شائعة في هذا الوقت بالذات تشير إلى اقتراب شيركوه جنهم مما اضطرهم لتغيير خططهم ، فصدر الأمر للأسطول بأن يخرج إلى البحر في الحال ويكر راجعا إلى دياره فاطاع الأسطول الأمر الصادر إليه ، غير أن واحدة من شوانيه ضاعت بسبب عيم اتخاذ الحذر الواجب اتخاذه .

لم يكف السلطان (شاور) وقومه في الوقت ذاته عن بذل كل جهدهم لإخراج الملك من بلادهم ، ولقد تم لهم بالحيلة ما عجزت القوة عن الاضطلاع به ، واستعاضوا عن ضعف قواتهم بركوبهم إلى أساليب المكر ، ذلك أنهم ما كادوا يعدونهم بالمال حتى طالبوا بإطالة فترة السماح التي يدفعونه فيها لهم ، وكانت حاجتهم في طلبهم هذا أن مثل هذا القدر الكبير من المال لا يستطيع توفيره من مصدر واحد ، ومن ثم فلابد لهم من فترة أطول قبل وضع الاتفاق موضع التنفيذ ،

وان لم يمنعهم ذلك من أن يدفعوا فى الحال مائة ألف قطعة ذهبية لقاء إطلاق سراح ابن السلطان وابن أخيه ، ثم قدم شاور رهائن «عما تبقى من المال فكانت الرهائن ولدى أخيه الصفييرين ، وكانا شابين .

حينذاك رفع الملك الحصار وسحب قواته الى موضع أبعد من موضعه هذا بما يقرب من ميل ضرب عنده معسكره على مقربة من حديقة شجر البلسم حيث بقى العسكر مرابطين هنا لمدة ثمانية أيام تسلم الملك خلالها من السلطان رسائل كثيرة ، ولكنها غير مرضية ، وانتهى به الأمر أخيرا الى نقل معسكره ثانية الى موضع يعرف بسرياقوس (١٦) .

كان السلطان فى هذه الأثناء يبعث برسله الى كافة أرجاء البلاد فى التماس المساعدة ، فاستطاع أن يجمع كل ما أمكن جمعه من السلاح ، ثم طلب المساعدة ممن حوله ، كما أمر بتزويد القاهرة بكل مواد الاعاشة ، وقام بنوبات يتفقد فيها المدينة وراح يعمل على تقوية كل المواضع الضعيفة فى التحصينات ويتدبر كل طريقة للمقاومة واستطاع بكلماته القوية أن يدعى شعبه للحرب حفاظا على انفسهم وصونا لحريتهم ودفاعا عن حريمهم وذودا عن ابنائهم ، ووضع أمام أعينهم صورة حية للنكبة التى نزلت بمدينة مجاورة لهم ، ووصف لهم مرارة الأسر وفظاظة الوقوع فى نير الغالب وهى فظاظة لا تحتمل ، بالاضافة الى سوء حالة من فى القيود .

- ٩ -

كان فى جيش الملك شخص من أسرة شريفة ولكنه لثيم الخلق خسيس الطبع لايرعى فى الله الا ولا ذمة ولا يوقر أحدا ، واسمه «ميلون دى بلانسى» قدخلع برقع الحياء ، وكان ميالا للمخاصمة

مغتابا ، باوعا كل البراعة فى اثاره المشاكل ، ولما كان يعرف تمام المعرفة شراة الملك للمال فقد عمل على تغذية جشعه بدلا من أن يقدم له العظة الحسنة والنصيحة الطيبة ، فدأب منذ البداية على اغرائه بتكريس كل جهوده نحو هدف واحد هو أن يبتز من المملكة المصرية المبلغ الذى ذكرناه من قبل ، ثم يعقد بعد ذلك اتفاقا مع السلطان والذليفة بدلا من محاولته الاستيلاء على القاهرة وبابلليون بعد السيف ، ويقال انه فعل ذلك عن ايمان منه باستحالة أخذ المدينة عنوة بل رجاء فى أن يخذع الفرسان وغيرهم ممن كانوا يتحرقون لأخذ الغنائم ، ومن ثم يحيل كل ما تتمخص عنه هذه الصمسة العظيمة الى مال ينصب فى الخزانة الملكية ، اذ جرت العادة أنه اذا فتحت مدينة من المدن فى بلد ما فان الغنائم والأسلاب التى تقع فى حوزة الجيش تكون أكبر مما لو أن هذا البلد استسلم مباشرة للملك أو الأمير تبعا لمشروط اتفاقية لا يستفيد منها سوى السيد وحده .

ففى الحالة الأولى فان سنة الحرب تتيح لكل جنسدى أن يستحوذ على كل ما تضعه الصدفة فى طريقه وبذلك يتضخم ما يملكه الجندى المنتصر ، أما فى الحالة الثانية فان النفع كله يعود على الملك وبذلك ينصب كل ما يتحصل عليه بهذه الطريقة فى خزينة الملك وحده ، وعلى الرغم مما يبدو من أن كل ما يزيد فى ثروة الملك وأصحاب المكانة العليا يعود بالنفع غير المباشر على رعاياهم الا أن الانسان يسعى على الدوام فى اصرار الى الحصول على مكاسب تؤدى الى زيادة ما يملكه .

ولقد أدى هذا الأمر المتناقض الى مشاحنات خطيرة ، الا أن الأغلبية طالبت أن يكون السيف هو الفاصل وأن يكون كل شىء نبيا مباحا ، لكن الملك ومن حوله رفضوا هذا الرأى وكانت لهم الغلبة فى النهاية وتحقق ما أرادوه .

وبينما كان الجيش معسكرا فى القرية التى ذكرناها من قبل
التى تبعد عن القاهرة خمسة أميال أوستة كان هناك سبيل لا ينقطع
من الرسل يتردد بين الجانبين ، ولم يكف السلطان عن إرسال
حايكيد بأنه غير مدخر جيدا فى جمع المبلغ الذى وعد به ، والتوسل
الى الملك فى الوقت ذاته بأن لا يضيق ذرعا بالتأخير ، ولكن عليه
أن يتمسك بالصبر ، كما نصحه ألا يزيد من اقترابه من المدينة حتى
لا يتسرب الخوف الى الخليفة والناس الذين كانوا مطمئنين كل
الاطمئنان الى اتفاقية الصلح التى أبرمت منذ قليل ، ولقد نجح
شاور بهذه الآمال الكاذبة فى استغلال سلامة طرية الصليبيين
فنبذوا ظهريا النصيحة الحق ولم يستمعوا الى التحذيرات الأخرى
الصادقة التى اقترحها عليهم آخرون وكانت خيرا مما اقترحه
شاور .

لكن حدث أن شاعت الشائعة فجأة بأن شيركوه على مقربة
منهم وأنه على رأس جيش من التركمان لا يحصىه العد ، فما أن
طرق هذا النبا سمع الملك حتى قرض خياله وجمع عتاعه وأثقاله
وعاد الى بلبيس حيث جهز نفسه قريبا بما يستلزمه الزحف من مواد
ضرورية ، ثم عهد بحماية المدينة الى قوة من الخيالة والفرسان ،
وزحف يوم ٢٥ ديسمبر عبر الصحراء ضد شيركوه ، فلما تقدم
بعض الشيء غى الفيافى وإغاء الكثافة الموثوق بهم العارفون
بالذخيرة تمام المعرفة بأن شيركوه قد عبر النيل بعسكره ، فاضطره
هذا الخبر الى أن يغير خطته ، وأذ كانت قوة العدو لابد وأن
تتضاعف بهذه الاحتمالات فقد أدرك الملك مدى الضرر الجسيم الذى
يلحق به ان هو تروث أكثر من ذلك ، ولكنه رأى فى الوقت نفسه أن
الاشتباك فى القتال ضد شيركوه ليس بمأمون العاقبة عليه ، كما
أن السلطان (شاور) لم يظهر عنه ما يفيد التزامه بالاتفاقية ، ولم
نكن نحن بقادرين بحال من الأحوال أن نفعل ذلك ، وقد استطاع

شاوور بسياسة الماطلة الذكية الدقيقة أن يعطيل في أهد الموقف مما أتاح للترك أن يقتربوا ولم يعد أمامنا مندوحة من الرحيل ، وعادت القوات الى بلبيس حيث انضمت اليها الكتيبة التي كانت ياقية بها لحراستها ، فلما أطل اليوم الثاني من يناير أخذ الجيش الصليبي طريقه عائدا الى فلسطين .

- ١٠ -

شعر شيركوه في هذا الوقت أن الوقت قد حان لتنفيذ غرضه إذ لم يعد أى عائق بينه وبين تحقيق رغباته مادام الملك قد رحل ، وإن ذلك أمر بوضع خططه التي أعدها موضع التنفيذ فنصب معسكره قبالة القاهرة حتى يبدو وكأن عودته ليست تنطوى على قصد عدواني ، وبدت حكمته فى تمسكه بالصبر فبقى حيث هو بضعة أيام لم يبد خلالها أى مظهر يدل على ما يضره من شعور معاد أو نية سوء ، وهكذا استطاع بمكره الذى لا يجارى أن يخفى هدفه الحقيقى حتى أن السلطان شاوور كان يعضى كل يوم مع رهط كبير من أتباعه لزيارته فى معسكره ثم يعود الى المدينة بعد أدائه التحية المألوفة ، وبعد أن يصله بالهدايا العظيمة .

كان الأمن الذى يصاحب هذه الزيارات المتتالية يوحى بالأمل فى أن يسفر الأمر عن غد أفضل ، وزاد من اطمئنانه ما كان يلقاه عن شيركوه من حسن الاستقبال واستمر ذلك أياما عديدة ، لكن وأسفاه . . لقد خدعه هذا الأمان المصطنع فوثق كل الثقة بحسن نية الترك واطمان اليهم حين أخذه شيركوه - وهو سيد المتأمرين - على غرة منه ومن حيث لا يحتسب ، وأصدر أوامره سرا الى أعوانه أنهم اذا رأود خارجا بنفسه فجر اليوم التالى كعادته فى الذهاب الى الشاطئ فى الوقت الذى اعتاد السلطان المصرى

شاور زيارته فيه كل يوم ٠٠٠ اقول انه اسر الى أعوانه ان راوا ذلك أن يثبوا على شاور ويفتكوا به ٠ ومن ثم فانه ما كاد شاور يمضى الى معسكر شيركوه فى الساعة التى اعتادها لتحيته حتى وثب عليه رسل الموت تنفيذاً للأوامر الصادرة اليهم من شيركوه وطرحوه أرضاً وأنهلوا عليه طعناً وفصلوا رأسه عن جسده (١٧) ٠

شاهد أولاد شاور مصرع أبيهم بأعينهم وسرعان ما امتلأوا جيادهم وأسرعوا نحو القاهرة ومثلوا أمام الخليفة وركعوا أمامه يلتمسون منه الحفاظ على أرواحهم ،ويقال أنه وعدمه بالحياة ان هم قطعوا كل اتصال سرى بالترك فوعده أن يستجيبوا لما طلبه ، لكنهم ما لبثوا أن نقضوا عهدهم حيث أرسلوا الرسل فى الخفاء الى شيركوه يفاوضونه فى الصلح ، فلما علم الخليفة بذلك أمر بقتلهم فقتلوا بالسيف ٠

كان الملك (عمورى) حينذاك قد غادر البلاد كذا غادر شاور هو الآخر الدنيا ، فوقع ذلك كله موقع الغبطة من نفس شيركوه اذ تحققت رغباته ودانت له المملكة فزار الخليفة لأداء فروض الاحترام ٠

واستقبله الخليفة أجل استقبال وخلع عليه منصب السلطنة ٠ وهكذا أصبح شيركوه سيد مصر كلها ، وصارت له القوة بفضل السيف ٠

فيالجشع الرجال الأعمى الذى هو أشد وانكى من كل جريعة نكراء !! ٠٠ وياالخصاسة القلب الشره الطامع !!

لكم تدفعنا الرغبة الجامحة فى التملك حينتسيطر علينا الى حال من الفوضى ،وتنزع منا الهدوء لتلقينا فى ظلام القلق !!
لقد كانت جميع مصادر مصر وثروتها الضخمة كافية لسد

حاجاتنا ، وكانت حدود مملكتنا معها آمنة مطمئنة ، ولم يكن هناك من عدو نخشاه من الناحية الجنوبية ، كما كان البحر يعتبر ممرا آمنا يرفرف عليه السلام لمن يسعون للمجىء إلينا ، وكان قومنا يدخلون أرض حصر آمنين غير خائفين ، مطمئنين في استبضاعهم ومقاجرتهم ، كما أن المصريين كانوا من جانبهم يجلبون إلى الملكة (١٨) الثروات الأجنبية والبضائع الغريبة التي لم تكن نعرفها من قبل ، وكان مقدمهم مقدم خير وسعادة لنا ، وزيادة على ذلك فإن ما يصرفونه من الأموال الطائلة بيننا كل عام كان يملأ خزائننا ويزيد من دخل كل شخص ، أما الآن فقد انقلب الحال رأسا على عقب وتغير كل شيء إلى ما هو أسوأ « كيف أكرر الذهب » تغير الإبريز الجيد « (١٩) » وما قد صدر « عودى للمنوح ، وهزم أرى لصديت الباكين » (٢٠) .

اننى حينما قلبت ناظرى لم أر الا ما يدعو للغزع والاضطراب فلم يعد البحر كما كان من قبل معبرا آمنا ، وأصبحت جميع الأراضي التي حولنا تخضع للعدو ، وشرعت الممالك المجاورة لنا تتأهب للقضاء علينا ومحونا من الوجود .

ان جشع رجل واحد جلب علينا كل هذه البلايا ، كما ان طمعه الذي هو أس جميع الشرور قد عكر صفو سمائنا ، وهو صفو كانت تظللنا به العناية الربانية من قبل .

لكن دعونا نقابح قصتنا .

لقد لقي السالطان (شاور) وولاداه مصرعهم الذي لم يكونوا يستحقونه بسبب سلوكنا المعوج ، واذ ذاك آلت السلطة العليا في مصر إلى يد شيركوه غراح يحكم حسب هواه ، لكن لم يقدر له ان ينعم طويلا بهذه المكانة الرفيعة ، فلم يكد يقيم فيها بعض السنة حتى فارق هذه الدنيا بكل ما فيها (٢١) .

ما أن مات شيركوه حتى تولى الأمر من بعده السلطان صلاح الدين وهو ابن أخيه نجم الدين ، وكان هذا الحاكم الجديد رجلا شديد الذكاء ، وبطلا مغوارا في الهيجاء ، ومعطاء إلى أقصى حدود العطاء ، ويقال أنه في سستهل حكمه (وقد زار الخليفة ليؤدى واجب الولاء المفروض له عليه) ضرب مولاة بصولجان في يده ضربة جندلته أرضا فقتله ، ثم حكم السيف في جميع أولاد الخليفة حتى لا يكون ثم سلطان فوق سلطانه ، وحتى ينفرد هو بالحكم خليفة وسلطانا في آن واحد . ولما كان المصريون ينظرون بعين الكراهية للترك فقد خشي صلاح الدين أن يأتي يوم يكون فيه بحضرة مولاة الخليفة قيام الخليفة بقتله ، لذلك احتاط للأمر كل الاحتياط وأعد الحدة لاحباط قصد كيدا القصد ، فأمضى في الخليفة ما كان هذا الخليفة كما قيل يعتزم امضاءه فيه هواته كوزير له (٢٢) .

ولما مات الخليفة استولى صلاح الدين لنفسه على بيت المال وعلى جميع الخزائن الخليفية وساس كل شيء وفق هواه ، وبسط يده كل البسط لاسيما على خاصة جنده ، فلم تمض أيام قلائل حتى كانت جميع الخزائن خاوية مما اضطره للاقتراض من الآخرين والاستدانة وتراكت الديون (٢٣) عليه حتى أثقلت كاهله .

على أنه يقال أن بعض أبناء الخليفة الراحل نجوا سرا على يد رجال أخلصوا نيتهم لأبيهم الخليفة ، وقد رادوا من وراء ذلك أنه إذ أتيح للمصريين استرداد سملطتهم على الحكومة وجدوا في واحد من هؤلاء الناجين الوريث الذي يحمل اسم الخليفة ويتولى مكانه وتجرى في عروقه نفس دمائه .

بعد عودة الملك الى مملكته لم يجد شيء ذوبال خلال الفترة الأولى من تلك السنة سوى وفاة « رينيروس » *Raznerus* أسقف اللد الطيب الذكر ، وثولى « برنارد » رئيس دير جبل الطور مكانه .

فلما كان الربيع القالى الذى هو عسقل السنة السادسة من حكم عمورى أدرك عقلاء المملكة أن خضوع مصر للفرك كان ضربة اليمة وجهت اليها ، وأن موقفنا أصبح من الناحية العملية أسوأ مما كان عليه ، فقد استطاع نور الدين - أشد خصومنا لدادة لنا - بخروجه من مصر بأسطوله الضخم أن يحاصرنا بصورة فعلية وأصبح فى قدرته حصار جميع المدن الساحلية برا وبحرا بجيشيه ، وزاد من خوفنا أنه أصبح قادرا على قطع الطريق على الحجاج ومنعهم من الجىء اليها ، بل والأ يأتى لهم بالسير بتاتا ، لذلك رؤى أن الظروف المحيطة بنا تفرض إرسال سفارة من كبار رجال الكنيسة البارزين الى أمراء الغرب ليفصلوا لهم تفصيلا وافيا الأحوال المفجعة التى تمر بها المملكة ، وما ابتلى به الشعب المسيحى من بلوى قاتحة ، ويصوروا لهم المصائب التى تهدد اخوانهم ، واتفق الاجماع على أن تناط هذه السفارة الى الموقرين « هرنيسىوس » *Hernesius* رئيس أساقفة قيصرية ووليم أسقف عكا ، وكانا على جانب من الرأى المصيب والبلاغة ، فقوبل اختيارهما بالرضا من الجميع فأبحرا مزودين برسائل من الملك وعن جميع الأساقفة الى كل من « فردريك » امبراطور الرومان ولويس ملك الفرنجة ، وهنرى ملك الانجليز ، ووليم ملك صقلية ، وكذلك الى الكونتات الافاضل فيليب كونت فلاندرز ، وهنرى كونت تروى ، وذيوبولد الثانى كونت شارترز ، أو بمعنى أدق الى جميع كبار رجال الغرب .

على أنه حدث في الليلة التالية لإبحارهما أن هبت فجأة عاصفة عاتية وراحت سفينتهم تتأرجح ذات اليمين وذات الشمال وتتقاذفها الأمواج هنا وهناك ، وتحطمت مجساديفها ، وتمزقت أشرعتها ، فعاد المبعوثان بعد ثلاثة أيام فزعين أشد الفزع وقد كتبت لهما النجاة بعد يأس من النجاة إذ لم يكونا من الشرقي . وعن ثم جهزت سفارة ثانية بدل الأولى تتألف من فردريك رئيس أساقفة حمور الذي قبل القيام بها بعد الحاح وتوسل من الملك والنبل ، كما انضم إليه أسقف بانياس وكبير رجال هذه الكنيسة وهو « جون » فسافر الاثنان وحالفيهما حسن الطالع قبلنا وجهنهما سالمين بعد رحلة مرقة ، لكنهما لم يدرزا توغيفا كبيرا في المهمة التي وكلت اليهما ، وقد مات الأسقف في باريس في أعقاب وصولهما إلى فرنسا ، أما رئيس الأساقفة فقد عاد بعد عامين من بقائه في الخارج دون أن يدرز شيئا من النجاح .

- ١٣ -

وانتهى الصيف دون حدوث شيء ذي بال يستحق الذكر .

فلما كان مستهل الخريف التالي أرسل الامبراطور (مانويل) - المهتم بتنفيذ اتفاقه - الأسطول الذي وعد به وفاء للمعاهدة التي كان قد أبرمها مع الملك باقتراح ورغبة منا (٢٤) ، وأنه لمحمود كل الحمد من هذه الناحية فقد نفذ الاتفاق تنفيذا دقيقا وبعظمة الامبراطور بل أنه كان بذلك قد أوفى بأكثر مما كان قد وعد به .

كانت هذه القوة البحرية (البيزنطية) تتألف من مائة وخمسين سفينة حربية مجهزة بالحرايب وصفيين من الجاديف وتعرف هذه السفن بالشسرونيات وقد صنعت للقتال على وجه الخصوص .

وكان هناك الى جانب هذه الشوانى ستون سفينة من السفن الكبيرة المسلحة على أحسن صورة وكانت معدة لنقل الجياد ومجهزة بمناذير واسعة فى مؤخرتها ليسهل شحنها بالخيول وانزالها منها ، كما كانت بها جسور يمكن للرجال والخيول على السواء الصعود عليها أو النزول منها الى اليابسة ، كما كان هذا الأسطول يتضمن فيما يتضمن عشر قوارب أو عشرين من القوارب الكبيرة الحجم المعروفة بالدرامين (٢٥) المعدة لحمل شتى أنواع الميرة ، وكانت هذه السفن فى الأخرى تحمل كثيرا من صنوف السلاح زيادة عن معدات الحرب وآلات القتال .

وجعل الامبراطور قيادة هذا الأسطول العامة فى يد واحد من كبار اشرافه وذوى قرباه هو النوب الكبير « الكسيوس كونستقائوس » ، وأردفه بنزيل آخر اسمه « موريس » كان أثيرا عند مولده الامبراطور وموضع ثقته ، كما كان مانويل يعتمد على خبرة هذا الرجل اعتمادا كبيرا كما يستدل على ذلك مما حدث فيما بعد من أنه وكل الى « موريس » هذا النظر فى جميع شئون الامبراطورية .

كذلك أشرك الامبراطور معهما فى القيادة اسكندر كونت كونفرسانا وهو من اشراف أبوليا ، وكان الامبراطور يخصه بصافى وده لما كان يظهره الكونت من التعطى الصادق به .

هكذا عهد الامبراطور الى هؤلاء الثلاثة الكبار بقيادة العسكر الانبراطورى حين أرسله الى جزئنا هذا من الشرق ، فلما قارب شهر سبتمبر على الانصرام دخل الأسطول ميناء صوور بعد رحلة لازمة الترفيق فيها ، ثم تابع ابغارده الى عكا حيث ألقى مراسديه فى ناحية دارنة بين النهر والميناء .

ولما كانت سنة ١١٦٩ من ميلاد المسيح وهى السنة الثامنة
والستون من تحرير مدينة القدس والسنة السادسة من حكم الملك
عمرى قام الملك بتنظيم شئون مملكته ، وخلف بها طائفة من
الفرسان بعد أن عهد إليهم بالقيام خلال غيبته بحماية المملكة عن
تعديات ومطامع نور الدين الذى كان لا يزال يتحرك فى أرض دمشق ،
كما أنه أمر المحاربين من اللاتين والاغريق بالتجمع فى عسقلان فى
الخامس عشر من أكتوبر . وكان الأسطول قد أبحر من ميناء عكا
قبل ذلك ببضعة أيام قاصدا الديار المصرية .

وتحرك الجيش يوم ١٦ أكتوبر (٢٦) ، واتسم سيره بالحركة
البطيئة وعلى حبل حتى يتجنب خيائته الاجساد الذى لا مبرر له ،
وتقدم العسكر فى يسر بضعة مراحل وكثر استفادتهم من مواضع
الثوقف التى لا ينقصها الماء حتى بلغوا مدينة الفرما القديمة فى
اليوم التاسع (من زحفهم) وأرادوا أن يسلكوا الطريق الساحلى .
ولكن جد جديد فرض عليهم أن يسلكوا الطريق الداخلى رغم طوله
فقد انفجرت بعض السدود الموجودة بين السهل والبحر المجاور
من جراء استمرار ضرب الأمواج لها فشقت المياه لنفسها طريقا
عبر الحواجز المواجهة لهذه السدود ، فلما لم تجد ما يصدها تدفقت
فاغرقت الطريق ثم اجتاحت السهل الواقع فى الخلف ، وتكونت فى
بادىء الأمر بركة صغيرة مالم يثبت أن اتسعت اتساعا كبيرا وفاضت
حتى اتصلت بالبحر الذى جلب إليها كميات ضخمة من الأسماك ،
ثم جاءت عقادير كبيرة منه لم يكن يدور بخلاف أحد من قبل أن يأتى
عقليا . ولم يقتصر نفعه على المدينة القريبة فحصب بل جاوزها حتى
بلغ الأماكن النائية . .

ولما كان البحر قد أغرق القطر على طول الساحل فإن
السافرين الذين كانوا يعتزمون الذهاب الى مصر عبر الطريق
الساحلى وجدوا أنفسهم مضطرين أن يزيدوا فى سفرهم عشرة أميال
أو أكثر يدورون فيها حول هذه البركة قبل أن يصلوا ثانية الى
الطريق .

ولقد أوردنا هذه التفاصيل لجدة هذا الحادث العجيب ، ولأن
استمرار طغيان البحر جعل هذا الاقليم الصحراوى مغطى بالمياه
كما كثر تردد أصحاب القوارب اليه بعد أن كان من قبل اقليما
معرضا لحرارة الشمس المحرقة .

ولما أصبح هذا الاقليم الآن غزير الانتاج فقدماتلاً بشبابك
الصيادين وأخرجوا منه مالم يكونوا يعرفونه من قبل .

أما مدينة الفرم (٢٧) التى أشرنا اليها من قبل فخالية الآن
من السكان بعد أن كانت فى القديم غاصة بهم ، وهى تقع على
مشاريف الصحراء قرب الفرع الكاريبى أول فروع النيل الذى تصب
مياهه فى البحر (الأبيض المتوسط) ، ومن ثم فهى واقعة بين النهر
والبحر والصحراء ، كما أنها على مسافة ثلاثة أميال من مصب
النيل .

وحين بلغ جيشنا الفرم وجد الأسطول قد سبقه منذ قليل
فجاء المسكر فى الحال بمن يحتاجون اليهم من المجدفين ، وتم نقل
الجيش بأكمله الى الضفة الأخرى بعد أن جعلوا تنيس على يسارهم ،
وكانت « تنيس » فى الزمن الخابر مدينة عظيمة ، أما الآن فانها
لا تعدى أن تكون قرية صغيرة ، ومن هنا تابع الجيش زحفه قدما
مسافة تقرب من عشرين ميلا عبر طريق واقع بين أحد المستنقعات
وبين الشاطئ حتى أفضى به الزحف بعد مسيرة يومين الى
محيط .

وتعتبر دمياط واحدة من أقدم مدن مصر وأعظمها ذكرا ،
وهى واقعة على شاطئ النيل كما أنها أقرب ما تكون إلينا عند
النقطة التى يصب فيها النيل فى البحر عبر فرعه الثانى الذى
يبعد عنها مسافة حيل واحد ، ولقد بلغ جيشنا دمياط يوم السابع
والعشرين من أكتوبر وعسكر فى موضع بين المينة والبحر فى
انتظار وصول الأسطول (البيزنطى) الذى حل هياج البحار
والرياح المضادة دون وصوله ، وظل الحال على هذا المذوال ثلاثة
أيام انكسرت بعدها حدة الأمواج فاغتنم الأسطول حواتة الريح له
ودخل النهر وأرسى فى ميناء شديد الهدوء على الساحل فيما بين
المدينة والبحر .

وكان على الشاطئ الآخر برج عال يقف وحده شامخا قد
قام على حراسته حراسة يقظة طائفة كبيرة من الرجال المسلحين ،
وتحتد من هذا البرج الى المدينة سلسلة حديدية تقف سدا حنيئا
دون الوصول الى الناحية العلوية من النهر فكانت عبة كأداء فى
وجه قواتنا ، غير أن جميع السفن النازلة من القاهرة وبابلليون
استطاعت أن تمضى اليهم دون أى عائق ، فلما اتخذ الأسطول
مرضعه حرت القوات عبر البساتين والدقول الواقعة بين معسكرهم
وبين المدينة ذاتها ، وتصبت خيابها فى موضع كان أقرب ما يكون
الى دمياط التى كان الوصول الى أسوارها سهلا يسيرا ، غير أن
هذه القوات تريثت فى هجومها ثلاثة أيام ، وهنا علموا صدق المثل
القاتل « اذا تم اعداد كل شىء ففى التسوية الندامة » ، فقد قدم
من أعالي الصعيد بمصر جيش لا يحصىه العد من الترك ، كما
جاء الكثير من السفن المشحونة بالرجال المسلحين مما أرغم جيشنا
على الوقوف بلا حراك لا يستطيع عمل أى شىء فى الوقت الذى

يرى فيه المدينة التى كانت خالية تماما قد ازدهعت ازدهاما شديدا
وغصت بالمحاربين ، وسرعان ما تبين رجالنا استحالة الاستيلاء
على دميعة من غير الاستعانة بالآلات الحربية والعدد التى قرمى
بالمجنديق . هذا على الرغم من أن المدينة كانت تبدو حين وصول
الصليبيين ودى موشكة على الوقوع فى أيديهم عند أول هجوم
يشنونه عليها .

لذلك اختير العمال وجهزت المواد الملائمة واستطاعوا بعد
بذل المزيد من الجهد المشاق والعرق أن يقيموا برجاً عاليا ذا سبعة
طوابق يستطيع الناظر من أعلاه أن يرى المدينة بأكملها فى
وضوح .

كما نصبت آلات مختلفة الأنواع منها ما كان لرمى الأحجار
الضخمة لتلك الأسوار ، ومنها ما كان لحماية الذين يضعون الألغام
إذا كانوا يتخذون من هذه الآلات مخابىء تخفيهم عن العيون ولكنهم
يستطيعون الاقتراب من التحصينات فيحفرون أسفلها الأنفاق مما
يؤدى الى انييار الأسوار حيث لا يوجد تحتها ما يسندها .

فرغ رجالنا فى هذه الأثناء من تعبيد مدخل المدينة بصورة
تجعل الآلات التى تم بناؤها قادرة على الارتكاز على الأسوار ،
واستمر المحاربون الموجودون فى البرج المتحرك يواصلون ضغطهم
على المحصورين ويواصلون رميهم بوابل من السهام والأحجار من
غير انقطاع الى جانب الأسلحة الأخرى التى تسعفهم بها مساحة
المكان الضيق ، كما راح الذين فى آلات الرمي يطردون فى الوقت
ذاته بالصخور الضخمة ويتنافسون فى حماسة طاغية لتلك الأسوار
وعا جاورها من الدور .

فلما رأى أهل البلد محاولات الصليبيين هذه حاولوا مقابلة
الخدعة بالمثل ، وعملتهم رغبتهم فى مواجهة جهودنا بسا

يوازينا مكرًا على أن يشيدوا برجًا عاليًا في مواجهة برجنا
 وشحنوه بالرجال المسلحين الذين كان عليهم مقاومة محارلاتنا من
 آلة مشابهة للآلة التي عندنا . وردوا على هجماتنا بمثلها رداً مرئياً
 ورفضوا ألانهم إلى أعلى في مواجهة آلاتنا . ولم يبدخوا وسعاً في
 بذل ما فيه القضاء على جندنا ، وأسعفتهم حاجةهم في الدفاع عن
 أنفسهم فأهدتهم بالمهاورة ، كما أسعفتهم الظرف الطارئ الذي هم
 فيه بالقوة فازدادوا بأساً .

وأما الذين ظلوا حتى هذه اللحظة وهم يشعرون أنهم ليسوا
 قادرين على الصمود والمقاومة فقد أجبرتهم الحاجة الملحة إلى ابتداء
 خطط لم يكن يدور بالظن أنهم قادرين على ابتداء مثلها ، بل أن
 أغبى الناس فيهم راحوا يبتكرون من الوسائل ما يضمن لهم
 السلامة ، وعلمتهم التجربة القاسية صدق المثل القائل « الحاجة أم
 الاختراع » .

لكن في نفس اللحظة التي كان ينبغي على الصليبيين فيها أن
 يشددوا الحصار عن ذي قبل إذا بهم يبدون من الجبن وعدم
 الاكتراث الشيء الكبير . وينسب البعض هذا التغير السلوكي إلى
 الخيانة ، ويعزوه آخرون إلى التهاون واللامسئولية ، فقد وضح
 التراخي جلياً على رجالنا كما وضحت عليهم دلائل التكاسل ، كذلك
 اتضح أن عن كانوا يتصرفون بروح تفصح عن الخيانة لأمانتهم
 أمروا بأسناد أحد الأبراج الحديثة البناء إلى السور وجعلوه في
 مكان شديد الانحدار ، وكان بهذا القسم من المدينة كثير من النواحي
 التي كانت الأسوار فيها أكثر انخفاضاً وأقل احتمالاً مما يتيسر معه
 الاستيلاء عليها وعلى هذا القسم ، لكنهم وضعوا البرج المتحرك
 في الناحية التي هي أضعف وأشد تحصيناً ، وهي ناحية تجعل
 وضع الآلات الحربية فيها أمراً شديد الصعوبة ، وزيادة على ذلك
 فإن التدمير الذي يقع من هذا الموضع لن يصيب أهل البلد ولا

مبانيهم ولكنه يصيب كنيسة أم الاله الطاهرة الواقعة لصق الأسوار مباشرة .

وليس من شك في أن الامتناع عن مهاجمة دمياط في أعقاب وصولنا الى هناك مباشرة انما كان صادرا عن نية فاسدة وقصد لنهم ، فقد كانت المدينة في الواقع حينذاك مجهزة تماما ليس فينا من أهلها سوى الضعاف المسالين الذين يجهلون جهلا تاما كل شيء عن الحرب وأساليبها ، فلو كان الصليبيون هاجموها هجوما عنيفا في الحال - وهو أمر كان ينبغي عليهم القيام به - لسقطت المدينة في أول هجوم عليها ، ولكن الذي جرى هو أنهم اتاحوا فرصة للمحصورين يلتقطون فيها أنفاسهم ، فكانت أعدادهم خلال ذلك تتزايد بكثرة بسبب توالى امدادهم بالمقاتلين الشجعان البواسل مما أسفر عن أنهم أصبحوا قادرين على مقاومة هجمائنا ليس فقط في داخل المدينة ذاتها ، بل وأيضا خارجها في ساحة القتال .

١٦ -

في هذا المنعطف من الأحداث الجارية حاق بالصليبيين خطب جديد أضيف الى الخطوب التي حافت بهم من قبل ، ذلك أن الاغريق الذين كانوا قد قدموا في أعداد كبيرة في الأسطول أخذوا الآن يكابدون النقص في الطعام فقد نفذ كل ما كان عندهم من الخبز حتى آخر لقمة منه ، ولم يعد لديهم في الواقع أي طعام يسدون به رقبتهم ، وحدث أن مزرعة من نخيل التمر قريبة من المعسكر اجتثت لاستعمالها في أمور أخرى ، فلما اجتثت انطلق الاغريق الجوعى يلتمسون القطم اللينة الصغيرة التي تنمو بالأطراف حيث تحترق الأغصان والتي تعد الفصون بالعصارة ، ولما كانت هذه الأجزاء صالحة للأكل فقد اتخذوها كنوع من الطعام رغم قفافة قيمتها

الغذائية ، لكنها كانت على أية حال تخفف قرصات الجوع الذى أدى بهؤلاء الناس الى الاجتهاد فى البحث عن شىء يأكلونه ، كما أن تليف البطون الخاوية أنكى مهبارة أصحابها فى الكشف عما يسد احتياجاتهم ، واقد ذلوا بضعة أيام يعيشون على هذا الطعام بينما تغلب غيرهم على جوعهم - وان كانوا أقل منهم حرمانا - بالشوفان والزبيب والقسطل .

أما الصليبيون فكان عندهم ما يكفيهم من الخبز وغيره من شتى صنوف الطعام ، وكانوا ينحرون جانبا بعضا مما فى أيديهم ويدخرونه خوفا أن تضربهم هم أيضا المجاعة . يضاف الى ذلك أنهم كانوا لا يدرون على وجه التدقيق كم سيطول مكثهم فى دمياط وان كانوا يتوقعون أن يكون بقاؤهم فيها طويلا .

ثم حدث أن سقطت الأمطار غزيرة فى هذا الوقت ، واشتدت العواصف الحنيفة بصورة جعلت من هم أفقر منهم غير قادرين على اصطفاع أى وسيلة لمنح الماء من التسرب الى داخل خيامهم ، ولم يكن الأغنياء أحسن منهم حظا لأن فساطيطهم تشربت بمياه الأمطار الغزيرة ترسلا عليهم السماء مدرارا فكانوا يحفرون الخنادق حول خيامهم فتتحول اليها المياه فيكون فى ذلك بعض الوقاية لهم .



ثم ألت بهم داهية دهياء مرة أخرى ، هى أنه كانت قد رست هنا على مقربة من المدينة السفن المختلفة الأنواع التى جىء بها من البحر الى النير ، فلما رأى أهل البلد أن الريح تهب عن الجذب وأن مياه النيل تتدقق فى عنف شديد اغتمروا هذه الفرصة لتنفيذ خطة دبروها فى لحظتهم إذ أخذوا قاربا من الحجم العادى وعلووه

كله بالأخشاب الجافة وبالقار وبكل مادة قابلة للاشتعال وقزيد النار ضراما وأوقدوا ذلك كله ثم دفعوا بالقارب وما يحمل الى النهر فحملته الأمواج عن تلقاء ذاتها ورمت به أسطولنا وسرعان ما اذكى هبوب الريح الجنوبية النار ، واصطدم القارب المشتعل بسفن الأسطول التي كانت متلاصقة الى بعضها ، واستعالت ست من سفننا المسندة بالشراوى الى رماد . ركاد الضرام المتزايد أن يأتى على كل الأسطول لولا عنكة الملك الذى بادر - حين رأى الحريق ، فانطلق على وجهه حتى أنه لم يجد وقتا لانتحال خذائه وامتطى جواده وأيقظ البحارة وصرخ فيهم صرخات مجنونة وطلب منهم فى اشارات مدعورة أن يعملوا بجهودهم على اطفاء النيران فنجسوا فى التغلب عليها أن فصموا كل قارب عن الآخر فخذم اللهب المستعر ، وكان البحارة يسارعون الى انقاذ كل سفينة تمسك بها النيران بسبب الشرر المتطاير والمواد اللاتينة التى تسفياها الريح ، وكان الفضل فى اخمادهم هذه النيران راجعا الى النهر الذى كان قريبا منهم كل القرب .

لبثت المدينة بضعة أيام وهى عرضة لهجمات كان النصر فيها تارة فى جانب الصليبيين وتارة أخرى فى جانب أعدائهم كما يحدث غالبا حين لا تكون هناك وقعة فاصلة ، وكان الصليبيون هم الذين يتحدون عدوهم للقتال رغم انه لم يكن يحارب الا اذا دفع للحرب دفعا .

كان المحصورون اذا ما خالجهم الشغور بالثقة انطلقوا من باب سرى فى الخلف فى مواجبة معسكر الاغريق وشنوا هجماتهم على غير انتظار على ذلك القسم من الجيش ، ومن المحتمل أنهم ربما كانوا قد سمعوا بأن القوات الاغريقية كانت أقل من قواتنا بأسا ، أو ربما كانوا قد علموا نبأ المجاعة الشديدة التى يكادها

اليونان بصورة تجعلهم أقل قدرة على صد الهجوم عليهم ان اغار عليهم مغير . لسكن على الرغم من هذه النكبة الا أن القائد « ميجالدوكس » وغيره من البيزنطيين كانوا يغتنمون الفرصة كلما وانتهم فيحاربون حربا تنطوى على البطولة والشجاعة مما يحمل الجيش على الاقتداء بقواده . فبماجمهم المرة تلو المرة ببسالة معدومة النظير ويعمى موقعه بقوة .

على أن قوة المدحورين كانت تتضاعف عددا بالامدادات الكبيرة المتواصلة القادمة اليهم برا وبحرا ، مما ترتب عليه أن سكان البلد - رغم اندصارهم داخل مدينة محاصرة كانوا مصدر فزع كبير لأعدائهم أكثر مما كان الصليبيون لهم .

وأخذ الناس (٢٨) يتهايمسون فيما بينهم - ويغلب عليهم شعور واحد - هو أن جهدها ليس سوى جهد ضائع ، وأجمعوا رأيهم على أن الخروج بهذه الحملة كان بغير رضى الرب ، حتى لقد أشاح بوجهه عنا شئ غضب ، وقال الناس أن الرجوع من حيث جئنا أجدى لنا من أن نبقى فى مصر جوعا أو نهلك بسيف الكفار ، ومن ثم عقد اتفاق تضمن بعض الشروط السرية ، ويرجع الفضل فى عقده الى مجنودات مشتركة من جانب بعض قواتنا وطائفة من الولاة الترك وكان أبرز السامعين فى إبرام هذا الاتفاق واحد اسمه « الجاولى » Javelino . ووافق البيزنطيون على هذا الاتفاق .
وحينذاك نادى المذابى معلنا باقرار الصلح واستقبال السلام .

- ١٧ -

حينذاك انطلق الأهالى والحلفاء الذين كانوا قد قدموا لمساعدتهم ترغرف عليهم راية الأمن وجاءوا الى معسكرنا ، كما سمح بمثل ذلك لمن شاء من جنودنا الذين أكثروا من التردد على المدينة والمسكر

من غير عائق يعوقهم وهم مطمئنون الببال، وأخيراراح الجانبان يتاجرا^١ في حرية مع بعضهما ، وأذن للجميع بالبيع والشراء كيفما أرادوا ومتى شاءوا ، وظل المسيحيون يترددون على السوق ثلاثة أيام يتبايعون مع الكفار ثم استعدوا بعد ذلك للمغادرة فهدموا ألاتهم الحربية وأحرقوها ومضى الجيش البري في أعقاب ذلك في صحبة الملك الى فلسطين ، وقد اضطرتهم المستنقعات أن يسلكوا نفس الطريق الذي سلكوه في قدومهم ، حتى اذا كان الحادي والعشرون من ديسمبر بلغوا عسقلان ، ونظرا لقرب عيد الميلاد فقد أسرع الملك الى عكا التي وصلها عشية ميلاد السيد .

أما الذين ركبوا السفن فقد أبحروا تحت ظروف سيئة ونذر لا تبشر بالخير اذ حاكادوا يبدءون رحلتهم حتى هبت عاصفة عاتية هاج معها البحر هيجانا لم يستطيعوا دفع أخطاره ، فحطمت الأمواج سفنهم وألقت بها على الشاطئ وعطب معظمها ولم يبق من ذلك الأسطول الضخم الذي كان قد جاء اليها سوى بضع سفن سابعة بعضها كبير وبعضها صغير كانت هي القادرة على العودة .

وعلى الرغم من أن رسل الإمبراطور بذلوا كل ما في وسعهم لاتمام المهمة التي توكلت بهم الا أنهم اضطروا للمودة مغلوبين على أمرهم بقلوب ملؤها الحزن والأسى فزعا من المصير الذي ينتظرهم وخوفا من أن ينسب اليهم جلالة الإمبراطور المأل السوء الذي ألت اليه حملتهم في الوقت الذي لم يكن لهم يد فيه ، وعلى الرغم من أن هذه النتيجة كلها ترجع الى هشاشة القدر التي لا حفر لهم عنها الا انه كان من الممكن أن ينسب الإمبراطور - وهو في سورة غضبه - هذه الخاتمة الى أعمال عنفهم أو سوء سياسة وتصرف من جانبهم .

واننى لأذكر أنى قمت بعد عودتى، بتحقيق دقيق وتقص عميق واستفسار كبير عن الملك وبعض كبار رجال المملكة لماذا تنمض حملة كهذه الحملة الكبيرة عن خاتمة كهذه الخاتمة التحسية مع أنها كانت تسير بتوجيه عن كبار الأمراء المسؤولين .

ولقد كنت عنصرها خلال هذه السنة الى مسائلى الشخصية ان ذهبت الى رومة قرارا عن عداوة يضمورها لى رئيس أساقفتى . وهى عداوة (٦٩) ظالمة باطلة ، فلما رجعت من رومة حسابات تقصى ما وراء هذا الموضوع ، واستتمعت الى كثير من الآراء المتضاربة التى حاولت منها أن أصل الى الحقيقة الثابتة لأن نتائج الحملة كانت أبعد ما تكون عما كنا نطمع فيه ، واستعملت الحذر الشديد لأننى كنت قد أليت على نفسى كتابة تاريخ هذه الأحداث فوجدت أن الاغريق لم يكونوا بمنجاة من اللوم إذ أن الامبراطور كان قد وعد وعدا لا يمتز فيه بإرسال المال الكافى لسد حاجات هذا الجيش الكبير ، لكن ثبت زيف هذا الوعد ، ذلك أنه منذ اللحظة التى وصل فيها جوابه الكبار الى مصر كان المفروض أن يكونوا قادرين على سداد كل احتياجات الآخرين من المنحة الامبراطورية .

الا أن هؤلاء النواب أنفسهم وقمرا تحت وطأة الحاجة الشديدة وشرعوا يلتمسون المال يشترون به الطعام لأنفسهم ويدفعون منه رواتب عساكرهم فلم يجدهم أحد قط بما أراؤا .

- ١٨ -

فلما كان يونيو من صيف العام التالى (١١٧٠ م) أعنى فى السنة السابعة من عهد الملك عمرى صرب الشرقى زلزال مروع كان أشد هولا من أى زلزال تعيه أذهان من لازالموا أحياء فقد تحلمت منه مدن شديدة التحصين وقرجع الى عصور سحيقة القدم واستحالت أطلالا ، كما هلك من كانوا فى بيوتهم عن بكرة أبيهم سوى

كلهما لم تصيبها خسارة فى الممتلكات والأرواح ، فخصيم
الحرز على كل موضع ولم تخل ناحية من النواحي من جنسائز
للحوتى ، ودفن بفعل الزلزال أكبر المدن فى كل من بلادنا والشام
وفينيقيا ، وهى مدن ذاعت شهرتها على مدى العصور لما لها من
التاريخ القديم ، كما اندثرت فى نواحي سهل البقاع وأنطاكية
وغيرهما من البلاد مدن أخرى كانت لها الصدارة فى وقت من
الأوقات ، وكانت هذه المدن سيدة مدن كثير من الممالك ، وانهارت
الأسوار الهائلة والأبراج الشديدة المنعة فى كل هذه النواحي
واستعالت أنقاضها ، ولحق الدمار بكثير من الكنائس وشتى أنواع
المباني وكان دمارا مروعا لم يمكن معه ترميم إلا بعض أجزاء منها
رغم حاذل فى سبيل ذلك من جهد كبير ومال عظيم ، وكان من بين
المدن الأخرى التى مسها الضرر فى هذه الولاية ذاتها مدينة « جبلة »
و « اللاذقية » وهما أشهر مدينتين على الساحل ، وكان من المدن
التي أصابها النكبة « بوريا » المحروقة وحلب وشيزر وحماة وحمص
وغيرها من المدن الداخلية التى كانت فى حوزة العدو ، ناهيك
بالحصون والقلاع التى دمرت فقد كانت من الكثرة بالدرجة التى
لا يحصىها العد .

ولما كان يوم ٢٩ يونيو (سنة ١١٧٠ م) وحوالى الساعة
الأولى من النهار ضرب زلزال عنيف فجأة مدينة طرابلس الكبيرة
المزدحمة بالسكان جاء تقريبا على كل من كان وراء أسوارها
واستحالت معه المدينة كلها الى أكوام من الحجارة وأصبحت مقبرة
جامعة لمن هلك من سكانها .

كذلك كان الزلزال مدمرا فى « صور » أشهر مدن هذه الولاية
وبلغ تدميره حدا تهاوى معه العديد من الأبراج الضخمة ، لكن لم
تحدث خسارة فى الأرواح .

ولقد وجدت في كل من اقاليمنا واقاليم العدو قلاعاً وحصوناً نصف مدمرة مفتوحة الأبواب لا يمنع العدو شيء من أن يأتينا من أي جانب فيذيقنا بأسه وعدوانه ، لكن لم يجرؤ أحد قط على إيذاء غيره مخافة أن يحل به غضب الرب وتصيبه نقمته وانسبخل كل امرئ بهمومه الخاصة وأصبح يزرع تحت عيبه أموره الذاتية ، ولم يعد ثم أحد يفكر في الإضرار بجاره .

وتم الصلح بسعي من الجميع لم يشذ عنه أحد ، وإن ظل لفترة قصيرة ، وأدى خوف الجميع من الغضب الإلهي إلى عقد الاتفاقية ، فقد توقع كل شخص أن تنزل به نقمة الله من السماء عقاباً له على خطاياهم فتداسي كلهم أعمال السوء وينذروا البغضاء .

لم يكن غضب الرب أمراً مؤقّتاً كما يحدث عادة ، إذ أن تلك الهزة المروعة ظلت ثلاثة شهور أو أربعة بل وأكثر وهي تحدث ليلاً ونهاراً وتكرر ثلاث مرات أو أربع مرات ، ونحن ثم كانت كل حركة يحس بها الفرد تبعث الفزع في نفسه ، ولم يعد هناك مكان يستتر فيه المرء الأمان حتى أن الربي الباطن أثناء النزم (وقد أذّرع ما جرى في اليقظة) كان يوقظ النائم فينبه واثباً وجلاً من هذه الأحوال التي شاهدها في يقظته .

وقد شاءت رحمة حافظ الجميع العلوقة أن تكتب النجاة من هذه الأحوال للأجزاء العليا من ولايتنا وأعني بها فلسطين .

- ١٩ -

وفي ديسمبر من هذه السنة ذاتها (اعني سنة ١١٧٠ م) غي العدم الثامن من حكم الملك عموري انتشرت شائعة قوية بين الناس تقول ان صلاح الدين يوشك أن يفرض بلادنا ، وجاءت الأخبار من

مصادر متعددة أنه قد غرغ من حشد قواته من كافة أنحاء مصر ودعشق أيضا ، وأنه زاد في عدد جنده زيادة كبيرة بتجنيد رجالات الطبقتين الوسطى والدينية قاصدا الزحف على فلسطين لتخليدها لذلك ، أكد هذا الخبر بطرق سمع الملك حتى هب في لدظته إلى عسقلان ، حيث جاءه الخبر اليقين من مصادر موثوقة أنها حملها إليه قومه أن هذا الأمير الكبير القوي قد حاصر قلعة « الداروم » على مدى يومين بجيش ضخم أقوى من كل جيش سبق أن جمعه من قبل ، ولم يسمح لمن كانوا بداخل الحصن بالدخول يلتقطون فيها أنفاسهم بسبب ما أنزله بهم من الأحوال الجسام ، إذ يطرهم يسيل مستمر من السهام فأتخنهم جراحا ، ولم يبق منهم غير رهط قليل كان قادرا على حمل السلاح دفاعا عن هذا المكان ، وكان قد وضع الفين تحت السور فأنهار فاقطعهم رجاله بالقوة ، واستولى صلاح الدين على قسم من الناحية مما جعل أهالي البلد على أن يلتمسوا ملأنا في أحصن مكان عندهم ألا ، هو القلعة ، غير أن العدو كان قد شق لنفسه طريقا بالقوة في القسم الأسفل من أحد الأبراج وأضرمت النار في مدخله ، وان لازال المحاصرون يدافعون عن القسم الأعلى .

هذا هو التقرير الذي جاء إلى الملك ، وكان كلعا فيه صدقا .

كان قائد قلعة الداروم (٢٠) وحاميها هو النبيل «أنزلم دي باس» Anselme De Pass ، وكان رجلا قويا يخشى الله ويخافه ومحاربا حنديدا ، وليس من شك في أنه لو تأجل الهجوم على الحصن لما كان شك في وقوعه في يد العدو .

فاض قلب الملك بالحزن العميق واستند به الغضب الطافي حين علم بهذا الموقف الحرج فجمع في الحال الخيالة وقوات الفرسان من كل النواحي رغم قصر الوقت وقرب العدو منه ، وخرج من

عسقلان في الثامن عشر من نفس الشهر مغذا السير الى غزة ،
ورافقه في خروجه البطرك المعظم حاملاً الصليب المبجل الواهب
الحياة ، كما صاحبه اثنان من أصحاب المقداسة هما مستشاره اللكي
« رالف » اسقف بيت لحم وبرنارد اسقف اللد ، كما خرج معه رهط
قليل من نبلاء المملكة ، فلما أحصى من معه من المحاربين كانوا
مائتين وخمسين فارساً وقرابة ألف من المشاة .

وأضى العسكر في غزة ليلة ليلاه لم يغمض لهم فيها جفن ،
ومرت الساعات عليهم ثقيلة بطيئة ، وقد أزعجهم حاحاق بهم من
فزع حقيم ، فلما أشرقت شمس اليوم التالي بدموا سيرهم من غزة ،
وانضم اليهم الاخوان من فرسان المعبود الداوية الذين جاءوا الى
منا ليشاطروهم الحاقطة على المكان ، فلما التأم شملهم ساروا
جميعاً الى قلعة الداروم .

وأعتقد أن هذه القلعة واقعة في « أدوم » (٢١) Edom
وراء مجرى الماء المسمى بنهر مصر الذي هو الحد الفاصل بين
فلسطين والاقليم الذي أشرنا اليه آنفاً ، وكان الملك عموري قد شيد
قبل سنوات قلل هذه القلعة على أكمة قليلة الانحدار فوق الأطلال
القديمة التي لاتزال بعض انقاضها باقية حتى اليوم ، ويحكى سكان
هذه النواحي القدماء - كما أفصروا لنا - أنه كان في الأيام الغابرة
دير يوناني في هذا الموضع ، كما أن الاسم الحالي وهو الداروم
ومعناه بيت الاغريق يشير الى هذه الحقيقة .

كان الملك قد أمر كما قيل أن يشميد في هذا الموضع قلعة
متوسطة الأبعاد ، تغطي مساحة لا تزيد عن رمية حجر واحد وتكون
مربعة الشكل ، ويقوم عند كل ركن من أركانها برج كان أحدها أكبر
من بقية الأبراج وأكثرها أمناً ، على أنه لم يكن لها خندق ولا فصيل
يحميها .

وتقع الداروم على بعد خمسة أميال تقريبا من البحر وأربعة أميال من غزة ، وقد قام نفر قليل من زارعى الحقول المجاورة لها بالاتحاد مع بعض التجار وكونوا مستعمرة صغيرة ، وشيدوا على مقربة من القلعة قرية وكنيسة واستقر المقام بهم هنا ، وكانت بقعة تشرح النفس قد وفرت لأناس من الطبقات الدنيا كثيرا من أسباب الحياة ، وكان الملك قد شيد هذه القلعة سعيا لمد حدود ، كما كان فى ذهنه أيضا أن يستطيع من هذا المكان أن يتيسر له الأمر فى جمع الضرائب السنوية كاملة غير منقوصة ممن ينزلون بهذه القرى التى يسميها قومنا بالضبياع أو الدساكر Casalia

كذلك تم فرض مبلغ معين يجبى من المسافرين فى ذلك الطريق .

- ٢٠ -

انطلق جيشنا بعدئذ من غزة ، وبينما كان واقفا على مرتفع منحدر بعض الشيء يمتد بطول الطريق اذا به يرى عسكر العدو الذى بثت أعداده الكثيفة الفرع فى نفرس عسكرنا غشروعوا فى الانضمام بعضهم الى بعض أكثر مما جرت به العادة ، فأتت جموعهم الكثيفة الى عوق تقدمهم فلم يبرحوا مكانهم هذا ، فلما رآهم الكفار على هذا الوضع هاجموهم محاولين صدع شملهم ، لكن الصليبيين استطاعوا بفضل الرب أن يتجمعوا ويضموا صفوفهم أكثر عن ندى قبل وصدوا هجمة العدو عليهم ، ثم أسرعوا غتابعوا زحفهم قاصدين الموضع الذى كان جيشهم كله مترقفا عنده وناصبا فيه خيامه ، وعاد السيد البطرك الى القلعة وعسكر الياقون فى الخارج بجوار القرية الواقعة على الأطراف ، وقد حدث ذلك حوالى الساعة السادسة من النهار بعد أن جرت طوال ذلك اليوم مناوشات فردية

وبعض اشتباكات ساحمت فيها جماعات بأكملها ، وأبدى رجالنا شجاعة فائقة سواء في الهجوم أو الصدد ، ولما أوشك الليل أن يسدل ظنيه أخذ صلاح الدين يستعد للزحف بقواته وسار بهم قاصدا غزة ، ولكنه أقام تلك الليلة قرب النهر ليستجم حتى إذ تنقش الصباح زحف على مدينة غزة وتوقف أمامها .

لقد كانت غزة القديمة الوجود العاصمة الكبرى لفلسطين ، وترد الإشارة إليها كثيرا في كل من التواريخ الدينية والعلمانية ، كما أن المباني الفخمة الكثيرة التي لا تزال حوجودة تدل على مجدها الغابر ، ولقد ظلت ردها طريقا من الزمن قفرا بلقعا لا يسكنها أحد مطلقا ، ثم جاء أخسيرا بلدوين الرابع الطيب الذكر ورابع ملوك القدس فجمع قوة المملكة وحشد مواردها وشيد على أحد أجزاء الأكمة حصنا يدعى منيعا (٣٢) ، فلما فرغ العمل عهد به الى الاخوان الداوية ومنعهم اياد ملكا خالصا لهم لا ينازعهم فيه منازع .

على أن القلعة لم تشغل كل التل الذي شيدت عليه المدينة كما قلنا ، غير أن الأهالى الذين قاموا للاقامة هنا رأوا تأمين أنفسهم فحاولوا حماية بقية التل بمسور وأبواب ، وكان هذا السور قصيرا وأبعد ما يكون عن القوة .

ولما تسامح سكان التل بخبر اقتراب العدو قرروا الاعتصام بالقلعة مع نسبتهم وأولادهم فعضوا إليها حذيقين بها وتخلوا للعدو عن الجزء المبقى من المدينة الذي ظل بلا مدافع عنه ، إذ كان عدلهم قاصدا على فلاحه الأرض وليس لديهم من السلاح ما يدافعون به عن أنفسهم ، ولا يحرفون شسيتها عن فنون القتال ، وقد أراد « ميلون دى بلانسى » وكان واحدا من كبار رجال المملكة - وإن يكن مطبوحا على الشجر - أقول انه أراد أن يشجعهم على المقاومة فأنكر

عليهم الاستسلام ورفض الخضوع وأحرهم بالدفاع عن ذلك الجزء الضعيف من المدينة .

يحدث أن كان بغزة جماعة قوامها خمسمئة وستون شابا مسلحين بالأسلحة الخفيفة ، وكانوا أبطالاً من بلدة يسمونها « المحمرة » قرب بيت المقدس ، وكانوا قد وصلوا في تلك الليلة بالذات الى غزة في طريقهم للانضمام الى الجيش فأمرهم « ميلون دى بلانسى » بالوقوف عند باب البلد الخارجى حيث استقبلوا في الدفاع عن بلدهم وحريتهم ، وأفسدوا بعد السيف محاولات العدو لاقتحام البلد عنوة ودخولها بالقوة ، ولكن الكفار اقتحموا المكان على حين فجأة من ناحية أخرى تقع بين القلعة وبين الباب الذى أشرنا اليه حالا ، وباغتوا من الخلف النفر القلائل الذين كانوا مستبسلين أحسن استبسال في الدفاع عن البوابة ، وأحرق الكفار بهم من كل جانب ، ولما كان هؤلاء الشباب قد أخذوا على غزة فلم يعد في مقدورهم الصمود طويلا ، فهلكوا بعد السيف غير قليل منهم اثخنتهم جراحهم ، الا أن العدو لم يعد سالما هو أيضا من هذا الصدام فكان انتصاره دائما .

حينذاك حاول أهل البلد مرة ثانية اقتحام القلعة لكنهم لم يستطيعوا دخولها وسدت امامهم ابواب النجاة اذ أصبح الترك وراء الأبواب وأعملوا مذبحة شرسة لم يبقوا فيها على أحد ، ثم سرعان ما اندفعوا بعدها الى المدينة فاستولوا على البلد ولم يبقوا على ذكر ولا أنثى ، حتى الأطفال الرضع لم يسلموا من الأذى فقد لاقوا مصرعهم بالحجارة .

لكن ذلك كله لم يكن كافيا لاطفاء فورة غضب الغزاة الأشراس ، فقد نجح من كانوا قد لجأوا الى البرج في ابقاء الأعداء بعيدين عنهم ،

ولم يكن بأيديهم من سلاح يدافعون به عن أنفسهم سوى الحجارة
يقذفونهم بها وبعض الأسلحة الأخرى ، ومن ثم بقي الحصن
سليماً بفضل الرب .

حين تم للعدو الاستيلاء على البلد والفتك بأهله عاد الى «الداروم»
ودخلها دخول الظافر المنتصر ، فلاقاهم في بعض الطريق طائفة من
خيالتنا تقدر بخمسين رجلاً كانوا مغذين السير للانضمام الى
قواتنا دون أن يأخذوا حذرهم فهلكوا على بكرة أبيهم رغم محاولتهم
البائسة لانقاذ أنفسهم ، وكانت محاولتهم هذه محاولة اتسمت
بالبراعة في القتال بالسيف .

- ٢١ -

أخذ الترك في اعداد صفوفهم للقتال حسب الأصول الحربية،
وقسموا قواتهم الى اثنتين وأربعين فرقة ، وصدرت الأوامر الى
عشرين منها بالزحف عبر الطريق الساحلى الواقع بين « الداروم »
والبحر ، أما البقية الباقية من هذه الكذائب فقد كان عليها أن
تسلك الطريق البرى ، حتى اذا جاوزت القلعة انضم الحسكر كلهم
بعضهم الى بعض ، وصاروا مجموعة واحدة .

واستعد الصليبيون هم أيضاً من جبتهم للقتال حين عرفوا
أن العدو راجع اليهم لمحاربتهم ، وعلى الرغم مما كانوا عليه من
قلة العدد الا أن ثقتهم كانت كبيرة في أن تكلامهم رعاية الرب ،
وتأيادى للحرب بعد أن توجهوا بقلوبهم الى العناية الإلهية يسألونها
العون ، فأمدهم الرب بالناس والشجاعة الفائقة ، وكانوا على ثقة
ثابتة من أن العدو راجع لقتالهم ، لكنه في الواقع كان يعززم شيئاً
آخر غير ما ظنوه ، فلم يعج يميناً ولا يساراً بل أسرع في سيره مبهماً
وجهه شطر مصر .

وجاء الرسل الثقات الى الصليبيين يعلمونهم أن العدو قد رحل وليس في عزمه الرجوع ، وأن ذاك جمع الملك هو الآخر جيشه وارتد الى عسقلان في رعاية الرب ، تاركا وراءه في «الداروم» سائفة من الرجال لاعادة ترميم ما تصدع من القلعة التي كانت نصف مهدمة ، فلما فرغوا من ترميمها عادت أمنح مما كانت عليه من قبل وقد حصنها بعناية ، ويقول من في المملكة ممن تسنى لهم رؤية كثير من الحملات بها أنهم لم يشاهدوا ولا يذكرون أنهم شاهدوا مثل هذا الجيش التركي في كتابته ، والذي تقول الأخبار عنه أن عدد فرسانه وخدمهم قارب الأربعين ألفا .

* * *

وحوالي هذا الوقت بالذات وفي اليوم التاسع والعشرين من ديسمبر أقيم احتفال في مدينة كانتربري الشهيرة بانجلترا في ذكرى استشهاده «سنت توماس» (٢٢) العظيم رئيس أساقفة تلك المدينة الذي كان من أهل لندن ثم صار رئيس شمامستها أيام «ثيوبولد» رئيس أسقف كانتربري المجيد الذكر ، ثم استدعاه هنري الثامن ملك إنجلترا فيما بعد ليشارك في تحمل مسئولية الأمور بالمملكة ، فأبى - وقد صار مستشارا للملك - غاية الرفض ، وتجلي ما هو عليه من الحكمة والمقدرة في إدارة شئون المملكة ، ثم أمر الملك - بعد وفاة الأب المبارك ثيوبولد - بأن يتولى «توماس بيكيت» أمر كنيسة كانتربري مكافأة له على خدماته ، فدافع في حماسة لا تعرف الخوف عن حقوق الكنيسة ، ووقف في وجه الظلم والانحراف مما ترتب عليه اضطرابه للفرار الى فرنسا ليتحاشى اضطهاد الملك هنري له ، وتحمل في فرنسا حرارة النفي سبع سنوات في صبر عظيم يستحق الثناء الجميل عليه ، فلما عاد بعد هذه الغيبة التي فرضت عليه فرضا ، وبينما هو ينتظر السلام الذي وعد به إذا بيد إلا ثم تمتد اليه فتغالبه بسيف شرذمة من الأشرار في نفس الكنيسة التي رايتها بإرادة الرب ، ذلك أنه بينما كان يصلي من أجل مضطريه

إذا به يقع صريحا فى خسة ، واستشيد ، وكان دمه تاجه الذى توج به ، ولقى ما يلقد الشهيد من خاتمة رائعة . ولقد شاء السيد الرحيم أن يتم على يد هذا الشهيد وفى نفس الكنيسة وكذلك فى كل أرجاء الولاية من العجرات الكثيرة التى كانت شبه يومية ما يذيل معه أن زمن الرسل قد عاد حقا .

- ٢٢ -

ولما كانت السنة التالية وهى السابعة (٢٤) من حكم عمورى استدعى إليه جميع نبلائه وبسط أمامهم احتياجات المملكة التى كان يراها تنن تحت وطأة كثير من الأحوال ، فأعداء الملة المسيحية لا يتزايدون فى الكثرة والبطش فحسب بل وفى القوة والثروة أيضا ، كما أن مملكتنا كانت تعاني من جانب آخر نقصا تاما فى القادة الألباء المحنكين العقلاء ، ذلك أن الجيل الجديد الذى حل محل الجيل القديم وأخذ مكان كبارهم كان جيلا ترعرع فى الحما والخسيس ، ولم يتمخض حلولة محل الرجال العظام عن أمر ذى بال فبدد أصحابه ما ورثه من أسلافهم بطرق شائعة ، مما أسفر عن تدهور المملكة تدهورا ملحوظا بات فيه ضعفها واضحا حتى لأغبي الناس . لذلك التمس الملك من نبلائه أن يحضروه النصيحة فى كيفية معالجة هذه الأوضاع الشريفة وكيف يتسنى له انتقاذ المملكة مما آلت إليه ، فلما تشاوروا فيما بينهم ما هم فيه أصفق زدهم على قولهم « لن سقوط المملكة الى هذا الدرك الباعث على اليأس سقوطا لم تعد معه قدرة على معالجة أعدائها ، أى تعمل الصمود لقراراتهم انما نجم عن خطايانا ، ثم نصبوا بوجوب التماس النجدة من أمراء الغرب للقضاء على هذه المتاعب ، ولم يكن لديهم اقتراح لأى خطة انتقاذ أخرى ، ومن ثم عقد قرروا باجماع الآراء ارسال سفارة مؤلفة من أصحاب المكانة الرفيعة الى أمراء الغرب ، يشرحون لهم مشكلات

المملكة ويسألونهم حد يد المساعدة والمون لها ، كما عهدوا الى هؤلاء الرسل بزيارة البابا وأمراء الغرب البارزين ، وهم امبراطور الرومان وملوك فرنسا وانجلترا وصقلية والأسبان ، وكذلك زيارة غيرهم من الأدواق والكونتات السكار ، يناشدونهم الوقوف الى جانبهم وتأييدهم فى القضاء على الأخطار الفاحشة التى تهدد المملكة ، وزادوا على ذلك فاتفقوا على وجوب إيقاف امبراطور القسطنطينية على مدى الوضع المتردى الذى تجمده المملكة ، فماتويل أقسرب الناس اليها وأغنى من كل أحد سواه ، وهو بذلك قادر على إمدادنا فى سر ما بعده يسر بالنجدة المرجوة . كذلك تقرر أن يكون المبعوث المرسل الى الامبراطور رجلاً حكيماً فصيح اللسان رفيع المكانة حتى يستطيع بحذقه وكفاءته أن يجعل تفكير هذا الحاكم العظيم متسقا مع رغباتنا .

وبينما كانوا يجيدون أنفسهم حول اختيار الشخص الملائم لأداء هذه المهمة والسفارة الخطيرة كان الملك يتشاور مع غيرهم من أشد مستشاريه التصاقاً به ، ثم قام فبسط أمام الجميع خطة ارتأها وتناها ، وأوضح لهم أن سفارة لها هذا الأمر من الأهمية لا يمكن أن ينهض بها الا واحد فقط ، هو ذاته ولا أحد سواه ، وأضاف أنه مستعد لتحمل جميع المخاطر والصعاب حتى يزيح عن المملكة هذه الخمة الكبيرة ، وتملك الاعجاب العظيم نبلاء المملكة مما قال وان ذهبوا لاقتراحه واحتجوا بأن المهمة عسيرة كل العسر ، مضافا الى ذلك أن المملكة ستحس بالوحشة لغيبته ، ولكن عمروى رد عليهم قائلاً : « فأتكن المملكة فى يمين الرب الذى أنا عبده ، وقد آليت على نفسى أن أذهب وما من أحد بقادر على أن يثنينى عما أعزمته » .

فلما كان اليوم العاشر من مارس خرج الملك فى رحلته مصحوباً بحاشية كبيرة تليق بالجلالة الملكية ، ومعه عشر شوانى ، وفى

معينه « ولیم » اسقف عكا ونبالق المملكة ، التالية أسماؤهم ، وهم :
« جورموند » صاحب طبرية ، و « جون » صاحب أرسوف ،
والمرشال الملكى « جيرارد دى بوجى » ، و « روهارد » محافظ القدس
و « رينيه دى نيفيز » .

أما « فيليب » النابلسى الذى كان قد استقال من وظيفته
كرئيس لفرسان الدواوية فقد بعثوه أمامهم برا .

وإذ كانت العناية الإلهية ترعى الملك فقد تمت الرحلة
بالتوفيق ، ووصل سالما الى مضائق « أبيدوس » ومدخل البسفر
المعروف عند العامة بذراع سنت جورج . أما الإمبراطور العظيم
وهو الملك المعقل والعلم المفرد الذى هو أمل لكل ثناء فقد استولت
عليه الدهشة حين علم بأن ملكا قريبا وحاكما لمملكة عظيمة شهيرة
محبوبة من الرب يخالف العرف ويوشك أن يزور إمبراطوريته ،
وكان تفكيره فى بادئ الأمر يتمثل فى دهشته من الدافع الذى يحمل
الملك على القيام برحلة صعبة غير مألفة كهذه الرحلة ، ثم ما لبث
أن فاض قلبه غبطة حين تصور أى عطف كبير لا مثيل له يحبوه به
إله ، وهو عطف يؤدى إلى تعجبه ورفعة قدره وتشريفه ، فليس
فى صفحات تاريخ إمبراطوريته حدث كهذا الحدث الفذ ، ولم يحدث قط
أن ملكا من ملوك بيت المقدس - وهو المدافع عن الأعاكن التى شهدت
الام السيد وقيامته وحامى هذه المراضع - أن قام بزيارة أحد من
أسلافه الأباطرة ، لذلك رأى أن يستعد لوصول الملك (عمورى)
وأن يقدم له الاحترام العظيم ، فاستدعى إليه ابن أخيه « حنا
» البروتوسيباستوس « وهو واحد من أبرز كبار رجال القصر السامى
والذى تزوج الملك (عمورى) ابنته ، وعهد الإمبراطور الى هذا
البروتوسيباستوس باستقبال ضيفه الملكى ، كما كلفه بأن يتأكد من
احتراف جميع المدن والمواضع التى يمر بها الملك الاحتفاء الرائع
اللائق به بما يتفق ومراسيم الإمبراطورية الثابتة منذ زمن طويل

وانه حظى بالتعظيم الذى لا مثيل له . كذلك كلفه أن يشير على الملك كابن له أن ينتظر حتى يحضر اليه ممثلو الامبراطور الذين سيرافقونه فى دخوله المدينة الملوكية .

وأطاع هذا الأمير (٣٥) الجليل أوامر الامبراطور فقابل الملك فى حاشية من الثبلاء فى مدينة « جاليبولى » المطلة على البسفور والتي لا تبعد كثيرا عن مضيق « أبيدوس » . ولما كانت الريح غير مواتية فلم تسمح لسفينة الملك بالذهاب الى المدينة الامبراطورية مما حمل الملك على النزول الى البر من سفينته ، وتابع مع حاشيته الرحلة على ظهور الجياد الى مدينة « هرقلية » الواقعة على نفس الساحل حيث كان الأسطول راسيا فى الميناء ، واستفاد من اعتدال هبوب الريح وتغيير اتجاهها فأبحر وبلغ المدينة قبل الملك الذى ركبته مرة ثانية ووصل الى القسطنطينية بعد رحلة ناعمة .

- ٢٣ -

كان القصر الامبراطورى فى هذه المدينة المعروف بقصر قسطنطين يقع على شاطئ البحر مواجه الشرق ، وكان للطريق المؤدى اليه من ناحية البحر رصيف عجيب من الرخام الرائع ، كما كانت السلالم المؤدية الى الماء وتماثيل الأسود والأعمدة منحوتة كلها من الرخام وتخلع على القصر روعة ملوكية ، وكان هذا المدخل مخصصا فى العادة لاستعمال الامبراطور دون غيره حين يريد الصعود الى القسم العلوى من القصر ، لكنهم خرجوا على هذه القاعدة المرحية حين عيّنوا الملك (عمورى) عن سواه فخصوه باستعمال هذا المدخل كمظهر من مظاهر التقدير والتبجيل له هو وحده دون سواه .

ثم مضوا بالملك وهو في حاشيته وبعض كبار رجال القصر السامى وساروا به فى أبهاء متنوعة وحجرات مختلفة الأنواع حتى انتبوا به الى القسم العلوى من القصر حيث كان الامبراطور مع كبار نبلائه ، وقد أسدلت على صالة الاجتماع الامبراطورية الستائر الرائجة الصنع ، المحلاة بالأشغال اليدوية التى لا تقل فى قدرها عن القماش ذاته ، حتى يمكن أن يقال عنها ما قلناه « ناسو » من أن « الصنعة فاقت المادة » .

وكان كبار شخصيات الامبراطورية فى استقبال الملك خارج هذه الصالة ، ثم ساروا به الى حوراء هذه السجوف ، ويقال انهم فعلوا ذلك حتى تظل هيئة السدة الامبراطورية محفوظة ، ويظل حسن تقدير الملك تجاه الامبراطورية باقيا ، كما يقال ان الأخير (الذى لم يكن حوله سوى أعظم رجال بلاطه) نهض فى ود محديا الملك ، وهو أمر لم كان قد جرى فى حضور كل رجال البلاط لهذه المجتمعون تنازلا عظيما من جلالته (٢٦) الامبراطورية . وما كان الملك يدخل الصالة حتى رفعت الستائر ، وبدى الامبراطور لمن كانوا فى الخارج جالسا على عرش من الذهب مرتديا الملابس الامبراطورية ، والى جواره الملك (عميرى) على عرش آخر فخم ولكنه دون عرش الامبراطور درجة .

وأدى الامبراطور فى رقة بالغة عظامر التحية المألوفة وقلة السلام لكبار نبلائنا ، وتعطف فاستفسر عن راحة الملك ورجال حاشيته ، وعبر بالكلمة والإشارة تعبيرا واضحا عن سعادته القصورى بحضرتهم ، وكان قد أمر خدم القصر السامى وموظفيه بأعداد أجنحة خاصة بالغة الرعة فى داخل القصر نفسه لتزول الملك وحاشيته ، كما أعنت بالمدينة وعلى مقربة من الملك دور خاصة منفصلة تليق بمكانة كل واحد من النبل المرافقين له ، ثم انسحب

الضيوف من الحضرة الامبراطورية كى يرافقوا الملك ويكونوا فى خدمته، ثم أثن لهم بالانصراف الى حيث ينزلون بعد أن حدد الساعة التى يجب أن يعودوا فيها اليه .

كان المرسل يعقدون كل يوم وفى ساعات معينة اجتماعات هامة . تارة مع الاميراطور وتارة فيما بينهم ، يتناقشون فيها حول المواضيع التى دفعتهم للحضور الى هنا ، وزيادة على ذلك كله فانهم أولوا كل الاعتبار للاجراءات التى يمكن بها انجاز الغرض الذى جاءوا من اجله حتى يعودوا الى وطنهم وقد تكللت مساعيهم بالنجاح . وكان الملك يشرح الأسباب التى جعلته على القيام بهذه الزيارة ، ويبسط احتياجات مملكته ، وكان يفعل ذلك تارة فى محادثات ثنائية بينه وبين الامبراطور حيناً ، وحيناً بحضور كبار شخصيات البلاط الامبراطورى ، وقد ركز بالذات على ماسوف يحظى به الامبراطور من المجد الخالد ان قام بحملة لاختضاع حصر ، وأثبت البراهين الايجابية امكانية تحقيق هذا المشروع من غير عسر . واجتذبت الامبراطور كلمات الملك فأصغى الى مقترحاته بأذن واعية ووعده وعداً أكيداً بتنفيذ كل رغباته .

وفى اثناء ذلك راح الامبراطور يصدق على الملك ونبلاء حاشيته الهدايا التى تتناسب وعظمته الامبراطورية ، هذا بالإضافة الى أنه فى زيارته المتكررة لهم كان لا يتوقف عن السؤال عن راحتهم وصحتهم . كما أصدر أوامره بأن تفتح لهم - كما تفتح لأهل بيته - جميع الأماكن حتى ما كان منها من أسرار قصره وكذلك حجراته المحرمة الا على خاصته . وشملت هذه الامتيازات أيضاً المراضع المخلقة فى وجه العامة والذخائر النادرة التى جمعها أسلافه الأباطرة ، بل أنه أباح لهم رؤية مخلفات القديسين وأثار سيدنا عيسى المسيح الغالية كالصليب والمسامير والحربة (المقدسة)

والاسفنجة وقصبة الغاب والناج الشموكى والثوب الكتانى والخفين .
ولم يصحب عنهم رؤية شئ من الأشياء السرية والموقرة التى ترجع
الى أيام الأباطرة الأمجاد : قسطنطين وتيودوسيوس وجستنيان .
والذى كانت محفوظة فى الخزائن الخاصة الموجودة بالحجرات
المغلقة .

وكان الامبراطور يدعو الملك وبطانته بين أونة وأخرى وكذلك
فى الأعياد وساعات الفراغ ليرودوا عن أنفسهم بشتى صنوف
التسلية التى تهيئها لهم المحفلات ذات الطابع اللادنى بمكانة العاهلين
الرفيعة ، وكانوا يأتونهم أحيانا بحذلق الآلات الموسيقية التى
تنساب منها الألحان العذبة لادخال البهجة والسرور على نفوسهم ،
ثم يأتونهم بفرق من المغنيات والممثلين ، كل ذلك مع المحافظة التامة
على الذوق الجميل والتقاليد ، كما أمر الامبراطور باقامة الألعاب
العظيمة الرائعة التى تشبه ما نسميه نحن بالروايات المسرحية أو
السيرك ليشاهدها الناس الذين يعيشون فى المدينة .

كل ذلك كله على شرف الملك .

- ٢٤ -

وبعد اقامتهم فى قصر قسطنطين بضعة أيام ورغبة من
الامبراطور فى التخير الذى يخلصهم من الرقابة المملة فقد أمر أن
ينقل محل اقامته - وفى صحبته الملك - الى القصر الجديد المسمى
بقصر « بلاشرناى » (٢٧) ، وهنا أيضا راعى الامبراطور كل قواعد
الضيافة مراعاة تامة ، فاستضاف الملك عمرى بضعة أيام فى
قصره الخاص للترحيب به ، حيث خصصت له بعض أجنحة ،
واخذ يتباحث معه على انفراد فى أكثر الحجرات سرية فى قصر
اسلافه الامبراطورى ، كما صدرت الأوامر بأن تعد لحاشية الملك

أماكن تتوفر فيها الراحة وتطبق بمكانتهم ، وأن يراعى في هذه الأماكن ألا تبعد كثيرا عن هذا القصر ، وعين - كما هو الحال من قبل - للخدمة الداخلية رجالا لم يكن لهم من عمل سوى التأكد من توفير كل وسائل الراحة التي لا تقتصر على الضروريات فقط بل تتجاوزها أيضا إلى وسائل المتعة الزائدة عن الحد .

وكان الملك لايسير إلا وحوله الحرس سواء أكان ذلك في داخل المدينة أو خارجها ، وقد زار الكنائس والأديرة التي كان متبا بالبلد ما لا يحصىه الحد ، وشاهد أقواس النصر والأعمدة المزينة بالرسوم التذكارية ، وكان مرشده في جولاته هذه رجالا من كبار النبلاء الملمين بكل هذه الأسماء المأما تاعا ، فكان إذا سألهم عن طبيعة ما يراء والغرض من كل منها تقدم لشرح ذلك له أكبرهم مكانة وأكثرهم معرفة بها ، وفصلوا له القول تفصيلا .

كذلك ركب الملك في هذا الوقت ذاته البسفور ووصل إلى مدخل البحر الأسود الذي تبدأ من عنده مياه البسفور تشق طريقها إلى البحر الأبيض المتوسط ، وبهذا أتيح له - وهو المطبوع على حب الاستفسار عن كل شيء ومعرفة سببه - أن يزور أماكن كانت مجهولة لديه ، فلما أشفى غليله بما رأى وبما سمع عاد أدراجه إلى المدينة مواصلا مفاوضاته الودية مع الامبراطور ، مدفوعا إلى ذلك برغبته الملحة الصادرة في أن تتكلل بعثته بالنجاح .

وبعد أن أمضى فترة مناسبة من الوقت انتقلت المواضيع الهامة إلى خاتمة سعيدة ، وانتهى الاتفاق إلى معاهدة ارتضاها هو والامبراطور ، ثم أكداها كتابة وختماها بخاتميهما . وحينذاك استأنف الملك في الرحيل فأذن له ، فأخذ أهله للسفر متبعين بأمانى الجميع الطيبة ، وأغلق الامبراطور عليه وعلى من معه من كومه

ما يفوق كل ما كان أغدقه عليهم من قبل وما يعجز اللسان عن
ايغائه حقه من الثناء ، فقد وصله الامبراطور بأثقال من الذهب
وأحمال من الملابس الحريرية وكثير من السلع الأجنبية الصنع كما
نال من همه - حتى أصغرهم مكانة - هدايا لا حصر لها .

كذلك سخا « جون البروستاتبيوس » السخاء العظيم على
كل أفراد البعثة ، وأذكى هذا العمل روح المنافسة بين الأفراد
الأخرين فراحوا يتنافسون في تقديم الهدايا الرائعة الى الملك ،
وكانت هذه الهدايا على جانب كبير من دقة الصنعة .

فلما تأهب الأسطول للابحار ركبته الملك وقد أنجز مهمته وسافر
الى القسطنطينية لمسافة ميلين عبر البسفور الذى يعتبر عادة الحد
الفاصل بين أوروبا وآسيا ، وعرف فى ابحاره بمدينة « سسترس »
و « ايديوس » الشهييرتين بموطن «لياندر» (٢٨) و « هيرو » ثم دخل
البحر الأبيض المتوسط ، وكانت الرحلة طيبة فأرسل يوم الخامس
عشر من يونيو سنة (١١٧١ م) عند مدينة صيدا .

- ٢٥ -

حين عاد الملك الى مملكته بلغه أن نورالدين لا يزال على رأس
جيش ضخم فى ناحية باندياس ، فداخلت الرهبة قلب عمورى أن
يشن نور الدين الغارات من هناك على بلادنا لذلك استدعى اليه
بارونات المملكة ، وسار بهم فى أرض الجليل حتى يتجنب بقدر
الامكان مثل هذا الهجوم ، ثم عسكر قرب النبع الشهير الواقع بين
الناصره وصفورية ، ولما كان هذا النبع شديد القرب من وسط
المملكة فقد كان من اليسير عليه أن ينتقل منه الى أى مكان فى
القطر يجد نفسه راغبا فى الانتقال اليه ، ولهذا السبب الذى ذكرناه

حالا نجد أن عموري وأسلافه من قبله اعتادوا تجميع جيوشهم في تلك البقعة .

وواكب هذا الوقت رجوع سلفنا «فردريك» رئيس أساقفة صبر من سفرته (٢٩) التي كان قد قام بها نائبا عن الملكة بقصد التماس المعونة والارشاد من أعراء الغرب ، وهي سفرة استغرقت منه عامين في بلاد ماوراء النهر عاد أثرها دون أن يقدر له التوفيق فقد كان الفضل التام من نصيب جهوده ، ولم يحصل على شيء مما سألهم اياه نيابة عنا ، كما أرسل قبله كونت ستيفن (٤٠) (أكبر أولاد ثيوبولك الثاني كونت بلوا وشارترز وترو) الذي هو من أسرة شريفة ولكنه كان يحبى حياة أبعد ما تكون عن الشرف والاستقامة وكان الملك (عموري) قد بعث في طلبه بناء على اشارة رئيس الأساقفة ليزوجه ابنته ، فلما وصل الكونت الى الملكة شرح له الملك الموضوع بروح طيبة ، لكن على الرغم من أن المرض كان قد عرض من قبل على «ستيفن» ووافق عليه إلا أنه عاد الآن فرفضه ، وبعد أن قضى عدة شهور في الملكة عاشها عيشة فسق وفجور قرر الرجوع برا الى وطنه ، فمضى أولا الى انطاكية ثم يمم وجهه شطر «كيليكية» ، وبعد أن جيزه سلطان قونية بالحرس يحرسونه في الطريق سافر برا الى القسطنطينية ، ولكن شاء سوء طالعهِ (وصو لا يزال في كيليكية وعلى مقربة من المصيصة) إلا أن يقع في كمين نصبه له الأمير «عليح» الأرمضى القوي أخو «توروس» (الثاني) إذ خرج عليه رهط من قطاع الطرق وثبوا عليه وسلبوه كل ما كان معه من غال وثمين وجردوه منه ثم استطاع بعد لاي من توسلاته الملحة اليهم أن يحملهم على أن يتركوا له جوادا هزيلا يستعمله ، ومضى الى القسطنطينية على هذه الصورة المزرية في قليل من اتباعه بعد أن كابد أهوالا كثيرة .

وقد لاحقته كراهية جميع اهل الشرق .

ووصل فى هذه السنة ذاتها الى المملكة للحج والعبادة رجل آخر اسمه أيضا الكونت ستيفن ، ونحو ابن وليم كزنت الساقون ، وعلى الرغم من أنه كان يعمل نفس اسم سابقه إلا أنه كن يختلف عنه تمام الاختلاف ، فقد كان رجلا متواضعا طاهر الذيل ، أهلا للاحترام العظيم ، وكان فى صحبته ابن أخته هنرى الصغير دوق برجنديا ، لكنهما لم يقيعا فى المملكة الا فترة قصيرة عابدا بعدما الى ديارهما غير أنهما توقفا فى القسطنطينية حيث اهتم بهما الامبراطور اهتماما كبيرا وصرفتهما محملين بالهدايا الجمّة .

ولما كانت السنة التالية وهى العاشرة (٤١) من حكم الملك عمورى لقي وليم أسقف عكا الطبيب الذكر خاتمة عجيبه لا يستحقها ان كان الملك قد أرسله من القسطنطينية الى ايطاليا ، وطاف فى سفره بكل هذا الاقليم محاولا جهد ما أمكنه اتمام هذه المهمة الموكول اليه القيام بها ، فلما كان فى طريق عودته الى عكا عزم على زيارة الامبراطور بذء على اتفاق سابق بينهما فوصل الى « أدنة » إحدى المدن الشهيرة فى « تراقيا » الصغرى ، وهناك أحس الأسقف وليم بالانهاك الشديد من طول رحلته ، ولما حانت ساعة الظهيرة تناول طعامه ثم رقد ليريح جسده المرهق ، وكان بصحبته فى سفره هذا واحد من رجاله اسمه « روبرت » كان وليم قد رسمه من قبل قسيسا وجعله من ملازميه ، وكان « روبرت » هذا يقيم فى نفس الحجرة التى كان يستريح فيها الأسقف . وكان روبرت قد أبل من مرض طويل عانى منه شدة كبيرة ، لكن حالة من الجنون الفجائى اعترته فاستل سيفه وطمعن به الأسقف النائم طعنة أصابته بجروح قاتلة تعالى عنها صراخه ، فأدرك من كانوا فى الشارع أن سيدهم يعانى سكرات الموت ، فاندفعوا لأجدهته ولكن الباب كان محكم الاغلاق من الداخل مما استحال معه دخولهم اليه . غير أنهم فتحوه عنوة فوجدوا جولاهم

قد اظلم حمامه ، وأنه أقرب للميت منه الى الحي وان كان قلبه لازال ينبض نبضات واعية ، فكان أول ما شكروا فيه هو الاحساس بشأته واسلامه حقيدا بالحديد ليلقى الجزاء الذى هو أهل له حسب ما تقتضى به القوانين التى تحرم قتل النفس ، ولكن الأسقف منهم بالهمهمة والاشارة ، وتوسل اليهم من أجل نجات روحه أن يغفروا للقاتل جرمة ، ثم أسلم الروح وهو يستعطفهم ألا يجعلوا ما اقترفه الشاب جريمة تؤدى الى هلاكه .

وقد حدث هذا يوم ٢٩ يونيو .

ولم نستطع حتى الآن أن نقرر بسهولة ما الدافع لروبرت على اقرار تلك الجريمة الشنعاء ، وان قال البعض أنه كان يعاني مرضا لازمه طويلا ، وعلى الرغم من شفائه منه الا أن ذوبة خيل فجائية عنيفة اعترته فجعلته غير مسئول عن جرمة الشنيع .

ويذهب البعض الآخرون الى عكس ما ذهب اليه هؤلاء ان يؤكّدون ارتكابه جريمته بسبب ما كانت تنطوى عليه نفسه جوارحه من كراهية سوداء نحو مولى معين من موالى الأسقف كان يعتد كثيرا على عطف مولاة الشديد عليه فكان يسبى معاملة روبرت أسوأ معاملة .

وفي الثالث والعشرين من نوفمبر نصب مكان وليم في أسقفية عكا رجل اسمه « جوشياس » وقد تم ترسيمه كاهنا ثم شماسا في نفس الكنيسة .

- ٢٦ -

ومات في هذه الأثناء الشريف المبجل والعالى القبر «توروس» الذى طالما أشرفت اليه كأمير قوى للأرمن ، واذ ذاك قام أخوه

« مليح » الذى كان عن أشرف من حدته الأرض على ظهرها فطامع فى احتجان الميراث لنفسه، فمضى من أجل تحقيق هذا الغرض إلى نور الدين وألح عليه بالحاجا عنيقا أن يعده بطائفة من الفرسان يستطيع بهم اغتصاب أملاك أخيه قسرا ، وكان وجوه أمراء تلك البلاد قد بعثوا بعد وفاة « توروس » فى طلب « تورماس » ابن أخت « توروس » « ومليح » ونصبره حاكما من غير معارضة على إمارة خاله بأجمعها ، وكان تورماس لا يتنى الأب لكن كانت تنقصه الشجاعة والحكمة اللازمتان لقتالهم مع هؤلاء الذين استعدوه .

واستطاع « مليح » أن يحصل من نور الدين على عدد كاف من الفرسان بعد أن قدم لنور الدين شروطا محددة مرضية له كل الرضا ، فكان « مليح » بعمله هذا أول واحد من بنى قومه يشذ عن عادات أسلافه إذا استعان بالعدو فأدخل جيشا من الكفار إلى الإمارة ثم غزى أرض أجداده بالقوة وأخرج ابن أخته وسيطر على الإقليم كله ، وكان أول عمل قام به بعد أن صارت البلاد فى قبضته هو انتزاع كل ما فى أيدي فرسان الهيكل من ممتلكاتهم فى « كيليكية » على الرغم من أنه كان ذات يوم أحد أفراد هذه المؤسسة ، ثم عقد مع نور الدين والتوك حلفا قل أن يحدث مثله حتى بين الأخوة ، ثم طرح جانيا شريعة الرب فجب ملته وكفر بها ، ولم يدع ضررا يستطيع الحاقه بالمسيحيين إلا أنزله بهم فألقى فى الحبس من شاء قدرهم أن يقعوا فى يده فى ساحة القتال أو حين اجتياحه الحصون ثم حملهم إلى بلاد العدو فبيعوا ببيع العبيد ، وسرعان ما دلت الجرائم التى ارتكبتها هذا الزغد ضد المسيحيين على أنه واحد من أعدائهم مما دفع أمير أنطاكية وكبار رجال الإمارة إلى حمل السلاح ضده ، على الرغم من أنه كان من أخطر الأخطار وأغربها أن يحارب المسيحي مسيحيا من أهل ملته مما يعنى فى الواقع حدوث حرب أهلية . لكن لما كان من المستحيل أن يسكت هؤلاء المسيحيون

عن المصائب التى نزلت بأخوانهم على يد « حليج » فقد أعلنوها حربا عليه واعتبروه عدوا للمملكة .

فلما علم الملك بالاضطراب السائد فى ذلك الاقليم أسرع بقوته الى اماره أنطاكية لرغبته فى أن يساهم بدوره فى كل ما يمكن أن يؤدى الى اقرار السلام ، فلما بلغها أنفذ من هنا مبعوثيه الشخصيين الى هذا الشقى « حليج » الذى لا يراعى الرب أبدا ، وأقصدوا له عن رغبة الملك فى عقد حوار معه هو ذاته حتى شاء وأنى شاء ، فتظاهر « حليج » بخطته ان يتلقى هذه الرسالة ، ولكن الواقع هو أن باطنه كان يخالف ظاهره تمام المخالفة - وتعددت مرات ارسال الملك المبعوثين اليه رجاء دفعه الى اتمام هذا اللقاء الكبير ، لكن تبين له فى النهاية أنه كان مخدوعا بحيل هذا الرجل الخسيس ، وأدرك أنه لا يستطيع تحقيق شئ ما عن هذا الطريق ، وأذ ذاك جمع كل أفراد هذه الإمارة ونزل بهم وبجيشه على بلاد عدوه غازيا وأضرم العسكر النار فى ما وجدوه فى سهل « كيليكية » من المحاصيل لأن السير فى الطريق الجبلى كان أمرا بالغ المشقة ، كنا حاول العسكر الاستيلاء بالقوة على القلاع التى حروا بها ، لكن جاءه على حين فجأة رسول من الرسل يحمل اليه أنباء سيئة تشير الى أن نور الدين محاصر مدينة « تدمر » عاصمة المنطقة العربية المعروفة أيضا باسم « الكرك » وكان الخبر صحيحا .

فلحق الملك لهذا النبأ قلقا بليغا ، فاستأذن من أخير (أنطاكية) وأسرع وفى أثره أتباعه وحدهم ، لكن حدث أن قام أمراء مملكته قبل وصوله اليها بعمل حاسم حفيد هو أنهم جمعوا كل قوى المملكة الحربية وعهدوا بالقيادة العامة الى الكونستابل « همفري » وتشرف « رالف » أسقف بيت لحم بحمل الصليب ، وكانت القوات تنوالى دون ابطاء وتسرع فى شجاعة الى المكان المحدد حين قابلهم رسول

فلما كانت السنة التالية وقد حلت ظلائع الخريف استعد صلاح الدين لغزو ديارنا بقوات كثيفة وعدد ضخم من الفرسان واجتاز الصحراء على رأس عسكره الذين جمعهم من كل أرجاء مصر ووصل الى الناحية المسماة بكافة الأتراك .

ولما كان الملك يتوقع مجيء صلاح الدين فقد جمع جيشه الخاص وخرج وفي حسبه البهرك الميكل حاملا صليب المسيح الموقر الواهب الحياة ، ثم نصب معسكره قرب « بيرسيج » ليسهل عليه مواجهة الخصم المتقدم ، ثم جاء الخبر بأن قوات صلاح الدين لا تبعد أكثر من ستة عشر ميلا عن معسكر الملك ، ولكن عموري لم يكن واثقا تمام الثقة من أن الترك قد وصلوا في الواقع الى هذا الموضع ، غير أن الخبر كان صادقا إذ كان صلاح الدين قد اقام معسكره هناك لوفرة الماء به حيث يمكن التزود به بسهولة .

وبعد أن تشاور الملك مع نباله صمم على أن يغير طريقه تجنباً للاضطدام بالترك ، ومن ثم زحف العسكر والناس جميعا نحو عسقلان بدعوى التنقيب عن العدو الذي كانوا قد نجحوا في تجنب الالتحام به وقت أن كان على مقربة منهم .

ثم تابعوا زحفهم من عسقلان الى « الناروم » وعادوا على أعقابهم الى نقطة البداية الأصلية بعد أن أضاعوا الجهد والمال .

فى هذه الأثناء سار صلاح الدين عبر سهول أدوم idumea ودخل بجيوشه منطقة البقاع حيث حاصر قلعة هناك كانت تعد من أحسن قلاع هذا الإقليم كله وأمنها ، ثم أغار عليها غارة شعواء بقدر ما يسمح له موقعها ، إذ كانت واقعة على سفح التل فى بقعة منحدره ، هذا الى جانب ما كانت عليه من المذاعة بفضل أسوارها وأبراجها واستحكاماتها ، وكانت القرية التى توجد بها هذه القلعة خارج الأسوار ، وهى على سفح التل فى بقعة شديدة الانحدار ، شامخة الارتفاع مما يجعلها أمنة من الغارات والهجمات عليها بالآلات الحربية أو رميها بالاقواس ، وكان سكانها جميعا مسيحيين ولذلك كان فى الاستطاعة الاعتماد عليهم والثقة بهم ، ويضاف الى ذلك أن القلعة كانت مجهزة أحسن تجهيز بالسلاح والذخيرة ، ويقوم على حراستها رفق كاف للدفاع عنها .

ظل الكفار مثابرين فى الهجوم على هذا المكان بضعة أيام دون أن ينالوا ما يشتهون ، حتى إذا ما أيقنوا أنه موضع عزيز لا يمكن اقتحامه أصدر صلاح الدين أوامره بالرحيل عنه وعاد الى مصر بجيشه عبر الطريق الصحراوى .

— ٢٨ —

فلما كانت السنة التالية التى هى العاشرة من حكم الملك عمورى استعد صلاح الدين للمرة الثانية لغزو المملكة ، وإذا كان يترك أنه لم يكن فائدة كبيرة من جراء قتاله لقواتنا فى العام المنصرم فقد سعى هذه المرة لتمويض فشله فجمع من كافة أنحاء مصر وهدن غيرهما جيشا كبيرا من المقاتلين ، وحاول أن يخفى عن الجميع تحركاته فتقدم عن طريق الصحراء وأنزل أكبر الأضرار

بالسكان (٤٣) ، ووصل في شهر يوليو الى نفس القيمة التي كان قد احتلها بعسكره في السنة الماضية .

غير أن خبر زحفه بلغ مسامع الملك عموري فخرج على رأس زهرة قوات المملكة الحربية ، وانطلق في الصحراء ليقابل الأمير الدارق ، ولكنه علم - كما علم في العام السالف - أن صلاح الدين قد ترك الناحية الى اقليم البقاع فأنصرف عن قصد خشيّة أن يصل خبر خروجه الى صلاح الدين فيعرد من ناعية أخرى ويعيث تخريباً في المملكة ، لذلك سلك عموري الطريق الجبلي وتخير مكاناً ملائماً ثم ارتد الى الكرمل ، وليس الكرمل هذا هو جبل الكرمل الساحلي الذي كان مسكن « الياس » بل هو قرية نقرأ فيما نقرأ عنها أن « ذبال » (٤٤) الأرعن كان يعيش فيها . ولقد كان الملك حكيماً في اختياره هذا الموضع لوفرة مائه بسبب وجود بركة قديمة به ، فسبحة الاتساع ، تستطيع أن تمد الجيش كله بفيض وافر من الماء .

وزيادة على ذلك فإن « الكرمل » كان قريباً من الاقليم الواقع فيما وراء الأردن ولا يفصله عنه سوى الوادي الشهير الذي يعتبر الحد الفاصل بين الاقليمين ، كما يقع فيه البحر الميت ، ومن ثم كان في استطاعة جيشنا الحصول على كثير من أخبار تحركات العدو والتدقيق من أوضاع قوات صلاح الدين .

على أن توقف الملك عن الاقتراب من تلك الناحية للأسباب التي ذكرناها أتاح الفرصة لصلاح الدين ليفسده في الاقليم كله حسبما يهوى ، فلم يترك شيئاً صادقاً خارج القلعة الا جعله طعمة للذيران ، وأمر باجداث الثنابات وقطع الكروم وتدمير القرى حتى اذا أذن شهر سبتمبر الى الانتهاء عاد الى عصر بعد أن اجتاحت الاقليم كله اجتياحاً عاصياً حسبما زينه له هواه .

كذلك عاد ريموند الصنوبر كونه طرابلس في هذا الوقت تقريبا الى أرض أسلافه بعد أن قضى سنوات في الأسر (٤٥) في الغربية وحفيدا بالسلاسل ، ثم أطلق سراحه في النهاية ، وردت اليه حريمته بعد دفع فدية قدرها ثمانون ألف قطعة ذهبية ، فرحب الملك بعودته أجمل ترحيب وبادر فرد عليه الاقليم الذي ظل عموري نفسه يدير شؤونه طرل فترة غياب ريموند ، ثم زاد فوصله من الخزانة الملكية بالصلوات الكثيرة مساعدة منه له في دفع فديته وأضاف الى ذلك قيامه بحدث نبلائه وكبار رجال الكنيسة على نهج نهجه مع ريموند .

- ٢٩ -

والت بنا في هذا الوقت تقريبا كارثة فاحشة كان لها أضخم العواقب على المملكة والكنيسة معا ، ومازلنا نعانى منها حتى الآن بل وربما سنظل حزاني بسببها الى الأبد ، وأرى أن فهم هذه المسألة يتطلب منا الرجوع الى الوراء قليلا لبداية القصة . ذلك أنه كان يعيش في ولاية صور وفي أبرشية « طرطوس » أمة من الناس يملكون عشر قلاع وما يلحقها من المدن ، وكان عدد هؤلاء الناس - كما سمعنا - يقرب من ستين ألف نسمة أو يزيد عن ذلك قليلا ، وكانوا اذا أرادوا أن يولوا أحدا عليهم اختاروا بالتصويت ولم تجر عادتهم على توليته بالوراثة ، وكانوا يقدمون من يختارونه بناء على مزايده فاذا تم انتخاب هذا الزعيم نحتوه بشيخ الجبل ، وهو لقب يؤثرونه على سواد من ألقاب التعظيم ، وأسلموا له أمرهم من غير جدال ، وأطاعوه طاعة عمياء لا يابهن معها بشيء مهما كانت صعوبته ولا يكثرثون بأى مشقة في سبيل تنفيذ أوامرهم ، وينتصرون تروضا صادقا بما يكلفهم به وينصاعون اليه انصياعا قد يكون فيه الخطر الجسيم عليهم ، والمثال على ذلك أنه اذا حدث أن استوجب أمير حاكراية هؤلاء القوم أو أسخطهم قام الشيخ فناول واحدا من أتباعه

أو أكثر خنجرًا فيبادر من وقع عليهم الاختيار بتنفيذ ما وكل إليهم
التعليم به في الحال غير عابئين بنتائج ما هم مقدمون عليه أو
مكثرئين بعدم نجاتهم أو عودتهم سالمين ، بل يتحسسون كل الحماسة
لحملهم أيمانًا منهم بضرورته ويترقبون الفرصة المناسبة التي تمكنهم
من تنفيذ أمر شديخيم ، وكان هؤلاء القوم يسحرون بالحشاشيين .
ولا يعرف أحد من النصارى ولا المسلمين مما اشتقت هذه التسمية .

ولقد ظل هؤلاء الحشاشيون أربعة قرون من الزمان وهم يتبعون
شريعة المسلمين وسنتهم اتباعًا دقيقًا ، وإذا ما قورنوا بغيرهم من
الأمم الأخرى بدوا وكأنهم مخادعون ويظنون في أنفسهم أنهم
وحدهم الذين يراعون الشرع . لكن حدث في أيامنا هذه أن اختاروا
لهم شيخًا ألمعيا فصيح اللسان ذكيا غاية الذكاء . وكان عند هذا
الرجل - على عكس أسلافه - كتب العهد الجديد وشرائع الرسل ،
وكان دائم النظر فيها . كما حاول في ذات مرة أن يتبع تلمذ
المسيح الصحيح ويأخذ بالعقيدة الرسولية .

وقد حملته تعاليم المسيح وتلاميذه الرائعة السمحة على نبذ
العقائد التي رضعها منذ صغره ، ثم راح يلقي أتباعه هذه التعاليم
حتى أخرجهم عن تعاليم ملتهم فهدم أركان عبادتهم التي اعتادوا
المصلاة فيها ، ومنعهم من الصيام وأباح لهم شرب الخمر وأكل لحم
الخنزير ، ثم دفعته أخيرا الرغبة في الوقوف التام على أسرار دين
الرب إلى إرسال مندوب منه إلى الملك يدعى « عبد الله » ، وكان
عبد الله هذا فطنا فصيحًا ألمعيا الفؤاد ، محافظا على تعاليم مولاه ،
وحمل معه إلى الملك اقتراحات سرية يتلخص أخطرها في أنه إذا
تعهد فرسان المعبد الذين لهم قلاع منيعة مجاورة لأراضي الحشاشيين
أن يردوا على الحشاشيين الألفى قطعة الذهبية التي كان قومه
يدفعونها لهم سنويا وأن يكاثروهم بنظرة أخوية فإن كافة أهل الطائفة
سوف يعتنقون ملة المسيح وينتصرون .

استقبل الملك رسول شيخ الجبل بالغبطة ، وإن كان عمورى رجلا ذكيا فقد وافق على كل المطالب التى عرضتها عليه ، بل انه أبدى استعدادا - كما يقول البعض أن يعرض الداوية عن خزينته الخاصة المبلغ الذى يطالبهم به الحشاشون وقدره ألفا قطعة ذهبية ، لذلك استبقى الملك عنده رسول شيخ الجبل لفترة طويلة لاستكمال تفاصيل الاتفاق ثم رده الى مولاه لوضع اللامسات النهائية للاتفاقات ، ثم بحث معه مرشدا يده على الطريق ويمرسه وتمكن عبد الله - وهو فى حراسة الدليل وعن بعضهم الملك لمرافقته - أن يجتاز طرابلس ، حتى اذا أوشك على الدخول الى بلدة باغته وعن معه الفرسان الداوية ، ووثبوا عليهم بسيفوفهم وقتلوا هذا المبعوث الذى لم يكن يدور قط بخلاعه حدوث شئ من هذا القبيل ، حتى انه سافر دون أن يأخذ الحيلة الواجبة ثقة منه بما فى يده من كتاب أمان زوده به الملك ، واطمئنا الى ايمان أمتنا ، وبذلك عرض الفرسان (الداوية) أنفسهم للرمى بتهمة الخيانة .

أثارت أخبار هذا الفعل الدنيء ثائرة الملك وجن جنونه ، فاستدعى اليه البارونات وبين لهم وهو فى سورة غضبه أن خيانة الأمانة انما ترقى الى اعتبارها اهانة بالغة تلحقه هو ذاته ، ثم طلب اليهم أن يثيروا عليه بالرأى الواجب عليه اتخاذها ، فاتفق رأيهم جميعا على انه لا يمكن التقاضى عن هذا الجرم البشع لأن الكرامة الملكية بدت فى ظل هذه الجريمة معدومة تماما ، وإن ما جرى جلب العار الذى لايمحى أبد الدهر وعد مفعرا فى حسن نية المسيحيين الحليبة ووفائهم الحميد ، وزيادة على ذلك فمن المحتمل جدا أن تفقد الكنيسة فى المشرق ازدهارها الذى يرضى الرب ، والذى كانت تعد نفسها له .

وانذاك اتفق الجميع على انتخاب اثنين عن الذب سلاء هما « زبير دى حاحيدون » Sieher De Mamedune وآخر اسمه « جردشو تيرتي » Godeschmann ليكونا رسولين خصوصيين يطالبان « ايود دى سنت آماند » رئيس فرسان المعبد بتقديم الترضية الكافية للملك والمملكة معا عن هذه الفعلة الزكراء المدنسة .

ويقال ان أحد الاخصيان واسمهما « وولتر دى ميزنيليو » Walter Maisnilio وكان أعور شميرا خسيس النفس أو كما يقل « كانت روحه فى مخاريه » (٤٦) هو الذى دبر هذه الجريمة لكن بموافقة الفرسان ، وزاد البعض غفلا ان رئيس المنظمة - رغبة منه فى الإبقاء على هذا الرجل بعيدا عن أن ينال جزاء اثمه - بعث الى الملك بكتاب مع رسول من قبله يخبره أنه أنزل العقوبة على هذا الأخ المذنب ، وأنه على وشك إرساله الى البابا ، وأنه نهى الجميع - نيابة عن البابا - أن يصيبوا أو يصيب أحدهم الأخ المشار اليه بأذى سوء ، وأضاف الى ذلك ملاحظات أخرى أغلقتها عليه روح التعالى والغرور ولكن ليس من الضروري أن أسجل هذا فى كتابى هذا تلك الملاحظات .

وذهب الملك بنفسه الى صيدا بشأن هذا الموضوع ، فوجد رئيس الفرسان مع كثير من الاخوان وغيرهم هذا المجرم ذاته ، فتشاور (عمورى) مع من جاءوا فى رففته ، ورأى أن يأخذوا بالقوة ذلك الرجل المتهم بهذه الجريمة من المنزل حيث يقيم ، فسمحوا به وأرسلوه مكبلا بالقيود الى صور حيث زج به فى الحبس .

لقد كادت الجريمة التى اقترفت ضد رسول الدشاشدين أن تؤدى بالمملكة كلها الى خراب حقيقى وصدع لا يمكن رآه .

على أن الملك أصبح قادرا على الاحتفاظ بشرفه سليما بعد إعلان براءة ساحته عند شيخ الجبل الذى هلك جبعوته على هذه الصورة الكريهة ، كما اتسم تعامله مع الداوية بالإهمال الكبير مما أدى الى بقاء الموضوع معلقا حتى وافاء أجله . ومع ذلك فإنه يقال أن عمورى كان معترضا أن يبحث الموضوع مع ملوك الأرض وأمرائها بعد أن يزل من وعكته الأخيرة وذلك عن طريق إرساله مبعوثين من جنته ذوى المراتب الرفيعة حتى يلقي الأمر الاهتمام الجدير به .

كذلك وقع فى الربيع التالى موت المستشار الملكى الأخ الموقر الحبيب الذكر « رالف » أسقف بيت لحم ، وكان رجلا سمح الطباع المعيا ، ولما زوى القرب فى احتفال مهيب فى ساحة كنيسة برزت مشكلة اختيار خلف له ، وبينما كانت هذه المشكلة قيد البحث فى نفس الكنيسة شبت مفارقات جمة بسبب تصارع آراء الناخبين واختلاف بعضها عن بعض ، وعلى اختلافات كان من الصعب حسمها ولم يمكن البت فيها باتا حاسما حتى السنة التالية من حكم (بلدوين الرابع) ابن الملك عمورى وخليفته من بعده .

ولقد كلف هذا الاختلاف فى الآراء كنيسة بيت لحم أمرا لا طائلة .

~ ٣٦ ~

وفى شهر مايو (اعنى بعد قرابة شهر واحد من ذلك الوقت) مات نورالدين المضطهد الكبير للاسم المسيحى وللملة المسيحية . وقد وافاه الموت بعد حكم امتد ثلاثا وعشرين سنة ، وكان أميرا عادلا شجاعا فطنا ، وهو من الاتقياء الزرعين حسب مفهوم بنى

جنسه . ولما علم الملك بوفاته استدعى جميع قوات المملكة وحاصر مدينة بانيس ، فلما كان من أرملة نور الدين - وكافت امرأة تزين معظم النساء في عزيمتها الا أن أرسلت في هذه اللحظة الى الملك عموري كتابا تعالیه فيه برفع الحصار عن أهل بانياس وشبههم هدنة مؤقتة على أن تدفع له ازاء ذلك قدرا كبيرا من المال ، غير أن الملك تفاخر في ردّ الأحر بأنه رافض عرضها وأظهر عزمه على مواصلة حصار بانياس ، ولم يكن ذلك الا رغبة منه في التزاد أكبر قدر من المال هذا ، ولذلك ظل بعدئذ يتابع القتال قرابة خمسة عشر يوما ويحارب في عنف وضراوة كبد فيها العدو خسائر فادحة بفضل ما تحدث يده من آلات الحصار وغيرها ، لكنه أدرك أخيرا أن قدرة الأتراك على المقاومة كانت في تزايد مستمر مما أيقن معه الا أمل له في النصر .

على أن مبعوثي هذه السيدة المهجلة (٤٧) ظلوا في هذا الوقت ذاته يتابعون الملك ويلاحقونه ملحين عليه بطلب السلام ، فاستجاب الملك لهم بعد لأي وقبل المال المعروض عليه ، كما أطلق الأعداء (المسلمون) من جانبهم عشرين من الفرسمان الأسرى الصليبيين ، وحينذاك رفع الحصار عن بانياس وإن كان العزم مجمعا على القيام بمشروعات أكبر فيما بعد .

وبينما كان الملك عموري في طريق عودته الى دياره شكى لمن حوله ما يحسسه من المرض يدب في أوصاله ، وأحس أنه أبعد ما يكون عن العافية فسرح عسكره وواصل هو سيره مع خاصة أتباعه الى طبرية ، وقد شعر بالدوسنطاريا تفكك به فتكأ ذريعا ، ولما كان يخشى تزايد العلة عليه فقد تابع طريقه من هنا على ظفر جواده إذ لا زال به من البأس ما يكفي لبذل بعض الجهد ، ومر في طريقه بالناصرية ونابلس الى بيت المقدس حيث تزايدت عليه علته ، وتدهورت صحته ، ثم

اعتبرته حمى شديدة على الرغم من أن الدوسنتاريا استجابت لمهارة
المطبيب فزاييلته ، ولما رأى نفسه يشكو بضعة أيام من الحمى التي
لا تحتل فقد أمر باستدعاء الطبيب من الاغريق والسريان وغيرهم
من الجنسيات الأخرى المعروفين بحدقهم في العلاج ، وأصر على
أن يسقوه دواء مليئا ، فلما رفضوا طلبه هذا أمر أن يجيئوا له
بالمعالجين من اللاتين ، وسألهم ما سأل الذين جاءوا قبلهم ، وأضاف
إلى ذلك أنه مهما كانت النتيجة فإنه متحمل عاقبة ما يحدث ،
فجهزوا له من الدواء ما يحقق سؤاله في سر ، وسقوه بعض
المسكنات - لكن حدث قبل أن يستطيع أن يأكل ما يبعث القوة في
جسده الذي ومن من جراء العلاج العنيف أن عاودته الحمى التي
اعتادت أن تفتابه واستسلم لقدره ولفظ أنفاسه الأخيرة يوم ١١
يوليو سنة ١١٧٤ م بعد حكم دام اثني عشر عاما وخمسة
أشهر (٤٨) .

وكان عمره يوم مات ثمانية وثلاثين عاما . وقد دفن إلى جوار
أخيه وإلى جانب أسلافه . ويقع قبره أمام الجلجثة .

وكان عموري رجلا حكيما حسيفا ، أهلا لإدارة دفة أمور
الحكومة في المملكة ، ويرجع الفضل إلى الحاحه علينا في أن كتبنا
هذا التاريخ عن أعماله هو ذاته وأعمال أسلافه .

هنا ينتهي الكتاب العشرون

دواشى الكتاب العشرين

Chalandon : Comnènes, II, P. 836.

(١)

(٢) كان « اندرونيكوس » هذا حاكما من قبل لمنطقة كيليكية ، ثم بلغ الامبراطور مانويل عنه من الامور السيئة ما حمله على صرفه عن حكومة هذا الاقليم ، وكان من بين ما رعى به عند مانويل - وهو حق - صلته بالاميرة « فيليبيا » اتصالا مستهجنا ، ثم جاء الى القدس فاعجب به عمورى فاقطعه مدينة بيروت لكنه لم يحفظ للملك يده ، فاتصل بالاميرة اتصالا اغضب الجميع وذهبت اليه فى بيروت وعاشروها بما لا يليق لمكتب خاتويل سرا الى عمورى فى شأنهما فوقف المعاشقان على الكتاب وكانت احور انتبت بما اساء اليه ففر الى بعض البلاد الاسلاجية ، راجع تفصيل هذه الاحداث فى
Ch. Diehl : Figures Byzantines (2ème) Serie, PP. 86 — 134

(٣) راجع الحاشية السابقة ، وسيرد فى ثنايا هذه الترجمة كثير من الامور المتعلقة به .

(٤) انظر الجزء الثانى من هذه الترجمة العربية . ص ٢٨٢ وما بعدها .

(٥) كانت وفاته سنة ١١٦٨ فى عكا .

(٦) كان هذان المبعوثان من اهل « تورانتو » فى جنوب ايطاليا ، وقد يبدو عجيبا ان يستعين الامبراطور « البيزنطى » بغير ابناء بلده وبالايطاليين

فى مثل هذه الأمور الهامة الخطيرة ، لكن حيله الى اللاتين يبرر هذه الخطة منه ، وكان ايشاره الغربين عن اكبر العوامل التى أثارت سخط البيزنطيين على حكومتهم ، وبما زاد الطين بلة زواجه من أخت « بوهيموند » مما أدى الى قيام « أندرونيكوس كومنين » فيما بعد بالثورة على الحاكم الشرعى الصغير « الكسيوس بن مانويل » وأمه الوصية مما ترتب عليه قيام فتنة داخلية صحبتها مذبة مروعة راح اللاتين ضحيتها ، كما استغل الفرصة النرجونديون فتحركوا فى جنوب ايطاليا .

(٧) يتضح لنا عن مطالعة ما كتبه شالاندون أنه بعد مراجعته النص اللاتينى الذى كتبه وليم أصبح يعتقد أن مانويل كان يسعى « لأخذ بعض مملكة القدس » ، لكننا نميل للقول بأن المؤلف كان يقصد بكلمة المملكة « هنا مصر وليس بيت المقدس راجع : Chalandon : Conunnenes, II, P. 536.

(٨) المقصود بالمملكة « هنا بيت المقدس .

(٩) أى بين عمورى ملك بيت المقدس ومانويل امبراطور بيزنطة .

(١٠) أى أنيم « عبيد » .

(١١) سماء وليم فى الأصل وكذلك الترجمة الانجليزية باسم **Mahazi**

بن شاور وراجع ، ص ٨٨ ، حاشية رقم ٥٠ .

(١٢) يقصد بالمملكة هنا « مصر » .

(١٣) أى الاستيلاء على القاهرة .

(١٤) المقصود بالمملكة هنا بيت المقدس .

(١٥) سبقت الإشارة الى ذلك .

(١٦) سرياقوس - بكسر السين من المدن المصرية القديمة ، ويرجع

محمد رمزى ، شرحه ، ق ٢ ، ج ١ ، ص ٢٥ أنها كانت فى أول نشأتها عزبة أنشأها « سرياقوس » والى « أتريب » فسميت باسمه .

(١٧) قال بقاء الدين فى الحاسن النيوستية أن الذى قام بهذا العمل هو

صلاح الدين نفسه وقد أخذ بهذا المرائى المؤرخ الانجلى ستانلى لين بول .
S. Lane-Poole : History of Egypt in the Middle Ages

حيث يقول ان صلاح الدين وجرديك صمما على التخلص من شاور ، وذلك فى اللحظة اعتاد الخصى فيها للسلام على « شيركوه » فلما حانت هذه اللحظة وثب عليه صلاح الدين ورجال كاذوا معه وأنزلوه عن فوق دابته وقيدوه وقتلوه ، وان الخليفة سرعما جرى ، وطلب ان يأتوه برأس « شاور » ، راجع فى ذلك كتاب الدولة الفاطمية فى عصر للدكتور ايسن فؤاد سيد

(طبعة سنة ١٩٩٢) حيث يعرض لهذا الموضوع بناء على ما ورد في التاريخ
الباهر لابن الأثير ، ص ١٤٠ ، والكامل في التاريخ ٣٢٩/١١ - ٣٤٠ ،
والروضتين لأبي شامة ٢٩٦/١ ، ٤٢٦ . وابن واصل : مفرج الكروب
١٦١/١ - ١٦٢ .

(١٨) أى مملكة بيت المقدس .

(١٩) حراشى أرميا ١/٤ .

(٢٠) أيوب ٢٠/٢١ .

(٢١) يستفاد مما ورد في الأصل لوليم الصوري أنه يرى أن « شيركوه ،
قد انتحر » - ولكن الواقع أنه عات فجأة يوم السبت ٢٢ جمادى الآخرة
سنة ٥٦٤ هـ (مارس سنة ١١٦٩ م) لأنه كان يكثر عن الأكل الدسم ، راجع
الروضتين لأبي شامة ٤٠٥/١ ، ٤٢٨ ، وابن الأثير : التاريخ الباهر ١٤١ ،
والكامل ٣٤١/١١ - ٣٤٢ . والمقريزى : اتعاظ المحنفا ٢/٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٢٢) قد يذهب عن النحس أن الخليفة العاضد كان يعتزم قتل صلاح الدين ،
ومن ثم بادر الأخير قسبه فقتله قبل أن يغدر هو به ، ولكن الصواب
غير ذلك فقد ظل صلاح الدين وزيوا للعاضد من جمادى الآخرة سنة ٥٦٤
حتى مطلع ٥٦٧ ، عند ما قطع المصالح الخطبة للفاطميين في السابع من
الحرم من هذه السنة . ولم تمض على ذلك أيام قلائل إلا وعات الخليفة
العاضد كمدا ليلة عاشوراء من السنة ذاتها فانهم المصالح الخطبة للخليفة
العباسى المستضى . راجع ذلك بالتفصيل فى كتاب د . أيمن فؤاد سيد
الدولة الفاطمية فى مصر ، ص ٢٣٤ - ٢٤١ ، اعتمادا على المصادر التالية :
التاريخ الباهر لابن الأثير ١٥٦ ، والكامل فى التاريخ ٣٦٨/١١ ، والروضتين
لأبي شامة ٤٩٢/١ - ٤٩٣ ، ومفرج الكروب لابن واصل ١/٢٠٠ - ٢٠٢ ،
واتعاظ المحنفا للمقريزى ٢/٢٢٥ - ٢٢٨ .

(٢٣) ليس بين أيدينا من المراجع ما يشير الى أئقال كاهل صلاح الدين
بالدينون الا أن يكون ذلك اشارة الى كثرة بذله الأموال على من معه من الجند
عما تتطلبه الحرب .

(٢٤) هذه اشارة صريحة الى مكانة مؤلفنا ولهم العسرورى عند اكبر
عاهل عسجى فى ذلك الوقت وهو مانريل امبراطور الامبراطورية البيزنطية .

(٢٥) سبق التعريف بالدراعين ، وانظر درويش النخيلي السفن
الاسلعية ، ٤٦ - ٤٨ .

(٢٦) في الأصل « ١٦ أغسطس » ، والصحيح ما أوردناه في المتن أعلاه ،
ويلاحظ أن الترجمة الانجليزية نصت على خطأ ولیم وان أشارت اليه في
الحاشية فقط .

(٢٧) راجع محمد رزقي : القاموس الجغرافي تحت كلمة « الفرما » .

(٢٨) المقصود بالناس هنا : الصليبيون والمسيحيون الذين يقومون
بالحدسار .

(٢٩) علقت الترجمة الانجليزية « ج ٢ . ص ٢٦٩ » بالحاشية
الى عدم تقديم ولیم الصوري أى بيانات عن مصاعبه مع رئيس
أساقفته ، وان رجحت أنه ربما كان بعض هذه المصاعب راجعا الى أن الملك
عموري طالب رئيس الأساقفة بزيادة راتب ولیم كرئيس شاعسة حتى تعينه
هذه الزيادة على القيام بالهمة التي وكلها الملك اليه ، وهي الاسهام في
التأليف التاريخي وكتابة تاريخ لعموري وعهده .

(٣٠) عرف المقدسي « الداروم » التي تعرف عند الصليبيين باسم
« Daroma » داروما بأنه لفظ يطلق على الاقليم الواقع حول « بيت جبرين »
أو « جبريل » المعروف في الحوليات الصليبية هو الآخر باسم Eleuthero-
polis على ان الداروم عند كل من ياقوت وابن عبد الحق قلعة يحاصفها المسافر
بعد مغادرته غزة في طريقه الى مصر ، وهي تبعد مسافة فرسخ عن البحر
كما يشير الكاتبان ذاتهما الى ان صلاح الدين خربها حين استيلائه على
الناحية سنة ٥٨٤ هـ (١١٨٨ م) ، ويفسر كل من ولیم الصوري وجاك فيترى
اسم الداروم بأنه Domus Graecorum المشتق من « دار الروم » . ولكن
Le-Strange : Palestine Under The Moslems, P. 437.
هذين المؤرخين فيما يقولانه ، ان يشير الى أن كلمة « الداروم » يقصد بها
في العبرية « الاقليم الجنوبي » .

(٣١) أيديويا أو ادوم Edom وقد يقال لها أيضا Idumaeon
هي موضع يشرف على طريق القوافل التجارية في العصور الوسطى الواصلة
بين مصر وبلاد العرب والشام ، وقد ذكر Le Strange : op. cit. P. 384
أنها هي المعروفة « بالشمرة » وذلك في معرض كلامه عن اذرع ، وكان لى
سقرائج ينقل هذا عن الميحقوبى .

(٣٢) راجع الجزء الثالث من هذه الترجمة العربية . ك ١٧ : ف ١٢ ، ص

٢٢٩ - ٢٢٠ .

(٢٢) هو توماس بيكيت Thomas Becket رئيس أساقفة كانتربري الذي قتل يوم ٢٥ ديسمبر ١١٧٠ م وقد أعلنه البابا اسكندر الثالث شهيدا في عيد فصح ١٠٧٢ م .

(٢٤) هذه زلة قلم من المؤلف اذا الصحيح أن يقال « السفة القاسفة » .

(٢٥) المقصود بالأمير الجليل هنا : الأمير حنا البروثوسيباستوس ابن أخى حاننيل .

(٢٦) قارن ما ذكره ولیم في هذه الأسطر حول هذا الموضوع بما جاء في Chalandon : Comnènes II, PP. 547 - - 149.

(٢٧) تطلق كلمة « بلاشيرناي » Blachernae على بناءين أحدهما هو القصر الإمبراطوري بالقسطنطينية الواقع على القرن الذبى ، وثانيهما على الكنيسة الملاحقة به ، وكان من يستحوذ على القصر تكون له السيادة في العاصمة ، لذلك نرى جستنيان يسعى إليه ابان نضاله من أجل الحكم . كما أنه كان القصر الذي تقام فيه الاحتفالات الكبرى وما أكثرها كما تستدل على ذلك مما كتبه

Ch. Diehl : La Société Byzantine à l'époque de Comnènes, PP. 13 — 25.

وقد انطفا بريقه بقيام الملكة اللاتينية الصليبية وما تلى ذلك من أحداث دامية وقد لعب هذا القصر دورا كبيرا في تاريخ بيزنطة حتى زمن متأخر من العصر الوسطى . أما الكنيسة المعروفة بهذا الاسم أيضا فملحقة بالقصر وهي كبيرة الاتساع عظيمة القدر يدل على ذلك أنه عقد بها مجمع أغسطس ٧٥٤م بشأن الخلاف حول عبادة الايقونات كما شهدت بعد ذلك بسنة قرون تقريبا (أعنى سنة ١٢٥٤ م) الاحتفال بتسلم « عاتيو كانتا كوزينرس » التاج الإمبراطوري .

(٢٨) الوارد في الأخبار اليونانية القديمة أنه كان هناك شابان أحدهما لياندور Leandor من أبيدوس الذي عزم على زيارة صديقه هيرو Hero من أهل سينوس غرخب البحر وهو حديق السفور الفاصل بينهما ، واشتد الموج شدة عنيفة فلم يعيا لياندور وأبى إلا انعام رحلته وأخذ يصارع المياه الصاخبة حتى حصرمه الموج فمات شهيد صداقته .

(٢٩) هذه هي السفرة التي قام بها فردريك رئيس أساقفة صور الى ملوك الغرب وأمرائه وكبار حكامه للاستنجاد بهم ضد المسلمين فلم تنفع ،

(٤٠) هو حفيد سبيه ستيفن كونت دي بلوا الذى التقينا به فى كثير من المواقع فى هذه الترجمة فى الحرب الصليبية الأولى ، راجع قهرس الاعلام فى نهاية هذا الجزء .

(٤١) فى الأصل « الثامنة » وهو خطأ يصححه تسلسل أحداث عهد هذا الملك ، فقد جرى هذا الحادث فى سنة ١١٧٢ م ، وقد انتهت الى هذا الخطأ النسخة الانجليزية فاشارت اليه فى الحاشية وان لم تصححه فى المتن .

(٤٢) المقصود بالناحية هنا منطقة البتراء والكرك .

(٤٣) Stevenson : Crusaders in the East, P. 35 et seq.

(٤٤) جاء وصفه فى صمويل اول ٢/٢٥ بأنه « كان قاسيا وردى الافعال » ، وأما اعراته - واسنيا ابيجايل - فكانت جيدة الفهم وجبيلة الصورة ، وانظر الملحق الذى وضعناه فى آخر هذا الجزء .

(٤٥) كان أسره فى حارم سنة ١١٦٤ م ، ثم أطلق سراحه فى الثامن عشر من اكتوبر سنة ١١٧٢ م وليس فى سبتمبر سنة ١١٧٣ م كما يستفاد من المتن أعلاه ، وهذا خطأ لم تتبعه الترجمة الانجليزية فأهملت الاشارة اليه ، أما عن حارم فراجع هذا الجزء ص ٨٣ ، حاشية رقم ١٦ .

(٤٦) الاشارة هنا الى ما جاء فى اشعيا ٢٢/٢ « كف الانسان الذى فى أنفه نسمة » .

(٤٧) المقصود بها عند المؤلف مرحلة نور العين .

(٤٨) فيما يتعلق بهذه الأحداث والتعليق عليها راجع Stevenson : Op Cit., P. 213 et seq.

أرغام بلدوين الأجدم على تولى حكم القدس

- ١ - أوليات حكم بلدوين الرابع سادس ملوك القدس وصفة حياته والاشارة الى عمره ومظهره .
- ٢ - تاريخ تدشينه وتويجه .
- ٣ - النكبة الفادحة التى منى بها أمام الاسكندرية الأسطول الذى أرسله ملك صقلية فى السنة الأولى من حكم بلدوين الرابع .
كونت طرابلس يطالب بالوصاية على المملكة وعلى الملك باعتبارد أقرب الناس اليه .
- ٤ - مقتل « ميلون دى بالانسى » فى عكا ووفاة فردريك رئيس أساقفة صور .
- ٥ - وصف كونت طرابلس وذكر أمملائفه الذين انحدر منهم

وكيفية اخذه الرصاية على العرش . تعيين مؤلف هذا الكتاب مستشارا ملكيا .

٦ - صلاح الدين يتولى شئون مدينة دمشق وبقية أقاليمها استجابة لطلب أهلها . تكونت طرابلس ينضض لصدده حتى يفسد عليه مخططاته .

٧ - لماذا أصبح العدو أكثر جرأة على الصليبيين .

٨ - صاحب الموصل يسرع لمساعدة ابن أخيه فيطلب عليه صلاح الدين ويمتلك الاقليم كله . قيام كونت طرابلس بعقد اتفاقية معه وتسلمه الرهائن .

٩ - موت « حيزارد » أسقف بيروت ورفح مؤلف هذا الكتاب الى مرتبة مطران صور .

١٠ - الملك (بلدوين الرابع) يغزو ارض الدماشق ويخربها . موت « هيرنيسوس » رئيس أساقفة قيسرية .

١١ - الملك يعاود الهجوم على بلاد العدو ويعيث فسادا في واد اسمه وادي البقاع .

١٢ - هزيمة امبراطور القسطنطينية هزيمة نكراء في قونية .

١٣ - وليم الصغير مركز حوثفترات يصل الى فلسطين ويقترون بأخت الملك .

١٤ - وصول كونت فلاندرز الى المملكة وكان حبيوه عنتظرا منذ آمد بعيد .

١٥ - أتباع الكونت يخذعون ويغرونه على عدم الاذعان لآراء اشراف المملكة .

- ١٦ - قدوم سفراء امبراطور القسطنطينية ومطالبتهم الصليبيين بتنفيذ الاتفاقية التى كان الملك (عمورى) قد عقدها مع حوالاهم ، ويلحون على تنفيذها فى الحال واعداد حملة على مصر .
- ١٧ - معارضة الكونت (فلاندرز) لهذا المشروع العظيم مما أدى الى عدم تنفيذ الاتفاقية .
- ١٨ - رجوع مبعوثى الامبراطور الى ديارهم ومتابعة كونت فلاندرز سيره الى انطاكية . زواج « بليان » من أرملة الملك عمورى .
- ١٩ - أعير أنطاكية وكونت طرابلس يعاونان كونت فلاندرز فى حصار حصن حارم ، ولكن تفشل جهودهم .
- ٢٠ - صلاح الدين يصل من مصر على رأس قوات كثيفة ويهاجم الملكة ويضرب معسكره أمام عسقلان فيخرج بجميع قوات الملكة لصدده وتنتشب معركة هامة أمام المدينة .
- ٢١ - الترك يخرّبون كل الناحية ويحرقون المدن والنواحي القاصية .
- ٢٢ - الملك ينفض من عسقلان ليصد العدو . استعداد الجانبين للقتال وتامبهما للمواجهة .
- ٢٣ - نشوب معركة تدور فيها الدائرة على صلاح الدين فيفقد مدحورا مجللا بالعار .
- ٢٤ - الجو الحاصف والبرودة غير المعتادة تنبكان طاقة الهاربين الذين فروا عن المعركة وموت أعداد كبيرة منهم ، ووقوع غيرهم فى الأسر ثم عودة الملك الى بيت المقدس مظفرا .

٢٥ - القوات المحاصرة لقلعه حارم فى انطاكيه تتغلى عن مهمتها وتعود الى ديارها .

٢٦ - عقد مجمع كنسى عام فى رومة وقيام الملك ببناء حصن فيما وراء نهر الأردن فى ظروف غير ملائمة . تسليمه هذا الحصن بعد الفراغ من بنائه الى الداوية .

٢٧ - قيام الملك بغزو ارض العدو ونكبته بخسارة فادحة ، وموت همفرى كونستابل الملك هناك .

٢٨ - صلاح الدين يقوم بمهاجمة بلدة صيدا وحينذاك يجمع الملك قوة المملكة الحربية ويخرج لصدده .

٢٩ - وقوع معركة بين الجانبين وفزيمة الصليبيين وسقوط الكثيرين منهم فى الأسر .

٣٠ - صلاح الدين يحاصر الحصن الذى تم تشييده منذ قريب ويستولى عليه بالقوة ويخربه ، وحينذاك يصل الى سورية « هنرى كوثن ترويه » وبطرس أخو ملك الفرنجة .

هنا يبدأ
الكتاب الحادى والعشرون

بلدوين الرابع الأجدم
يتولى حكم بيت المقدس
رغم أنفه

~ ~ ~

كان بلدوين الرابع (١) ملوك القدس اللاتين ، وهو ابن الملك عمورى الطيب الذكر الذى كذا نكتب عنه منذ قليل ، وأما أمه فهى الكونتيسة « أجنس » ابنة جوسلين الصخير كونت الرها الذى كثيرا ما وردت الإشارة إليه فى الصفحات السابقة .

كان الملك عمورى حين استدعوه لاعتلاء عرش أسلافه بحق الوراثة قد قام بتطليق زوجته « أجنس » كما أشرنا من قبل انصيا .

للكنييسة وبضغط من « أمالريك » الطيب الذكر الذي كان اذ ذاك بطرك القدس والذي عذى حذو سلطه « فولشر » فى هذا الشأن ، وكانت الحجة - وهى حقيقة ثابتة - هى شمسدة قرابة الدم بين الاثنين (٢) . ولقد شرحت هذا الموضوع بشرحا وافيا تحريت فيه الدقة حين فصلت (٢) عهد الملك عمورى .

وكان الملك (عمورى) شديد الحرص على تعليم ولده (بلدوين الرابع) ، وقد عهد الى (يوم كنت رئيسا لشمامسة صور) برعاية هذا الغلام الذى كان يقارب التاسعة من عمره يومذاك ، وكلفنى بالقيام بتعليمه الفنون والآداب ، وأن أكون مؤدبا له فقبلت هذه المهمة ، واستجبت لالحاح عمورى والى تعهده لى باضفاء عطفه على ، وقمت أنا من جانبى ببذل قصارى جهدى فى تكريس نفسى من أجل هذا التلميذ الملكى وهو نحت اشرافى ، وأوليته الرعاية الناعمة الجديرة بمن هو فى مثل مكانته الرفيعة ، ولم آل جهدا فى تثقيفه خلقيا وعلميا .

وحدث فى ذات يوم من الأيام وهو يلهو مع أترابه الماثلين له قدرا ومكانة ، وقد أخذ كل واحد منهم - كعادة من هم فى مثل عمره - يقرص الآخر ويخدشه بأظافره ، أن واحوا يصيحون من الألم إلا هو رغم أن رفاقه لم يعقوه من المقرص والخدش ، فقد تحمل ذلك فى صبر كأن لم يكن يشعر بشيء ما مطلقا ، وأخبرنى رفاقه أن هذا الأمر تكرر حدوثه منه مرارا عديدة ، فأرجعت ذلك الصبر منه الى قدرته الكبيرة على التحمل وليس الى انعدام الاحساس بما جرى له ، فلما نادوته وسأله عن جليلة الخبر تكشف لى أن هذه الظاهرة هى خدر تام يعترى ذراعه الأيمن ويده فلا يشعر معه مطلقا بالقرص أو الوخز والعض ، فساورنى القلق وتذكرت

حكمة الحكيم القائل « لاشك أن العضو الفاقد الاحساس يستنفذ كثيرا من صحة البدن ، كما أن من لا يدرك أنه سقيم فهو في خطر » .

وعلم والد الصبى بحالة ولده ، واستشير الطبيبون ، وتكرر استعمال الكمادات والتدليك بالزيت ، بل والأدوية السامة ولكنها لم تجد نفعا ولم تساعد . ولقد عرفنا بمرور الوقت أن هذه كانت دلائل مرض من أخطر الأمراض ولا يرجى الشفاء منه ، وقد اتضح ذلك للعيان فيما بعد كل الوضوح .

ولا يستطيع الإنسان أن يملك عينيه أن تسحا بالدمع وهو يتكلم عن فداحة هذا الخطب الكبير إذ ما كاد يقترب من سنوات نضجه حتى اتضح أنه يعاني من الجذام الخبيث وأخذت حالته تزداد سوءا وصحته تتدهور يوما بعد يوم ، وكانت أشد هجمات المرض تنتاب على وجه الخصوص أطرافه ووجهه حتى أن أتباعه الخالص كانوا يتألمون عطفًا عليه حين ينظرونه ، لكنه رغم ما كان به كان يظهر تقدما في الدراسة يبشر بمزيد من التفاؤل في تعلمه .

كان بلديون (الرابع) بنى الطلعة بالنسبة لعمود ، وقد بز أسلافه في ركوب الخيل ومعاملتها ، الى جانب تمتعه بذاكرة واعية كل الوعي ، وميل للحديث ، ولم يكن ينسى أبدا الجميل الذي يسديه اليه أحد ما ولا الاساءة التي تلحقه من الخير ، هذا بالإضافة الى شدة الشبه بينه وبين أبيه لا في طلعته فحسب ، بل أيضا في سمائه ، فكانت له نفس مشيته ، ونبرة صوته ، الى جانب ذكائه الحاد ، وان قلج لسانه في بعض الأحيان .

كذلك شابه أباه في شدة ميله لسماع التاريخ وأتباعه المشورة الصادقة .

كان بلدوين قد قارب الثلاثة عشرة عاما من عمره حين مات أبوه ، وكانت له أخت من أمه تكبره في العمر اسمها «سيزيلا» نشأت في دير ، سنت لازار ، في بيثاني(٤) تحت رعاية السيدة « ايفيتا » خالة أبيها التي هي رئيسة راهبات هذا الدير .

ولما مات الملك عموري اجتمع نبلاء المملكة من مدنين ودينيين في مجلس اتفقت فيه آراؤهم اتفاقا كريما على تدشين ولده وتتويجه حسب العادة في كنيسة القيامة في اليوم الخامس عشر من يوليو ، أعنى بعد أربعة أيام من وفاة أبيه ، وقام باتعام عراسيم التتويج « أماريك » بطرك القدس الطيب الذكر ، وعاونه في اتعام هذه المراسيم رؤساء الاساقفة وغيرهم من كبار رجال الكنيسة .

وكان على كرسي الكنيسة الرومانية المقدسة حينذاك البابا اسكندر الثالث ، كما كان « ايمري » بطرك كنيسة أنطاكية العاهرة وأماريك بطرك القدس ، وفردريك رئيسا لأساقفة صور .

وكان بالقسطنطينية الامبراطور العظيم التقى مانويل ، وعلى الامبراطورية الرومانية فردريك ، وعلى الفرنجة الملك لويس . أما في انجلترا فكان يحكمها « هنري بن جوفري » كونت أنجو ، كما كانت صقلية تحت حكم رليم الثاني بن رليم الكبير . أما أنطاكية فيحكمها بوهيموند بن الأمير بوهيموند بن روبرت جيسكارد ، وأما طرابلس فيحكمها في يد ريموند الصغير بن الكونت ريموند الكبير .

ولما كانت السنة الأولى من حكم الملك (بلدون الرابع) وفي مستهل اغسطس قام رليم ملك صقلية بتجهيز أسطول مؤلف من

ماتتى سفينة بعث به لغزو الاسكندرية ، فأبحر الأسطول الى مصر
بحن عليه من العسكر العظيم من الفرسان والمشاة ، لكن حدث فى
أثناء وجوده امام تلك المدينة الخمسة أو ستة ايام وبسبب الإهمال
الذى بدى من جانب القادة الزعماء أن منى الخيالة والمخساة
بخسائر فادحة قتلا وأسرا ، مما حملهم على الرجوع وقد ضربت
القوضى عليهم بأجرانها .

وكانت أمور مملكتنا فى هذه الأثناء فى يد « حياون دى
بلانسى » الذى شبت العداوة بينه وبين بعض بارونات المملكة الذين
دبت الغيرة فى نفوسهم منه لما يتمتع به من السلطة واستثنائه بها
من دونهم ، ولم يكونوا قادرين على التغاضى عن الحقيقة القائلة
بأنه يتجاهلهم تجارلا تاما ولا يستدعيهم أبدا للمشاورة بل ينفرد
بالأمور وحده ، كما أنه كان يعامل بعضهم معاملة تنطوى على
الاهانة والاستهانة بهم ، هذا الى جانب أنه حال بين البعض الآخر
تماما وبين الاتصال الشخصى بالملك الى جانب تفرد بتدبير شئون
المملكة فلا يسألهم الرأى ولا المشورة .

وحدث فى هذه الأثناء أن جاء كونت طرابلس الى الملك وطالبه
(فى وجود البارونات الذين شاءت الصدفة أن يكونوا حاضرين)
أن تكون له الوصاية على الملكة ، مؤكدا له أن وشيجة القربنى
المباشرة بينهما تجعله الوصى الشرعى على الملك الذى لازال صغيرا
لم يبلغ سن الرشد ، وقال ان الوصاية عليه من حقه لأكثر من سبب ،
لا لأنه فقط أقرب الناس الى بلدوين الرابع بل وأيضا لأنه كان أغنى
وأقرب رعاياه المخلصين إليه ، وأضاف الى اثنين السببين سببا
ثالثا قويا مقنعا هو أنه لما أخذ أسيرا فإنه أمر - وهو فى سجنه
شعبه الوفى بما له من الطاعة فى أعناقهم - أن يسلموا كل أملاكه

وحصونه وقلاعهم الى الملك عمورى والد هذا الصبى (بلدوين الرابع) وأن يضعوا كل شئ رهن أمره وفى رعايته الملكية ، كما أنه كن قدأضاف توجيهاً بـتا أنه اذا قضى القدر بأن يلقى منيته فى الأسر فإنه يعتبر الملك المثار اليه (عمورى) وريثه الوحيد ولا وريث له سواه باعتباره أقرب الجميع اليه .

وطالب الكونت (الملك بلدوين والأعراء الحاضرين هذا الاجتماع) أنه بناء على أياديه الحسنة هذه فإنه يسأل رد هذه الأفضال بحق الشرف أكثر عن أى مطمع له فى نفع يجنيه فى قابل أيامه .

على أنه تأجل اجابة مطالب كونت طرابلس هذه بحجة أنه لم يكن حول الملك فى هذه اللحظة بالذات غير نفر ضئيل من بارونات المملكة ممن ينبغى التشاور معهم ، وأنه ستوجه اليهم الدعوة فى الوقت المناسب ليجتمعوا بأسرع ما يمكن للمشاورة واعطاء الجواب الملائم - بمحونة الرب - على كل هذه المسائل .

فلما علم الكونت بردهم هذا عاد الى امارته .

والواقع أن الجميع كانوا يزكون طلب الكونت ، وكان ممن وقفوا الى جانبه الكونتسابل الملكى « همفرى » صاحب « تورون » وبلدوين وأخوه بليان وريزو صاحب حبيدا وجميع الأساقفة .

— ٤ —

كان « ميلون دى بلانسى » الذى تكلمنا عنه حالا من أكبر أشرف اقليم شمعانيا الواقع وراء الجبال ومن مملكة هنرى كونت « تروى » ، وكانت تربطه أحسن العلاقات بقريبه الملك عمورى الذى عينه « سنكالا » لمملكته ، وحدث أنه لما مات همفرى الصغير ابن

همفري صاحب تورون فان عموري زوج أرملة ستيفاني - وهي ابنة فيليب النابلسي - من « ميلون » الذي أصبح بفضل زوجته هذه هو المتصرف في كل الأراضي الواقعة وراء الأردن وفيما يعرف بالثوبك (٥) . على أنه كان لستيفاني هذه من زوجيا الراحل ولد وبنت صغيران ، وكان « ميلون دي بلانسي » يعتمد اعتمادا كلياً على الصداقة الوثيقة التي تربطه بوالد الملك الحالي ، ومن ثم لم يكف عن اظهار ازدرائه لبارونات المملكة حتى من يشأونه قدراً ، ولا يقيم لهم وزناً ، هذا الى جانب أنه كان رجلاً متغطرساً ، يزدهيه الكبير ، فإذا تكلم تكلم بعبارات طنانة تفصح عن عنجهية فيه .

وقد أراد التغلب على غيره الآخرين منه فعمد الى نكرة من غمار الناس ساقط الحياء اسمه « روهارد » حارس قلعة القدس ، وتظاهر بأنه يمثل لتوجيهات هذا الرجل القافه وأنه تابع لما يشير به عليه ، منفذ لأوامره .

لكن الواقع كان عكس ذلك ، فكان لروهارد اللقب الرفيع لا الجور ، بينما مضى « ميلون دي بلانسي » تحت هذا القناع يصرف شئون المملكة حسب هواه الشخصي مع تظاهره بأنه ذاك في يد « روهارد » كل شيء . وما كن كلامه هذا الا حراء لأنه جمع كل مقاليد أمور المملكة في يده رغم ارادة الآخرين ، كما أنه أخذ يوزع الانعامات حسب مواد مما أثار مزيداً من المقت الشديد له والكراهية نحوه . ثم وصلت الأمور في النهاية الى طريق مسدود حين تأمرت طائفة من الناس سرا على قتله ، فلما علم بخبر هذا التآمر استخف بما علم واستقر في غلوائه دون أن يأخذ من الحذر ما ينبغي عليه اتخاذه حتى جاء يوم كان فيه موجوداً بعكا فإذا بواحد في الطريق العام يطحنه في غبش الظلام طعنة لفظ معها أنفاسه لكن بعد أن لقي من المعاملة أسوأها وأحقرها .

واختلفت آراء الناس في مصروعه فقال بعضهم أنه اغتيل لشدة ولائه للملك ، وذهب غيرهم مذهباً يخالف هذا الرأي كل المخالفة فقالوا أنه كان يرتب في السر خطوات الاستيلاء على زمام السلطة الملكية ، وقالوا أنه كان قد بعث بالمرسل إلى أصدقائه وعذرائه في فرنسا يحدثهم على المبادرة للحضور إليه حتى يكون قادراً بفضل مساعدتهم له على الاستيلاء على المملكة .



لكنني لم أستطع أن أعرف على وجه اليقين أي هذه الآراء كان هو الأصديق ، وإن كان المعروف جيداً أنه أرسل « باليان » صاحب ياغا (شقيق ذلك المدعو روهارد المشار إليه آنفاً) إلى البلاد الواقعة وراء البحر برسائل وهدايا منزكية وأن القوم (في المملكة) كانوا يترقبون كل يوم عودة باليان هذا .

وفي غضون هذا الوقت بالذات وفي اليوم الثلاثين من شهر أكتوبر ذاته (١١٧٤ م) مات سلفنا الطيب الذكر ، العالي القدر ، الكريم الأصل « غردريك » رئيس أساقفة صور ، وقد وافته حنيته وهو في نابلس حيث أمسكه بها المرخص العضال حيناً من الوقت فعاقه عن الحضور فحمل جسده بما يليق به من التوقير والاحلال إلى القدس ودفن في هيكل السيد الذي كان هو من قبل سادناً لكنيسة .



كذلك حدث في هذا الوقت أيضاً أن اجتمع بالقدس بارونات المملكة وكبار رجال الكنيسة عند الملك (بلدوين الرابع) حين رجع (ريموند) كوندت طرابلس ليوقف على الجواب الذي وعده به رداً على التماسه الذي سبق له أن قدمه بشأن الوصاية (٦) ، وكرر نفس عروضه علماً على وجوب الاستجابة إلى ما طلبه ، وبعد نقاش

استمر يومين متتالين وافق الملك والجميع على سؤاله وجاءوا بالكونت (ريموند) الى كنيسة القبر المقدس وسط هتافات الجماهير المنيوية وعهدوا اليه بكل شئون الحكومة وصلاحياتها وما يتعلق بالملكة ، على أن يكون ناليا للملك .

ولما كان اسم الكونت (ريموند) سوف يتردد من الآن فصاعدا في ثنايا الأحداث التي نعرض لها في كتابنا هذا فانا نرى انه من المناسب أن نسجل - لصالح الأجيال التالية - الأخبار الصادقة التي وصلت الينا . ولسممنا (٧) نهدف من وراء ذلك احتداحه ، ولكننا نرجز ماتسمح به الضرورة فنذكر من يكون هذا الكونت ومن تكون أسرته .

كان كيرنت ريموند - موضوع كلائنا هنا ابننا لريموند الكبير الذي شغل مركزا قياديا هاما في جيش السيد المسيح ، كما يرجع الفضل الى ما بذله من جهد ومثقة في عودة مملكة الشرق لخدمة المسيح ، وقد اسهبنا في ذكر هذه الحقائق وفصلناها بدقة حينما تناولنا أخبار أولئك القادة الكبار الذين جاءوا مع الحملة الأولى ، وكان لهذا الكونت الكبير ريموند الطيب الذكر ولد اسمه « برترام » وهو الذي آل اليه حكم كورنثية طرابلس بعد موت أبيه واغتتيال ابن أخيه وليم جوردان ، ثم كان لبرترام هذا ولد اسمه « بونس » خلف أباه في حكم الإمارة شرعا ، وتزوج من « سيسيليا » أرملة تانكريد وابنة فيليب ملك فرنسا فانجبت له ابنتها ريموند الذي خلفه في حكومة طرابلس ، وتزوج الابن ريموند من « هيديرنا » Hederna ابنة بلديون ثاني حاكم بيت المقدس وهي التي حاربت أم ريموند الذي نتكلم عنه الآن ، والذي خلف أباه كونتا لطرابلس بعد اغتيال ريموند الكبير عند باب مدينة طرابلس ان باغته نفر من الحشاشين وقتلوه غدرا (٨) .

ومن ثم كان هذا الكونت من ناحية أمه ابن خالمة الملكين عمورى وبلدوين (الرابع) الذين كانوا أولاد أختين شقيقتين .

أما من جهة الأب فكانت صلة القرابة أقل من هذا ، لأن جدته من ناحية أبيه وهى « سيسيليا » التى أشرنا اليها حالا كانت أخت الملك فولك والد الملكين بلدوين وعمورى اللذين كانا من أم واحدة ، ولكن لأن أمهما التى كانت أخت الملك تزوجت أول ما تزوجت من فولك الكبير كرنت أنجو ، ثم هجرت زوجها بعد أن أنجبت منه فولك الصغير وفرت الى فيايب ملك الفرنجة ، فولدت فيمن ولدت « سيسيليا » هذه وعدة ذكور ، وكان فيليب الذى سحرته الكونتيسة (برترادا) بجمالها قد انفصل عن الملكة زوجته الشرعية التى كانت قد أنجبت له طفلين هما لويس وكونسـتانس ، وكان هذا الانفصال مخالفا لقانون الكنيسة ومن ثم كان الكونت والملكـان اللذان ذكرناهما تربطهما ببعضهما وشيجة قرىـة حثينة من كلا الجانبين .

كان الكونت (ريموند) رجلا نحيل البنية ، شديد النحافة ، ربعة القوام ، متوسط الطول غير مفرطه ولا حادره ، أسمر البشرة . وأما شعره فطويل مرسل أحيل للسواد ، وله عينان نفاذتان ، وكفان عريضان ، الى جانب ما كان يتمتع به من سرعة الحركة وعنفها ، ورباطة الجأش وبعد النظر ، واقتصاد فى مأكله ومشربه أكثر من أى رجل عادى ، مع سخاء يده على الأغراب وقبضيا بعض الشيء عن قومه ، وهذا بالإضافة الى حظه الزاخر من التعليم الذى ناله أثناء وجوده أسيرا فى يد العدو بعد أن بذل فى ذلك جهدا كبيرا . وساعد على ذلك ما كان عليه من حضور الجديهة والذكاء . وكان يشبه الملك عمورى فى سعيه الشديد للمعرفة يطلبها فى بطون الكتب

والمؤلفات . ولم يكن يكف عن القاء الأسئلة اذا حاضره مجلسه أى شخص يتوسم فيه القدرة على الاجابة .

ولقد تزوج فى نفس السنة التى ساهم فيها فى حكومة المملكة من « اسكيفا » . Eschiva وهى امرأة ثرية كل الثراء وكادت أرملة « وولتر » أمير الجليل (طبرية) الذى أنجبت منه عدة أولاد ، ولكنها لسبب لا ندره لم تنجب قط للمكونت بعد زواجها منه وان قيل انه كان يحب أولادنا كما لم يكدوا أولاده هو ذاته .

والآن - وبعد هذا الخروج القليل عن موضوعنا سهيا بنا نعود الى ما كنا فيه فنقول انه فى أثناء الصيف المنصرم (٩) ودع هذه الدنيا الطيب الذكر « رالف » أسقف بيت لحم وصاحب ديوان مراسم المملكة ، ولما كان الملك حريصا على ضرورة وجود أحد يعهد اليه بالمراسلات الملكية فقد استجاب لنصيحة بارودته فعيّننى فى هذه السنة فى هذه الوظيفة وبوائى مكانة المستشار .

- ٦ -

حدث فى أثناء هذه السنة ذاتها أن قام كبار رجالات دمشق واستدعوا سرا صلاح الدين بن نجم الدين (أيوب) الذى خلف عمه شيركوه فى مملكة مصر ، وكان حاكمهم الشرعى حينذاك هو الملك الصالح (اسماعيل) بن نور الدين الذى لم يكن قد بلغ سن الرشد وكان قد اتخذ من حلب مقرا له ، لذلك عهد صلاح الدين بأمر مصر الى أخ له اسمه « سيف الدين » وأسرع فاجتاز صدارى سورية الجرداء وبلغ دمشق ليأخذ الحكومة فى يده ، وبعد انقضاء أيام قلائل من تسليم الأقاليم مدينة دمشق له تقدم نحو منطقة القراع طمعا منه فى ضم جميع بلاد هذه الناحية الى سسلطانه من غير

قتال ، ولم يذهب رجاؤهم هذا أبدا إذ لما لبث سكان تلك النواحي أن خضعوا له وفتحوا له أبوابهم عن طيب خاطر منهم .

ولقد شذ صلاح الدين عما يفرضه عليه واجب الولاء والوفاء نحو مولاد فاستولى على جميع مدن الأقاليم وفي هليوبوليس المسماة بهذا الاسم في اليونانية والمعروفة الآن باسم « مالبك » Malbec وفي العربية ببعلبك . كما استولى على مدينة حمص المعروفة باسم « كاعيل » ، وضم اليه شيزر المعروفة بقيصرية الكبرى ، وكان يعتقد أن أخذه هذه المدن سوف يضمن له دخول حلب ووقوع الأمير الشاب (١٠) في قبضته عن طريق بعض الخونة ، ولكن حدث حادث حال دون تنفيذ ذلك الأمر .

على تلك الصورة كان الوضع وقتئذ في هذا المصقع من ذلك الاقليم .



في هذه الأثناء أخذ الملك يلتمس النصيحة المجدية عما ينبغي عليه عمله في هذه الأزمات الطارئة والتغييرات الهامة التي جرت على الساحة ، وراح يشاور نبلاء مشاورات طويلة حتى انتهى القرار بهم بموافقة اجماعية على أن يبادر الكونت بالزحف على « البقاع » على رأس عسكر من عسكر المملكة وكونتية طرابلس ، وأن يبذل كل ما في طاقته للحيلولة دون تقدم صلاح الدين ، وكانت هذه خطة حكيمة بسبب القلق الذي يشهده في نفوسنا أي زيادة في قوة صلاح الدين وسلطته لما جعله من الخطر الكبير على صالح المملكة ، ذلك لأنه كان رجلا حكيما الرأي ، بطلا في الحرب ، وكريما فوق حد الكرم ، وزيادة على ذلك فإنه لهذا السبب (١١) ذاته لم يكن موضع ثقة من رجالنا النبلاء الذين كانوا أبعد منه نظرا لأنه من الثابت أنه ليس هناك — حتى يومنا هذا — من وسيلة أجدى على الأمراء في اكتساب قلوب رعاياهم أو غيرهم من بسط اليد كل

البسط ، وأنه ما من شيء أدعى لاستجلاب حردة الأغراب وميلهم الى الرجل من هذا السقاء لاسيما أن جادت به أيدي الأمراء ، لذلك كان كبار زعمائنا على حق في التخوف من أن تؤدى مضاعفة أملاك صلاح الدين واتساع رقعة مملكته الى زيادة قوته فيتحرك ضد المملكة بقوات أكبر تزيد من حضمايكة مملكتنا عن ذي قبل ، لكن ذهبنا اندراج الرياح كل الجهود التي بذلناها لكبح جماحه .

وها نحن اليوم نرى بعين مفرورة بالدموع أن خاوفنا قد تأكدت ، فقد تمرك ضدنا تحركا عنيفا برا وبحرا ، ولا بد من أن نفقد كل أمل في الصمود ما لم تتداركنا رحمة السماء وتعطف علينا .
 وأنه لمن العقل والحكمة أن نساعد الملك الصبي الذي لم يشب بعد عن الطوق ، لا أن نكتفى باظهار العطف عليه ، بل علينا أن نشجعه ليكون ندا قويا لعدونا اللدود صلاح الدين لتفشل خططه ويقل خطر جماعته على المملكة .

- ٧ -

أما وقد وصلت الى هذه النقطة فالواجب يقتضى أن أبعد قليلا عن سياق قصتي دون أن يكون هذا البعد عشوائيا ولكن لأقدم شيئا ذا قيمة ، ذلك أنه كثيرا ما دار هذا السؤال - وعن الحق أن يثار - وهو لماذا استطاع أجدادنا وهم أقل منا عددا أن تتعدد مرات صنودهم البطولى فى ساحة القتال فى مواجهة قوات العدو الذى هو أكثر منهم عددا ، وكيف أن العناية الالهية مكنت فئة قليلة أن تغلب فئات العدو الكثيرة وتضامها حتى يصبح اسم « المديحى » عثار رهبة ورعب فى نفوس أهم لا تعرف الرب . وترتب على ذلك اعلاء مجد السيد بفضل أعمال آبائنا . أما رجال اليوم فتلق بهم الهزائم وتغلب عليهم - وهم الكثيرون - قوات أن قيسست بهم كانت

دونهم عددا ، والحق أنهم بأعدادهم الفائقة قاموا ببعض هجمات على خصوم لهم كانوا أقل منهم بأسا لكنها لم تثمر شيئا بل غالبا ما اضطروا للاستسلام والخضوع .

إن أول سبب يظهر لنا (ونحن ندرس بتأن وروية ظروف إيماننا هذه ونطلع إلى عون الله مدبر كل شيء) هو أن أسلافنا كانوا أهل دين ، وقوما قد فاضت قلوبهم بخشية الرب ، أما اليوم فقد حل محلهم جيل شرير وأبناء خسة ومتظاهرون باعتراف العقيدة السيادية لكنهم يحلون كل حرام دون مراعاة للحق ، وأنهم في ذلك كالذين قالوا (١٢) للسيد إن لم يكونوا أرذل منهم « أبعد عنا ، وبمعرفة طريقك لا تسر » .

فلا عجب إذن ولا مشاحة في أن يمسك الرب رحمته عن هؤلاء أظهارا لغضبه عليهم بسبب أثامهم ، وما أشبه هؤلاء الرجال برجال جيلنا الحالي لاسيما القيمين منهم في الشرق ، فإن حاول المرء أن يرسم صورة قلمية آئنة لأخلاقهم أو بلفظ أدق يرسم صورة تبرز وذائلهم الذميمة فإنه واجد مادة عالية كالتلال ، وموجز القول أنه سيجد لديه أخيرا كتاب هجو أكثر من أن يكون ما يكتبه تاريخا .

وهناك سبب آخر يلوح أمامنا ألا وهو أن حماسة الإيمان كانت تسير الرجال الموقرين الأوائل الذين جاءوا إلى بلاد الشرق في الأزمنة السالفة ، وكانت تؤجج في نفوسهم الانفعال الروحي لخدمة الدين ، هذا بالإضافة إلى تفرسهم بفنون القتال ، فقد خبروا الحرب وتعودوا استعمال السلاح ، على حين كان أهل الشرق على النقيض منهم بسبب تقلبهم أمداء طويلة في أحضان السلام المستقر مما أدى إلى فتور عزيمتهم عن القتال ونسيانهم الحرب ، ولم يعودوا يألّفون القتال واستكاثروا إلى ما هم فيه من الاسترخاء ، فلا عجب إذن أن

تمكنت قلة من أهل القتال من أن تتغلب بسهولة على الكثيرين ، وحق لها أن تفخر بأنها كانت صاحبة اليد العليا فى النصر الذى أوتوه .

ولعل الذين هم أخبر عنى بالقتال يدركون أحسن منى أنه إذا ما التحمت قوتان أحدهما قادرة على استعمال السلاح بفضل ممارستها الطويلة له والأخرى غير مدربة عليه وتنقصها الخبرة كانت الغلبة للأولى على الثانية .

هناك سبب ثالث لا يقل عن سابقيه أهمية وفعالية أراه يفرض نفسه على فرضا ، ذلك أنه فى الأزمنة الخابرة كان لكل مدينة حاكمها الخاص بها ، وإذا أخذنا رأى أرسطوطاليس فإن هذه المدن لم تكن تعتمد الواحدة منها على الأخرى ، كما لم يكن ثمت عوامل واحدة تحركها كلها ، بل كانت هناك فى الغالب أمور مخالفة تماما لكل واحدة تحركها ، فإذا نازعت خصوما يخالفونها تمام المخالفة وكانت لها مثلها العليا التى تتصارع مع مثلها هى ذاتها كان الخطر أقل ، وكان الذين يخشون حلفاءهم بما لا يقل عن خشيتهم المسيحيين يتحدون فيما بينهم لدفع الخطر المشترك أو يقومون بتسليح أنفسهم لتدميرنا . أما الآن وقد شاء الله ما شاء فإن جميع الممالك المجاورة لنا قد أصبحت تحت سيطرة رجل واحد ، فنرى منذ قريب أن (عماد الدين زنكى) ذلك الوحش الذى يبغض الاسم المسيحى بغضه للروما والذى هو والد نور الدين المتوفى منذ قريب أقول أننا نرى أن زنكى هذا قام أولا بفتح كثير من الممالك الأخرى ، واستولى بالقوة على كلها التى كانت أزهى مدن الميدين الكبرى وأخذها بكل توابعها وقتل جميع من وجدهم فيها من مؤمنينا الصادقين .

ثم جاء ابنه نور الدين (محمود) فأخرج صاحب دمشق من أرضه بسبب خيانة أهلها أكثر من إخراجهم بقرته ، وقلى ذلك

استحوذته على المملكة لثقة منه وضمها الى املاكه التي ورثها عن
 أبيه ، كما استطاع نور الدين أيضا وبفضل مساعدة شيركوه
 الكبيرة له أن يستولى على مملكة مصر القديمة الفنية وأن يجعلها
 ملكا خالصا له بنفس الطريقة التي فصلناها في معرض حديثنا عن
 الملك عموري .

وهكذا فإن جميع الممالك التي حولنا صارت كما قلنا تدين
 بالطاعة لحاكم واحد بلا شريك له وتعمل وفق مشيئة رجل واحد
 فحسب وتأتعر بأمره هو دون سواه ، وتصبح مستعدة أن تحمل
 السلاح ضدها ولو كانت تكرهه لدمه ، ولم يكن ثم واحد من
 رجالنا يملك الحرية في اظهار معارضته الشخصية أو تجاهل أوامر
 مولاه والا أضير ، وهاهي ذا صلاح الدين الذي تعددت الاشارة اليه
 كثيرا من قبل كان رجلا من عامة الناس وسوادهم ، ولكن ابتسم له
 الحظ فبواه ذروة العلياء فاستطاع أن يأخذ من حصر وحما جاورها
 من الأمصار كميات كبيرة من أنقى الذهب الأريز (١٣) ، كما أن
 هناك ولايات أخرى كانت تمدّه بأعداد لا يحصىها العد من الخيل
 والمحاربين الشرهين للذهب طالما أنه من أيسر الأحرار لمن توقرت
 عنده هذه السلعة اجتذاب الرجال اليه .



لكن هيا نتابع موضوعنا .

ربما يدى من المقبول عند جميع الذين حضروا ذلك
 الاجتماع (١٤) أن يبذلوا كل محاولة ممكنة لمعارضة هذا الرجل
 الذي سرق أقرانه في تقدمه السريع واستطاع أن يبلغ ذروة
 الانتصارات بلوغا يرضى طموحه ، وكان هناك شعور عام أنه كلما
 ازداد قوة وبأسا كلما دل ذلك على أنه أصبح عدوا خطيرا لنا ،
 ومن ثم قام الكونت (١٥) فحشد العسكر من كل ماحوله وخرج وفي

صحبته بارونات المملكة مغذين السير الى امارة طرابلس وهناك
نزل فى ذلك القسم من الأقليم المعروف بأرض جالفا Galifa
وضرب معسكره قرب مدينة عرقة *

- ٨ -

بينما كانت هذه الأحداث تجرى عندنا اذا بهم (١٦) ابن نور
الدين واسمه قطب الدين (وهو أمير شديد اليأس ويعتبر واحدا
من أقوى الشرقيين فى الجيش البارثى) قد جاءه الخبر بموت
أخيه (١٧) وبكل الأحداث التى تترتبت على تلك الوفاة ، وحينذاك
قام صلاح الدين غير عابىء بقوانين الانسانية فوقف فى وجه
مولاه (١٨) الشمرعى متناسيا وضعه السوء وجاددا أيادى
أبيه البيضاء عليه وأفضال والد ذلك الملك الصبى ، لذلك جنح قطب
الدين حوله قوة كبيرة من الفرسان الأقوياء محن على شاكلته وعبر
الفرات بهم زاحفا ضد الخونة ليكون عوناً لابن أخيه *

ولقد كان هذا الأمير العظيم حاكما على المدينة المصروفة
بنينوى الموغلة فى القدم والتى يقال ان النبى يونس دعى عليها
فأدرجت منذ زمن بعيد فى قعاش من الخيش (١٩) والزهاد ، وقد
شيدت على مسافة غير بعيدة عن نينوى القديمة مدينة جديدة عرفت
بالموصل قامت على أنقاض نينوى القديمة ونزلها نزارى سكان المدينة
السابقة واحتفظت بالمنزلة الرفيعة الفريدة هى ان تكون عاصمة كل
بلاد « آشور » ، فلما جاء الأمير (قطب الدين) ضرب معسكره فى
السهل المحيط ببلد *

لم يكن صلاح الدين فى هذه الأثناء ساكنا فقد فرض الحصار
على بصرى التى هى أهم مدن بلاد العرب الأولى ، وكذلك على

بعابك ، وقد استسلم له سكان البلدين طواعية ولم يلق كيدا ، ثم مضى فحاصر بلدة حمص العروقة باسم « كامبلا » .

لم يتأخر المواطنون عن تسليم الجزء الأسفل من المدينة ذلك لأن الذين ظفروا على ولائهم للعك الصغير كانوا قد ارتدوا إلى القلعة الواقعة على تل مرتفع بعض الشيء والتي كانت قد حصنت من قبل تحصينا قويا وجهزت بالسلاح وزودت بالذخيرة أحسن تزويد .

كذلك تسلم صلاح الدين بعض المدن الأخرى الواقعة في هذه الولاية وهي حماة وشيزر وسائر الناحية الممتدة من هنا حتى حلب ذاتها . وقام الأهالي بتسليمه هذه البلاد .

في هذه الأثناء كان اللاجئين إلى قلعة حمص قد أرسلوا إلى كونت طرابلس وإلى قرائنا المسكورة في الموضع الذي ذكرناه من قبل مؤملين أن يؤدي الموضع المضطرب في هذا الجاذب أو ذلك للاستنجاذ بهم وتقديم الشروط المرضية لهم ، وكلقروا هؤلاء الرسل بأن يلتبسوا منهم المبادرة بالحضور من غير إبطاء ، وأن يقطعوا لهم العهد على أن كل مساعدة يقدمونها لمقارعة هذا الخصم المؤذي لا يمكن أن تقابل إلا بما هي جديرة به من التقدير .

يضاف إلى ذلك أنه كان محتجزا في هذه القلعة ذاتها الرهائن الذين كان الكونت قد أسلمهم إلى نور الدين والد الأمير الشاب (الصالح اسماعيل) فظير إطلاقه «مراح الكونت وفك قيده ، وكان تسليمهم إليه تأكيدا لضمان دفعه فدية لا تقل عن ستين ألف قطعة ذهبية ، كما كان يوجد في هذه القلعة ذاتها الرهائن الذين كان « رينو جارينيه » صاحب صيدا قد قدمهم مقابل فك أسر أخيه « استاس » .

ولما كان الصليبيون يبدلون غاية البذل سعيا للحصول من القائم على هذه القلعة على وعد بإطلاق سراح من بها من الرهائن قانهم أسرعوا الى هناك بجميع عسكرهم بكل ما وسعتهم السرعة ، لكن تبين لهم عدم امكانيتهم الركون الى أى وعد يعدهم به الكفار الذين كانوا يطمعون أن يتم رفع الحصار بفضل جهود الأمير المشار اليه ، فلما أطمعن المسيحيون التفكير فى الموضوع وقلوبه على شتى الوجوه وقتا طويلا رأوا العودة الى المعسكر الذى كانوا قد تركوه منذ قليل .

أدى ارتداد الصليبيين الغاضب بسبب زهو صلاح الدين الى شروعه فى الاقتراب من حلب مشمدا عليها سلسلة من الهجمات ضايق بها قوات الزعماء مضايقة شديدة فى محاولة منه لدفعهم الى القتال ، وأخيرا بعد كثير من أمثال هذه التحديات التقى الجانبان فى قتال عنيف انتهى بانتصار صلاح الدين انتصارا حمل المواصلة على الهروب ، ويقال أن ذلك كان من جراء خيانة بعض قريتهم لهم اذ عملت الرشوة الكبيرة فيهم عملها ، واذ ذاك رجع صلاح الدين الى حمص واستولى على قلعتها بعد أن سبق له أخذ المدينة ذاتها .

ثم بعث (صلاح الدين) من حمص رسالة الى الصليبيين يلتمس فيها من الكونت ألا يتدخل فى تقدمه وهو منتصر ، ويسأله أن يذره هو وشأنه مع ابن نور الدين وغيره ممن هبوا لمساعدته ، وعملته رغبته فى ألا يرفض الكونت هذا المطلب رفضا تكون فيه الالهانة له ومن غير أن يدفع له ثمنا الى أن يعرض على الكونت وعلى « رينر » أن يرد إليهما رهائيهما من غير أن يكلفهما مالا يدفعانه له ، فاستجاب الكونت لهذا الرجاء وعادت الرهائن حسبما اتفق بشأنها فى المعاهدة ، كما أعاد صلاح الدين بقية النبلاء الذين كانوا قد شاركوا فى هذه الحملة ، فردهم وقد قاضت أيديهم بكرمه وبذلك انفض المعسكر وعاد الجميع الى ديارهم .

ويقال أن « همفري دى تورون » كونسابل الملك كان الوسيلة في هذه المفاوضات ، ودارت حوله الشبهات بأنه كانت ترتبطه روابط صداقة متينة بصالح الدين ، ولا شك أن عمله هذا كان ضاراً بمصالحنا فقد كسب مودتنا هذا الأمير (٢٠) الذي كان الواجب يقضى بمقاومته الى أقصى حدود المقاومة حتى لا تزداد عنجهيته ضدنا زيادة تلحق بنا الأذى .

حينذاك عادت القوات التي كانت قد غادرت المملكة في الأول من يناير سنة ١١٧٥ ورجعت الى بلادها في الأول من مايو من نفس السنة .

- ٩ -

وفي الخامس والعشرين من إبريل من السنة (١١٧٥) مات « مينارد » Mainard الطيب الذكر أسقف بيروت ، وقد وافاه أجله في صور بعد أن لازمه المرض طويلاً .

فلتقر وتسكن روحه في هدوء .

وكانت كنيسة صور قد ظلت سبعة أشهر متتالية خالية من رأس يدبر شئونها ، إلا أنه في هذا الشهر ذاته أجمعت رغبات كبار رجال الدين والشعب وكذلك الملك على استدعائي بفضل الله وليس بميزة خصصت بها لأن أقوم بالانصراف على تلك الكنيسة ، وبعد بضعة أيام أعتى يوم الثامن من يونيو (١١٧٥ م) وبمشيئة الرب تسلمت أنا الذي لا أستحق - حدية الكرسي في كنيسة القيامة على يد « أم الربك » بطرك بيت المقدس .

وفى حوالى هذا الوقت بالذات وبينما كان صلاح الدين مشغولا كل الانشغال فى منطقة حلب جاء الخبر الى الملك بلديون (الرابع) أن قد خلت ارض دمشق من الجيش وليس لها من صاحب ، وأتيا عرضة للنهب والسلب ، وفريسة هيئة لأى تخريب يذله بها من يقاتلها ، فلما علم الملك بلديون بذلك جمع طائفة من الفرسان وعبر بهم الأردن ، وهر خلال الغاية القريبة من مدينة « بانياس » والتي سميت باسمها ، ودخل سهل دمشق جاعلا جبل لبنان على يساره وكان الوقت ان ذاك زمن الحصاد فانتشرت جنودنا فى السهل والوديان وانطلقوا على دواحم الى كل ناحية يضرمون النيران فى الزروع النامية وفى الكيمان المجرعة فى الحقول وكذلك فيما حصده الفلاحون وخرنوده فى المنيار وكان الفلاحون حين علموا مقدما بقدمنا ارتدوا بنسائهم وصارهم الى الأماكن التى هى أكثر تحصينا ، ومن ثم فقد أصبح كل الأقليم رهن مشيئة قواتنا التى اندفعت حتى بلغت « داريا » (٢١) وهى قرية فى السهل المجاور لمدينة دمشق ولا تبعد عنها أكثر من أربعة أعيال ، وتقدمت قواتنا من هناك الى Bedegne الرائعة عند سفح جبل لبنان ، وكانت المياه الصافية المتدفقة من هذه المرتفعات قد خلعت على المكان اسم « بيت اللذة » فاستولى عليه رجالنا عنوة رغم استيصال أهله فى صدنا ، فلما فرغوا من هذا غادروه مثقلين بالغنيمة الوفيرة والأسلاب الجمة ، وانطلقوا أمام عيون الدماشقة عائدين الى ديارهم سالمين فى أنفسهم ، آمنين على ما معهم .

وحات فى هذه الاثناء ذاتها الطبيب الذكر « هيرنيسيوس » Heroncius رئيس أساقفة قيصرية فاختير بدلا عنه « هرقل » رئيس شمامسة القدس وتم ترسيعة بها بلائم هذا الترسيم .

وهى السنة الثانية من عهد الملك بلديون الرابع وفى اليوم الأول من شهر أغسطس (سنة ١١٧٥ م) وأبان الوقت الذى كان فيه صلاح الدين لا يزال مشغولا بما هو فيه أمام حلب قام الملك باستدعاء كبار رجال المملكة ، كما جمع فرسانه وأغار ثانية على أرض العدو ، وبعد أن اجتاز منطقة صيدا ارتقى الجبال الواقعة بين أرضنا وأرض العدو فبلغ « المصاراة » وهى موضع خصيب تتوافر به المياه الغزيرة الجارية ، ولا ينقصه شئ مما يرجسوه المرء ، ثم نزل من هناك ثانية إلى سهل يحرف بسهل « بكار » حيث وجد الناحية تفيض بالبن والسلى حسبما نقرأ فى الكتب المقدسة ، ويظن البعض أن هذا هو الاقليم الذى كان يسمى فى القديم باسم « انطورية أو الجيدور » (٢٢) التى أخبرنا عنها أنجيل لوقا أن فيليبس هيرود الكبير كان طرخانا بها كما أنه هو ذاته كان من أرض الطراخونيين اللجاة ، كذلك نجد فى الأزمنة البعيدة - وربما فى أيام حلوك اسرائيل - أن هذا الموضع كان يسمى بغابة لبنان لأن السبل يمتد حتى يبلغ سفح جبل لبنان ، وهو إقليم مستحب لخصب تربته ومائه الصفى وازدهام دساكره بالسكان وطيب مناخه أما الجزء الأدنى من هذا الوادى فتقوم فيه مدينة لا تزال حتى اليوم محاولة بالأسوار ، كما تشهد مبانيها التى تسمى حديثا باسم « أميجارا » على ما كانت تتحج بهفى القديم من العظمة .

ويظن بعض دارسى الآثار أن هذه هى « بالميرا » (٢٣) أو تدمر التى كانت فى القابر من أكبر مستعمرات فينيقيا ، وهى التى أشار إليها « أولبيان » الصورى فى مختصره الجديد فى فصله المعنون بالاحصاء .

لم يكد عسكرينا يصلون الى هذا الموضع حتى أخذوا في الانسحاب في كافة أرجاء الاقليم دون أن يعترضهم معترض ، فأضرموا النيران في كل ما صادفوه ، ولم يتصد لهم أحد نظرا لفرار الأهالي الى الجبال التي كانت جميع الطرق المؤدية اليها مسدودة أمام هؤلاء العسكر ، ولما كان الفذير قد وصل الى سكانها قبل وصولنا فقد اصطحبوا معهم الجانب الأكبر من قطعانهم وأغنامهم وساقروها الى مناطق المروج المسبحة الواقعة في وسط الوادي حيث يتوفر المرعى الخصيب .

حينذاك كان كونت طرابلس قد مر عبر سهل « جبيل » بالقرب من الحصن المعروف بحصن « الخيطرة » وذلك حسب ترتيب سابق ثم تقدم فجأة برجاله الى اقليم « بعلبك » في نفس الوادي ، وجاء الخبر من هناك بأنه يحرق كل شيء يصادفه في طريقه ، فما كان قومنا يسمعون بخبر تقدمه حتى بادروا بالذهاب الى تلك الناحية . ولما كان الكونت لا يقل عنا تشوقا للمقاتل فقد التحمت القوات في موضع قريب من وسط الوادي .

وكان شمس الدولة - اخو صلاح الدين - مقيما في دمشق حاكما لها ، فما كادت تبليغه هذه الأخبار حتى جمع في الحال عسكريه وقام يعاونه أهل البلد بمداولة ضد الكونت ، ورتب شمس الدولة صفوفه للمقاتل واستعد للزحف علينا . كذلك قامت قواتنا من ناحيتها بالاستعداد للمقاتل على أكمل وجه وجاءوا لصدم شمس الدولة بعزيمة نافذة ، وأبدى كل من الجانبين المتقاتلين همة بطولية ، وهلك الكثيرون من هؤلاء وهؤلاء ، وجرح أكثر منهم ، ووقعت في الأسر أعداد غفيرة من الطرفين ، وانتهى الأمر أخيرا - بفضل الله الى فرار العدو ، كما أن شمس الدولة هرب في فئة قليلة من أتباعه الى الاقليم الجبلي المتعذر . أما المسيحيون فقد عادوا محملين

بالأسلاب والخنيفة الرفيعة ويسوقون أمامهم قطعان الماشية ، ولكن
فقد المنتصرون رهطا قليلا من رجالهم الذين وإن كانوا لا يدرون
المسالك إلا أنهم جازفوا بأنفسهم مجازفة كريهة غاقتحروا المستنقعات
للنهب ، ولم يأتهم خبر رجوع العسكر الصليبي المفاجيء .

وهكذا عاد الملك بكل من معه بمشيئة الرب ساليين الى صهرر
وجاءوا وقد غاضت أيديهم بشئى صنفوف الغنائم ومن بينها قطعان
الماشية والأغنام كدليل صاطح على ما أصابوه من نصر .

كذلك عاد كونت هارابلس محملا بالغنائم الكثيرة ، وقد حذت
الغبطة نفسه ، وانطلق على رأس جنوده الى بلادهم سالكين نفس
الطريق الذى جاءوا منه .

وحدث شئ نفس هذه السنة أن استرد « رينو دى شاتيون »
هريته وهو الذى تولى إمارة انطاكية بفضل زواجه من « كونسانس »
أرملة أميرها السابق « ريموند » ، وكان « أرنط » هذا قد أقام
فى الأسر المرير بحلب أعواما طويلة ، ثم جمع له اصدقاءه فبعوا
بينهم مبيعا كبيرا من المال أفقده به فأطلق سراحه وسراح
« جوسلين » بن جوسلين كونت الرها وخال الملك الذى يرجع الفضل
فى إطلاقه من السجن ورده الى هريته الى المساعى الدائمة التى
بذلها كل من أخته الكونتيسة « أجنس » زوجة « رينو » الصيداوى
وأم الملك .

وفى هذه السنة ذاتها وفى اليوم الثانى من شهر مايو وبسم
كل من « أودو » أسقف صيدا المنتخب الذى كان من قبل مرسل
القداس فى كنيسة صهرر ، و « ريموند » أسقف بيروت المنتخب .

وفي هذا الوقت أيضا لقي مانويل امبراطور القسطنطينية - ذو الذكرى العظيمة - والمحب الصادق للمسيح والذي عصت أعضائه الناس جميعا ، تقول انه لقي نكبة فادحة في قونية (٢٤) ، فقد كان مدفوعا بحبه الذي يستحق الثناء عليه لمحاولة نشر الاسم المسيحي وذلك بمجاهدته الجنس التركي الشرس ومحااربة كيرهم الصعب المراس سلطان قونية ، غير انه هزم اسوأ هزيمة بسبب خطايانا ، ولم تقتصر هذه النكبة عليه هو وحده بل جاوزته الى القوات الامبراطورية التي كان يقودها بنفسه ، وكانت هذه القوات كثيفة العدد جدا كثافة تجاوز كل خيال، وقد حنى (الامبراطور مانويل) في هذه المعركة بخسارة فادحة في الرجال الذين كان من بينهم رمط من اقاربه تنبغي الاشارة اليهم ، ان كان منهم ابن اخيه « يوحنا البرتوسياسستيس » وكان رجلا بالغ الكرم عظيم الأريحية وهو الذي تزوج (٢٥) الملك عمرى ابنته « مارية » . وبينما كان « يوحنا » هذا يقاتل العدو أروع قتال اذا به يسقط صريعا مٹخنا بجراحه ، لكن الامبراطور نجح في لم شتات معظم جيشه واستطاع الوصول به الى وطنه سالما في بدنه ، ولكنه أصيب بخيل شديد في ذهنه ، ويقال ان السبب في هذه المأساة يرجع الى تهور الضباط الامبراطوريين المركول اليهم قيادة الكتائب أكثر مما يرجع الى قوة خصمه وشدة بأسه ، ذلك أن (البيزنطيين) ساروا بالجيش دون أن يأخذوا الديلة الكافية وسلخوا به دروبا خطيرة ضيقة كانت في يد العدو ، خوثرين ذلك على طرق فسيحة في الغراء كانت تصلح لرحف الجيش ونقل أعتدته الكثيرة وأثقله المتنوعة التي يقال انها كانت فريق الوصف ، لذلك كان من المستحيل على الجيش في هذه الظروف أن يقاوم العدو أو يضايقه ، ويقال أن الامبراطور حزن حزنا عديدا أثر على معنوياته من جراء ما وقع في ذلك اليوم الذي

حمل أسرا الذكريات له حتى أنه لم تدأوده قط بعد ذلك أبدا بشاشته ، ولا مرحة الذى كان «سعة بارزة فيه ، ولم يعد أحد يراه بعدئذ ضاحك السن أو يبدو فرحا أحام شعبه ، كما لم يتأت له بقية أيامه أن يتمتع بالصحة الذى كان يتمتع بها الى حد كبير قبل هذا الحادث .

وموجز القول أن ذكرى هذه الهزيمة كانت تلاحقه على الدوام وتركت فى نفسه أثرها السيئ عليه ، ففقد طمأنينة الروح وما كان يتمتع به من راحة الفكر وهدوء النفس .

ولما كانت السنة الثالثة من حكم الملك بلديون الرابع ، وفى أوائل أكتوبر وصل الى ميناء صيدا المركزى وليم الملقب بذي السيف الطويل (٢٦) وهو الابن الأكبر لوليم مركزى دى مونترفرات ، وكان حضوره استجابة لدعوة وجهها اليه الملك وجميع برونات المملكة من دينيين وعلمانيين ، ولم تكن تغضى أربعون يوما على وصوله حتى كانت أخت الملك الكبرى قد زفت اليه ، وكان زواجا تمت ترتيباته والاستعدادات له فى العام الماضى حينما كان وليم مدعوا للمجئ من أجل هذا الموضوع نفسه الذى أكد الملك ذاته والبارونات بايديهم ، وتسلم « وليم » مع زوجته مدينتى يافا وعسقلان البحريتين بكل ملحقاتهما والكونتية كلها أيضا حسبما اتفق عليه فى ذلك الوقت .

غير أن هناك فريقا من الأعراء عارض أفراده هذا الاجراء ولم يحجموا عن المجاهرة برأيهم ، وان كانوا هم ذاتهم من بين الذين قد وافقوا على توجيه الدعوة الى وليم وان لم يعطوا الموضوع ما هو جدير به من الرعاية ، أما الآن فقد غيروا رأيهم كما هو الشأن فى قلب الأهواء والطباع .

كان المركزى (وليم) شابا أهيل للطول ، بهى الطلعة ، اشقر الشعر ، وكان سريع الغضب مع شدة كرمه وصبر راحته وعظيم

أقدامه ، ولم يحدث قط أن أخفى أى غرض يسعى إليه بل كان يجاهر به ويعلمه صراحة ويبدى ما فى نفسه ، وكان نهما فى مأكله مسرفا فى الشرب وان لم يبلغ ذلك به جدا يضيع معه حجاده ، وقد تدرب على استعمال الأسلحة منذ مطلع شبابه ، واشتهر عنه أنه كان خبيرا بغير الحرب .

وكان وضعه الدنيوى رائعا كل الروعة وقل أن كان هناك من يساويه .

وكان أبوه قريبا للويس ملك فرنسا فهو خاله ، وأما أمه فهي أخت امبراطور الرومان العظيم « كونراد » وعمه « فردريك » الذى هو الآن - منذ وفاة عمه الطيب الذكر - يحكم الامبراطورية الرومانية بحدزم وهكذا كانت تربط هذا المركيز بهذين الحاكمين الأمجدين درجة واحدة من صلة القرى .

لكن لم يكد يمضى على زواجه هذا ثلاثة أشهر حتى دامه مرض عضال لازمه شهرين بلا انقطاع ، فلما كان شهر يونيو التالى - وكان الملك يقاسى المرض الشديد هو الآخر فى عسقلان - مات المركيز (ولیم) تاركا زوجته وهى حامل ، فنقلوا جثمانه الى بيت المقدس ودفن فى احتفال حبيب فى بهر كنيسة القروسان الاسبتارية ، وقام الكاتب الحالى (ولیم الصورى) بأداء مراسيم الجنازة .

وتزوج فى هذا الوقت « هعفرى » صاحب قرون كونستابل الملك باليدى « فيليبا » Philippa ابنة « ريموند » أمير انطاكية وأخت « ريموند » الثالث الذى له الحكم الآن فى هذه الامارة ، كما أنها كانت أيضا أخت « ماريا » امبراطورة القسطنطينية .

وكانت « فيليبا » قد تزوجت من قبل باندرونيكوس (٢٧) احد اقارب الامبراطور (البيزنطى) لكنه طلقها واتت سرا وبصورة مزرية بتيودورا ارملة الملك بلدين ، وكان هذا العدل من جانبه عملا حثينا فاضحا بعيدا عن العفة ، وما كان همفري الذى اشترنا اليه حالا يرجع بفيليبا الى بلده حتى اعتل علة لم يبرأ عنها ، وما لبثت زوجته هي الأخرى أن مرضت مرضا خطيرا أفضى بها الى الموت بعده بأيام قلائل .

- ١٤ -

وفى الشهر الثانى من السنة الرابعة من حكم الملك بلدين الرابع ، وفى اول أغسطس ارسى بمدينة «كا » فيليب كونت فلاندرز ، وكان القرم يتربون وصوله منذ وقت بعيد ، وعلى الرغم من أن الملك كان لا يزال طريح الفراش الا أنه أمر بان يحملوه فى حفة من عسقلان الى بيت المقدس حين سمع بوصول « فيليب كونت فلاندرز » وغمرته الفرحة حتى أنه أرسل بعض باروناته وكبار رجاله الدينيين للترحيب به واستقباله الاستقبال اللائق به ، فلما وصل الكونت الى القدس حيث كان الملك لا يزال طريح الفراش من جراء مرضه الخطير سلحه السلطة وكل اليه تصريف دفة أمور المملكة من غير معارضة بتوجيه من البطررك المعظم والأساقفة ورؤسائهم والرهبان ورؤساء الأديرة ومعظم الاسبتارية والداوية وجميع وجوه العلمانيين ، وأصبح من حق (فيليب كونت فلاندرز) شرعا - فى السلم والحرب وفى الداخل والخارج على السواء -

الإشراف الأعلى على كل صغيرة وكبيرة ، ويكون له حرية التصرف
فى أموال الخزانة وعائدات المملكة .

وبعد أن تشاور الكونت (فيليب دى فلاندرز) مع أتباعه أجاب
القوم بأنه لم يحضر الى المملكة بقصد احتلاك السلطة ، ولكنه جاء
ليكرس نفسه لخدمة الرب التى هى هدف زيارته . كما قال انه لم
يكن من خطته أن يتعمل أية مسئولية ، بل العكس هو الصحيح
فإنه أراد أن يكون حرا حتى يعود الى بلده اذا تطلبت مصالحه
هناك هذه العودة ، وليقم الملك اذذاك بتعيين أى شخص آخر يختاره
كمدير لمملكته ، أما هو (أى فيليب) فمما عليه الا طاعة هذا الشخص
سعيًا لما فيه صالح المملكة ، شأنه فى تلك الطاعة كشأنه حيال مولاه
ملك فرنسا .

فلما عرف الملك أن فيليب (الإلزامى كونت فلاندرز) رافض
رفضًا باتًا ذلك الشرف الذى سقناه اليه قام عن طريق بارونات
يسأله فى الحاج مرة أخرى أن يقبل تولى قيادة جميع القوات
المسيحية فى الحملة التى نزع (٢٨) القيام بها ، وهى الحملة التى
كانت المملكة قد اتفقت عليها مع امبراطور القسطنطينية منذ وقت
بعيد . وهاهو ذا الملك يرجوه أن ينهض بأمر معارك الرب ضد
المصريين ، فلم يكن رد الكونت (فيليب دى فلاندرز) على هذا
الرجاء الا كرده عما سلف .

حينذاك قام الملك فأقر ، رينز دى شامبون « (أرناط) أمير
انطاكية السابق قيما على المطاوعة وقائدا عاما للجيش كما كان الوضع
قبل وصول (كونت فلاندرز) ، وكان « رينز » رجلا قد برهن عن
صدق اخلاصه وحزمه الرائع ، ووكلوا اليه فى حالة عجز الملك
عن مباشرة الأعمال شخصيا أن يقوم هو نفسه وفى علانية بتدبير

شئون المملكة ، وخولوه حق التصرف فى جميع الأمور ، على أن
يعاونه الكونت فلاندرز .

فلما علم الكونت بما تم بشأنه قل أنه لا يرى ثمت ضرورة
لهذا الاجراء ، بل يعجز عكس ما اتفقوا عليه أن يجب تعيين أحد ما
يقولى أمر الحرب فيكون له فخارها أن انتصر ، وعليه عارها أن
هزم لا قدر الله . فقلنا له - نحن انذين كان الملك قد بعثنا اليه -
أن الملك لا يستطيع أن يعين شخصا تكون له نفس الصلاحيات ،
دون أن يجعل هذا الشخص ذاته ملكا ، وهذا ما لم يفكر فيه الملك
ولم يفكر فيه نحن أيضا .

هكذا كان الموقف حين أُماط الكونت اللثام عن السر الذى
يخفيه فى صدره ولم يحاول اخفاء ما كانت ترمى اليه خططه ، ذلك
أنه لاحظ فى استغراب أن لم يغاتحه أحد ما فى موضوع الزواج
عن قرينة الملك « سيبيلا » . فلما سمعنا هذه الملاحظات عجبنا من
دهاء هذا الرجل ومن خططه الخبيثة ، ذلك لأن هذا الكونت الذى
طالما استقله الملك أحسن استقبال يحاول الآن أن يتحدى قواعد
الضيافة وقوانين القرابة فيخلف الملك .

- ١٥ -

وأرى أنه من الضرورى أن نتوقف قليلا عند هذه النقطة حتى
يفهم قرائنا فيها تماما الخطة الدنيئة التى كان الكونت يسعى
لتحقيقها ، والواقع أن ما نسوقه عن هذا الموضوع لم يقتصر على
ما جمعناه من روايات الأشخاص الكثيرين بل وأيضا من اعترافه
هو ذاته .

وكان يصحب الكونت في حجه هذا رجل واسع النفوذ هو المحامي « بيثون Bethune » الذي كان قد اصطدب معه ولديه اللذين كانا قد بلغا حبل نضج الرجال ، ويقال أن هذا المحامي راح يحمل الكونت على الاعتقاد بأنه يستطيع أن يستغل الموقف في المملكة أكبر استغلال لصالحه الخاص ، وكان يساعده في هذا الاتجاه كونت « وليم دي هانديفيل » الذي كان يصحبه في نفس الرحلة ، وقد ادعى « بيثون » هذا أنه صاحب اقتراعات كثيرة فسيحة ورثها في بلاد الكونت (فيليب كونت فلاندرز) ورعد بالتخلي عنها للكونت لتكون ملك يمينه الى الأبد بحق الوراثة اذا استطاع الكونت فيليب دي فلاندرز أن يرتب زواج ولدى المحامي من قريبتى الملك عموري الذي كان قد خلف ابنتين احدهما هي أرملة الماركيز (دي مونفترات) والأخرى التي كانت تعيش مع أمها الملكة في نابلس والتي كانت قد بلغت سن الزواج ، فوافق الكونت على هذا العرض وشرع يبذل جهده لاتمام ذلك القوان (٢٩) .

لكن لنرجع الى ما كنا فيه .

لقد عرفنا الخاية التي كانت تستهدفها مطامع الكونت ، ولذلك فقد كان ردنا عليه هو وجوب رفع المسألة أولا الى الملك ، ثم موافقة الكونت في اليوم التالي بالجواب الذي يراه جلالته وذلك بعد أن يشاور من حوله ، فلما كان الصباح وعقد أول اجتماع بصدد هذه المسألة رجعنا الى الكونت بالجواب التالي :

« لقد جرت عادتنا التي تتفق وعرفنا الذي نأبنا عليه منذ زمن بعيد أن لا يفقد ثمران أرملة (أى سسبينيلا) لاسيما الحامل قبل انقضاء عام واحد على وفاة زوجها ، لأن هذا لن يكون حزنا صادقا عليه ، وان الأمر فيما يتعلق بهذه السيدة هو أنه لم ينقض أكثر من ثلاثة أشهر على وفاة

(زوجيا) المركيز (دى مرتفرات) ، ومن ثم فانه لا يجوز أن يذهب الظن بالكونت مذهب السوء ان لم نستطع عقد قرانها لمخالفة هذا الزواج حينذاك لعادات هذا الزمن وتقاليده بلادنا . على أنه سوف يلقي عتاف وتأيد الجميع اذا عا قدم هذا الطالب المشار اليه من جاء منه هذا الرجاء ، اذ عما لا مشاحة فيه هو أن الملك غي هذه الحال - كما فى جميع الامور الأخرى - يجب أن تحكم أعماله نصيحة الكونت ، ويتطلع لأن يحقق مطالبه بما يثق وشرفه ، ومن ثم فعلى الكونت أن يأخذ المبادرة ويسمى لنا شخصا يكون جديرا بهذه المصاهرة ، وسنكون مستعدين أن نعمل - فى هذا الموضوع الحالى - وفق الرغبة العامة ، .

رأى الكونت فى هذا الرد جرحا وامتيانا لكرامته ، وأجاب بأن العقل يقتضيه ألا يستجيب الى ما طلب منه الا اذا أقسم جميع البارونات أولا بالالتزام باقتراحه من غير جدال ولا نقاش ، لأن أى نبيل عالى القدر سيرى نفسه قد أهين ان هو قوبل بالرفض بعد أن يكون قد كشف النقاب عن اسمه .

فكان ردنا على هذا القول أنه مما يجرح كرامة الملك وكرامتنا نحن أيضا أن نقبل زواج أخته من نكرة عندنا تجبل كل شئ عنه حتى اسمه .

فلم يكن من كونت فلاندرز الا التراجع عن خطته ، مع اظهار شدة حنقه وكبير غضبه حين اتضحت له نية الملك ونية جميع البارونات .

كانت توجد فى هذه الأثناء ببית المقدس سفارة امبراطورية (بيزنطية) تتألف من أبرز الرجال وأعظمهم شأنًا ، هم : المجل « أندرونيكوس » الملقب بأجيئوس ابن أخت الامبراطور ، والمعلم يوحنا ، وكان رجلا عن عليّة القوم وأرفعهم حكمة ، ثم « اسكندر كونت كونفرسانا » فى أبوليا وهو من الذبلاء السراة ، و « جيورجيوس السينائى » من رجال البلاط الامبراطورى وقد أرسلهم الامبراطور (مانويل) سفارة (٢٠) عن لدنه الى الملك بعد أن رأى أن الوقت قد حان لتنفيذ الاتفاقية (٢١) التى كانت قد عقدت بينه هو ذاته وبين عمورى ، ثم تجددت بالمقالى بنشس الشروط مع الملك بلدوين الحالى (الرابع) الذى كان هو الآخر يعقد آمالا كبيرة بفضل معونة الرب على مجيء (فيليب الالزاسى) كونت فلاندرز ، ومن ثم عقد مجلس عام فى مدينة قدس الأقداس الطائفة لبحث هذا الموضوع حضره جميع بارونات المملكة ، فرحب الجميع أفرادا وجماعات أعظم الترحيب بما تتمخض عنه مشسورة الكونت ومعاونته هو ومن معه للمملكة حبيبة الله من نفع تتسع به رقعتها الاتساع المنشود حتى يتم القضاء المبرم على خصوم المسيح ، غير أن الكونت فيليب انصرف عنا - كما ذكرنا من قبل - من غير سابق انذار ، وكرس نفسه لمشاسريع أخرى ، فاندبارت آمالنا وتبددت هباء .

وعلى الرغم من تراجع الكونت إلا أن السفراء (البيزنطيين) أصرروا على وجوب تنفيذ الاتفاقية وقالوا أنه من المحتمل أن يؤدى التراخى فى تنفيذ الاتفاقية الى طريق محفوف بالخطر وأن قومهم الاغريق لا يرون عن ناصحتهم أى سبب لعدم المضى قدما فى تنفيذ

الاتفاقية واخراجها الى حيز الوجود وابدوا استعدادهم للموافاء
الصديق بجميع شروط الاتفاقية .

وبعد ان استمعنا الى كلام السفراء وناقشنا الموضوع معهم
قررنا أن نضع المسألة برمتها بين يدي الكونت (فلاندرز) ، فبعثنا
اذاً في طلبه ، فلما جاء بسطنا أمامه الاتفاق المعقود بيننا وبين
الامبراطور ، وعرضناه مكتوباً ومختوماً بخاتم الامبراطور الذهبي .

فلما تفحص الكونت الوثيقة فحسب دقيقاً وفهم محتواها
فهما دائماً - سألناه رايه فأجاب انه غريب عن هذه الديار ، غير
عارف بنواحيها لاسيما بنواحي مصر التي يقال انها تقع على
مسافة بعيدة جداً من جميع الأقطار الأخرى ، ولها ظروفها الخاصة
كفيضان المياه على شواطئها في موسم معين من السنة فتغمر
الأرض تماماً . وأما نحن فأعرف عنه بطبيعة ذلك القطر وبأنسب
الأوقات لدخولها ، وأضاف الى ذلك أنه سمع من الكثيرين ممن
زاروا مصر أن الفصل الحالي من السنة ليس بالوقت المشجع على
غزوها لاسيما والشتاء على الأبواب ، وأرض مصر مغطاة بجليد
فيضان النيل ، هذا بالإضافة الى ما سمعنا من أن جموعاً حاشدة
من الترك قد حضت الى مصر ، ثم أن هذا ما يشغل باله أكثر من
سواه ويخيفه أشد الخوف الا وهو أنه سيكون هناك ندرة وشح في
التعوين أثناء زحفهم على مصر ، بل وحتى بعد وصولهم اليها ،
الأمر الذي سوف يترتب عليه أن تضرب المجاعة الجيش .

وأدركنا من هذه الاعتراضات أنه كان يتلمس الأعذار القوية
التي تبرر احجاءه عن النجوس بالحملة .

ورغبة هذا في التغلب على هذه العال فقد عرضنا عليه أن
نقدم له ستمائة رجل لنقل المؤونة والسلاح وغير ذلك من المتاع عن

على طريق البر ، كما وعدناه بأمداده بما هو فى حاجة اليه من السفن لحمل الذخائر والآلات الحربية وكل مستلزمات القتال ، ولكنه رفض كل هذه العروض رفضا باتا ، وزاد على ذلك فصرح بأنه لن يمضى الى مصر معنا تحت أى الظروف مخافة أن تنزل المجاعة به هو وعسكره على غير ترفع . ثم أضاف الى ذلك أنه اعتاد أن يقود عسكره فى بلاد غنية وأنه لا يمكن حرمانهم عن هذا الأمر ، لكن اذا قسمنا لنا أن نختار بلدا آخر يكون زحف الجيش فيه أكثر يسرا والجهد المبذول فيه مؤديا الى انتصار الاسم المسيحى وقهر أعداء المسيح فإنه هو ورجاله يرحبون باتخاذ الاستعدادات للسفر .

- ١٧ -

على أنه لم يكن من الأسلم ولا الأشرف لنا أن ننسلخ من هذه الاتفاقية ، وكان المبعوثون الامبراطوريون - وهم رجال من الطبقة العليا المتحيزة - قد قدموا الى القدس ومعهم مبالغ نقدية ضخمة ، وأعلنوا كما قلنا انهم صادقو النية فى تنفيذ شروط الاتفاق المبرم بيننا وبين الامبراطور ، وأخبرونا بأنه ترسو الآن فى ميناء عكا سبعون شونية من رهن اشارتهم . هذا الى جانب غيرها من السفن الأخرى الكافية للرحلة (الى مصر) والاغارة (عليها) حسبما اتفق عليه من قبل .

كان عدم وفائنا بالاتفاق الذى ربطنا أنفسنا به يبدو أخط ما يزرى بالشرف ، الى جانب ما ينطوى عليه من الخطر الحقيقى ، ورأينا أنه حتى لو قبل المبعوثون الامبراطوريون تأجيل الحملة الى وقت آخر فإنه يكون عملا يجافى العقل ، ومن الخساسة أن نفقد مساعدة الامبراطور الذى استعد لمعاونتنا الآن . وزيادة على ذلك فقد خشينا غضبته التى قد تسفر عن عواقب وخيمة تحيق بالملكة ،

لذلك عزمنا - برضاء من الطرفين - ان يهض بالحمية صبح سرود
الاتفاق والاجراءات التى اتخذت من قبل ، وأن نعضى قديما فى
الاستعدادات التى اتفق عليها منذ وقت بعيد مع الامبراطور .

فلما علم كونت فلاندرز بقرارنا اشد غضبه وأعلن أن الامر كله
مدير لامانته ، وبعد نقاش طويل حول وجوب رضوخنا لرغبته
بعض الشئء تأجل سفر الحملة مرة ثانية حتى ينتهى شهر ابريل
ووافق الاغريق ورجالنا على هذا التأجيل .
واستقرت الأمور على هذه الصورة .



ظل الكونت ما يقرب من خمسة عشر يوما حقيما بالقدس اتم
قيها عباداته ثم ظهر حاملا مسعف النخيل الذى هو رمز لاتمامه
شعائر حجه ومضى الى نابلس عسلنا عزمه على الرجوع نهائيا ،
لكنه بقى هناك بضعة أيام أرسل لنا بعدها فى القدس بالمحامى بيثون
مع آخرين من زمرة وكانوا مكلفين بأن يذكروا لنا - نيابة عن
الكرنت - ما انتبى اليه من استعدادات لتابعتنا حتى شئنا ، سواء
أكننا نقصد مصر أم غيرها من البلاد ، وقد بدى لنا أن كثرة تغييره
لآرائه أمر يدعو للسخرية وساورنا الاحساس بأن الكونت لابد وأن
يكون مصابا بانفصام الشخصية ، لأنه لم يتمسك قط بمشروع
محدد ، لكن ما كدنا نتسلم الرسالة المتضمنة لقراره هذا حتى شرعنا
فى تداول الرأى مع الاغريق فى غير اكرات به ، وثبين لنا أنه لم
يكن قطه يطابق قوله ، بل كان على العكس من ذلك يبذل قصارى
جهده ليضعنا موضع المخطيء حتى يكون قادرا لأن يكتب لأمرأ
البلاد التى وراء الجبال أن تبعة تأجيل الحملة انما تقع على اكتافنا
وكان قد أرسل الى هؤلاء الأمرأ الرسل المذكورين من قبل أملا
فى أن ينصرف الاغريق عن رجائنا ، وانذاك تقع على رؤوسنا
جريته التى اقترفها فنحمل عنه وزر خطئه هو نفسه .

حينذاك توجهنا بالخطاب الى الاغريق طالبين منهم أن يؤكدوا لنا عما اذا كانوا لا يزالون حريصين على اتفاقهم الأصلي ، مؤيدين لمرافقتنا في الزحف على مصر شرط أن يصحبنا الكونت فكان ردهم علينا أنه على الرغم من أن الوقت قصير جدا للقيام بالتجهيزات اللازمة لجيوشهم الا أنهم سوف يرافقوننا في الخروج اذا ما أقسم الكونت (فلاندرز) قسما يؤكد به أنه ماض معنا ، وأنه مرسل عسكري حتى ولو أصابه مرض هنا أو في أثناء زحفه ، أما هم (أعني البيزنطيين) فسوف يخرجون معنا اذا قطع الكونت على نفسه العهد بالحمل بكل ما من شأنه أن تؤدي هذه الحملة الى نشر المسيحية دون غش أو اضمار سوء ، واذا ضمن الكونت لهم عدم الاخلال بأي شرط من شروط الاتفاقية بالمشورة أو المساعدة ، واذا حمل بنى جلده على أن يقسموا نفس اليمين باحترام الاتفاق .

وقال (البيزنطيون) أنهم سوف يذهبون معنا رغم ما يرون في قلب الكونت من أمور تنطوي على الشذوذ وتدل على ما طبع عليه صاحبها من مناقضة للخلق القويم ، وستكون مصاحبتنا لنا من أجل اعلاء شأن المملكة الخالية عند الرب وللعمل على زيادة مجد الامبراطور (البيزنطي) .

حينذاك تقدم المدامى (بيتون) وعن جاءوا معه وأعلنوا أنهم يقسمون على الشروط كما وردت أعلاه ، ومع ذلك فإنهم كانوا غير راغبين في أن يشمل ذلك القسم كل الشروط ، كما أنهم لا يتعهدون بأن يقسم الكونت اليمين ، ولا أصحبنا غير مكتوثين لاستمرار الحوار من غير الوصول الى هدف غرضنا الاجتماع واجلنا

الموضوع الذى طال النقاش حوله الى وقت آخر يكون أكثر ملاءمة
وانذاك استأنفنا مضدوبو الامبراطور فى السفر وعادوا الى ديارهم .



بعد ان رحل السفراء الامبراطوريون شرع رسل الكونت
(فيليب الالزاسى) يتساءلون عن السبب الذى ادى الى عدم قيام
الحملة المتفق عليها فى الحال وقالوا : « ترى أى مشروع يمكن أن
ينهض به الكونت بمعونة الملكة له حتى لا يبدو فى عيون الناس
متراخيا كل التراخى ؟ أو ممضيا وقته بلا عمل ؟ » وأخيرا عزم
الذين بيدهم القرار الأخير على أن يتحركوا ويحفروا الى أنطاكية
أو نابلس ، فقد يمكن انجاز شيء ما هناك يرد عليهم كرامتهم ويؤدى
الى تقدم المسيحية . وألقى البعض تبعة معارضة الكونت (دى
فلاندرز) لارسال الحملة الى مصر على كاهل كل من أمير أنطاكية الذى
كان موجودا فى هذه اللحظة وعلى كاهل كونت طرابلس الذى كان
مؤازرا كل العزوف عن الحملة على مصر ، ذلك أن الاثنين كانا
يسعيان سعيا حثيثا الى استمالة كونت فلاندرز اليهما يوجهانه
كيفما أرادا ، ويستطيعان بمعاونته المساعدة فى بعض الخطط المؤدية
الى اتساع رقعة أراضيهما ، لكن حبط مسعاهما وخاب أملهما لأن
الرب لم يشأ أن يتيح للكونت فرصة القيام بأى عمل يستحق التدوين
وصرف عنه تأييده لأنه قيل (٢٢) : « تسربلوا بالتواضع لأن الله
يقاوم بطر المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهنم نعمة » .

ورغم هذا كله فقد قطع الملك على نفسه العهد أن يتحاون مع
فيليب (دى فلاندرز) ويمدد بمساعدته ، فأمدده عند رحيله بمائة من
خاصة فرسانه وبقرة قوامها ألفان من العسكر المشاة .

على هذه الصورة كان وضعنا حوالى سبستهل أكتوبر
(١١٧٧ م) حين نهض الكونت (فيليب دى فلاندرز) على رأس

قواته الى طرابلس وفي صحبته كوننتها ورئيس الفرسان الاسبتارية
ورسط كبير عن فرسان الداوية ميممين وجيهم شطر اماره
طرابلس .

في هذا الوقت نفسه أيضا تزوج بموافقة الملك « بليان » دى
ابلين أخو بلديون صاحب الرحلة عن الملكة « حارية » أرملة الملك
عمورى وحى ابنة جون البروتوسيباستوس الذى ترددت الاشارة
اليه كثيرا من قبل ، وتسلم « بليان » مع حارية عدينة نابلس التى
أدت الى أن يطلق عليها حين الزواج اسم « باثنة الزواج » والتي
كان لبليان حرية التصرف فيها طيلة حياة امراته .

- ١٩ -

قام فيليب كونت فلاندرز بدخول أرض العدى على رأس
عسكره بعد وصوله الى طرابلس مع كوننتها وبعد اتخاذ كل
الاستعدادات اللازمة لهذا العمل ، وأقاموا بعض الوقت قرب مدينتي
حمص وحماة مما أسفر عن تكبيد الأعداء بعض الخسارة ، ذلك
لأن صلاح الدين كان قد رحل الى مصر بعد أن أنجز غرضه فى تلك
الناحية وبعد عقده الصلح مع ابن نورالدين ، وهو صلح تم حسب
شروطه التى وضعها ، وكانت الاستعدادات التى أشرفت اليها من
قبل بدت فى نظره مثيرة الى وشك قيام الصلحة التى كانت تهدده
منذ زمن طويل وما صاحبها من الترتيبات التى تمت منذ وقت بعيد ،
لذلك فانه أخذ معه كل القوات التى تسبى له جمعها من أى ناحية
وركز قوته الكبيرة من الفرسان فى الذواحي الاستراتيجية التى خيل
اليه أن ربما تشهد أحداثا عامة ، وترتب على ذلك أن وجد الكونت
وقواته الاقليم خاليا من المدافعين عنه ، مما ساعده على اجتياح
الناحية والبعث فيها كيف شاء من غير أن يلقى مقاومة، الا أن البلدان

الحصينة وقلاع المدن كانت مزودة أحسن تزويد بالذخيرة والميرة ومجهزة بالمرحاس والسلاح الكافى للدفاع عنها .

ولما علم أمير أنطاكية أن الكونتين (٢٢) قد دخلا أرض المدو أسرع للانضمام إليهما سالكا طريقا آخر حسبما اتفق عليه بينهم من قبل ، وكانت القنرات القى انضم بعضها الى بعض متفقة على الأخرى فى الهدف ورأوا أن أحسن خطة تملئها عليهم ظروف الموقف المحيط بهم إنما تكون فى قياحهم بمحاصر حصن حارم الواقع فى خالسييس (٢٤) التى تسمى الآن بارتاج ، وكانت تلك الناحية من قبل مدينة عظيمة لكنها تدهورت الآن حتى أصبحت مجرد حصن صغير كل الصغر ، وتقع المدينة والحصن على بعد اثني عشر ميلا من أنطاكية .

فلما صاروا أمام «حارم» نصبوا معسكرهم حولها وأحرقوا بها من كل ناحية ، وحالوا بين من بدأ وبين الخروج ، كما سدوا كل الطرق فى وجه من يريد الإقتراب منها أن أراد مساعدة أهلها ، وبذبت فى الحال الآلات الحربية مدببة الرؤوس وجميع ما ضر ضرورى لفرض الحصار ، واذ توقع المسيحيون استعمرار هذه العمليات حتى النهاية فقد قاموا هم أيضا ببناء أكواخ من خشب الصفصاف ، ولما كان الشتاء على الأبواب فقد سوروا معسكرهم بأسياخ من الخوازيق القوية للحفاظ على أعتقهم حتى لا تجرأ مياه الأمطار المتدفقة ، كما قام فى الرقت ذاته سكان الناحية المجاورة والجماعات المسيحية فبدلوا غاية هميتهم فى جلب الأطعمة الضرورية من أنطاكية ومن الأماكن الأخرى الموجودة قريبا جاورها .

كان حصن حارم من أملاك ابن نور الدين ، وكان هو الحصن

الوحيد في تلك الناحية الذي اذن صلاح الدين لابن نور الدين بالاحتفاظ به ، وبعد استكمال سد جميع المنافذ المؤدية الى الحصن من شتى الجهات قام الصليبيون كعادتهم بتقسيم أنفسهم الى جماعات راحت تتناوب مهاجمة الحصن وترعى الاسوار رحبا عوصولا عن الآلات والمدد ، دون أن يتركوا المحصرين لحظة واحدة يلتقطون فيها أنفاسهم .

٢٠ -

على هذه الصورة كان الوضع في أنطاكية .

وعلم صلاح الدين في هذه الأثناء أن الكونت (فيليب دي فلاندرز) وجميع الجيش المسيحي قد تقدموا في أرض أنطاكية إما هو فكان في هم حقيم في انتظار زحفهم عليه في مصر ، وإن ذاك خيل اليه - وكان حقا فيما تخيله - أنه سيكون أمنا على نفسه وعلى من معه أن هو قام بمهاجمة بلد خلا من عسكره إذ لابد أن يحدث حينئذ أن يؤدي الهجوم الى ارغام الأعداء على رفع حصارهم عن حارم فإن أصروا على متابعتهم حصار الحصن استطاع هو احراز النصر على من تركوهم وعدمهم في المملكة .

لذلك قام بحشد الحشود الكثيفة من العسكر عن كل ناحية وأمر بتجهيزهم أحسن جهاز جرت به العادة ، وزودهم بالسلاح وبشئ ما يستعمل عادة في القتال ، ثم زحف بجيشه هذا من مصر ، وتسلم له بعد اجتياز القية الكبير في مشقة أن يبلغ مدينة العريش القديمة التي أصبحت الآن مهجورة من الناس فترك بها بعض أمتعته الثقيلة وطائفة من العسكر ، غير مستصحب معه سوى الجند المسلح تسليحا خفيفا كما اقتصر على أخذ أعظم المقاتلين المدربين على

الحرب . وعز بهم على قلعتهما : الدارم وغزة ، وكانت الأخيرة مدينة عظيمة الشهرة ، فأرسل كشافته ربيقة أمامه ثم ظهر هو فجأة أمام عسقلان .



كان النذير قد جاء الى الملك قبل بضعة أيام بخبر تقدم صلاح الدين . فأسرع الملك بلدوين بحشد ماكان لايزال موجودا بالمملكة من قواته وعسكر بهم أمام المدينة قبل أن يبلغها العدو . وكان كونت طرابلس - كما قلنا - قد غادرها على رأس مائة من فرسانها اصطفاهم من بين الكثيرين . كما كان قد تركها أيضا رئيس الاسبقارية مع رفاقه ورهط كبير عن غرسان الداوية ، وكان بقية هؤلاء الأخيرين قد مضوا الى غزة تحسبا منهم لقيام صلاح الدين بمحاصرتها باعتبارها أول مدينة يبلغها عن المدن التي في أيدينا .

ولما كان الكونستابل الملكي « هفري » قد دامه المرض الشديد كما قلنا فإنه لم يكن تحت يد الملك الا القليل من العسكر ، فلما علم أن العدو يمرح كيف شاء في صورة عدوانية وأن قواته قد انتشرت في السهول المجاورة لأرضنا فقد خرج مستعينا بالله على رأس جنده استعدادا للقتال بعد أن ترك طائفة قليلة لحراسة المدينة .

وكان صلاح الدين قد حشد حشوده كلها في مجموعة واحدة قرب المدينة ، فلما تقدم الجيش الصليبي وشاهد كثافة أعداد عسكر خصمه أشار كبار أهل الخبرة بشئون الحرب بوجوب بقاء القوات في مواضعها الحالية فذلك خير لها وأجدى عليها من المخاطرة في قتال لا تؤمن عواقبه . لذلك ظل الصليبيون يمتنعون من هجمات العدو حتى دخل الليل وان لم يخل الأمر من وقوع مناوشات فردية على فترات متقطعة ، وذلك لقرب كل من الجيشين عن الآخر .

ولما انصرم النهار عاد الصليبيون بسلام الى المدينة مرة ثانية ذلك لانهم وجدوا أنه نظرا لزيادة أعداد جيوش الخصم فقد بدى لهم أن قضاء قواتهم الضئيلة ليلتها في المعسكر أمر لا يخلو من الخطر ولا تحمد عقباة . فكان هذا العمل من جانبهم باعثا الخيال والرهبة في نفس صلاح الدين وجماعته حتى أنهم لم يطيقوا حبسا على البقاء على ما هم عليه من التنظيم بل تفرقوا هنا وهناك معجبين بسلوتهم وعقباهم ببأسهم . وشرع صلاح الدين في اقتطاع بعض الأراضي المفتوحة لمن معه من الجند الذين بنوا وكانوا قد تم لمصاحبهم المنصر وكأنهم قد حققوا كل ما خرجوا من أجله ، فعربدوا ما شاءوا أن يعربدوا غير أخذين الحيطة لأنفسهم وتفرقوا شرذم صغيرة يعيشون في كل نواحي الاقليم .

- ٢١ -

وذهب بنا الظن الى أن الأعداء لابد وأن يقضوا الليل في نصب معسكرهم أمام المدينة حيث كانوا في أعسب أو يعملوا على الاقتراب منها رغبة في استكشاف نواحيها ، لكن جرى الأمر على عكس ما كنا نظن ، إذ لم يمنحوا أنفسهم ولا جيادهم قسما عن الراحة بل انطلقوا في جماعات راحت كل منها تفتش ضاحية من الضواحي حسبما يترأى لهم ، وكان من قوادهم رجل اسمه « جاولى » (٢٥) وهو مدارب بأسل لا يحجم عن اقتحام الهالك ، وكان هذا الرجل أرمنى الأصل والمولد وانخرط في ذلك « الأمم » ، ولم يكن يتورع عن سلوك أى طريق ولو كان متوجا .

وتقدم هذا الرجل بالعسكر الذين كان يقودهم الى مدينة « الرملة » الواقعة في السهل ، فوجدها خالية من سكانها فأضرم فيها النار ، إذ كان أهلها قد هجروها بسبب ما استولى عليهم من اليأس لعدم تحصينها ، كما كان بعضهم قد انضموا الى حملة بلدوين

الذاهبة الى عسقلان ، كذلك مضى آخرون منهم - وفيهم الضعفاء والنساء والاطفال الى « يافا » ، وانطلق غير هؤلاء وشيلاء الى حصن منيع بين الجبال يسمونه « كفر سلام » (٢٦) .

فلما فرغ « جاولى » من حرق الرملة زحف بكل عسكره الى مدينة « اللد » المجاورة التي سرعان ما استولى عليها جيشه بعد تقسيمه اياها اقسامها ، ثم راح بعد ذلك يهاجم الاهالى ويرميهم بوابل هتان من شتى أنواع السهام والنبال والسلاح ، واستمر على مضايقتهم مما جعلهم جميعا على الفرار الى كنيسة الشهيد المبارك القديس جورج .

عينذاك استولى الفرع القاتل على المسيحيين حتى رأوا الا اهل لهم الا فى الفرار ولم يقتصر الخوف الذى تحلك النفوس على من كانوا فى السهل حين كان العدو ينطلق حمرددا من غير أن يلقى اى مقاومة ، بل جاوزههم الى سكان الجبال ، حتى ان اهل بيت المقدس انفسهم استعدوا للهجرة من المدينة الطاهرة ياسا منهم من مناعة تحصيناتها ، ثم دأبوا أن لاذوا بأذيال الفرار بأسرع ما يمكن الى البرج المسمى ببرج داود وخلفوا وراءهم المدينة بأكملها ، وكان بعض قطاع الطرق قد تقدموا حتى بلغوا الموضع المسمى بكالكاليا ، وانتشروا فى كافة أرجاء السهل ، ثم أصبحوا الآن على وشك ترك هذه الأرض المنبسطة والصعود الى الجبال .

بدى هذا الاقليم الآن منجورا حوشتا كيوم ان غضب الرب « فخطى ابنة صبيون بالظلام » (٢٧) ، الا أنه « حتى فى غضبه لم يمسك رحمته ، ولم ينسحنائه » (٢٨) لكنه تعطف وساعدنا (٢٩) ، و « عند كثرة اليوم فى داخل الانسان فان تعزيتته تلذذ نفس الانسان » (٤٠) .

بينما كانت هذه الأحداث تجرى فى تلك الناحية من البلاد جاءت الأخبار الى الملك أن طائفة من رجال العدو المحاربين قد انتشروا هنا وهناك فى أرضه واستولوا على ما انتشروا فيه ، فما كان من بلديين إلا أن خلف مدينة عمقلان واستعد للخروج لصدد العدو لادراكه أن مجابهة مايسفر عنه القتال مع الخصم فيما بلغ من الخطورة المجنولة أهون من تعريض شعبه لشقى صتوف الاغتصاب والحرق والمذابح ، واستقر رأيه على أن يزحف على طول الشاطئء عساه يبلغ ناحية السيل التى يعسكر فيها صلاح الدين فبلاغته مباغته لا يتوقعها . ومن ثم خرج الملك فى الحال بكل جنده من الفرسان والمشاة وهو على أتم الاستعداد لمحاربته ، وانضم اليه فرسان المعبد الذين كانوا متخلفين فى غرة ورتبوا صفوفهم وتيأروا لصدد العدو ، ثم تقدموا لا يشغلهم سوى الثأر لما نزل بهم من الأهوال كما أن منظر الحرائق التى طالعتم فى كل ناحية والمذابح التى لقيها اخوانهم أمدتهم بمحاربة الاهية فأسرعوا وكأنتهم رجل واحد فاذا بكنايب العدو أمامهم وعلى مقربة عنهم ، وكانت الساعة اذ ذاك حوالى الساعة تيارا .

على أن صلاح الدين علم فى أثناء هذه الفترة أن المسيحيين اخذون فى التقدم يحدوهم الأمل فى محاربته فحازف من الاشتباك معهم فى القتال الذى كان يبدو من قبل أنه كان يتطلع اليه ، لذلك ألقوا رسله لاستدعاء عسكره الذين كانوا مبعثرين فى جهات شتى ، وحاول بواسطة دق الطبول والنفخ غى الأبراق وبالخطوات كما هو الحال فى مثل تلك الأوقات أقول حاول بواسطة ذلك كله تشجيع رجاله على القتال وإثارة حميتهم بكلامه اليهم .

وكان مع الملك (بلدوين الرابع) كل من « ايود » Eudes
 دى سانت أماند رئيس الفرسان الداوية وثمانون من اخوانه ، والأخير
 « رينو » وبلدوين صاحب الرملة ، وأخيه « بليان » و « رينو » الصيدارى .
 وكونت « جوسلين » خال الملك وسد كفه . وكان مجموعهم بما فيهم
 أصحاب الرتب الحربية ثلاثمائة وخمسا وسبعين . وكانوا جميعهم
 مسترشدين بالصليب الحى العظيم الذى كان يحمل « البرت » أسقف
 بيت لحم ، ويعتمدون قبل كل شىء على الحون تأتيهم به السماء .

وتقدمت جموعهم هذه كلها فى صفوف حربية تتحرق شوقا
 لمصادمة العدو الذى أخذت قواته تتوافد فى هذه الأثناء على صلاح
 الدين من مختلف النواحي التى كانت تذرع الأرجاء واقدمت تنشد
 الفنائم وتشعل الذيران ، فكان رجوعها عاملا على زيادة قوته زيادة
 ضخمة ، والحق أنه لولا الرب (٤١) الذى لا يتخلى قط عن أسلموا
 أنفسهم له ثقة عنهم به لحاق اليأس بالصليبيين وهلكوا ولم يؤتيم
 النصر ولم ينعموا بالحريّة والأمان ، فأعدوا صفوفهم
 للقتال ورتبوا القوات التى ستأخذ المبادرة بشن الهجمة الأولى وكذلك
 الذين سوف يأتون لمعاونتهم .

— ٣٣ —

أخذت صفوف المقاتلين فى الاقتراب بعضها من بعض ، وشنت
 معركة لم تكن فى البداية معركة فاصلة ، غير أن رحمة السماء المنهلة
 على المسيحيين شددت من عزائمهم فضاء فوا ضغطهم فى عنف أخذ
 يتزايد شيئا فشيئا حتى أفضى فى النهاية الى انكسار عسكر صلاح الدين
 بعد أن جرت عليهم عذبة غليظة لم تجد قواته ازاءها بدا من
 الفرار .

ولقد أردت أن أتأكد من صحة هذه الأقوال الخاصة بهذا الموضوع فقامت باستقصاء دقيق عن عدد عسكر العدو ، ووجدت بقاء على ما بلغني من الثقات الكثيرين أن الذين اقتحموا أرضنا كانوا ستة وعشرين ألف فارس من حملة السلاح الخفيف ، بالإضافة إلى راكبي الإبل ودواب الحمل ، وكان من هؤلاء ثمانية آلاف من الجند العظام الذين يسمونهم في لغتهم بالطواشيية (٤٢) ، أما الشانوي عشرة آلاف الآخرون فكانوا من الفرسان الهاميين المعروفين باسم « القراغامية » . وكان هناك ألف من أسمل الفرسان يحملون درسا خاصا لصلاح الدين ويلبسون الحرير الأصفر . ويضعون الزرديات على صدورهم من نفس اللون الذي يلبسه صلاح الدين ، وقد جرت عادة ولاية الترك وكبار الزعماء المسمون في العربية بالأمرأ أن يعنوا بتربية جماعات من الصغار تربية فائقة ، ومن بينهم رقيق أسروا في الحرب ، وآخرون حشرون أو ربما ولدوا من أماء ، ويتعلم هؤلاء الفتيان فن القتال ، حتى إذا شربوا عن الطوق وبلغوا سن الرشيد أجريت عليهم الرواتب (الجامكيات) بل وأقطعوا الاقطاعات الواسعة التي تختلف من واحد إلى آخر باختلاف ميزة كل منهم ، ويسمى هؤلاء الرجال بلسانهم « بالممالك » وتوكل اليهم حماية مولاهم في ساحات القتال وتنفذ الأوامر الكبار عليهم في أحوال النصر ، ولما كانوا على الدوام محيطين بمولاهم فقد كانت تربطهم بعضهم ببعض رابطة الحفاظ عليه من أي مضرة ، ويدافعون عنه حتى الموت كأنهم جميعا رجل واحد ، وكانوا يستمرون في الحرب حتى يفر ، وإذا التمس البعض النجاة في الهروب ظل هؤلاء الممالك يقاتلون حتى يسقطوا عن بكرة أبيهم .

أخذ المسيحيون في معارضة خصمهم المغلوب من الموضع المسعى « هرنس جيسار » حتى المستنقع المعروف باسم « قنافة إيتيرنو » Cannaie des Etorurneaux حتى انصرم النهار وغشاهم الليل

بظلامه ، واعملوا الفتك الذريع لمساغة اثني عشر عيلا أو أكثر في
الفارين الذين يرجع الفضل في بقائهم أحياء الى سرعة دخول الليل ،
اذ كف عنهم مطاردتهم وأثقتهم منهم ، كما تخفف أقواهم بأسسا
وأصحاب الخيل السريعة من أسلحتهم وهربوا بكل ما في طاقتهم
من قوة ، وكان الفضل في بقاء هؤلاء أحياء راجعا الى دخول الليل ،
أما سواهم فقد صادفوا أتعس مصير ، اذ راحوا ما بين أسير وقتيل
بعد السيف .

ولقد هلك هنا في مستهل القتال أربعة فرسان أو خمسة وبعض
المشاة ، وان لم يكن العدد الحقيقي معروفا على وجه التأكيد .

فلما نجح الفارون في الوصول الى المستنقع الذي ذكرناه
حالا قذفوا الى المزاليج والى الماء ما تبقى معهم من أذمال ، وكان
الذي تبقى معهم هو صداريتهم وأذيتهم الحديدية للخلاص منها
عساحم يستطيعون التقدم خفا ، ولم يكتفوا بذلك فحسب بل رموا
أيضا في الماء أسلحتهم حتى لا يستعملها الصليبيون أو يأخذوها فتكون
رمزا لانتصارهم . لكن سرعان ما استرد قرعنا كل هذه الأشياء لأنهم
في اقتنائهم الجاد للحدود الهارب في تلك الليلة ذاتها ، وفي اليوم
التالي بأكملهم راحوا يمشطون مستنقعات الغاب المذكورة آنفا ،
ويستعملون العصي الطويلة والخطاطيف في تفتيشهم ، وسرعان ما
عثروا على كل ما كان العدو قد أخفاه هناك .

ولقد سمعنا من رجال ثقات أنهم رأوا في يوم واحد مائة درع
من الحديد عثروا عليها في هذا المكان ، فاهيك بما وجدوه من
الخوذات وما يقى السيوف وغير هذا من أدوات دونها قيمة ولكنها
كانت لا تزال مجدية وصالحة للاستعمال .

ولقد كلاتنا العناية الالهية بهذه النعمة الكبرى التي لا تنسى

أبدا يوم الخامس والعشرين من نوفمبر (سنة ١١٧٧ م) من السنة الرابعة من حكم الملك بلدوين الرابع ، أعنى يوم الاحتفال بعيد الشهيدين الظاهرين بطرس الاسكندري والعذراء تكاترين .

ثم عاد الملك بعدئذ الى عسقلان فى انتظار القوات التى كان قد بثها فى كل ناحية لمطاردة الفارين ، وتكامل وصولها فى مدى أربعة أيام ، وعانت حملة بما غنمته من الخيام ، وساقط أمانها العبيد وقطرا من الابل والحياد .

لقد عادوا وصدق عليهم قول النبى (٤٢) « أكثرت الأمة ، عظمت لها الفرح . . كالذين ييتهبون عندهما يقتسمون غنيمة »

— ٢٤ —

كذلك حدث أمر دل دلالة صريحة على أن الرحمة الالهية كانت تكلؤنا بعينها حين أخذت الأمطار فى اليوم التالى وعلى مدى عشرة أيام متتالية تهطل بغزارة مصحوبة ببرد لم يعهد من قبل ، وبصورة كان يخيّل معها أن نفس هذه العوامل كانت تتآمر ضد العدو الذى كان قد فقد جميع جياده لانعدام الماء الذى تشربه ، كما أنها لم تعرف الراحة طوال الأيام الثلاثة التى ظلت أرضنا خلالها فى يد العدو الذى قام رجاله من تلقاء أنفسهم بالمقاء امتعتهم ومختلف أنواع الثياب ، كما قلنا ، وزاد من تعاستهم أنه لم يكن لديهم ما يقتاتون به ، غصوعهم البرد وأهلكهم الصخب ، وأنهكهم المضى . وأضنقتهم وطأة المشاق التى لم يألوها ، فكانت ترى فى ناحية ما قليلا عن هؤلاء الهاربين وتجد الكثيرين غيرهم فى ناحية أخرى لم يسلموا من غضب الجميع حتى الضعفاء ومن لا حول لهم ولا قوة ، فكانوا يصبون عليهم ما شاءوا من غضبيهم . ولما كان الكثيرون منهم يجبلون تلك النواحي فقد هملوا الطريق وهم يحسبون أنهم يسلكون الدروب الموصلة الى

ديارهم ، لكنهم ما لبثوا أن وجدوا أنفسهم في قرانا وعرضة للوقوع
في أيدي المسافرين الذين كانوا يطاردونهم ويتصيدونهم .

فلما رأى الأعراب الكافرون الذكبة التي حاقت بالترك أسرعوا
إلى الذين كان الأغيرون خلفهم وراءهم لدراسة أمتعتهم بمدينة
العريش كما ذكرنا من قبل وقصصوا عليهم نبأ الكارثة التي حلت
بأصحابهم وجلت نفوسهم عند سماع هذا الخبر وانطلقوا في قزعهم
يهيمون على وجوههم لا يدرون أين يذهبون .

كذلك أصر هؤلاء الأعراب اصمرا عنيدا على مطاردة من
شامت الصدفة أن ينجو من الوقوع في قبضتنا ، وبذلك فإن الذين
ظنوا أنهم نجوا وجدوا أنفسهم قد وقعوا فريسة سهلة في براثن هؤلاء
الأعراب وبذلك تمت النبوءة القائلة (٤٤) « فضلة القصص أكلها
الزحاف ، وفضلة الزحاف أكلها الخوغاء ، وفضلة الخوغاء أكلها
الطيار » .

وكان من عادة هذه الطائفة (٤٥) اللئيمة أنهم كاذوا يتحاشون
دائما القتال فلا يخوضون معركة ما عن المارك أيا كان القائد بل
يقفون على بعد من ساحة الحرب طالما لم تتضح نتيجتها ، فإذا
حسنت انضموا إلى الغالب وتعقبوا المخلوب وهالوا أيديهم بالأسلاب
والخنائم .

وظل قرونا يجيئون لبضعة أيام بالأسرى من الغابات والجبال
بل ومن الصحاري ، وكان بعض هؤلاء الأسرى ممن جاءوا إلينا من
تلقاء أنفسهم مؤثرين تقديدهم بالأغائل وحبسهم على أن يظلوا
هائمين على وجوههم يلهمهم البرد بسوطه ويقرصهم الجوع بأذيابه .

بعد أن فرغ الملك من توزيع الأسلاب والغنائم وفق قواعد الحرب
بادر بالرحيل الى بيت المقدس شاكرًا للرب ما أنعم به عليه من آلائه ،
وليقدم القرايين على ما أنعم من النعمة ، أما صلاح الدين الذي كان
قد نهض بروح ملأها الكبرياء اعتدادا بكثرة من تحت يده من
الفرسان فقد ردت الشبهة الإلهية مغلوبا على أمره ولم يبق معه غير
مائة محارب تقريبا ، حتى ليقال أنه هو ذاته عاد محتليا بعيرا .

فلنتأمل الآن ولنتمعن هذه النعمة الإلهية !! ولنتبصر هدى
الفيض الذي رزقناه !! ٥٠ ولنتذكر كيف أن الرحمة القدسية أرادت
أن يكون المجد كل المجد للرب وحده ، إذ لو كان (فيليب) كونه
فلاندرز وأمير أنطاكية وكونت طرابلس وغيرهم من كبار الفرسان (٤٦)
ساهموا الى جازنا في هذه المعركة ، وشاكرنا النصر الذي أسبغته
علينا يد الرحمة الربانية لما ترددوا في أن يقولوا - وإن لم يقدر لهم
أن يقولوا - مع القائلين (٤٧) « يدنا ارتفعت وليس الرب فعل كل
هذه » ، ذلك لأن الذين لا يكثرثون بشيء والقليلي التبصر يقصر
فهمهم عن ادراك وجودهم حيث تعم النعمة تحقيقا لكلمته (٤٨) ، ومجدي
لأعطيه لآخر ، لذلك احتفظ الرب بكل المجد والسلطان لنفسه وأعان
الفئة القليلة وحجب عونه عن الفئة الكثيرة ، وأعان برحمته من جديد
وبحبه معجزة « جدعون » (٤٩) ، وفرق شمل الجموع الكثيفة وبذلك
تجلى للعيان أن الشخص الواحد يستطيع بعون الرب وحده (٥٠)
« أن يطرد ألفا ، ويهزم اثنان رهبة » .

فعلينا أن نعزو كل خير ونعمة اليه هو وحده الذي هو منبع
كل خير ونعمة (٥١) ، لأنه في هذا الظرف الحالي لا يوجد قط شيء
يستطيع الانسان أن ينسبه الى نفسه ، بل هو منحة جاءت بها الرحمة
الربانية وجاءت الى من لا يستحقها « تمد يمينك فقتلهم
الأرض » (٥٢) « يمينك يارب تحطم العدو ، ويكثرة عظمتك تديم
مقاوميك » (٥٣) .

ببما كانت هذه الأحداث تجرى بيننا استمر الكونت (٥٤) ومن معه فى حصار الحصن (٥٥) المشار اليه آنفا ولكن بلا جدوى لأخذهم أنفسهم بالتبذل ، وانكبابهم على ألعاب النحر وغيرهما من أمور التسلية ، فقد كانوا منصرفين اليها أكثر من انصرفهم الى العناية بأمر الحرب وقواعد عمليات الحصار المفروضة عليهم ، فكانوا على الدوام عا بين ذهاب الى أنطاكية راياب منها حيث يقضون أوقاتهم فى غشيان الدعاعات والتردد على الولائم . والاتفاس فى مفاسد الشراب وغيرها من الملذات الجسدية ، وأفعلوا القيام بمقتطلبات الحصار ، مستعيزين عن ذلك بملذات العبث .

بل ان الذين كانوا يظهررون الجد فى الحصار مالبثوا أن تراخوا كسلا واحصالا ، ولم ينجزوا شيئا هاما ، اذ كانوا هم أيضا يقضون أوقاتهم فى دعة ، ويحيون حياة دنسة ، حتى ان الكونت ذاته كان يعلن كل يوم بوجوب عودته الى بلاده . ويصرح أن بقاءه فى حارم أن هو الا أمر يتم رغم أنه ، ولم يقتصر هذا الاتجاد على اعاقبة من كانوا فى الخارج وهم يحاولون الاستمرار فى الحصار بل زاد فشد من ساعد أهل البلد على زيادة المقاومة ، اذ قويت عزائمهم وازداد أملهم أن يتم رفع الحصار عنهم عن قريب ، فضاغفروا من تحملهم لكل مشقة ادراكا منهم أنها لن تطول كثيرا ، وعرفوا أنه اذا كان وقع المتاعب عليهم قاسيا الا أنه أحسن من أن يسمعوا التلعة (٥٥) التى استولوا عليها الى هذا الجنس المبهض ، لأنهم ان فعلوا ذلك باؤوا بما يبرء به الخونة من الخزي والعار بالاحقادهم الى أبد الأبد .

ويحتل حصن حارم (٥٦) موقعا هاما على تل يبدو وكأنه من صنع الانسان ولا يمكن اقتحامه الا من جانب واحد ، أما سراء

من الجوانب فمعدودة في وجود المغيرين، ومع ذلك فقد كان في استطاعة آلات الرمي أن تصيبه من كل ناحية عن غير عائق يعوقها .

وقد جرت محاولات عدة لاقتحامه واختلفت نتائج بعضها عن بعض ، حتى أصبح واضحا للعيان أن الاستيلاء على هذا الحصن لا يمكن أن يتم الا بهجمة ضارية مؤيدها العناية الإلهية ، لكن الأمر عندما كان قد تحول الى عدم اكتراث ، وأفضت خطايانا واندثار فطنتنا الى تلاشي كل ما قد يكون من الحماسة عندما .

أخذ الصليبيون يعدون عودتهم للعودة من حيث جاءوا لرفع الحصار عن حصن حارم رغم أن من أغلقت عليهم أبوابه كانوا قد وصلوا الى عتقى درجات اليأس ،ولسنا نستطيع أن نملك أنفسنا من أن نعجب مما هي جوار ، انه يبدو وكأنه أمر فوق ادراك البشر ، كما لانملك الا أن نقول أن الرب في صورة غضبه على أولئك الأمراء الكبار ضرب على عقولهم غشاوة كثيفة من الظلمة وأعمى بصائرهم فقد قاموا من تلقاء أنفسهم وبدافع من ايثارهم الراحة بالمتخلى عن حصن حارم للعدو رغم أنه كان على وشك السقوط في أيديهم .

ولما رأى أمير انطاكية اصرار (فيليب الالزاسي) كونت فلاندرز على مسلكه وتصميمه على عزمه (٥٧) لم يجد حناسا من أن يقبل رفع الحصار عن الحصن لقاء قدر من المال لاندرى مقداره قدمه اليه من هم تمت الحصار .

ثم عاد كونت فلاندرز بعثد الى القدس حيث أحيى أيام عيد الفصح المبارك براح يعد العدة للرجوع ، وما كادت الشراوى ووسائل النقل الأخرى يتم تجهيزها حتى أبحر (٥٨) من اللاذقية في الشام قاصدا العودة الى وطنه معرجا على امبراطور القسطنطينية .

وهكذا رحل الكونت تاركا وراءه أسوأ ذكرى .

ولقد عقد فرديك امبراطور الرومان في هذا الوقت بالذات وفي مدينة البندقية الصلح مع البابا اسكندر بعد قطيعة دامت عشرين عاما .

كذلك حدث أيضا أن انهارت بعض جدران بيت المقدس لتدمرها ، وحينذاك تعاون الأمراء من علمانيين ودينيين وخصصوا قدرا معيناً من المال يدفع كل عام حتى يقضى السرب بقرميم الأسوار فيكون هذا مصداقا لقول القائل (٥٩) « أحسن برضاك الى صهيون » ابن أسوار اورشليم .

- ٢٦ -

ولما كان شهر اكتوبر من العام الخامس من حكم الملك بلدوين الرابع من سنة ١١٧٨ م غادر رهط معين من الرجال شرقنا استجابة لدعوى وجهت اليهم لحضور مجمع عام في رومة كان قد اعلن عنه في العام الماضي في كفة أرجاء العالم اللاتيني ، وكان المدعوون الى هذا المجمع هم : أنا وليم رئيس أساقفة صور ، وهرقل رئيس أساقفة قيصرية ، وألبرت أسقف بيت لحم ، ورالف أسقف « سبسطية » ، وجوشيوخ أسقف عكا ، ورومانوس أسقف طرابلس وبطرس رئيس المرتلين بالقبر المقدس ، ورينالد رئيس دير جبل صهيون .

ولم يقتصر أمر « جوشيوخ » على مشاركتنا حضور هذا المجمع بل أنه ذهب أيضا كمبعوث الى هنري دوق برجنديا مكلفا بدعوته للحضور الى الملكة ، لأننا كنا قد ازمعنا تزويجه من أخت الملك بنفس الشروط التي اتفق عليها حين اقترنت بالمركيز ، فتسلم

هنري الدعوة من يد « جوشديوس » مختبئاً بها ، ويقال انه أقسم (مؤكدا القسم بيمينه) انه سترك يحضر الا أنه نكث فلم يبر بقسمه ولم يوف بالشهد الذي قطع على نفسه ، ولسنا ندري السبب الذي جعله على النكث .

وفي أثناء هذا الشهر ذاته (أعني شهر أكتوبر ١١٧٨ م) الذي بدأنا فيه رحلتنا لحضور المجمع الكنسي المقدس شرع الملك مع كل قوة المملكة في تشييد قلعة وراء الأردن في الموضع الذي يعرف عادة بمخاضة يعقوب .

وتقول الأخبار القديمة ان هذا الموضع هو الموضع الذي قسم فيه يعقوب قومه الى طائفتين أثناء رجوعه من أرض ميسوبوتيميا ، وأرسل من هناك رسلا الى أخيه يقول له (٦٠) : « اني بعصاي عبرت هذا الأردن ، والآن قد عبرت جرشين » .

أما هذا المكان فيقع في إقليم قانس النبطية بين نقتاليم (نبطية) ودان ، وتعرف الأخيرة منيحا : بانياس وقيصرية فيلبس ، وكلها من فينيقية ومن مدن صور الكبرى ، ويقع هذا المكان على بعد عشرة أميال من بانياس .

هذا في هذا الموضع وعلى تل متوسط الارتفاع وضع (الملك) ومن معه الأساس على عمق ثلاثم حصن من الحجر الأصم ، رباعي الشكل في شكل عجيب وارتفاع معقول ، وتم بناؤه في ستة أشهر .

وبينما كان القوم متصرفين لعمليات البناء اذا بالصوص يثدون من أرض دمشق ويقطعون الطرق العامة على السابلة حتى لم يعد أحد يستطيع الذهاب الى الجيئس أو حفاذرتة الا والخطر يهدده ، وبذلك سدت جميع المسالك امام المسافرين واستحال عليهم السفر ، وقد جاء هؤلاء اللصوص من موضع في الجبال القريبة من عكا

والمسماة بجبال « باكايس » أو باللسان الدارج « بوكائل » ،
وهذا الموضع من أنزه المواضع فى ناحية « زبولون » .

وعلى الرغم من وقوع هذا الحصن على قمة احد الجبال الا أن
حياته كانت غير مقطوعة ولامنوعة ، كما أن بساطته كانت غاصة
بأشجار الفاكية .

واهل الناحية قوم سفهاء ، ومحاربون أجلاف غلاظ ، قد غرتهم
كثرتهم التى مكنتهم من السيطرة على جميع المزارع والقرى المجاورة
كما أنهم يؤوون بين ظهرانيهم المجرمين اليساريين من العدالة
والصوص ، وييسطون حمايتهم على قطاع الطرق الذين يجدون
الملجأ الأمين عندهم . وقد أدى هذا السلوك البغيض الى أن يكونوا
موضع كراهية كل من حولهم : مسيحيين كنوا أو مسلمين .

وقد بذلت محاولات متعددة لاستئصال شأفتهم ولكنها لم تفلح
مما ترتب عليه ازدياد بأسهم كل يوم عن الذى قبله ، حتى وجد
الملك نفسه فى النهاية غير قادر على تحمل سفهم المحقوت ، ولا ما
يرتكبونه من السرقات أو يقترفونه من الجرائم ، لذلك استولى على
الموضع على غرة منهم بقوة السلاح وفنك بجميع من أمكن القبض عليه
منهم ، ومع ذلك فإن أغلب الذين علموا بما يبيته الملك لهم فروا
بنسائهم وصغارهم الى أرض دمشق ، حيث تابعوا أسلوب حياتهم
القديم ، وكثيرا ما كانوا يتسللون خلسة الى أرضنا .

وقد تحالفوا فى هذا الوقت مع أقوام على شاكلتهم فكانوا
يغيرون معا على حدودنا كما قلنا ، ثم استشرى غضب المسيحيين
حين علموا أن رهطا من هؤلاء القوم يهددون الطريق العامة أخطر
تهديد ، فنهضوا لهم الكمائى فى أماكن استراتيجية ، وكرسوا كل
جهدهم للقضاء على هؤلاء الأوغاد . وحدث فى ذات ليلة من الليالى

أن كان هؤلاء المتحرمون عائدين بعد غزوة قاموا بها وجاءوا من ناحية جبال « زيولون » على نية الرجوع الى المكان الذى قدموا منه فإذا هم يسقطون فى الكائنات التى نصبها لهم المسيحيون فحصدوا ما بذرتهم اذ ألقى القبض على تسعة منهم ، وقتل أكثر من سبعة غيرهم .

وقد جرت هذه الحادثة فى الحادى والعشرين من شهر مارس (سنة ١١٧٩ م) .



شهدت كنيسة قسطنطين المسماة باللاتيران برومة فى الخامس من مارس عقد مجمع دينى ضم ثلاثمائة أسقف ، وكان هذا فى السنة العشرين من بابوية أسكندر الثالث .

وإذا أراد أحد المؤرخين على القرارات التى اتخذت فى هذا المجمع ومعرفة أسماء الأساقفة الذين اشتركوا فيه وعندهم ووظائفهم فليقرأ ما دونته بأمانة وبالتماس كريم من الآباء الطاهرين الذين ساءلوا فى هذا المجمع ، وطلبت أن يوضع ما كتبه فى سجلات الكنيسة الطاهرة فى صور بين الكتب الأخرى التى جمعهاها (٦١) من أجل هذه الكنيسة التى صارت إلينا الرئاسة فيها منذ ست سنوات .

— ٢٧ —

حين تم تشييد الحصن وكمل من كل النواحي جاءت الأخبار الى الملك بأن العدو - سعيا منه للعثور على الربيع لترعى فيه ماشيته - خرج بقطعه دون أن يأخذ عذره واقتحم الغابة القريبة من نانياس ، ولم يكن معه مقاتلون يمكنه الاعتماد عليهم فى صد أى هجوم تشنه عليه ، ومن ثم ظن قومنا أن سيكون من اليسير عليهم القضاء على خصمهم وهو بلا عسكر يعمونه . وحينذاك تسلل رجالنا

تحت جنح الظلام أيضا، قتلوا التركمان وأخذوهم على غرة عنهم ،
فلما طلع الصباح كان المسيحيون قد أُنجزوا هدفهم .

وبينما كان بعض العسكر حذلقين هنا وهناك بحثا عن الغنيمة،
والبعض الآخر يسبيرون ببطء خلفهم وعلى بعد عنهم إذا بالمرط الذين
كان الملك يرافقهم في الركوب يفتلقون في أعمال بالغ مما أدرك بهم
الى المردى في مأزق صعب فقد بلغوا موضعا ضيقا بين الصخور
كان العدو مختبئا فيه أثارا منه للسلامة وتعاشيا لهجومنا عليه بعد
أن بلغه خبر تقدمنا ، لكنهم ماكدوا يرون الصليبيين يكررون عليهم من
غير حيلة اتفدوها من جانبهم حتى أخذتهم الحماسة رغم ما هم عليه
من أحجام بل ويأس من الحياة ، فلما أدركوا شدة الحرج الذي فيه
رجالنا وثبوا عليهم فجأة واستماتوا في الهجوم عليهم رغم أن رغبتهم
الوحيدة حتى هذه اللحظة كانت تتلخص في أن يختلوا عن أنظار
عدوهم تجنباً للقائه ، أما الآن فقد راحوا يمتطرونه من مسافة بعيدة
بوابل هتان من السهام فقتلوا جياندا وزادوا من ضغفهم على
قواتنا .

ولما أدرك الكونستابل المعظم أن الأعداء كانوا قد جاءوا من
حيث لا يحتسب فقد رمى بنفسه عليهم رميا عنيفا وحمل عليهم بشدة
وحاربهم كمادته حربا ضارية ، وجاهد صادقاً بكل قوته لحماية الملك
ودفعا لهم حتى لا ينقضوا على بلدوين (الرابع) قهيلك وتبور روحه
في هذا الموقف البالغ التأمم .

وبينما كان سمفري يقاتل على هذه الصورة كان العدو يمتطره
بين أن وآخر بضربات وحشية فأثخنه جراحا ، ولم يستطع رجاله
أن ينقذوه الا بمشقة فأخرجوه بعد لائى من هذا الوضع الأليم الدرج
وحملوه بعيدا على ظفر جواده (٦٢) .

ولقد حلك فى هذه المعركة رجال بارزون يستحقون الذكر الحبيب
كان من بينهم « أبراهام الناصرى » الذى كان له من شياجه وحسن
طاعته « رفيع خلقه وكريم محنته وعظيم ثرائه ما يبشر بالأمل الزاهى
فى مستقبل طيب . كما قتل أيضا « جورديشو دى تيروت » بعد ان
خلف ذكرى عاطرة .

كذلك شدد هذا الموضع أيضا مصرع كثيرين غيرهما وان كانوا
دون هذين مركزا .

هذا هو الموضع الذى كانت عليه الأمور حين قدرت النجاة
للملك على يد أتباعه من خطر جسيم عاد بعده الى المعسكر الذى
كان قد غادره من قبل ، واستدعى عسكره الذين دببت الفوضى على
صفوفهم فتشتتوا وتشردوا هنا وهناك .

أما حالة الكونسنتابل الملكى همفرى فقد ازدادت خطورة ،
فحملوه يوم الحادى عشر من إبريل الى الحصن الجديد الذى كان
العمل لا يزال جاريا فى بدئه ، وبقي هنا ما يقرب من عشرة أيام ظل
خلالها يصارع الموت صراعا عنيفا من أجل الحياة ، ودلت وصيته
الأخيرة على عقل راجح وبعد نظر ، ثم فاضت روح هذا الرجل الذى
عاش حياة مثالية يوم الحادى والعشرين من إبريل وسوف يظل بلده
يبكيه بحرقه بعد أن خلف فى القلوب حسرة ، ودفن فى احتفال مهيب
يليق به فى قلعة العظيمة الشهيرة قلعة « تورون (٦٢) » فى كنيسة
الأم المباركة والعذراء المبتول .

وفى أعقاب وفاة همفرى مباشرة وفى اليوم السابع والعشرين
من شهر مايو (سنة ١١٧٩) أخذ صلاح الدين فى محاصرة الحصن
الذى شيدده (الصلبييون) منذ قريب، وأعطاه بوابل لا ينقطع من السهام،
وظل يراوح المحصورين ويغاديهن بهجماتيه عليهم ، لكن حدث أن

واحدا من المحاصرين قيل أنه كان يدعى « رينيه دى عاروم » رائس
سبما أوصى به قلب واحد عن الثرى وأبرز امراء صلاح الدين فاردا
قتيلا ، فتبيل الكفر ليلالكة بلبلة جسيمة حملتهم على الاقلاع عما كانوا
بصدده فرفعوا الحصار ورحلوا .

- ٢٨ -

كان صلاح الدين قد فرغ حالا من غاراته بالصلاح على اقليم
صيدا وتعددت هذه الغارات مرتين أو أكثر ، وهى الغارات التى لم
تجد من يتصدى لها معا شجعه على أن يعيث فسادا وتخريبا ، فراح
يحرق كل ما صادفه ويفتك فى الناس فتكا ذريعا ، قلعا كان الشهر
التالى صمم على شن غارة جديدة نصب من أجلها معسكره بين مدينة
مانياس ونهر « دان » ، وأرسل أعدادا كبيرة من المناوشين للاستيلاء
على الخنائم واضرام النار . وإن كان هو مستعدا من جانبه للمساعدة
إن دعت الحاجة غف ، ظل مقيما فى المعسكر فى انتظار عودة مناوشيه
هؤلاء ومعرفة ما تمخض عنه عدوانهم .

ولما جاءت الأخبار الى الملك فى هذه الأثناء بخبر ما قام به
صلاح الدين من أعمال التخريب فى أرضنا أسرع الى مدينة طبرية
بجميع القوات التى تسمى له أن يجمعها من كل ناحية ، وحمل معه
صليب المسيح وأجتاز بلدة « صفد » ومدينة « ناسون » القديمة حتى
وصل الى « تورون » مع قواته ، وهذا جاءتته الأخبار الدقيقة من
رساله الذين كانوا يقدون اليه ويروحون من عنده على الدوام بأن
صلاح الدين لا يزال بجيشه فى نفس الموضع بعد أن أرسل أمامه
فرسانه المسلحين تسليحا خفيفا لتخريب حقول صيدا ، وأنهم لما
جؤوها لم تسلم من النهب والحرق والقتل فى أهلها ، فتشاور الملك
مع رجاله مشاورة انتهت بوجوب التقدم ضد العدو ، ومن ثم حرك

الصلبيون جيشهم من « تورون » إلى نحر « بانياس » حتى جاءوا قرية اسمها « مسافر » واقعة على قمة أحد الجبال ويمكن منها رؤية كل الإقليم الرابض تحته حتى أسفل جبل لبنان ، كذلك كان معسكر العدو واضحا للعيان وإن كان على بعد ، كما كن ظاهرا للعيان كل ما ارتكبه رجاله من افساد وتدمير أثناء انسياحهم فى هذا الإقليم .

أما قوات المشاة التى كان السير الطويل قد أنهكها فلم تستطع مجاراة الفرسان فى سرعة التقدم وهم منطلقون فى خفة عبر الناحية الجبلية .

أما الخيالة الذين لم يصططحوا غير قليل من المشاة النشيطين فقد ذلوا إلى مكان يعرف بمرج عيون (٦٤) . فى السهل الموجود مباشرة تحت الجبل ، فتربثوا هناك بضع ساعات للتشاور فى خططهم التالية .

حينذاك ساور الفلق صلاح الدين بعض الشئ إذ سمع نبأ وصول الملك المباغت ، وكان فرعه شديدا من أن يؤدي الحال إلى قطع الاتصال بين عسكر طليعته وبين من معه عن بقية جيشه ، كما خشى أيضا من الهجوم على معسكره ، ولذلك أصدر أمره بوضع الأمتعة والأثقال والنخيرة فى مكان بين باشورة (٦٥) المدينة المجاورة وبين السور حتى يكون العثور عليها عيسرا ، أيا كانت الخاتمة التى تنتهى إليها المعركة . وهكذا وقف يرقب ما تسفر عنه الأحداث واستعد لما قد يقع ، ولكنه كان متخوفا كل التخوف من العاقبة .

وإن علم الغرغاء الذين كانوا قد خرجوا للنهب بخبر تقدمنا فقد تحلكتهم الخوف الشديد مما جرى فلم يعد يشغل بالهم إلا الوصول إلى صفوفهم إن أمكن ، ضسارين عرض الحائط بكل الاعتبارات الأخرى ، لكن اعترضتهم قواتنا كما ذكرت بعد عبورهم النهر فيما

بين أرض صيدا والسهل الذي كان جيشنا مرابطا فيه ، وسرعان
ما جرت بين الجاذبين مناوشات أسفرت بعون الله عن انتصار
المسيحيين ، ودارت الدائرة على الأعداء الذين لاذوا بالفرار بأذلين
أقصى جهدهم للوصول الى معسكر صلاح الدين بعد مصرع الكثيرين
منهم ، مجتدلين على الأرض .

~ ٢٩ ~

بينما كانت الأمور على هذه الصورة قام « ايود » رئيس الفرسان
الداوية وغى مسيحته كونت طرابلس وآخرون ممن كانوا خلفهما
فارتقوا التل المواجه لهم ، فصار النهر على يسارهم والسهل الفسيح
وخيام العدو على يمينهم .

ولما علم صلاح الدين بالمأزق الكريه الذي فيه رجاله بتعرضهم
حيث هم لخطر قد يصل الى حد الهلاك وضياح ارواحهم تأهب للذهاب
لينقذهم ، وكان قد وصل الى هذا القرار حين طالع بعض عسكره
المهزومين وهم يفرون على وجوههم ، فركب جواده قاصدا لقاءهم ،
فلما وقف على جلية الأمر عطف عليهم وشجعهم بكلامه اليهم وردهم
الى كتائبهم ، ثم أغار فجأة على المسيحيين الذين كانوا يطاردون
الهاربين دون أن يحتاطوا لأنفسهم الحيلة الواجبة ، حينذاك كان
مشائنا الذين احتلأت أيديهم بأسلاب القنلى معسكريين على امتداد
شاطيء النهر وقد استناموا للراحة الزامة اعتقادا منهم أن الغلبة
كاملة غير منقوصة كانت عن نصيبهم .

أما الفرسان فقد رأوا العدو - الذي كانوا يظنون قد انتهى
أمره نهائيا - يعود فيكر عليهم ويناجمهم هجوما عنيفا ، فاضطربوا
الى مصادمته رغم اضطراب صفوفهم اضطرابا لم يجدوا معه لحظة
لإعادة تنظيم أنفسهم والدفع بقواتهم الى القتال حسب قواعد المروية

ولكنهم ظفروا يقاومون مقاومة بامسلة وصمدوا أمام هجمات العدو الا ان قوتهم لم تكن تعادل قوة خصمهم ، ولاكان بأسهم كبأسه فتبدوا فى شرائذم عمدتها القوضى . ولم يعد أحد عنهم قادرا على حاونه غيره ، وانتهى الامر بهم الى أن لاذوا بأذيال الفرار المشين * ولربما كان من السهل عليهم تجذب ملاحقة العدو لهم وانقاذ أنفسهم لو أنهم اتجهوا اتجاها آخر ، ولكنهم بسبب خطايانا نهجوا أسسوا نهج فأوقعوا أنفسهم فى شعب ضيق تحولته المنحدرات العميقة ، وهنا لم يكن أمامهم الا التقدم أو الارتداد وسط صفوف العدو معرضين أنفسهم للهلاك ، وحينذاك قام بعضهم بعبور النهر وحملهم أهلهم فى انقاذ أنفسهم على الارتداد الى أقرب موضع حصين اسمه « شقيف ارنون » (٦٦) - أما البعض الآخر منهم فانهم بعد اجتيازهم النهر ساروا مصاقبين للساحل حتى بلغوا صيدا وبذلك تحاشوا وطأة القتال الثقيلة ، ولقيهم فى مسيرتهم « رينو الصيداوى » ورجاله الذين كانوا مسرعين للحاق بالجيش ، فحدثوه بالنكبة فأصمخ « رينو » لتحذيرهم وأخذ مأخذ الجد وعاد الى صيدا *

والمعتقد أن هذا العمل من جانبه أدى الى كثير من المصائب التى نزلت بهم فى ذلك اليوم ان لم يكن من المستبعد لو أنه تابع زحقه الى قلعة « شقيف ارنون » أن يتمكن من انقاذ الكثيرين من بطش العدو بفضل المساعدة التى كان لابد له أن يلقاها من أهل المدينة والاقليم فقد كان أهله يعرفون الذاحية تمام المعرفة ، وحدث أن استخفى الفارون فى هذه الليلة فى الكهوف التى بين الصخور ، لكن ما أن طلع الصباح حتى عثر عليهم العدو الذى كان يمشط كل ناحية ويفتش كل ركن فأحسكهم وزج بهم فى الحبس *

لكن قدرت النجاة للملك بفضل المعونة التى تلقاها من جانب جنده الملكى ، كما استطاع كونت طرابلس الوصول الى صور فى سرذمة قليلين من أصحابه (٦٧) *

ولقد كان من الصليبيين الذين أسروا في ذلك اليوم « ليود دي سمنت أماند » رئيس الفرسان الداوية ، وكان « ايود » هذا رجلاً دينياً متعظماً متكبراً مغروراً قد ملأ الشر عنخاريه (٦٨) ، فهو لا يخاف الله ولا يراعى انفساً ، وينسب إليه الكثيرون الخسارة التي نزلت بالمسيحيين في ذلك اليوم ، ووسموه بميسم الخزي والعار الأبدى بسبب هذه الكارثة ، ويقال أنه مات (٦٩) خلال هذه السنة أسيراً في سجن قدر فلم يحزن أحد لموته .

وكان حمن أسر في هذا اليوم أيضاً « هيچ » صاحب طبرية ابن زوجة كونت طرابلس ، وكان شاباً في ريق الحمر وله غد مأمول ، هذا الى ما كان يحظى به من محبة الجميع .
كذلك وقع في الأسر كثيرون غير هؤلاء لا أعرف اسماءهم .

- ٣٠ -

على هذه الصورة كانت الأمور في المملكة يومذاك .

وكنا نحن في أسوأ حالات النكد وسوء الطالع حين أرسى في عكا « هنرى كونت تروى » الجليل القدر وابن كونت « تيوبولد الكبير » الذي خلفناه في مدينة « برنديزي » بأبوليا أثناء رجوعنا من مجمع اللاتيران ، وكان في صحبة هنرى في رسوم بعكا عدد كبير من سراة القوم .

وكان كثير من علية الناس قد وفدوا في ذلك العبور نفسه ، كما قلنا من قبل ، وكان فيهم « بطرس دي كورتفوى » شقيقى لويس ملك الفرنجة ، كما جاء فيليب أصقف « بوفيه » المنتخب بن كونت روبرت وأخو الملك لويس . وكانت قلوب قوحنا تتفطر حزناً من جراء

المصائب التي حاقت بنا مؤخرا ، لكن قدوم هؤلاء الكبار أنعش نفوسنا كما شد من عزائم أهلنا وأحيا آمالهم في أن يستطيعوا بمساعدة هؤلاء الأعجاء أن يتجنبوا الكوارث التي قد يأتي بها الغد ، وربما يتمكنون أيضا بواسطتهم أن يثأروا للدواهي التي داهمتهم ، ولكن ذهب هذا الأمل أدراج الرياح لأن الله كان غير راض عنهم فعجزوا عن التغلب على عواقب الشرور السالفة بل انهم وقعوا فيما هو أشد منهائراوه ، ويرجع السبب في ذلك الى أن صلاح الدين - وهو ألك أعدائنا والذي تسبب ذروة السطورة بفضل انتصاراته الكثيرة - قد أسعفه المحظ الحسن ففاجأنا قبل أن نلتقط أنفاسنا وضرب الحصار على الحصن الذي كمل تشييده في أبريل الماضي . فلما تم بناء هذا الحصن الذي كثرت الإشارة اليه عهد به (الملك) الى فرسان المعبد الذين كانوا قد استولوا لأنفسهم على كل الذخيرة بسبب تنازل الملوك لهم عنه .

فلما علم الملك أن صلاح الدين محاصر ذلك الموضع حشد كل قوى المملكة وجميع قواتها القتالية ، كما أنه استدعى كونت هنري (دى تروى) وغيره من النبلاء الذين كانوا قد وصلوا منذ قريب ومضى بهم الى طبرية حيث دعا جميع من بيدهم الحول والقوة من رجال المملكة الى الذهاب لمساعدة المحاصرين وارغام العدو على فك الحصار .

لكن بينما كان بلدوين الرابع واقفا هناك في الانتظار وقد أجل الاستعدادات ليوم واحد فقط وانقاد النبأ الصادق بأن العدو قد استولى على المكان وهدمه حتى سواد بالأرض وصيرره أنقاضا .

أما رجال الحامية الذين كانوا هناك لحراسة القلعة (٧٠) فقد راحوا مابين أسير وقتيل ، وبذلك أضيقف نكبة فادحة جديدة الى سلسلة النكبات السابقة ، حتى ليمكن أن يقال بصدق في حقها (٧١) : « ان

الرب الالهيم انصرف عنهم « وحق القول : « ان احكامك لجة عظيمة ،
و « ما أشدك فى أعمالك » .

ان الرب الذى أغدق خلال السنة المنصرمة الأنعمة الجليلة على
أبنائه المخلصين حكم عليهم أن يلبسهم لباس النون الشديد وأن
تسودهم الفوضى ، ولكن من ذا الذى يعرف عا الذى يريد الرب .
ومن ذا الذى يشاركه فى قضائه .

ولأجل ذلك فانك قد حجبت عطفك عن الجموع الكثيرة والذلاء
المشاركين حتى لا ينسبوا لأنفسهم ما هم فيه من نصر لم يحرزوه
يكفأتهم بل بغضلك أنت ، ولأنهم لم يردوا عليك الرد الجميل . أنت
أيها الحسن عليهم بما منحتهم من صنعك العظيم ولأن « الذى يحبه
الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله » (٧٢) .

لقد لخطت يارب وجرهنا بالعار حتى نسعى الى اسمك المبارك
الى الأبد ، واننا لنعرف ونعترف يا ربنا أنك لا تتغير لأنك أنت
القائل (٧٢) : « أنا الرب لا أتغير » ، ولكن أيا كان السبب فاننا نعرف
أنك الحق يارب ، وأن احكامك عادلة .

فى هذا الوقت كانت المفاوضات التى جرت العام المنصرم
بخصوص دوق برجنديا قد تجسدت على يد عمه الكونت هنرى ،
وانعقد الأمل على وصوله فى الرحلة التالية ، لكن ظهر بمحض بكل
جلاء ولأسباب لانعرفها انه لازال مصرا على عدم الجيء .

هنا ينتهى الكتاب الحادى والعشرون

حواشي الكتاب العادي والعشرين

(١) يلاحظ قارئ هذا القسم من تاريخ الحروب الصليبية تردد مؤلفه في النعت العمدى للملك بيت المقدس اللاتين ومن هنا كان نعته بلدوين الاجذم حينما بالسادس وحينما بالسابع وهو اذ ينعت بالسادس فانه يكون عن الفريق من المؤرخين الذين لا يعدون « جود فروي دي بويون » بين حلوك القدس اللاتين ، لأنه هو نفسه لم يسم نفسه بالملك وانما اختار أن يلقب بحامي الفجر المقدس .

(٢) راجع عاسبق . من ٢٢ - ٢٤ .

(٣) راجع الحاشية السابقة رقم ٢ .

(٤) بيناني Bithany هي « العيزارية » أو « العازارية » كما يقرر لي سترانج وهي قرية قرب القدس تتمتع بأهمية روحية خاصة اذ بها قبر لعسازر Saint Lazarus وعن ثم فبى عنسوية اليه ، وفي الاخبار المسيحية الاولى ان المسيح رد عليه الحياة بعد موته ، ويذكر ذلك ياقوت في معجمه انظر الملحق اثرارد في آخر هذا الجزء تحت لعسازر ، ونظرا لأهمية المكان عن القاحية الدينية فان « مليزند » طكة بيت المقدس قامت سنة ١١٤٣ م بشراء هذا الموضع وشيدت فيه ديرا باسم لعازار واختيه : مارثا وعاري .

ويخطئ من يخلط بين بيناني Bitihany وبين بينثنيا Bithinia التي هي ولاية في اسيا الصغرى . انظر في هذا المصدد ماورد في كتاب

« ديشامب » عن القلاع الصليبية في الاراضى المقدسة وانظر الملحق الذى اصفناه فى ختام هذا الجزء .

Deschamps : Les Chateaux des Croisés en terre Sainte, Defence du Royaume de Jerusalem.

(٥) ودى التى تعرف بمرنريال عند الصليبيين ، وهى قلعة شديدة الحصانة على الحدود السورية قرب الكرك ، او كما قال باقوت ، بين عمان وأيلة على البحر الاحمر ، انظر عنها ما جمعه الاستاذ لى ستراتج .
Le-Siradj : Palestine under the Moslems, P. 526.

(٦) راجع ما سبق ص ٧٩ ، س ٢ وما بعده .

(٧) يبدو فى هذه السطور خرف ولیم المورى عن أن يثبته شارزد بالانحياز والتحزب لريموند كونت طرابلس . وعن ثم فإنه يحاول أن يذنى هذا الظن، ولكن بالرجوع الى عاسبق لوليم أن قاله فى هذا الصدد يقين لنا أنه برر موقفه عندما حين قال ان الجنيح بما فيههم الاساقفة كانوا يزكون طلب ريموند ويؤيدونه فى أن يكون وصيا على الملك .

(٨) راجع ما سبق عن مصرع ريموند على ايدى الحشاشين

(٩) اشارت الترجمة الانجليزية لكتاب الحروب الصليبية ج ٢ ، ص ٤٠٠ حاشية رقم ١٠ الى أن آخر توقيع موجود لدينا لرافك كستشار للملك ورد فى وثيقة مؤرخة بالثامن عشر من ابريل سنة ١١٧٤ م ، وذلك جاء على ما جاء فى R. Röhricht : Regista Regni Hierosolymitani, No. 514. أما اول توقيع لوليم فكان على وثيقة مؤرخة بالثالث والعشرين من ديسمبر من نفس السنة Röhricht, op. cit. No. 515 وقد سبق لوليم أن اشار فى الكتاب العشرين ، الى أن وفاة « رالف » كانت فى ابريل ، أى قبل وفاة نور الدين بشهرين .

(١٠) المقصود بالأمير الشاب هنا الأمير ابن نور الدين .

(١١) يقصد بسبب هذا الكرم المخرط .

(١٢) سفر أيوب ١٢/٢١ .

(١٣) استعمل ولیم فى الأصل كلمة Obryzum وعلمت الترجمة الانجليزية على هذه الكلمة مقالات أنها من الالفاظ اللاتينية القليلة المتأخرة ، ونضيف الى هذا أن الزارد فى المعاجم اللاتينية هو كلمة Obrussa

أى المعدن الخالص الذى عرلج بالنار فخرج صافيا عن كل شائبة ، وقد جاء فى المعاجم العربية ان الابريز هو الذهب الخالص ، وقالت انه لفظ فارسي الأصل .

(١٤) المقصود بذلك الاجتماع الذى اشار اليه وليم من قبل فى هذا الجزء الرابع عن الترجمة العربية ، ص ٨٢ ، س - وما بعده .

(١٥) المقصود بذلك ريموند كونت طرابلس الذى أصبح وصيا على الملك والمملكة .

(١٦) المقصود بذلك قطب الدين مودود بن زنكى أصغر اخوة نور الدين انظر فى هذا Cahen : La Syrie du Nord, P. 393.

(١٧) المقصود بذلك موت نور الدين محمود بن زنكى .

(١٨) المقصود بمولاد الشرعى هذا ابن نور الدين .

(١٩) الاشارة هنا الى قصة النبی یونس فى دعائه على مدينة نينوى . وانظر ما أوردناه عنه فى الملحق الذى وضعناه فى ختام هذا الجزء من الترجمة العربية .

(٢٠) يتحدد بذلك صلاح الدين .

(٢١) داريا - كنا وحفبا ياقوت - قرية كبيرة من قرى دمشق فى اقليم القوطة ، راجع : Le Strange, op. cit. P. 436.

(٢٢) هذا هو الاسم العربى لكلمة Trachonites وقد أوردته بهذه الصورة ياقوت فى معجبه وقال هو « الحرة السوداء » الموجودة فى اقليم صلخد بالشام ، وهو اقليم حافل بالقرى مزدهم بالسكان ، انظر كتاب : Le Strange op. cit.; PP. 425, 492.

وانظر ما كتبناه فى الملحق الوارد فى ختام هذا الجزء تحت كلمة تراخونيتس .

(٢٣) تدعى أو بالميرا من المدن الرائعة فى العصور القديمة ، ويذكر اليعاقبى عنها أن اطلال بعض مبانيها الباقية حتى وقته تشير الى انها من بناء سليمان بن داود ، كنا يشير المقدسى الى انها تقع فى جند حمص، ويذكر ياقوت انها سميت باسم تدعى بن حسان من نسل نوح وقد وردت الاشارة اليها فى العهد القديم - ونظرا لما كانت عليه من عظلة فقد نسجت حولها كثير من =

= الاخبار التي تدخل أكثر ما تدخل في باب الاساطير ، كما انها أول بلد استولى عليه خالك بن الوليد وهو في طريقه عن العراق الى الشام ، راجع Le-Strange : op. cit. PP. 541 — 542.

انظر أيضا الملحق الوارد في ختام هذا الجزء تحت كلمة تدسر .

(٢٤) آلت الهزيمة الساحقة بالامبراطور البيزنطي مانويل فيوقعة التي عرفت بوقعة « ميروكيفاليون » Myrocephalon يوم ١٧ سبتمبر ١١٧٦ م ، وقد أنزلها به قلع أرسلان سلطان قونية على الرغم مما كان بين العائلين قبل ذلك بقليل من العلاقات الودية التي تشير اليها زيارة تلج أرسلان الى بلاط البيزنطي وما قوبل به من الاحتفاء النادر ، وما أغدقه عليه مانويل من الهدايا السنوية . انظر وصف ذلك في :

Michel Le Syrien (Chronique de..) trans. by Chahot, III, P. 319.

وقد افرزت هذه الزيارة اتفاقية صداقة بين الطرفين لكن مالميث قلع أرسلان ان طمع في شراء بيزنطة كما أن فردريك ببروسة عرض بيزنطة ضد السلاجقة فخرج الامبراطور مهاجما السلاجقة ولكن قوات قلع أرسلان تصدت له وأنزلت به هزيمة ساحقة في العتاد والرجال ، حتى لقد كانت نجاة الامبراطور نفسه شبه معجزة كما يقول مؤرخنا وليم الصوري على أن قلع أرسلان مالميث ان عاد يسعى للمصلح الذي اسفر عن تدمير بعض الحصون البيزنطية بآسيا الصغرى ، وعلى أية حال فان هزيمة مانويل في « ميروكيفاليون » قضت على كل تفكير بيزنطي في تحجيم القوة السلجوقية واخراج اصحابها من آسيا الصغرى ، ونضيف في هذه الحاشية الي ما جاء في المتن عن الاحباط الذي أصاب ما نويل أن فردريك ببروسة كتب الي الامبراطور البيزنطي للاعتراف بسلطانه على بيزنطة والخضوع لبابا رومة ، وكان ذلك يعنى الرغبة في توحيد العالم المسيحي تحت راية الانبراطورية الرومانية ، راجع :

Vasiliev : Hist. of the Byzantine Empire, II, P. 426 — 428.

Ostrogorsky : Hist. of the Byzantine State, PP. 391 — 393.

(٢٥) راجع الجزء الثالث من هذه الترجمة العربية عن زواج

عموري من مارية كرمعين قريبة مانويل .

(٢٦) لاحظت الترجمة الانجليزية انه لم يلقب أبدا بالطويل السيف ، ولا بذي السيف الطويل ، وإنما هذا هو لقب أبيه .

(٢٧) فيما يتعلق بنجريات أحداث هذه العلاقات الفخرية الوضيعة عن ناحية « اندرونيكوس » الذي ظل يغري شيليا حتى « أدار رأسها ولم تعد قادرة أبدا على رفض أى طلب له » راجع حاورد في كتاب
Runciman : op. cit. II, PP. 377 — 378.

(٢٨) المقصود بذلك الحملة التي كان الامبراطور البيزنطي مانويل قد عرض على ملكة بيت المقدس المشاركة في شنها على مصر وغزوها .

(٢٩) اشار رنسمان الى أن كونت فلاندرز صرح أخيرا بأن غرضه الوحيد من الحضور الى فلسطين كان يتلخص في أن يزوج الأميرة « سيبيل » والآنيرة « إزابيلا » الى ولدى فصله روبرت أوف بيتون ، انظر :
Runciman : op. cit., II, P. 415.

Chalandon : Comnènes, II, P. 551. (٣٠)

(٣١) المقصود بذلك الاتفاق على ارسال حملة مشتركة من بيزنطة وملكة بيت المقدس لغزو مصر .

(٣٢) بطرس الأول ٥/٥ .

(٣٣) المقصود بهذا كونت طرابلس وكونت فلاندرز .

(٣٤) هكذا في الترجمة الانجليزية ، فان صح النقل فلنمنا ندري ما هذا الخلل في ذكر الأماكن عند وليم في تقيين السطرين ، فخالسيس Chalasis في المراجعة لكلمة « قنشرين » كما أوضح ذلك
Le-Strange : op. cit. 486 — 7.

ومن ثم فانه لا رابطة بينها وبين قنشرين .

(٣٥) الوارد في تعليق بالترجمة الانجليزية (ج ٢ ، ص ٤٣٠ ، حاشية رقم ٢٨) اسم Jewall أو اسم Javelino ويسميه بهاء الدين في المحاسن اليوسفية ص ٨٩ باسم « الملوك » .

(٣٦) في الأصل Mirable Castle وقد ترجمناها الى « كثر

سلام « بناء على التحقيقات والابحاث التي قام بها سير ويلسون
 Sir C. Willson منذ قرن واثبت فيها ان هذا الاسم مرادف لكلمة
 « رأس العين » التي هي « انتيباترس » . الواردة في الاعمال ٢١/٢٢ في
 ما جاء هناك « فالعسكر أخذوا بولس كما أمروا ، وذهبوا به ليلاً الى
 « انتيباترس » التي هي رأس العين » ، ويشير الى سترانج op. cit. P. 472
 الى ان رأس العين هي الواردة باسم Castle of Dirable في الحوليات
 الصليبية .

(٢٧) عراشي ارميا ١/٢ .

(٢٨) مزامير ٢/٧ ، ١٠ .

(٢٩) مزامير ٨/٧٦ حيث قال : « الأرض فزعت وسكنت عند قيام الله » .

(٤٠) مزامير ١٩/٩٤ .

(٤١) اشارت الترجمة الانجليزية (ج ٢ ، ص ٤٣٠ ، حاشية رقم ٤١)
 الى ان هذا الكلام منقول فيه الى ما جاء في المزامير ٢٢/٢٢ ، وهذا خطأ
 فآيات هذا المزمور اثنتان وعشرون آية فقط .

(٤٢) اوردت الترجمة الانجليزية (ج ٢ ، ص ٤٢١ ، حاشية رقم ٤٢)
 تفسيراً ترجعنا بالطرشية وذكره وليم بلفظ Tawasin أو Toussin
 بانهم طائفة من الجند لهم أهمية معينة . كما ان كلمة Caragoles
 أو Caragholam التي ترجعناها بالقراغلاية والتي يعنى بها حرفياً « الخدم
 السود » و « المالك » وذلك نقلاً عن فلكه بناء على ما جاء في :

R. Rohricht : Geschichte des Königreichs Jerusalem 1100 —
 1292, P. 377, note I.

وقد عالج هذين المقلتين « الطراشية » والقراغلاية « الاستاذ

« ايليسيف » بناء على ما جاء في خطط المقرئ وغيره . انظر
 Ellisceff : Nur ad-Din, t. III, P. 724.

(٤٣) اشعيا ٢/٩ .

(٤٤) يوشيل ٤/١ .

(٤٥) المقصود بهذه العبارات جماعة الاعراب .

(٤٦) المقصود بذلك الفرسان الاسبغارية .

(٤٧) تثنية ٢٧/٣٢ .

(٤٨) اشعيا ٨/٤٢ .

(٤٩) فيما يتعلق بقصة جدعون التى يشير اليها وليم فى المتن اعلاه ، راجع ما أوردها فى الملحق فى ختام هذا الجزء تحت كلمة « جدعون » .

(٥٠) تثنية ٣٠/٣٢ .

(٥١) فى هذا التعبير الذى يستعمله وليم المصورى اشارة الى رسالة يعقوب ١٧/١ ، فى قوله : كل عطية صالحة ، وكل موهبة تامة هى من فوق نازلة عن عند ابي الأنوار الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران ، .

(٥٢) خروج ١٢/١٥ .

(٥٣) خروج ٧/١٥ .

(٥٤) المقصود بذلك كونت فلاندرز .

(٥٥) يقصد بالقلعة هنا حصن حارم ، انظر الحاشية التالية

(٥٦) راجع ما ذكره ياقوت وابن عبد الحق وأبو الفدا عن حصن حارم ، وانظر : Le-Strange, : op. cit. P. 449.

(٥٧) يعنى عزمه على الرجوع الى بلاده ومغادرة الأراضى الشامية .

(٥٨) حددت الترجمة الانجليزية عودته الى بلاده بانها كانت فى خريف ١١٧٨ م .

(٥٩) مزامير ١٨/٥١ .

(٦٠) تكوين ١٠/٣٢ .

(٦١) هذه اشارة صريحة الى مدى اهتمام المؤلف بالكتب وعنايته بأن تكون كنيسة صور - بجانب كونها بيعة دينية - دارا للكتب التى اشرف هو نفسه على تزويدها بها وبالموثائق التى كان شديد الولع بها ، ولا تستبعد أن تكون هذه المكتبة قد ضمت بعض الكتب العربية .

(٦٢) ترك لنا أبو شامة في الرواستين وصفا دقيقا للحظات صفري القتالية الأخيرة فقال : « وقعت فيه (أى في صفري) جراحات اعداءنا نشابة فجذعته ونفذت الى فيه وعرت بضرسه فقلعته وخرجت من تحت فكه . ووقعت أخرى في مشط رجله فنطبت الى أخمصه ، وأخرى في ركبتة ، وضرب بكت في جنبه فكسر له ضلعين » .

(٦٣) هي قلعة تبين الصليبية المعروفة في الحوليات الصليبية باسم Le Toron كانت من أقوى الحصون التي في يد الفرنجة وقد عر بها الرحالة المسلم ابن جبير في رحلته سنة ١١٨٥ م فذكر أنه كان يحكمها وقتذاك امرأة يسمونها « الخزيرة » أو « الملكة » وهي والددة صاحب عكا . وقد اطال هذا الرحالة في وصفها . ولكن ياقوت يقول عنها « وتبين بلد في جبل بني عامر ، أما الحصن فيطل على يانياس ، وهو واقع بين دمشق وصور » . انظر : Le Strange : op. cit. PP. 545 -- 6.

(٦٤) رجحنا أن تكون « مرجعيون » هي المرادف للمفظ اللاتيني Mergum الذي استعمله ولیم في الأصل ، وقد ذكرت المراجع الجغرافية في العصر الوسيط « مرج عيون » وعرفته بأنه مرج في الاراضي الشامية الساحلية ، وربما كان هذا هو المكان الوارد في سفر الملوك ٢٠/١٥ باسم « عيون » فقط في قوله « ... وضرب عيون ، ودان ، وأهل » .

(٦٥) لفظ « الباشورة » من مصطلحات الحصار الاسلامية في العصور الوسطى .

(٦٦) هو الحصن المعروف عند الصليبيين باسم Belfort . هذا وقد وصفه ياقوت بأنه قلعة شديدة الحصانة على قمة جبل مجاور لبانياس في اقليم دمشق ، ثم قال ان « أرنون » اسم رجل رومي أو فرنجي ، وأما لي سترانج op. cit. p. 534 فيفسر كلمة شقيف بأنها سريانية معناها « الصخرة » . وعلى ذلك يكون اسم القلعة ان ترجم الى العربية هو «صخرة أرنون » .

(٦٧) جرت هذه الحادثة يوم العاشر من شهر يونيو ١١٧٩ م ، وذلك حسبما يقرره : Stevenson : Crusaders in the East, P. 221.

(٦٨) سفر أيوب ٢/٢٧ •

(٦٩) ليس من المؤكد تماما أن يكون « أيود » قد عاش في هذه السنة ويشير الشك في تحديد هذه السنة المؤرخ الفرنسي « دالبون » راجع :
d'Albon : La Mort d'Odon de st. Amanè (in) Rol., XII, PP. 279.

(٧٠) يتكلم المؤلف هنا عن قيام صلاح الدين بحصار القلعة المعروفة بقلعة بلدوين عند مخاضة يعقوب ، وهو حصار استمر ستة أيام من ٢٤ أغسطس حتى ٢٩ منه وانتهى بهدم أسوارها وتسويتها بالأرض ، ولم يكن أحد يتوقع قيام صلاح الدين ببياجة تلك القلعة في هذه اللحظة بالذات بل كان المتوقع أن يتابع تقدمه الذي وردت الإشارة إليه في الصفحات السابقة ، لكن أزعه مجيء حملة فرنسية من كبار فرسان فرنسا وعظمائها ، وعلى رأسهم أخو الملك وكونت شامبانيا هنري الثاني وفيليب أسقف يوفيه ، وقد حاول صلاح الدين أن يتجنب الاصطدام بهذه الحملة فبدل خطته واتجه إلى قلعة بلدوين ، كما أن الحملة الفرنسية تجنببت التعرض لقوات صلاح الدين بل عادت على أعقابها إلى فرنسا ولم تحقق كسبا من خروجها هذا . وقد وردت الإشارة إلى ذلك عند بعض المؤرخين المسلمين أمثال أبي شامة وابن الأثير ثم المقرئى •

(٧١) مزامير ٦/٣٦ ، ٢/٦٦ •

(٧٢) عبرانيين ٦/١٢ •

(٧٣) ملاحى ٦/٣٠ •

فصول الكتاب الثانى والعشرين

صراع المصالح الشخصية

- ١ - الملك يزوج أخته - أرملة الماركيز - من شباب اسمه جى دى لوزنيان - الملك يبرم هدنة مع صلاح الدين على شروط متكافئة وهو امر لم يسبق له مثيل من قبل .
- ٢ - صلاح الدين يغير على اماره طرابلس ويحرق المحاصصيل وغيرها مما فى حوزة الصليبيين فى تلك الناحية .
- ٣ - وصول أسطول مصرى الى جزيرة أرواد . كونت طرابلس يعقد هدنة مع صلاح الدين .
- ٤ - عودة رئيس أساقفة صرر من القسطنطينية ووفاة لويس ملك الفرنجة .
- ٥ - الملك يزوج أخته الصغرى من همفرى الثالث ، وفاة امبراطور القسطنطينية .

- ٦ - صدور قرار الحرمان الكنسى ضد أمير أنطاكية بسبب العشيقه التى اصطفاهما رغم أن زوجته لاتزال على قيد الحياة .
- ٧ - ارسال بطرك القدس الى أنطاكية للبحث عن علاج لهذه الأمور الخطيرة . وفاة البابا اسكندر (الثالث) .
- ٨ - وفاة الملك المصالح اسماعيل بن نور الدين وانتقال عيرائه الى قريب له .
- ٩ - التناحر الخطير بين كونت طرابلس والملك وسرعان ما يتحول هذا التنفير الى خصومة صريحة .
- ١٠ - حدوث فتنة فى القسطنطينية تجعل لاندرونيكوس اليد العليا فى تصريف أمور الدولة . الأضرار الجسيمة التى لحقت باللاتين من جراء هذه الفتنة .
- ١١ - ذكر أسباب الثورة والاضطرابات .
- ١٢ - اندرونيكوس يفتك بالذلاء ويستولى على القصر والمدينة . ويستعمل الغلظة فى قمع الأهالى فى حكمه اياهم .
- ١٣ - اللاتين الذين كانوا قد نجوا من الموت فى السفن يعيشون فى الجزر والأماكن الأخرى الموجودة على طول الشاطئ بروح عدوانية .
- ١٤ - صلاح الدين يشجب الاتفاقية التى عقدها مع الملك الذى يزحف الى عابراء الأردن لصدده . الترك يهاجمون قرية «ديورية» ويأسرون السكان ويأخذونهم معهم .
- ١٥ - صلاح الدين يستولى على أحد معقلنا وهو حصن شديد الحصانة فى منطقة السواد .

١٦ - صلاح الدين يهاجم أرضنا بقوة مسلحة فتنشب معركة لكنها غير فاصلة عند حصن قوربيليه .

١٧ - صلاح الدين يستدعى أسطولا من مصر ويفرض الحصار على مدينة بيروت .

١٨ - الملك يصل الى صور في طريقه لانقاذ بيروت ، وصلاح الدين يرفع الحصار .

١٩ - صلاح الدين يعبر الفرات ويدخل أرض الجزيرة .

٢٠ - الملك يخرب اقليم الدماشقة تخريبا كريها .

٢١ - الصليبيون يحاصرون القلعة التي استولى عليها صلاح الدين أخيرا ، ويتملكونها ويعيدونها الى حظيرة المسيحية .

٢٢ - الملك يهاجم بعسكره أرض الدماشقة مرة ثانية .

٢٣ - اجراء احصاء عن المملكة كرقاية ضد كوارث المستقبل .

٢٤ - صلاح الدين يحاصر حلب ويأخذها باتفاق خاص . أمير أنطاكية يعد الشروط المتبادلة مع روبين (الثالث) دوق أرمينية .

٢٥ - اصابة الملك بمرض عضال في الناصرة وقيام « جى دى لورنيان » كونت يافا بالوصاية على المملكة .

٢٦ - صلاح الدين يغير على بلادنا بقوات هائلة ويضرب معسكره بجوار « بيسان » فيخرج المسيحيون لصدّه .

- ٢٧ - استفحال المجاعة فى الجيش ، ورحيل كل من الصليبيين
والترك فى النهاية دون حدوث قتال بين الجانبين .
- ٢٨ - صلاح الدين يفرض الحصار على مدينة البتراء (تدمر)
الواقعة وراء الأردن ويستولى عليها بالقوة .
- ٢٩ - الملك بلنوين يخلع كونت ياقا حن الادارة العامة للمملكة
ويلبس ابن عمه العصابة .
- ٣٠ - الملك يحشد قواته ويسرع عبر الأردن لمساعدة المحصورين
فيرفع صلاح الدين الحصار .

مننا يبدأ

الكتاب الثانى والعشرون

صراع المصالح الشخصية

وصل الى المملكة فى هذه الأثناء أيضا « بوهيموند » أمير أنطاكية و « ريموند » كونت طرابلس ومعهما كوكبة من الخيالة لحراستهما ، وقد انزعج خاطر الملك كل الانزعاج مخافة أن يؤدي قدومهما الى أحداث ثورة يجدانها ذريعة لاقصائه عن العرش وسبيلا لاستيلائهما على المملكة ، وكانت وطأة المرض قد زادت عليه زيادة ضاعفت قلقه عن ذى قبل ، ناهيك بتفاقم ظهور أعراض الجذام يوما بعد يوم عليه .

أما اخته أرملة المركيز « دى مونتفرات » فكانت - كما قلنا - فى انتظار وصول الدوق .

كان الملك يعرف هذين الكبيرين (١) معرفة تامة ، لكنه ارتاب فى الدوافع الكامنة وراء حضورهما رغم وشيجة القرابة التى تربطه

بهما ، لذلك ما كان يعلم بخبر وصولهما حتى بادر فأجرى مراسيم عقد قران أخته (سبيلا) ، وربما كان فى امكانه أن يجد بين نبلاء مملكته بل وبين الأجانب والمواطنين رجالا أعظم أهمية من (هذا الزوج) وأحكم منه وأكثر ثراء ممن لو صاهر أحدهم لمعادت هذه المصاهرة بالنفع الإكيد على المملكة لكنه لم يتدبر قول القائل : « فى العجلة الندامة » إذ بادر فعقد قرانها على شاب ليس بذى جاه ولا جاه وما هو فى العير ولا الذفير ذلك هو « جى دى لوزنيان » ابن هيچ الأسمر ، الذى كان من منطقة « بواتييه » ولتفضل بهذا الزواج فى أسبوع عيد فصح (١١٨٠) فخرج الملك بذلك العمل على المعرف الجارى اتباعه ، ولكنه عقده لأسباب خاصة عنده (٢) .

لم يفت ذهن النبيلين اللذين أشرنا اليهما حالا نظرة الملك وباروناته الى قدومهما بعين الشك والارتياح وعدم الارتياح ، لذلك كرا راجعين الى ديارهما بعد قراغيبا مباشرة من أداء مراسيم الحج المعتادة ، وظلا مقيمين بضعة أيام فى طبرية دون أن يشعر بوجودهما صلاح الدين الذى حاجم المدينة فجودا لم يسفر عن أى ضرر بالأهالى ثم انسحب مرة ثانية الى الاقليم المحيط « ببانياس » وظل مقيما به مع عسكره - كما عرف فيما بعد - فى انتظار وصول أسطول مؤلف من خمسين شونية كان قد أمر فى الشتاء المنصرم بإعدادها ، فكان هذا التأخر من جانبه دعاء لتسرب شىء من القلق الى نفس الملك مما حمله على ايفاد الرسل اليه لمقد عدنة فيما بينهما ، فلقى عرض الملك قبولاً حسناً من جانب صلاح الدين ولم يكن ذلك راجعاً - كما زعم البعض - الى عدم اطمئنائه الى قوته أو لخسوفه عن قوائنا التى طالما مزحته أكثر من مرة خلال السنوات الماضية ، لكن بسبب ما ضربت به المنطقة الحديقة بدمشق على مدى سنوات متتالية من جديب فطيع وعدم سقوط المطر مما أدى الى ندرة فى الطعام من أى نوع كان للانسان والحيوان على السواء ، ومن ثم عقدت هدنة بين

الطرفين فى البر والبحر كما شملت الأجانب والمقيمين على
السواء ، ثم تأكدت هذه الهدنة بتبادل الأيمان بين الطرفين ، وكانت
الشروط التى تضمنها الاتفاق مهينة لنا بعض الشيء اذ كانت بلا
تدغيات من ناحيتنا بحجة أن هذا كان أمرا - كما قيل - لم يسبق
حدوثه من قبل .

- ١٢ -

لكن حدث فى السنة ذاتها وخلال الصيف التالى مباشرة أن
قام صلاح الدين فأتخذ الاجراءات الكفيلة بضمان سلامة اقليمى
دمشق وبصرى ، ثم زحف بكل خيالته على طرابلس فأقام عندها
معسكره ، وأنفذ الفصائل من عنده تجوب النواحي المحيطة بها ،
وكان الكونت قد ارتد الى مدينة « عرقة » فى انتظار الفرصة المواتية
للاشتباك مع العدو دون أن يقحم نفسه فى مخاطرة تعرضه لخسارة
جسيمة .

أما فرسان المعبد الذين يعيشون فى تلك الناحية ذاتها فقد ظلوا
مقيمين فى معقلهم معتصمين بها ، يتوقعون أن يقرض الحصار عليهم
بين آونة وأخرى ، فكانوا بذلك لا يريدون المخاطرة بالالتحام بالترك ،
وغل الفرسان الاستتارية فعلهم فارتدوا خائفين الى الكرك وهو
حصنهم المنيع وأغلقوا أبوابه عليهم ، وشعروا أنهم قد أدوا واجبهم
الملقى على كراهلهم اذ استطاعوا وسط هذه الأموال الحفاظ على
الحصن المشار اليه سليما من كل أذى يسعى العدو لاحاقه به ، ولكن
الجيش التركى احتل ناحية واقعة بين هؤلاء الفرسان وبين قوات
الكونت فلم يستطع الصليبيون مساعدة بعضهم البعض أو ارسال
المرسل من جيش الى آخر للوقوف على أحوال كل واحد منهما .

أما صلاح الدين فكان فى هذه الأثناء يذرح أرجاء منطقتهم السهلية طولا وعرضا لاسيما الأراضى التى نضجت محاصيلها دون أن يلقى كيدا ، وراح يضرع النار فى كل محاصيلها التى جمعت فى الشئون والأجران ، وأحرق الحنطة التى لازالت عيائها خضراء ، وكذلك القلة التى نمت على سوقها ، كما ساق الماشية غنيمة باردة وسار فى الاقليم كله سيرة مدمرة .

- ٣ -

على هذه الصورة كان الوضع فى أرض طرابلس حين ظهرت فجأة أمام بيروت فى أوائل يونيو قوات صلاح الدين البحرية ، لكن ما أن تأكد قادة هذه القوات بعقد صلاح الدين الهدنة مع الملك حتى التزموا بالصلح الذى اتفق عليه الجانبان ، وخافوا أن يصدر منهم فى نواحي بيروت أو داخل أى صقع من المملكة ما ينقض أى شرط من هذه الشروط . ولما علموا أن سيدهم موجود على رأس جيشه فى إمارة طرابلس يمموا وجوههم شطرها واستولوا على جزيرة «أرواد» المواجهة لمدينة «انطرسوس» والتى تبعد عن طرابلس ثلاثة أميال ، فوجدوا مرساها مائتاً لمسفنهم .

ويقال أن أول من سكن هذه الجزيرة وأقام بها مدينة حصينة هو «أرادىوس» بن كنعان حفيد نوح فاشقق اسمها من اسمه .

وكان يوجد على مقربة منها من الجهة الشرقية مدينة رائعة تعرف بانترادوس التى سميت بهذا الاسم كما قلنا لوقوعها فى مواجهة «أرادوس» ، وقد حرف هذا الاسم الآن الى طرطوسنة Tortosa التى يقال أن الرسول بطرس شيد بها كنيسة صغيرة تمجيدا للسيدة مريم أم عيسى المسيح وذلك حين قيامه

بالتبشير فى فينيقية ، ولا تزال هذه الكنيسة قائمة حتى اليوم ويغشاها
جموع غفيرة من الناس للزيارة والتبرك ، كما أنعمت عليها السماء
بالنعم الجزيلة استجابة لصلوات المؤمنين ودعواتهم •

ويلاحظ أن هاتين المدينتين تابعتان لمدينة صور العظمى ، كما
يوجد على مقربة منها موضع يعرف بمرقية (٣) وهى من البلاد التابعة
لفينيقية -

ولقد أدى رسو هذه القوات على جزيرة « أرواد » الى بث
الفرح فى جميع أرجاء الاقليم ، ففى الوقت الذى كان القواد ينتظرون
فيه مولاهم اذا بالمسكر يوقدون النار فى بيت فوق ميذاء طرطوسة
ويبذلون غاية جهدهم فى انزال الأذى بالأهالى ، لكن لم تفلح محاولاتهم
وكان صلاح الدين قد عاث فى الاقليم بالتحريب حسب هواه ، فلما
فرغ من ذلك أمر أسطوله بالعودة ثم جمع عسكره وانكفأ راجعا الى
بلده ، ولم تنقضى سوى أيام قلائل الا وقد أمضى اتفاقية سلام مع
الكونت وارثد الى ناحية قاصية من نواحي دمشق •

٤ -

كنا فى هذه الأثناء وعلى مدى سبعة أشهر موصولة
مقيمين عند امبراطور القسطنطينية (مانويل) العظيم الخالد الذكر
اقامة أسفرت عن فوائد جمة عادت بالنفع علينا وعلى الكنيسة ،
حتى اذا كان اليوم الرابع بعد عيد الفصح وبعد مقاضات جدية
شاقة طويلة أذن لنا أن نعود الى ديارنا ، وبينما نحن نهم بحفادرتنا
اذا به يأمر أن يرافقنا رجال من لدنه وأشراف من عليه رجاله ،
فركبنا أربع سفن جهزها الامبراطور جهازا رائعا أفصح عن سخائه
الامبراطورى ، وكان خط أبحارنا هو المرور بجزر « تندوس »

Tandos و « ميتيلين » و « خيوس » Chios وساموس
 Samos و « ديلوس » و « كلاروس » وريوس وقبرص ، و سرنا
 جاعلين ولاية « فريجيا » وآسيا الصغرى و « ليكيا » و « ليكونيا »
 و « بافيليا » و « ايسوريا » و « كيليكية » على يسارنا ، فلما كان
 يوم ١٢ مايو وصلنا بفضل الله معافين ناعمى الببال الى مدخل نهر
 العاص وميناء السويدية .

على أن هناك أمرا ليس بالثقافة فنتجاهله في تاريخنا هذا ،
 الا وهوانه في أثناء اقامتنا في المدينة الامبراطورية بسبب عدم ملاممة
 فصل الشتاء للرحيل واستجابة لأمر أعظم حكام الأرض قاطبة ذى
 النظر الأبوى السديد الذى توقع أن يكون رحيله عن هذا العالم
 سريعا ، أقول انه في أثناء اقامتنا هذه أقام الامبراطور (مانويل)
 مراسيم عقد قران ولده ، وابنته ، فأما الولد فهو الكسيوس (٤)
 (الثانى) المسمى باسم جده ، حيث شرفه أبود بأجنس ابنة لويس
 ملك الفرنجة العظيم ، ولم يكن الكسيوس (الابن) هذا قد بلغ الحلم
 بعد انه لم يجاوز الثالثة عشرة من عمره ، وأما العروس فهي «أجنس»
 وكانت في الثامنة ، وخلع (مذويل) عليهما التشريف الامبراطورى
 وذلك في قصر قسطنطين الكبير وفي الجناح المعروف باسم «تولوس»
 ويقال انه كان قد التأم في هذا المكان المجمع المقدس السادس زمن
 قسطنطين بن قسطنطين بن مرقل .

ثم زوج الامبراطور ابنه من شاب اسمه « رينيه » ابن وليم
 الكبير مركز دى مونقترات وشقيق وليم الذى كنا قد زوجناه من أخت
 ملكنا ، وكان الامبراطور قد بحث في طلب هذا الشاب وعمره يومذاك
 قرابة سبعة عشر عاما وأرسل في ذلك رسله الامبراطورين لاستدعائه
 فبلغ المدينة الملوكية قبل وصولنا اليها بخمسة عشر يوما تقريبا فأقام
 بها فترة من الوقت زار خلالها الجيش في صحبة الامبراطور المبجل

فلما عاد من هذه الزيارة التفقدية - وكان ذلك في عيد الخراس في شهر فبراير - استدعى الامبراطور رجال بلاطه وعقد معهم اجتماعا رائعا عظيم الأبهة في القصر الجديد المسمى بقصر « بلاشيرناي » حيث قام « تيودوسيوس » بطرك القسطنطينية يعقد القرآن ، وزوج (مانويل) ابنته حارية من « رينية » الذي سماه باسم أبيه وهو « يوحنا » ولقبه بقيصر .

كانت « مارية » ابنة للامبراطور من زوجته الأولى الامبراطورة « ايرين » (٥) الطيبة الذكر التي كانت قد جاءت من مملكة الثيوتون لتكون عروسا له .

كما أنه لم ينجب من زوجته الثانية حارية (الانطاكية) سوى ابنه الوحيد « الكسيوس » امبراطور القسطنطينية حاليا (٦) .



ان أية محاولة لتصوير جميع عجائب تلك الأيام إنما هي محاولة عقيمة حتى ولو كرسنا لها مؤلفا خاصا ، لكن حسبنا أن نشير الى ألعاب السيرك التي يسميها سكان القسطنطينية بالمسارح ، كما يكفي أن نذكر المناظر الرائعة المختلفة التي عرضت على الشعب في أبهة عظيمة طوال أيام الاحتفالات وما ظهر من روعة الملابس الامبراطورية والأردية الملوكية المحلاة بكثير من الأحجار الكريمة والجواهر الثقيلة الوزن ، والأثاث المطعم بالذهب والفضة في القصر مما لا يستطيع أحد تقدير ثمنه . وان اللسان ليعجز عن وصف السجوف والأقمشة الغالية التي كانت تزين المخدع الملكي ، كما يقصص اللسان عن الافاضة في الإشارة الى كثرة الخدم ورجال البلاط وأبهة الاحتفال بالزواج ، وكثرة الهدايا التي أغدقها الامبراطور على رجال من بني قومه وعلى الأجانب لكن لنعد الى ما كنا فيه فنقول انه لما صرنا في انطاكية نقلنا أوامر الامبراطور الى الأمير المجل بطرك الامارة ،

ووجدنا ببירות الملك (بلدوين الرابع) وهو فى طريقه الى حمور ، ثم واصلنا رحلتنا وعدنا الى كنيسة حمور فوصلناها بعون الرب يوم ١٧ يوليو بعد غيبة عام وعشرة أشهر منذ رحيلنا الى الجمع الكنسى .



ولما كان الثامن عشر من سبتمبر (سنة ١١٨٠ م) وفى العام السابع من عهد الملك بلدوين الرابع مات ألقى الناس (لويس السابع) ملك الفرنجة وتخلص من عبء الجسد الدانى وصعدت روحه الى عليين لتنعم بالجزاء الكريم الذى لا يفنى فى صحبة العظام الأبرار ، ولم يخلف لويس سوى ولد واحد يرثه من بعده بنى « فيليب » الذى رزقه من الملكة « أليكس » ابنة ثيوبولد الكبير وأخذت كل من كونت تروى وثيوبولد كونت شارترز وستيفن كونت سانسير ، ووليم رئيس أساقفة ريمز ، وكانت وفاة لويس السباسبع بعد حكم طال ثلاثا وأربعين (٧) عاما ، فكان عمره يوم وافته حنيفة ستين عاما .

وفى السادس من أكتوبر التالى مات المطيب الذكر « أمالريك » بطرك بيت المقدس بعد أن ظل فى كرسي البطريركية عشرين سنة تقريبا ، وكان رجلا لين العريكة ليس يذى خطر « فلما مضت عشرة أيام على رحيله انتخب هرقل رئيس أساقفة قيسارية ليحل مكانه .



وفى هذا الشهر ذاته خطب الملك لأخفته التى لم تكن قد بلغت الثامنة من عمرها — شايبا حديثا اسمه « همفري » ويعرف بالثالث أن هو ابن همفري الثانى . أما أمه فهى « ستيقانى » ابنة فيليب صاحب نابلس ، وكان همفري الثانى ابنا لهماثري الأول صاحب شقيف ثورون وكروستابل الملك الذى تعددت الاشارة اليه كثيرا . وأما فيليب

الذي ليس في جده همفري الثالث من ناحية الأم ، وهو صاحب المنطقة العربية « قلعر » التي تآلف الناس على تسميتها الآن بالكرك ، كما كان أيضا صاحب اقليم البقاع المعروف الآن باسم « مونتريال » .
وهذان الاقليمان واقعان الآن في ما وراء الأردن .

ولقد انصرف همفري هذا فيما بعد الى الحياة الدينية وأصبح رئيس فرسان المعبد .

كان أشد المتحمسين لهذا الزواج الأمير « رينو » ثالث أزواج أم همفري الصغير الذي كان قد بلغ الآن سن الرشد ، فقد عقد قران همفري على أخت الملك في القدس .

ولقد ورث همفري عند موت جده الأراضي الواقعة في اقليم صور وهرشيف تورون وهونين Chastel Neuf ومدينة بانياس بكل ملحقاتها ، وأجرى تبادلا على هذه الملكية مع الملك تحت شروط معينة تمت (A) أنا بأعلاء خصوصها وفق الصلاحيات التي بخولها لي منصبى الرئيسى ، وقد أودع هذا النص فى ديوان المحفوظات الملكية .



وفى اليوم الثالث (٩) من هذا الشهر ذاته تخلص مانويل من امبراطور القسطنطينية - الجليل وصاحب الذكر الخالد واعظم ملوك الأرض قاطبة عن أوزار الجسد ، وصعدت روحه الى السماء ، ومقتل ذكراد حية يدعى لنا القديسون لما قدم من الصدقات والمنح السخية . وكانت وفاته بعد حكم دام أربعين سنة ، وقد بلغ من العمر واحدا وستين عاما على حسب ماوصل الى علمنا على وجه التحقيق .

كذلك حدث فى هذا الوقت ذاته أن ترك « بوهيموند » الثالث زوجته « تيودورا » ابنة أخى الامبراطور ، ثم أقدم فتحدى قوانين

الكنيسة اذ تزوج من امرأة تدعى « سيبيللا » وكان قد ذاع صيتها بممارستها أعمال السحر الشريرة (١٠) .

كان جوسلين خال الملك وسنكاله موجودا اذ ذاك بالمقسطنطينية حيث كان بلدوين قد بحث فى استدعائه اليه لبعض شئون الدولة ، كما كان بلدوين صاحب الرملة موجودا هو الآخر هناك ملتصبا من الامبراطور عونه فى موضوع سداد هديته لكن حدث فى اثناء اقامة هذين الاثنين (١١) فى العاصمة الملوكية أن مات طيب الذكر الامبراطور مانويل ، وتكشف الأمر يوم أول مارس عن أن بعض كبار الشخصيات من رجال الدولة قد دبروا مؤامرة لاجداث ثورة ضد الامبراطور الكيسرس (الثانى) بن مانويل الذى كانت أمه الامبراطورة (مارية الأنطاكية) وصية عليه تبعا لوصية ابيه ، وألقى القبض على هؤلاء الرجال بتهمة الخيانة العظمى ، وأمر الامبراطور (الصغير) بتقييدهم وزجهم فى الحبس على الرغم من وشيجة القرابة التى كانت تربطه ببعضهم .

كان من زعماء هذه المؤامرة مانويل بن اندرونيكوس الكبير الذى أشرنا اليه فيما سبق ، وكذلك « البروتر سيدياستوس الكيسوس » ، وقيودورا كالوسينا ابنة أخى الامبراطور (الكبير) ، وآخر أمين الخزانة الذى كان يشغل احدى الوظائف بالقصر . هذا الى جانب اثنى عشر آخرين من أبرز رجال الدولة ذوى المكانة المرموقة ، كما أن البجلة مارية أخت الامبراطور كانت ضالعة فى الأخرى فى المؤامرة (١٢) ، وإن كان دورها ثانويا ، وقد اغتنمت فرصة ظلام الليل ففرت مع زوجها الذى أشرنا اليه حالا الى كنيسة سنت صوفيا ولاذت بها مترقبة فى قلق مصيرها ، ولكنها استظلت بحماية الكنيسة وإن اتخذت هى وزوجها من هذا الملجأ مكانا لتجميع الأسلحة والرجال المسلحين من أنصارها ومن زلوا زلتها فساهموا فى هذه المؤامرة

واستعانت بكل هؤلاء لتحرك ضد أخيها الامبراطور بل لقد أيدها بطرك المدينة فيما اعتزمته .

أما رمط الامبراطور الذي كان يعتمد على وجه الخصوص على اللاتين فقد أخذ يعمل على زيادة قوته مما أفزع حامية التي اضطرت أخيرا - بسبب تضعف قواتها وبدافع من يأسيها من الحياة - لأن تتلمس الوسطاء مقذلة الى الامبراطور بواسطتهم للتماس رحمته ، فاستجاب لها أخوها وتمطف عليها فمقى عنفا .

== ٦ ==

كان وضع اللاتين في هذا الوقت بالمشرق لاسيما في امارة انطاكية شديد الاضطراب بسبب ما قام به أخيرها بوهيموند (الثالث) من تنحية زوجته الشرعية (تيودورا) واتخاذ (سيبيلا) خليفة له يعاشرها معاشرة الأزواج ، وطالما نبه الكثيرون الى وجوب الكف عن حياة الدعارة الخسيسة التي يعياها جبروا وأن يعيد زوجته الشرعية (تيودورا) اليه ، لكن صمغ ما جاء في الأمثال (١٢) « اذا جاء الشرير جاء الاحقار أيضا ، ومع الهوان عار » فظل يطوى وجهه كشحا ويصم أذنيه كأن غيما وقرا عن أولئك الذاصحين ، غير ملق بالا الى ما يقولون ، ولم ينصت الا الى « صرير الدواة الراقين رقى حكيم » (١٤) .

وترقب على ذلك استمراؤه حياة الخطيئة فلازمها جالبا على نفسه ما يستعقبه وما هو أهل له ، فقد صدر ضده قرار الحرمان وحقت عليه اللعنة ، فلم يكثر بهذا الأمر ولم يعمره اهتماما بل تمادى في غيه وأسرف في ممارسة حياته النجسة أكثر من ذي قبل ، وعامل البطرك والأساقفة وغيرهم من كبار الشخصيات الكنسية في تلك الامارة كما لو كانوا أعداء له ، وانحس في ايذائهم فدنس حرمة

الأماكن الطاهرة : كنائس كانت أو أديرة ، ونهب ما حوته من الأشياء المقدسة ، واغتصب الممتلكات الخاصة فى وقاحة لا تصدر إلا من روح شريرة فاجرة حتى ليقال انه حاصر البطريرك ومن لانوا به من رجال الدين والكهنوت ، مما ألجأهم الى قلعة تابعة للكنيسة فرارا من بطشه واتقاء لشرد ، وكانت تلك القلعة مجيزة أحسن تجهيز بالأسحلة والعسكر ومزودة بكميات وفيرة من الطعام ، ثم جاءت الأخبار بأنه شن عليها بضع هجمات ضارية كما لو كانت قلعة من قلاع العدو .

وبلغ السيل الزبى ، وضافت طائفة من كبار الشخصيات نزعاً بما اتسم به مسلك هذا الأمير من الجنون ، ونفذ معين صبرهم ولم يعودوا قادرين على احتماله ، ولما كانوا يدركون أن واجبهم هو خدمة الله أكثر من أن يكونوا فى خدمة أى كائن من الناس فقد انفضوا من حول (بوهيموند الثالث) جسماً وروحاً ، اشمئزاً من فعالة القبيحة الشائنة ، وكان من بين هؤلاء المنفضين عنه رجل سرى أسجد قوى البأس هو « رينيه داسوييه » فقد كان له حصن (١٥) أمتع من عقاب الجو فاعتصم به ، ثم جاء الى ملأ من الناس فاضت قلوبهم بالخير وتمثلوا الله فى السر والعلانية وخافوا فدعاهم للانضمام اليه حيث يقيم ، وقدم الملجأ الأمين لجزلاء النبلاء الذين خرجوا من بلادهم ، كما قدمه الى سواهم - أيا كانوا - عين فروا لهذا السبب ذاته .

أدى مسلك بوهيموند الى أن البلاد أصبحت تواجه مأزقاً شديداً الخطورة ، وتآزمت الأمور ورأى رجال من اصحاب الخبرة الطويلة أنه ان لم تتداركنا سريعاً رحمة الله ويسعفنا بنجدة فلا مفر من أن يفتح باب الشر على عصرنا فيدخل منه العدو ويدمرنا تدميراً ، وتلحق بالصلح المسيحى نكسة لا يبرأ منها الى الأبد ، وتقع الامارة كلها مرة أخرى فى أيدي الترك بعد أن استطاع القادة المخلصون

بعون الرب أن يفتزعوها منهم بعد أن بذل شعب المسيح في ذلك الاسترداد ما بذل من الجهود وتحمل من المشاق ما يقصر اللسان عن روايته ، لأن كلمة الحق ثابتة لا تتغير ولا تبدل لها ، كما أنه لا مشاحة في صحة القول القائل بأن « كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب ، وكل مدينة أو بيت منقسم على ذاته لا يثبت » (١٦) .

حينذاك اجتمع حلك بيت المقدس والبطرك البجل وكبار رجال الكنيسة والأمراء العلمانيون ليتشاوروا تذاورا جديا فيما ينبغي عليهم اتخاذه من السبل في هذا الحدث الطارئ الخطير . وعلى الرغم مما اتسم به حسله هذا الأمير الطائش الفاسق (بوسيدوند الثالث) من جرم كان يستوجب اتخاذ أصرم الاجراءات ضده الا أنهم ترددوا طويلا في اللجوء الى القوة حتى لا يندفع في معاداتهم فيستنجد بقوات العدو ، لأنه ان يفعل ذلك يفتح أبواب البلد على مصاريعها أمام الترك لاخراجهم منها يدخلوها فتضيع هباء كل الجهود التي قد تبذل بعدئذ كذلك لم يكن الوقت حينذاك وقت مفاوضات وتحذيرات واسداء العظات ورأوا ألا جدوى وراء ارسالهم رجلا من ذوي الغفنة الى رجل قدم كهذا الرجل مندفع في طريق الشر اندفاعا جنونيا لأن ذلك يكون كشأن من يحكى قصة « لحمار أصم » فيذهب الكلام في الخواء ، ومن ثم رأوا أن يتحملوا هذا الشر حتى لا يقعوا في أمور أشد منه خطرا ، ولم يمنعهم ذلك الرأي في الوقت ذاته من التماس العون من الرب الذي اعتاد أن ينقذ حتى الذين في أعماق البحر لأنه هو الرب الذي (١٧) « يعطى الثلج كالصوف ، ويذرى الصقيع كالرماد » .

وكان أهلهم معقودا على أن تواتي الرحمة الالهية الأمير فيعود الى رشده ويرجع الى صوابه ، وأن يسبح الطلى عليه ما أسبغته على بقية القادة العظام من الفضائل عساه يجاهد ليحيى حياة أفضل .

سرعان ما اتضح للجميع أن الشر أخذ في التفاقم ، وأنه لا أمل
فى علاج سريع ، وأن اللعنة لم تحق بالأمير (بوهيموند الثالث)
بحده بل حلت أيضا بسائر البلاد نتيجة ما وقع من نهب الممتلكات
الطاهرة وتخريبها وحرقها ، وأنه لولا تعميد الأطفال لحرم الناس
من كافة الطقوس التى تقدمها لهم الكنيسة . وأدرك المسيحيون غى
حز أن الظروف الحالية أن طالت حل الدمار بالجميع ، لذلك تقرر
بالاجتماع أن يذهب البطريرك المبجل الى أنطاكية فى محاولة منه أن
أمكن - بعون الرب - لالتماس أى علاج سواء أكان هذا العلاج
مؤقتا أم دائما يمكن به دفع هذه الخطوب المدمية .

وصحب البطريرك فى سفره هذا كل من أمير أنطاكية السابق
« أرناط » زوج أم بوهيموند الصغير ، كما صحبه أيضا الأخ « أرفولد
دى تورج » رئيس فرسان البيكل ، والأخ « روجر دى مولان » رئيس
الفرسان الاسبقارية .

كان الداعى لنا على اتخاذ هذه الخطوة هو الخوف من أننا اذا
لم نطهر أى موانع من جانبنا لجيراننا فى محنتهم هذه ولم نحاول
التماس حل لما هم فيه من الوضع السيئ فقد يرمينا البابا والأمراء
الذين وراء البحر بالاضلال ، بل وربما اتهمونا بسوء النية ولؤم
القصـد .

كما صاحب البطريرك أيضا بعض كبار رجال الكنيسة من العقلاء
ومن بينهم « موناكوس » رئيس أساقفة قيصرية المنتخب « وألبرت »
أسقف بيت لحم ، و « رينالد » رئيس دير صهيون ، و « بطرس »

حارس كنيسة القيامة • وحينذاك انطلق البطررك بهم وبرفاقه الآخرين
ميمعين وجوعهم شطر أنطاكية •

كما استصحب معه كرنت طرابلس الذي كان أشد الناس مودة
للأمير وأحب أصدقائه الى قلبه ، وكان الأمل محقودا بأن يتمكن
الكونت بحديثه اليه ، وما سيقوله رجالنا من أن ينجزوا الميمة التي
جاءوا من أجلها على أكمل وجه •

وعندما بلغوا اللاذقية تبأحث الرسل مع البطررك والأمير على
حدة ، واتفقوا على يوم يجيء فيه كل من الطرفين الى أنطاكية التي
ما أن تم الاجتماع بها وتبادل وجهات النظر المختلفة حتى اتفق
الطرفان على هدنة مؤقتة بالشروط التالية ، ألا وهي جب قرار اللعنة
وعودة الأهالى الى جميع ماكانوا يتمتعون به من تناول القربان
المقدس ، على أن يتم ذلك كله بعد رد جميع الممتلكات المسلوقة
الطاهرة الى البطررك والأساقفة •

اما فيما يتعلق بالأمير (بوهيموند الثالث) ذاته فيكون هو
الشخص الوحيد - دون الناس جميعا - الذى يظل تحت وطأة قرار
اللعنة وهو القرار الذى كان الأساقفة قد أصدروه ضده ، فإن أراد
شجبه وجعله كأن لم يكن كان عليه أن يطرد خليفته (سيبيل) ويرد
امراته الشرعية اليه •

بعد أن تم التصديق والمواقفة على هذا البيان عاد أولئك
الأشخاص الكبار من حيث جاءوا وهم يعتقدون أنهم اطلقوا الى حد
ما شر الخروج على الشرعية القانونية فى امارة أنطاكية ، الا أن
الأمير (بوهيموند الثالث) عاد الى المكابرة فأوغل فى عذاده ولج
فى متابعة مسلكه الشائن ، اذ نهج نهجا يجعل المملكة (١٨) محفوفة
بالمخاطر ، وذلك حين نفى من المدينة - بل ومن جميع اراضيه - اخلص

نبلائه من أصحاب المكنانة السامرية ، لا لمسيب الا ما قيل عنهم من أنهم يستهجنون سميرته ، وكان من هؤلاء المنفيين كونستابل وحاجبه « جيسكارود دى ليل » و « برتراند » بن كونت « جيسيلبيرت » ؛ « جارييوس جينارد » فما كان ذنبهم وقد أرغمهم على الخروج الا اللجوء الى الأمير « روبين » (١٩) أحد كبار أشراف الأرمن النبلاء الذى تلقاهم لقاء حسنا ورحب بهم أعظم الترحيب ، وأجرى عليهم العطايا والهدايا الرائعة وخصص لهم مئونة عظيمة يعيشون بها .



ولما كان يوم ٢٧ أغسطس من السنة ذاتها مات البابا اسكندر الثالث بعد تسنمه كرسي البابوية ثلاثا وعشرين سنة ، ودفن في كنيسة اللاقيران ، وخلفه « لوكياس » Locius الثالث الذى كان يعرف من قبل باسم « هوبالد أسقف أو سنيا » وهو من أهل « تسكانيا » في اقليم « لوكا » ، وكان هذا البابا الجديد شيخا حسنا ، لم يزل غير مدح قليل من التعليم .

كذلك حدث في نفس الوقت في شهر سبتمبر أن رحل عن هذا العالم لينعم بالحياة الأبدية أخونا في المسيح الطيب الذكر « ريموند » أسقف كنيسة بيروت ، وخلفه الميجل « أودو » رئيس شمامسة كنيسةنا (٢٠) ، وكان رجلا شريفا قد ضرب بسهم وافر في دراسة الآداب ، فلما كانت أيام الاحتفال في شهر ديسمبر خلعتنا عليه بمشيئة الرب رتبة الكهنوت وعنهنا الصلاة البطاركية .



ومات في هذا الوقت (٢١) الملك الصالح (اسماعيل) بن نور الدين وكان فتى لا يزال في ريعي العمر وميعة الشباب ، ولم يكن قد بقى في يده من كل ما ورثه عن أبيه سوى حلب وبعض القلاع ، ويقال

انه اوصى بها وبكل مما يملك الى واحد من اقاربه هو قطب الدين (مسعود) قال اليه ذلك كله حسب وصية (الملك الصالح اسماعيل) الأخيرة التي اوصى بها وهو على فراش الموت .

كان هذا الوريث أعيرا للموصل وابن أخى أبيه « عز الدين » فلما لفظ الملك الصالح نفسه الأخير أرسل كبار رجال مملكته الى قطب الدين أخير الموصل الذى كان واليا تركيا عظيما يطلبون منه الإسراع فى القدوم عليهم ، فلما تسلم قطب الدين (مسعود) هذا الكتاب بادر بالذهاب الى هناك ، واسترد أملاكه القديمة وكل ما هو حق له شرعا ، وكان يخشى أن يجيء صلاح الدين من مصر مرة ثانية بعد أن اغتصب من ابن عمه معظم أملاكه غير متولى على المدينة قهرا رغم مشيئة السكان ، لاسيما وأن بعضا من كبار الشخصيات البارزة كانوا يؤيدونه فى السر .



على أية حال فإن صلاح الدين يتد أن كان قد وقع معنا هدنة لمدة عامين عاد بعد توقيعه الى مصر للفتن فى شؤونها ، وكان قد تراسى الى سمعه وأطلق بآله خبر أقض مضجعه ألا وهو أن أسطول حلك صقلية قد تجهز جهازا عظيما بالمدونة والتسكر ، وأنه قد أبحر الى مصر قاصدا غزوها ، والواقع أنه لم يكن هناك ما يبرر هذا الجزع فقد كان الأسطول الصقلى حثذا طريقه رأسا الى الغرب نحو جزائر البليار التى تعرف أحيانا بميورقة والأخرى بمنورقة قرب اسبانيا ، وكانت الرحلة مدمرة فقد عصفت بالأسطول رياح عاتية أدت الى جنوحه عن آخره وتطعيمه تحطيا يكاد أن يكون تاما عند مدن سائون وسافونا وألبنجا وقتيميليا الساحلية حيث ألقت الريح والأمواج بالسفن الى الشاطئ .

فى هذا الوقت الذى كانت المملكة تتمتع ابانه كما قلنا بسلام مؤقت طرأ تغير عجيب على قلب شعب سورى من أهل ولاية فينيقية قرب سلسلة جبال لبنان (فى اقليم طرابلس) ، وكان هذا الشعب يعيش قرب مدينة « جبيل » ، وقد ظل قرابة نصف قرن من الزمان يعتنق هرطقة رجل اسمه « مارو » فسمى أتباعه بالمارونيين نسبة اليه ، وكانوا قد انفصلوا عن كنيسة المؤمنين الصادقين ومارسوا طقوسا ابتدعوها لأنفسهم لا يشاركون فيها غيرهم ، غير أن العناية الالهية شاءت لهم الهداية فردتهم الى حظيرة العقل فنبذوا ما هم فيه من هرطقة ، واتمسوا من « ايمرى » ثالث بطاركة أنطاكية اللاتين أن يرأس كنيستهم ، وأعلنوا توبتهم عن البدعة التى كانوا قد قيدوا بها أنفسهم زمنا طويلا وعادوا الى حضن الكنيسة الكاثوليكية واعتنقوا مذهبها القويم ، واستعدوا لاتباع تقاليد الكنيسة الرومانية بكل توقير .

لم يكن عدد هؤلاء المارون قليلا بأى حال من الأحوال بل الواقع أنهم كانوا يجاوزون أربعين ألف نسمة يعيشون فى نواحي أسقفية « جبيل » و « البطرون » وطرابلس عند سفح جبال لبنان وهم شعب محارب قوى الشكيمة ومقاتلون أشداء أدوا للنصارى خدمات جليلة فى المعارك العدة التى طالما خاضوها فى محاربة العدو ، ولذلك كانت هدايتهم للإيمان الحق مبحث فرحة كبيرة لنا .

وكانت هرطقة « مارون » وأتباعه تتلخص فى أن هناك ارادة واحدة وحشيئة واحدة تتواجدان منذ البداية فى سيدنا عيسى المسيح ، ويرجع علمنا بهذا الهرطقة الى المجمع المسكونى السادس الذى انعقد للتنديد بهم والذى قضى بآدانتهم وأصدر ضدهم قرار اللعنة والحرمان . وقد أضاف هؤلاء المارون الى هذه الفقرة من إيمانهم الذى سبقتها الكنيسة الأرثوذكسية كثيرا من المبادئ البويلة

بعد خروجهم من عداد المؤمنين • أما الآن فقد تابوا عما كانوا عليه من كفر وهرطقة وعادوا الى حضن الكنيسة الكاثوليكية برياسة بطركهم والعديد من أساقفتهم الذين كانوا من قبل قد أضلوا ضلالا كبيرا عما أدى بهم الى تنكبهم الطريق القويم ، وساروا بهم في درب الضلالة ، ثم تابوا وأظهروا حماسة شديدة في أرشادهم دينيا حين عادوا الى طريق الحق القويم .

= ٩ =

كانت المملكة تنعم في هذه الآونة بقسط كبير من الاطمئنان كما قلنا وذلك بفضل السلام المؤقت المبرم بين الملك وصلاح الدين . بيد انه كانت هناك نفوس شريرة من أبناء طرابلس نمت في حضن الاثم ورضعت لبان الشر وكانت تقربص الدوائر لبث الشقاق في المملكة مما ينجم عنه قيام الفتن الأهلية • فقد كانت هناك مشاكل متعددة عاقت كرنث طرابلس وأبقته في كوثنيته عامين متتاليين مما حال بينه وبين زيارة المملكة (٢٢) ، ثم زارها بسبب المسؤولية الملقاة على عاتقه تجاه مدينة طبرية التي هي من أملاك زوجته وراح يعد العدة للرحلة حتى اذا وصل الى « جبيل » قام أولئك الرجال الأوغاد بما جبّلوا عليه من الفحش فجاءوا بتهم ملفقة وضيعة أوذعوا بها الملك الشريد السذاجة أن الكونت لا ينوي القدوم الى مملكته الا وهو عازم عزما أكيدا ، لحقته الشر وسداه المضرة به ، وأعنى به العمل سرا على خلع عن العرش ليجلس هو مكانه •

وأصغى الملك الى هؤلاء الناس بأذن واعية ، وأنصت الى كلامهم المضلل ، وبادر فأرسل في الحال الى الكونت (ريموك الثالث) رسالة لا يقبل محقواها النقض ولا المراجعة ، ان يرفض السماح له بدخول المملكة •

وأغضبت هذه الرسالة الكونت وعدّها أهانة له وجرحا لكبريائه وأحس بالعار والسخط ، وحق له أن يسخط ، وكف - وهو كاره - عن مجاوزة هذا المكان الذى وصله ، وعاد أدراجه الى طرابلس بعد أن صرف من المال والجهد ما صرف من غير طائل .

لقد رأى هؤلاء المشاغبون فى حضور الكونت (وهو الرجل المستقيم والذى لا يعرف الكلل اليه سبيلا) ما يدور بينهم وبين التصرف فى شئون المملكة بما تسوله لهم أهواؤهم . وأرادوا أن يستغلوا مرض الملك لتحقيق مصلحتهم الذاتية وكان من بين الذين أخذوا فى التأثير على الملك بون خجل مما يفعلون أمه (الملكة) تلك المرأة الجشعة المكروهة من الله أشد الكرد ، وأخوها سنكال الملك ورهط قليل من الرجال اللئام من أتباعهم الضالين .

أما البارونات العظام من أصحاب التجربة الكبيرة وبعد النظر فقد انزعجوا أشد الانزعاج حين علموا بهذا الخبر خوفا من أن يؤدى حرمانهم من حماية هذا الكوند الجليل لهم الى سقوط المملكة من مكانتها الرفيعة فيحق عليها ما قاله (٢٣) السيد : « كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب » ، لاسيما وقد اتضح أن مرض الملك أخذ يتضاعف يوما بعد يوم ، كما أنه هو نفسه أصبح أشد ضعفا عن ذى قبل وأقل كفاءة فى القدرة على تصريف شئون البلد ، والحق أنه لم يكن قادرا على التماسك بل غدى أشبه برجل مشلول تماما .

فلما رأى البارونات الذين يشاؤون هؤلاء فى الأهمية مدى الخطر الذى لابد وأن يصيب المملكة بسبب الوضع المشار اليه قاموا فركزوا كل جهودهم لمعاودة استقدام الكونت وإزالة ثورة غضبه ، وبعد مناقشات طويلة بين الملك وباروناته فى هذا الصدد وبعد استعراضهم الاقتراحات الجمة التى عرضت وافق الملك على كره

منه على الاذن لهم باستدعاء الكونت والسماح له بدخول المملكة ،
 وحينذاك أملت الحكمة على هذا الرجل العظيم (٢٤) أن يتجاوز عن
 الامانات التي لحقته ، ومن ثم عاد السلام يرفرف من جديد بينه وبين
 الملك .

- ١٠ -

بينما كانت هذه الأمور تجرى فى ناحيتنا هذه من الشرق اذا
 بتطور خطير يحدث فى امبراطورية القسطنطينية أدى الى أوحش
 العواقب على اللاتين كافة وجلب عليهم مصائب لم تسمع الاذن بمثلها
 من قبل ، وأنزل بهم هذا الحدث الخطير خسائر فادحة ذلك لأن الشرور
 التي كانت تنطوى عليها نفوس أهل اليونان المخادعين الخوة طفت
 على السطح وبرزت للعيان « وحملت تعباً وولدت كذباً » (٢٥) - اذ
 أنه لما مات حانويل الامبراطور الطيب الذكر خلفه على العرش ابنه
 الكسيوس (الثانى كومنين) (٢٦) الذى لم يكن قد أتم الثالثة عشرة
 من عمره ، وقد تم هذا الاستخلاف بناء على حقه الشرعى فى ارثه
 وتنفيذاً لمرغبة والده ، فقامت بالوصاية عليه أمه (مارية
 الأنطاكية) ولكنها ألفت بكل شئون الامبراطورية فى يد
 « البروسيبياستوس الكسيوس » وهو ابن أخت الامبراطور الراحل ،
 وحينذاك أحس كبار الشخصيات وأهل العاصمة أن قد وانتهى
 فرصتهم لتنفيذ مآربهم الشريرة التى كانوا قد كتموها فى
 صدورهم ضد شعبنا وبنى جنسنا من اللاتين الذين ظلوا ينعمون
 طول أيام حكم مانويل حبيب الرب بمعطفه الكبير جزاء وفاقا على
 اخلاصهم وتقديره منه لشجاعته ، وكان هذا الامبراطور العظيم
 الذى لا يباريه أحد فى شجاعته قد اعتمد على ولاء اللاتين وكفاءتهم
 ! اعتماداً كبيراً حمله عليه ما طبع عليه اليونان من الضعف

والتكامل ، ومن ثم كان يكل كل الأمور المهمة الى اللاتين وحدهم
فى كل أنحاء البلاد .

ولما كان مانويل ينزل هذا الشعب (اللاتينى) المنزلة السامية
فقد عده رجال هذا الجنس القادمون من كل أنحاء العالم المنعم
العظيم عليهم ، وقد استوى فى هذه النظرة اليه أشراقهم وعامتهم ،
وراحوا يتزاحمون على بلاطه فى لهفة ، مما زاد من عطفه عليهم ولم
يقصر فى بذل جهده فى تحسين وضعهم ، ولقد ترقب على هذه الرعاية
الكبيرة من جانبه لللاتين أن توغرت ضدنا صدور أشراق اليونان
لاسيما أقارب الامبراطور الأدنون ، كما عشتت البغضاء فى نفوس
غيرهم فامتألت القلوب كلها بالحدق الأسود الذى لا تنحل عقده ،
لكما زاد من كراهيتهم لنا الاختلاف الموجود بين طقوسنا وطقوسهم
الكنسية : الأمر الذى زاد من غيرتهم منا اشتعالا .

ولما كانوا قد خرجوا على كنيسة رومة خروجاً مشيناً فقد
أغواهم غرورهم فاعتبروا عن لا يتبع مزاميم الباطل هرطقيا ،
والحق أنهم هم ذاتهم كانوا الجديرين بأن ينعتوا بالهرطقة ، وذلك
لابتداعهم أو اتباعهم عقائد مستحدثة فاسدة مضادة للكنيسة
الروحانية وحقاقتة لعقيدة الرسولين بطرس وبولص التى «لن تقوى
عليها أبواب الجحيم» (٢٧) .

ولقد أدت هذه الأسباب وغيرها الى تفاقم الكراهية فى قلوب
الاغريق وراحوا يتصيدون الفرصة لاسيما بعد وفاة الامبراطور
(مانويل) ليقتضوا القضاء المبرم فى المدينة وفى كافة أرجاء
الامبراطورية على اللاتين الذين يكرهونهم ويضمرون لهم البغضاء ،
وبهذه الطريقة كانوا يرضون ما فى نفوسهم من عداة يكونونه لهم ،
وهو عداة لا تلين حدته ولا تهدأ غورته .

حين ودع الامبراطور مانويل شئون هذا العالم ، وبينما كان « البروستاسيوس الكسيوس » يدير دفة أمور المملكة لم تكن هناك أية فرصة لتنفيذ هذه المشاريع الشريرة ، إذ كان الكسيوس نفسه قد نهج نهج سلفه في اعتماده على ما ينصحه به اللاتين وما يقدمونه اليه من مساعدة، وبذل هو من جانبه كل ما في قدرته لجعلهم أصدقاء له ومع ذلك فقد استوت قلوب اللاتين والاغريق في الكراهية نحوه ، وكان شأنه شأن بقية اليونان شديد التسيب ، مسلما زمامه تمام التسليم لشبهوات الجسد التي لا انتهاء لها ، كما كان شديد الشج مسكا كل الامساك لا يحب أن يصرف شيئا من الخزانة الامبراطورية كما لو كان هو نفسه هو الذي جمع كل ما بها من المال أو كأنه اكتسبه كله من كده وعرق جبينه .

كذلك سرت الشائعة بأنه كان على علاقة دنسة بالامبراطورة (الوصية مارية الأنطاكية) رغم أنها كانت قد وهبت نفسها للحياة الدينية (٢٨) وقت أن كان زوجها مسجى على سرير موته .

يضاف الى ذلك أن « البروستاسيوس الكسيوس » هذا كان يتسم بأقصى التشامخ ، فلم يكن يرى أحدا يبلغ قدره مما حمله على أن يقتصر في كل شيء حسب رغباته الخاصة دون أن يستشير كائنا من كان من علية القوم الآخرين ولم يكثرث بغيرهم رغم أنهم كانوا مساوين له في المكانة تمام المساواة ، فلا عجب ان امتلات قلوبهم بالكراهية ضد «الكسيوس البروستاسيوس» هذا وفاضت نفوس أمراء القصر بالحقق عليه فآخذوا اجراء فعالا ضده حين استدعوا « اندرونيكوس » (كومنين) الكبير أحد أبناء عمومة

الامبراطور الراحل وكان واليا على « بونتس » Pontus ، وكان غرضهم من هذا الاستدعاء أن يعاونهم أندرونيكوس في خطتهم الدنيئة لطرده « ألكسيوس البروستاسيوس » ومنعه من تصريف أمور المملكة (٢٩) .

وكانت تربط أندرونيكوس هذا بالامبراطور الراحل (مانويل) وشيعة القريبى ولكنه كان رجلا قافها شسريرا يضمم الصدر بالامبراطورية ولا يخلص لها ، ويسعى السعى الحثيث لتدبير المؤامرات ، وحدث في أيام الامبراطور (مانويل) أن ألقى القبض عليه وزج به في السجن لاتهامه بارتكاب الكثير من الجرائم ، ولقى اقبح معاملة تكافئ سرء أعماله ، وحقق عليه النفى وأصبح شريدا طريدا ، وجاب كل أرجاء الشرق لكنه لم يقلع - حتى وهو في حنفساد - عن اقتراف الأعمال المردولة التى تستأهل اللعنة ، غير أن الامبراطور مانويل عفا عنه قبل موته بثلاثة أشهر وأرسله الى « بونتس » واليا عليها ، وما كان ذلك الحبل من جانب الامبراطور الا لئكى يمنعه من اثاره الفتنة في مدينة القسطنطينية كدأبه ، ولكى يحول بينه وبين تحريك الاضطرابات التى يسعى من ورائها الى الاستحواذ على المملكة .

هذا هو الرجل الذى استدعاه فى السر اقرب الناس الى الامبراطور والى البروتوسيبياستوس ممن كانوا يثقون به ثقة عمياء ، فأرسلوا الى « أندرونيكوس » رسلاهم يستدعونه ليحارب الرجل الذى كان قد ألقى بأبنائه وسواهم من البارزين فى الحبس القاء مخزيا ، ان كان « البروتوسيبياستوس » - كما قلنا - قد زج فى السجن برهط من سراة القوم الذين اتهموا بالاشتراك فى احدى المؤامرات ، فاثار بذلك العمل مزيدا من الكراهية فى قلوبهم ضده .

واستجاب « أندرونيكوس » لدعوتهم اياذ وجاء الى المدينة

على رأس قوات كبيرة من الجند المتبردين ، ونصب معسكره على طول شاطئ البسفور وعلى مرأى واضح من العاصمة ، واستولى على « بيثينيا » (٢٠) ، فأرسل المسئولون نفرا معيننا من النبلاء الأقوياء لافساد محاولاته ، الا أنهم خانوا الأمانة فانضموا الى جانبه وكان أولهم وأعظمهم خطرا « أندرونيكوس أنجيلوس » قائد القوات التي كانت قد أرسلت ضده ، كما انضم الى صفه الكسيوس ميجالد الذي كان هو القائد العام للبحرية ، وكانت تربط كلا من هذين بالامبراطور رابطة القرابة ، ولقد ترتب على فرار هؤلاء الى أندرونيكوس أن ضعف أمرنا (٢١) ضعفا بينا وأصبح وضعنا مهددا بالخطر ، كما ساعد على ذلك أيضا اظهر كثير من الشخصيات البارزة والأهالي ولاهم لأندرونيكوس ومجاهرتهم على رؤوس الاشهاد بهذا الولاء ، وتمنوا أن يزود يدخل المدينة ، وكانوا قد بذلوا من أجل هذه الأمنية كل ما في وسعهم وامتلأت نفوسهم بالرجاء في أن يعبر البسفور على وجه السرعة .

- ١٢ -

واستمرت المؤامرة تزداد قوة يوما بعد يوم ، فالقى القبض على « البروتوسيپاستوس » وسملت عيناه وشوه وجهه اقبح تشويه وترتب على تغير الأرضاع انتشار الغزع بين اللاتين خوفا من أن يباغتهم الأهالي (الاغريق) بالهجوم عليهم ، اذ كانوا في الواقع قد تلقوا تحذيرا بهذا العزم من بعض أشخاص كانوا على علم بالمؤامرة ، ففر من اللاتين حينذاك من وجدوا الى الفرار سبيلا فنجوا من الوقوع في حبال مكر اليونان ولم يلحقهم الموت الذي كان للناس بالمرصاد ، وهرب البعض منهم على ظهور أربع وأربعين سفينة شاء الحظ أن تكون راسية بالميناء ، ووضع غيرهم كل متعلقاتهم على بعض السفن الأخرى الكثيرة الراسية هناك .

أما الشيوخ والعجزة الذين لم يستعفهم الفرار فقد ظلوا في منازلهم ، فكانوا فريسة الغضب المجنون الذي سلم منه الآخرون ، ذلك لأن « أندرونيكوس » الذي كان قد أمر في السر بأعداد الشواني دخل المدينة (٣٢) على رأس كل عسكره ، الذين ما كادوا يحبرون أبواب المدينة مستعينين بالأهالي حتى اندفعوا إلى الحى الذي يسكنه اللاتين وأعملوا السيف فى رقاب القلة الذين صادفهم ممن كانوا قد تخلفوا عن مصاحبة القارين ، أما عجزا منهم عن مصاحبتهم أو لعدم رغبتهم فى ترك دورهم ، ومع ذلك فقد قاوموا طويلا ، ولم يحرز العدو النصر عليهم الا بعد سفك كثير من الدماء .

لم يعبأ الاغريق بالاتفاقات المبرمة بينهم وبين اللاتين ، ولم يكثرثوا بالخدمات الجليلة التى كان قومنا قد أدوها للامبراطورية ، بل امسكوا بجميع من ظنوا فيهم القدرة على المقاومة وأضرموا النيران فى بيوتهم ، ثم مالبتوا أن أحاطوا بالحى كله وأهالوه مشيما ورمادا وهلك فى هذا الحريق كثير من النساء والأطفال والشيوخ والمرضى ، ولم يكتف الاغريق بصب جام نقيمتهم الضسييسة على البيوت ولم يطفىء ما اقترفوه غيرة مرجال غضبهم بل كالوا بنفس الكيل للكنائس وكل الأماكن الموقرة ، وأحرقوا مع هذه المباني الطاهرة جميع من هربوا إليها واعتصموا بها طلبا للأمان ، ولم يفرق الاغريق بين رجال الدين والعلمانيين ، وصبوا انتقامهم على من دلت ملابسهم الفخمة على أنهم من كبار المدنيين والروحانيين على السواء ، وكان الرهبان والقساوسة الضحية الكبرى لجنونهم الطاغى ، فعذبوهم العذاب المذكر ثم ثنوا فقتلوهم .

كان من بين هؤلاء الأخيرين رجل موقر اسمه « يوحنا » وهو مساعد شماس فى الكنيسة الرومانية المطهرة كان البابا قد أوفده إلى القسطنطينية فى مهمة خاصة تتعلق بالكنيسة فأمسكوه وقطعوا

رأسه وربطوها الى ذيل كلب مبالغة في اهانة الكنيسة (الرومانية)
كما لم يسلم من نقيمتهم حتى الموتى الذين يرفض الكل - حتى الكفار -
التمثيل بهم فنالهم من الدنس ما نال الحرقات ، وانتقموا منهم ابلغ
انتقام ولم يدعوهم في راحتهم بل نبشوا قبورهم وأخرجوا جثثهم
وسجلوهم فى الشوارع والبيادين كما لو كانت هذه الرعم البالية
تحس بما ينزله بها هؤلاء الناس من المهانة .

ثم مضى هؤلاء اليمح و معهم الذين كان واجبهم الدينى يفرض
عليهم اغائة الملجوف وعضوا الى البيمارستان المعروف ببيمارستان
القديس يوحنا فأعملوا السيف غى رقاب جميع من به من المرضى
واستعانوا باللصوص ورجال العصابات ووعدوهم بالمال الكثير
ان هم واصلوا الفتك والذبح، ثم صاحبوا هؤلاء السفلة وراحوا يفتشون
الأماكن والدور حتى القاصى منها كى لا ينجو من بطشهم أحد يكون
قد اختفى فيها فرارا من الهلاك ، وكانوا اذا عثروا على أحد منهم
جرده بعنف وأسلموه الى الجلاذ حتى لا يظل هؤلاء الجلاذون بلا
عمل وحتى لا يتقاضوا رواتب من غير عمل يؤدونه ، وبذلك أصبحوا
ياخذون ما يأخذون اجرا يستحقونه على ما يسفكون من دم هؤلاء
الضحايا التعساء .

ثم باعوا الى الترك وغيرهم من الكفار من ترسموا فيهم المكانة
الرفيعة ممن لجئوا اليهم بعد أن منوهم بالسلامة ووعدوهم بالابقاء
على ارواحهم ، ويقال أنهم باعوا الى الشعوب المتبريرة أكثر من
اربعة الاف من اللاتين من مختلف الأعمار والأوضاع ما بين ذكور
واناث .

على هذه الصورة الذميمة جازت ذرية الأفاعى أمة الاغريق
الخادرين التى هى أشبه ما تكون بالحية الرقطاء تكمن فى الصبر

أو بالفار في صديوان الملابس ، أقول جازت هذه الأمة من كانوا
صديوقهم وكانوا لا يستحقون منهم أبدا هذا الجزاء ، ومن لم يكونوا
يتوقعون شيئا مما حاق بهم ، وهم الذين زوجهم بناتهم وبنات
أخواتهم وأخوتهم ، والذين أصبحوا لطول العاشرة أصدقاء لهم .

- ١٣ -

على أن هذا الفحش الأثيم الذى لاشميه له فى جميع العصور
لم يذهب بلا عقاب ، إذ تروى الأخبار أن اللاتين الذين فروا على
ظهور السفن (كذلك الأعداد الكبيرة من الناس الذين تبعوهم بعد
قليل فى اسطول أصغر حجما) تجمعوا قرب القسطنطينية فى
انتظار ما تسفر عنه الأحداث ، وهنا جاءهم الخبر اليقين بأن الذين
أوقدوا ضرام الفتنة بالمدينة أحرقوا الحى اللاتينى بأكمله وأهلكوا
نساء الحى وصغارهم وجميع أهل بيوتهم ، وأنهم لا قوا مصارعهم اما
قتلا أو حرقا ، فأجج هذا الخبر نار الغضب الصادق والسخط
العنيف فى قلوب الجميع ، وبث فيهم رغبة حادة عارمة للتأثر لدم
رفاقهم ، ومن ثم أبحروا على طول شواطئ البسفور من عند مدخل
البحر الأسود الذى يبعد عن القسطنطينية مسافة قدرها ثلاثون ميلا
وساروا الى مدخل البحر الأبيض المتوسط وهى مسافة تقدر بثمانين
ميلا وأخذوا جميع المدن والحصون الواقعة على الجانبين بالعنف
والقهر وحكموا السيف فى رقاب سكانها ، كما اتخذوا طريقهم الى
الأديرة سواء منها الواقعة على الضفتين أو فى الجزائر
الصغيرة المتناثرة هنا وهناك فى ذلك البحر ، وانتقموا لدم أخوانهم
المسفوك ونبحوا جميع الرهبان الكذبة والقسس المذسسين ، وأشعلوا
النيران فى الأديرة وبعن قر إليها معتصما بها ، ويقال انهم حملوا
معهم من هذه الأماكن كميات ضخمة من الذهب والفضة والجواهر
وأنقلا كبيرة من الأقمشة الحريرية ، وبهذا اقتصوا لأنفسهم مما

وقع عليهم من الأضرار ، واستعاضوا أضعاف مضاعفة ما فقدوه من ممتلكاتهم وما خسروه من بضائعهم ، ذلك أن أهل القسطنطينية كانوا قد أودعوا هذه الأحرار الطاهرة كميات ضخمة من الذهب وغيره من المقتنيات حفاظا عليها وصونا لها من أن تمتد إليها الأيدي ، وكان بهذه الأديرة الى جانب هذا كله كنوز وأموال لا يحصوها العد قد تراكمت بها على مدى أزمنة طويلة .

ثم سافر اللاتين بعد ذلك الى مضائق هذا البحر محملين بكل هذه الأسلاب والغنائم وركبوا البحر الأبيض المتوسط بين المدينتين الساحليتين القديمتين « سستوس » Sestos « وأبيدوس » .

وكان اللاتين أثناء إبحارهم على شواطئ « تساليا » يفتشون جميع المدن والبلدان القريبة من البحر تفتيشا دقيقا ، فلم يدعوا شيئا صادفوه الا أحرقوه أو سلّبوه ، كما فتكوا بأناس يعجز العد عن حصرهم ، ويقال انهم صادفوا قرب « خريسوبوليس » إحدى مدن مقدونية - عشرة أغربة أخرى ، كما وجدوا أكثر منها في أماكن أخرى غيرها متفرقة ، ضمروا بعضها الى بعض وجعلوا منها كلها أسطولا يعتقد به فقد برهن على أنه آلة جيدة لتدمير الارغيق .

على أن هناك بعضا من اللاتين تقزّزوا من أعمال السفك والنهب فتجمعوا على سطح كثير من السفن الراسية في الميناء وانفصلوا عن الجيش هم ونساؤهم وأطفالهم وكل ما بقي من أمتعتهم وجاءوا إلينا في سرورية .



على أن الأمر كان قد استتب في هذه الأثناء لاندرونيكوس ، إذ دانت له المدينة كما يحب ويهوى ، ولكن لما لم يكن هناك من أحد يعارضه أو يعصى له أمرا فقد عمد الى تتويج الامبراطور (الصغير) وزوجته المقبلة ابنة ملك الفرنجة في احتفال فخم يوم عيد العنصرة ،

واحاطه بكل آيات التشريف والاحلال ، كما أحسن معاملة أم
الامبراطور وأخته وزوجها وكانوا لايزالون موجودين داخل القصر .

على أن « أندرونيكوس » ساس بنفسه جميع شئون
الامبراطورية سواء منها ما كان فى المدينة أو خارجها ، ورتب كل
شئ وفق مواد .

وقد خيف أن يكون قد أظهر هذه المجاملة تجاه هؤلاء الأشخاص
للشئ الا لاختفاء مرماد الغادر فى الاستيلاء على العرش فى اللحظة
التي تناسبه بعد أن يكون قد سار قدما فى اعداد كل شئ لتحقيق
هدفه ، واقصد أنه اذا ما تمت الأمور كما ييوى ويشتهى أباط اللثام
عن مقاصده الحقيقية .

وقد تم هذا الأمر بالفعل فى شهر ابريل من ميلاد المسيح عام
١١٨٢ م .

- ١٤ -

بينما كانت هذه الأحداث تجرى فى بلاد الاغريق اذا بريح
عاتية تهب على سفينة حجاج كانت تحمل على ظهرها ألفا وخمسمائة
حاج ، ثم ألقت بنا الى دمياط فى مملكة مصر ، فتحطمت على الساحل
ومع ذلك فقد شعر ركاب هذه السفينة الجائحة بالطمأنينة معتقدين
النجاة ركونا منهم الى هدنة كان صلاح الدين قد أبرمها ووثقها منهم .
بصلح مؤقت عقده مع المسيحيين يشمل من كان منهم فى البر والبحر
على السواء .

ولكن القدر المخبأ لركاب هذه السفينة كان يختلف تماما عما
تقتضيه المواجهة ، إذ ما كان لصلاح الدين - وقد تملكته شهوة
الاستحواذ على الغنائم - أن يقبل لمثل هذا العسود الكبير من
المسيحيين أن يرحلوا عن أرضه أحرارا كما تقتضى شروط الهدنة ،

فلا جرم أن هو ألقى بهم جميعا فى الحبس وصار كل ما معهم
 حلكا خالصا له ، ثم بعث بعدئذ رسولا الى الملك (بلدوين الرابع)
 يطالبه (متحديا لبندور الاتفاقية) بمطالب كان من المستحيل عمليا
 الوفاء بها ، وأذره انذارا لارجعة فيه أنه سوف يستبقى لنفسه المركب
 المشار اليه أن يستجيب بلدوين لكل هذه المطالب ، ثم زاد على ذلك
 فهدده بأنه سوف يشجب الاتفاق المبرم بينهما .

لكن لم يقدر لرسول صلاح الدين أن يحصل من الملك (بلدوين)
 على رد مقنع بشأن مطالب مولاه الذى شرع يقدم حججا يخجل المرء
 منها ويتذرع بذرائع تبرر حجزه السفينة بدلا من أن يقدم أسبابا
 معقولة لدعم شكواه ، ثم مالبت أن نقض الهدنة وأظهر مكنون صدره
 من عدااء كان يضمه منذوقت بعيد ، وأخذ يدبر السبيل الى خضايقة
 المملكة بأسلوبه المألوف ، إذ حشد حشدا كثيفا من العسكر المشاة
 والفرسان ، وأضاف اليهم كثيرين غيرهم ممن كانوا قد غادروا
 دمشق وما جاورها فى أوقات سالفة وذهبوا الى مصر هربا من
 الجاعة ، وصمم أن يعود بهؤلاء جميعا الى دمشق حتى يتخذها
 قاعدة لعلمياته التى تلحق بنا أضرار كبيرة .

كذلك عزم أثناء زحفه على دمشق أن ينزل أكبر قدر من الضرر
 بأهلاكنا الواقعة وراء الأردن ، ولما كانت المزروعات إذ ذاك قد نضجت
 وحبان وقت حصادها فقد رأى أن يحرقها وأن يستولى على واحد
 أو أكثر من معاقلنا هناك ليعم الأذى للصليبيين جميعا .

ويقال أن الحامل الحقيقى له على هذا العمل هو رغبته فى
 الانتقام من الأمير « أرناط » صاحب تلك النواحي لما جرى منه من
 خروج على الاتفاقية حيث قبض على طائفة من العرب أثناء سريان
 هذه الاتفاقية ثم تمادى فرفض إطلاق سراحهم حين طلب اليه إخلاء
 سبيلهم .

وجاءت الى الملك عيونته تحمل اليه خبر تقدم صلاح الدين وخطه ففقد فى الحال مع رجاله اجتماعا عاما بالقدس للنظر فى شروط الأمير التركى ، فدارسوها بدقة ، واذ ذاك أخذ برأى بعض مستشاريه فقاد جميع قواته عبر وادى موسى (٢٢) الذى يقع فيه البحر الميت حتى وصل الى الموضع الذى اقترحه عليه كى يواجه صلاح الدين ويوقف زحفه ويحول بينه وبين تخريب تلك النواحي .

على أن صلاح الدين لقى فى أثناء تقدمه عبر الصحراء صعابا كثيرة وإن اجتازها فى مدى عشرين يوما حيث وقف هو وعسكره عند ناحية أهلة بالسكان فى أرضنا ، وعلى بعد عشرة أميال من حصن الكرك الصليبي . وكان الحامل له على التوقف هنا هو انتظاره وصول تقرير مفصل عن وضع المكان وعن تحركات الملك (بلدوين الرابع) وجيشه .

كان الملك بلدوين قد نصب معسكره قرب مدينة قديمة تسمى تدمر الصحراوية فى اقليم البقراء على بعد ستة وثلاثين ميلا من معسكر صلاح الدين ، وكان معه كل جيشه ، كما عسكر كونت طرابلس هو الآخر هناك أيضا ، رغم أن ذلك كان على غير إرادته ، بسبب أن الملك كان قد زحف الى هذه الناحية ضاربا بنصيحة الكونت عرض الصائط ، لما يملكه خروجه الى هذا الموضع من تركه أجزاء كبيرة من مملكته مكشوفة ومجردة تقريبا من الجند الذى يحميها ، وكانت طائفة من البارونات قد أشارت على الملك أن يسلك هذا السبيل دون أن يقيموا وزنا لما قد يحدث للمملكة التى صارت بلا مدافع يصد عنها العدو ، وكان هؤلاء البارونات صادرين فيما أشاروا به على مراعاة صالح الأمير أرناط أكثر من مراعاتهم للصالح العام .

سرعان ما برهنت الأحداث التالية على أن هذا الأمر الذى فعله الملك كان أبعد ما يكون عن الصواب ، إذ قام فى السر ولالة

دمشق وبيعلبك وبصرى وحمص وجسعا قواتهم سرا وفى صمت حين أدركوا غياب زهرة عسكر الملكة ، وأدركوا أن الاقليم كله أصبح مجردا من قواته ، فغير هؤلاء الولاة الأردن قرب بحر الجليل على مقربة من طبرية واقتحموا أرضنا دون أن يعلم بهم أحد ، وجاءوا بعد اجتياحهم منطقة الجليل الى موضع عند سفح جبل تابور اسمه « دبورية » (٢٤) **Buria** قرب مدينة « نايين » القديمة . ولم يكن عند أهل تلك النواحي خبر بشجب المعاهدة التى اعتمدوا عليها حينذاك اعتمادا كلياً ، فلم يتخذوا من الوسائل ما يدفع عنهم الخطر ويكفل لهم الحماية ، فلم يشعروا الا وقد انقض العدو عليهم فجأة تحت جناح الظلام وأدق بالموضع من كافة نواحيه احداً لم يستطيعوا منه النجاة الى الجبال المطلة عليهم .

فلما اهلت تباشير الفجر رأى الأهالى أنفسهم وقد أحاط بهم العدو من كل جانب ، فلم يجدوا بدا من سرعة الارتداد الى برج يشرف على القرية ، لكن هالبت الذرك أن التفوا حول هذا البرج وبذلوا جهودا مكثفة جبارة لتقويضه ، ولم تكد تمضى عليهم فى ذلك العمل أربع ساعات حتى كانوا قد تجحوا فى سددهم ، وانهار البناء على الأرض .

غير أن الأهالى الذين كانوا قد اعتصموا بهذا البرج كانوا قد استسلموا قبل وقوع الطامة الكبرى وذلك حين بدأت الشدوخ تظهر للعيان ، وأوشك الحصن على الانهيار .

حينذاك جمع الأعداء كل مانهود من « دبورية » وغيرها من الأماكن الدانية منها دون أن يعترضهم أحد وسباقوا ما يقرب من خمسمائة أسير بعد أن خلفوا فى ساحة المعركة من لاقوا حتفهم ، ولما كان المكان مليئاً بالحقول المثمرة وقد حان وقت الحصاد فقد

جاءت الى هناك جموع غفيرة من الناس للمساعدة فى جنى الغلة ،
لكن العدو أخذهم جميعا دون أن يلقى من يصده ، فلما تم للترك حا
أرادوه عبروا الأردن ورجعوا آمنين سالمين الى حيث يقيمون .

- ١٥ -

على أنه ابان الوقت الذى كان فيه الملك والجيش المسيحي
مشغولين فى ناحية البقاع جرى خطب تهنون أمامه كل الخطوب ، حمل
فى طياته خطرا جديدا سيظل قومنا يذكرونه بالأسى العميق ها
عاشوا ، اذ كان للمسيحيين وراء الأردن فى أرض السواد وعلى
بعد ستة عشر ميلا من طبرية مكان شديد الحصانة والمنعة لا يفكر
احد فى اقتحامه ، وكان فى الوقت ذاته كبير الجدوى عظيم الفائدة
لرجالنا ، وكانت هذه الناحية أقرب ما تكون لأرض العدو منها
لملكتنا مما أتاح للخصم أن يفعل ما يريد فى يسر وسهولة ويفرض
على السكان ما شاء فلا يملكون الا طاعته . ولما كان هذا الحصن
يحمى الناحية فقد جرت العادة لسنوات طويلة ولا تزال سارية حتى
تلك اللحظة على تقسيم السلطة بالتساوى بين المسيحيين والمسلمين
كما يتناصفان دفع الضرائب والمكوس بينهما .

كان الحصن الذى أشرنا اليه حالا يقع عند كيف على منحدر
جبل من الجبال ويشرف على هاوية سحيقة ، ولم يكن فى الاستطاعة
أبدا الاقتراب منه بأى حال من الأحوال الا من جانبه العلوى ، أما
من الجانب الآخر فكان ثم درب شديد الضيق لا يستطيع المرء - مهما
تخفف من الأحمال - أن يجتازه الا فى مشقة بالغة ، وقد وكلت
حراسة هذا الموضع الى « فولك » صاحب طبرية وهو رجل شريف
سرى يقظ بالغ الثراء .

كان قادة العسكر الترك قد استولوا على « دبورية » وجعلوا

من قومنا أسرى هناك كما ذكرنا ، أما الآن فقد برزوا أمام هذا المكان واستولوا عليه قسرا في مدى خمسة أيام .

وقد تضاربت الآراء حول الاستيلاء على هذا الحصن فقال البعض ان الحامية التي كانت بالقلعة أسلحته من تلقاء ذاتها لقاء حبلع معين من المال . على حين راح آخرون يؤكدون أن العدو شق طريقه الى الحصن بتقويض أحد جوانبه بالألغام ، وهو أمر كان من اليسير عمله لأن طبيعة الصخور هنا كانت جيرية واستولوا على الحصن فنقب نقب في الطابق الأول منه فلما تم لهم أخذه أرغموا من في الطابقين الأوسط والأعلى على الاستسلام ، اذ يقال ان الحصن كان مؤلفا من ثلاثة أدوار .

على أنه قد ثبت فيما بعد ثبوتا لاشبهة فيه أن الاستيلاء على الحصن كان نتيجة خيانة من جانب القوامين على حراسته وبتدبير من أصحاب الأمر والنهي فيه الذين عارضوا ما كانت البقية تريده من الاستمسك بالمقاومة كما منعوا هذه البقية من الرجال من الدفاع عنه بأي شكل من الأشكال ثم أسلموا الى العدو وفروا هم اليه .

ويقال ان القادة المسؤولين عن الحصن كانوا سريانا (٣٥) ، وهم أناس نعتبرهم ضعافا متراخين ، ومن ثم فان اللائمة الكبرى تنصب على كاهل فولك صاحب طبرية لأنه هو المسئول الأول عن حراسة الحصن والمحافظة عليه ، لكنه أسلمه الى رعاية قوم كهؤلاء القوم .

كان هذا هو القول الذي شاع شرقا وغربا وعم أرجاء المملكة حتى بلغ سمع مسيحيي ماوراء الأردن الذين كانوا يحاولون

منع صلاح الدين من العبور الى فلسطين وهو فى طريقه الى دمشق من مصر . وقد قاضت القلوب حزنا لسماع هذا الخبر ، وفزع الناس لاسيما كونت طرابلس الذى كان يعتبر المسئول عن هذا الحصن وعن الحفاظ عليه .

وهكذا حدث أن أولئك الذين غادروا المملكة قد أخطأوا خطأ جسيما إذ سلكوا هذا السبيل فعجزوا عن انجاز أى شىء يرضى الرب أو يكون فيه نفع للمملكة ، فبعد أن كان واجبهم يقتضيهم التصدى لصلاح الدين وهو لا يزال عند مشارف مملكتنا والحيلولة بينه وبين افتتاحه أرضنا إذا بهم فى تهورهم وغفلتهم يتركونه يزحف حتى يبلغ الناحية المسماة « جربة » فيجد فيها الماء الوفير الذى كان جيشه الظالمى فى حاجة ملحة اليه ، ولما وصل الى « جربة » بعث بجزء من عسكره الى حيث يوجد حصننا المسمى بـ« حصن الكرك » ، فقطعوا الأغصان وألحقوا الخسائر الجمة بمن يعيشون هناك ، ولو كان المسيحيون أسرعوا الى ذلك الموضع لما كان ثم شك فى أن يضطر صلاح الدين للتراجع الى مصر لأنه كان يقود جيشا فيه أناس كثيرون ممن ليسوا من أهل الحرب ، وقد اكتشفوا أن ما فى رايهم من الماء على وشك النضوب ، وأن مالدتهم من الخبز قد قل ، فكان لابد لهذه الجموع الزاخرة من الموت جوعا فى الصحراء ، فقد كان من المستحيل عليهم التقدم أكثر من ذلك ، كما أن اشتباكهم فى قتال مع قواتنا كان لابد وأن يعرضهم لخطر فادح .

حين علم الصليبيون أن الأمير (٢٦) وصل الى المكان المذكور أعلاه عزموا مرة أخرى على قتاله فى موضع يعرف برأس الرشيد ، ولو تسنى لهم تنفيذ عزمهم هذا لاضطر صلاح الدين للزحف عبر الصحراء البعيدة وكان لابد لهذا العبور من أن يكلفه خسارة كبيرة فى الرجال ودواب الحمل . لكن لما كان المسيحيون قد رجعوا عما

كانوا قد اعتزموه فقد أتيح لصلاح الدين أن يبلغ الماء بلا مشقة ،
ثم دخل بعد ذلك أرضنا دون أن يلقي كيذا ، وسار منها الى دمشق
سالما تمام السلامة .

ولما علم الصليبيون برحيله عادوا هم أيضا الى ديارهم سالكين
نفس الطريق الذي قدموا منه ، وان كن الخوف قد تملكهم من أن
يعمد صلاح الدين الى حيلة يحتالها فتعود بالضررة على مملكتنا فيغير
علينا من دمشق التي كان قد مضى اليها بكل عسكره ، لذلك أصدر
أوامره بأن يتجمع أهل البلاد كافة عند تبع « صفورية » في الناحية
الواقعة بينها وبين « الناصرة » ، وصحبهم في هذا التجمع الملك
والبطرك وجميع الأمراء الروحانيين والعلمانيين ، ومعهم صليب
السيد وظلوا يتربصون العدو يوما بعد يوم .

- ١٦ -

كان صلاح الدين في هذه الأثناء قد جمع عسكرا من كل نواحي
أراضيه ليشد أزر الجيش الذي كان قد جاء به من مصر ، وأجمع
العزم على غزو بلادنا ، فتقدم حتى صار عند موضع يسمونه بلسانهم
براس العين ونسميه نحن في لغتنا Baseline الذي يقال انه
يبعد عن ناحيتنا مسافة قصيرة ، وهو قريب كل القرب من مدينة
طبرية ، وبعد أن بقي صلاح الدين بضعة أيام في هذا المكان اذا به
يدخل فجأة بلادنا وينصب معسكره بين راقدين في موضع يعرف
« بكافان » Cavan الذي يبعد عن طبرية أربعة أميال .

سرعان ما جاء الكشف بهذا النبأ الى قوادنا الذين ألوا الا أن
يشنوا هجومهم في الحال ، ثم علموا أن أسرعوا بإرسال القوات
الى طبرية لتنضم الى العسكر الموجودين فيها لحمايتها هي وغيرها
من الأماكن الهامة ذلك ، ونعني بهذا « صفد » وكركب » (٢٧) .

وحدث اذ ذاك أن كان كزنت طرابلس وهو المحارب القدير
 الأجد ومسعر الحرب - يرقد في الفراش يقاسى مرضاً خطيراً من
 أمراض الحمى الثلاثية مما زاد في متاعب الصليبيين لأنهم حرموا
 في وقت حاجتهم القصوى من مساعدة هذا السرى العظيم الذي
 كانوا يعولون كثيراً على رأيه وفطنته . لكنهم رغم ذلك استدعوا
 اليهم قوات اضافية من النواحي المجاورة ، وزحفوا لمصد العدو
 رافعين راياتهم ، فما كاد صلاح الدين يسمع أنهم شارعوا في
 التقدم حتى بادر فعبّر الأردن بمن معه من العسكر وانسحب الى
 ضواحي «بيسان» التي كانت ذات مرة عاصمة فلسطين الثالثة .
 وهي تقع في سهل غني بالحقول التي ترويتها المياه بلا انقطاع بين
 جبال «جلعاد» ونهر الأردن ، وقد آلت الامتيازات التي كانت تتمتع
 بها في وقت من الاوقات الى كنيسة الناصرة في نفس الأسقفية ،
 ذلك لأن «بيسان» لم يعد يسكنها الآن سوى قلة من الناس ، كما انها
 أصبحت لا تزيد عن بلدة صغيرة .

وقد زحفت كتائب العدو الى هناك وشنت غارة شعواء لم يكن
 أحد يتوقعها ، وشاجمت قلعة صغيرة واقعة في أرض كلها مستنقعات
 لكن أهل البلد أهبوا من المقاومة الماسلة ما جعل العدو يدرك ألا أمل
 له في أن تكون له الغلبة ، واذ ذاك رأى الأعداء أن يتقدموا ضد
 المسيحيين ، فوجهوا قواتهم نحو القلعة الأخرى المسماة «بكوكب»
 والواقعة بين القلال التي بين بيسان وطبرية .

أما المسيحيون فقد سلكوا درب الأردن حتى بلغوا الناحية التي
 ذكرناها حالا ، ثم غادروا الوادي وصعدوا في الجبال وقد بلغ
 الارهابي منهم مبلغه بسبب الحرارة الشديدة التي لم يعودوا يطيقونها
 في سيورهم ، وانقضى الليل كله وهم أيقاظ لم تخمض لهم عين حذراً
 من أن يكون العدو على مقربة منهم ، فلما طلع النهار نزلوا الى

السهل الواقع بين القلعة المشار إليها حالا وبين قرية صغيرة يسمونها « كفر بلية » Forebelet وتسمى لهم هنا أن يطالعوا قوات صلاح الدين وقد احتدت مجموعها الففيرة التى تشأى كل ما اعتدوه من قبل فغطت كل ما حولها ، حتى لقد قال الشيوخ من أصحاب السن المتقدمة من أمراء المملكة انهم لم يروا فى أى وقت من الأوقات - منذ دخول اللاتين الشام لأول مرة - مثل هذا العدد الضخم من عسكر العدو ، وحتى ليقال ان الفرسان المجهزين للقتال قاربوا عشرين ألف فارس ، على حين أن عمدة فرساننا قارب السبعمائة ، ولم يكن عند صلاح الدين وكباره سوى غرض واحد يسيطر عليهم جميعا هو أن يحدقوا برجالنا اعداءنا تماما حتى لا يفر أحد منهم . واذ كان الأعداء معتمدين على كثافة أعدادهم فقد كانوا يسخرون من ضالة عدد عسكرنا ، وكان الظن عندهم أن لن يكون المسيحيون قادرين على الصمود أمامهم .

ولكن الرب أخلف ظنهم ، لأنه هو القادر فى غير عسر أن يمكن فئة قليلة من أن تتغلب بأذنه على طائفة كبيرة ، فكان ما شاءه الرب لا ما شاءه سواه لأن أعدائنا كانت لا تعد شيئا ان هى قيسست بأعدادهم الكبيرة ، وقد أخذ المسيحيون يرتبون صفوفهم بعناية الله حسب أصول فن الحرب وتقدموا نحو عدوهم بما طبعوا عليه من الشجاعة وصعدوا صمردا بأسلا فى وجه غاراته التى شتى عليهم ، غير أن كثيرا من المسيحيين ممن نتجنب ذكر أسمائهم قررا يجللهم العار الذى لا يمضى شئنا له لمعدم احتماليهم وطأة القتال ، الا أننا اثبتنا فى هذه المعركة أننا نشأ أعدائنا ، فقد أظهر بلدوين صاحب الرملة وأخوه بليان فى ذلك اليوم بطولة عالية ، وحاربوا حرب الشجعان المغاور ، كما استحق ربيب كونت طرابلس ودى « هيج الصغير » الذى صلب الكتبية الطرابلسية أن تبقى ذكره على النوام حية فى الأذهان محرونة بالفضل ، ان على الرغم من أنه كان أصغر

الجميع سداً إلا أنه حارب بشجاعة لم تكن منتظرة ممن فى مثل عمره
وغضارة سنه ، فقد استطاع بمن تحت قيادته من العسكر أن يظهر
على ثلاث جماعات تركية ظهوراً لم تجد هذه القوات حيله بداً من
الفرار ، ثم عاد (هيج الصغير هذا) بمشيئة الله الى رفاهه لم يصبه
جرح ولم يلحقه أذى .

ولم يهلك من فرساننا فى هذه المعركة سوى نفر قليل صعدت
أرواحهم الى السماء لتنعّم بصحبة القديسين ، على دين استمر
القتل فى عامة الناس ، وإن كانت خسارة العدو أعظم من خسارتنا ،
كما هلك بعض من كبار قواده مما أدى الى استيلاء الفرع على الكفار
وفراهم من ساحة الرغى .

على أن الحقيقة التى لا يذنبى الصمت عنها أو السكوت عن
الإشارة إليها هى أن الحرارة كانت فى تلك الأيام أشد مما تكون
عليه فى العادة حتى لقد هلك من الجانبين من ضربة الشمس مثل
من قتلوا بحد السيف .

ولسنا نعرف على وجه اليقين كم كان عدد القتلى من العدو
الذى كانت تدفعه الرغبة فى إخفاء خسائره الى أن يحمل جثث من
سقطوا من رجاله فى ساحة القتال ويدفنها خلسة فى المعسكر فى الليلة
التالية خوفاً من أن تقوى معنويات رجالنا أن هم عرفوا كم كان عدد قتلى
خصمهم ، ومع ذلك فأتينا نستطيع أن نجزم بأن هلكاهم - بناء على
السببين اللذين ذكرناهما - كانوا أزيد من ألف قتيل .

ولما لم تكن الأمور قد أسفرت عما كان يرجوه صلاح الدين
ويطمع فيه فقد قام هذا دليلاً على أن المسيحيين برهنوا على أنهم
أقوى مما كان الظن بهم ، ومن ثم ارتد الخصم كاسف البال وعاد
فاجتاز الأردن ورجع الى بلده حيث حضى مرة أخرى الى الموضع
الذى كان قد خرج عنه .

واستدعى الصليبيون من ناحيتهم عسكريهم وعادوا الى نبع
الصفورية الذى كانوا قد انطلقوا من عنده ، وحدث فى أثناء هذا
الزحف أن أصابت ضربة شمس شديدة بلدوين قيم القبر المقدس
ومخازن كنيسته ، وكانت إصابة بالغة اضطرت من معه لحمله فى
محفة الى سفح جبل الطور قرب تلال كيسون حيث اسلم الروح .

كذلك مات الأخ « جود فروى فيلينيف » الذى كان شماسا
لتلك الكنيسة ، وكان خروجه فى هذه الحملة لمساعدة بلدوين ولقضاء
بعض مصالحه الشخصية ، لكن أصابه سهم قرب أودى به ، وكان
حقا ما قاله السيد ان قال : « ان كل الذين يأخذون السيف بالسيف
يهلكون » (٢٨) .

- ١٧ -

عاد الملك بقواته الى الموضوع المذكور آنفا ، أما صلاح الدين
فقد استشرى غضبه اذ جاءت حملته بالفشل الذريع ، فحشد للمرة
الثانية عساكره واستعرض فى ذهنه كل الخطط ، وتداول مع مستشاريه
أحسن الطرق لتجديد أعماله العدوانية ضد المسيحيين ، ثم انتهى
رايه الى أن أنجع الوسائل لانزال المصرة بنا هي أن يهاجمنا فى
أماكن متعددة مختلفة المواقف فى أن واحد ولذلك أرسل تعليماته
الصارمة الى أخيه الذى تركه وراءه فى حصر ليرعى شسثونيا ،
وتقضى هذه التعليمات بجمع أسطول من مصر الى الاسكندرية ثم
يرسله الى سورية على وجه السرعة لعزمه على محاصرة بيروت
برا وبحرا حال وصول هذه السفن ، وقال انه رغبة منه فى منع الملك
وشعبه من الاسراع لتجدة بيروت فإنه يشير عليه بجمع قوات
الفرسان الذين تركهم فى مصر ويقتحم بهم أرضنا من الناحية الجنوبية
ويخرب كل ما حول غزة وعسقلان والداروم التى هي آخر المدن
الموجودة فى يد الملك على هذا الجانب من أرض مصر .

كان هدف صلاح الدين من احصدار هذه التعليمات هي ألا يجد عائقا يقف أمامه في مهاجمة المدينة هجوما ضاريا ، غي الرقعت الذي يكون فيه جزء من القرات الصليبية - التي تضاعلت بأسا وقلت عددا - مشغولا بمراجعة المفيرين القادمين من مصر .

وفقدت تعليمات صلاح الدين التي أشار بها بحذافيرها تنفيذا دقيقا ، فلم تنقضى أيام قلائل حتى جاء أسطول مؤلف من ثلاثين سفينة مدببة ، كما جاء الى الداروم أخوه على رأس القرات التي جمعتها من كافة أنحاء مصر .

ورغبة من صلاح الدين في أن يكون كل شيء على أتم استعداد للحرب عند وصول الأسطول فقد قاد بنفسه قوة اقتحم بها الناحية التي تعرف عادة بوادي «بكاز» ، ووضع الكشافة على التلال المطلة على البحر في المنطقة الواقعة فيما بين الناحية المشار إليها حالا وبين سهل بيروت ، وعهد الى هؤلاء الكشافة بأن يوافوه بخبر قدوم الأسطول حين تهل طلائعه وتظهر للعيان ، كما أنصرف هو في هذه الأثناء الى جمع قوات إضافية عن الخيلة عن الاقليم الجاور ، ورتب كل شيء على أكمل وجه يراد ضروريا كي ينجح الحصار .

ووصل الأسطول في أول أغسطس على وجه الدقة الى بيروت فبادر الكشافة المكلفون بمراقبته فأخبروا صلاح الدين بوصوله ، فلم يكن عنه الا أن يادر في الحال بعبور الجبال التي تعترضه ، ونزل بعسكره الى السهل ، وسرعان ما أحرق تماما بمدينة بيروت حسب الخطة الموضوعة منذ وقت بعيد .

وجاءت الى قرائنا المعسكرة في « صنفورية » الأنباء وقد تضارب بعضها مع بعض بشأن مقاصد صلاح الدين ، فقال بعضها انه يعتزم حصار مدينة بيروت ، وحتى قول ثبتت صحته في النهاية ،

وقال البعض الآخر انه لا يقصد الاستيلاء على حلب ، في حين أن
أقوال غير هذه وتلك بأنه كان يهدف الى محاربة صاحب الموصل الذي
جاءه الخبر عنه - وهو الرائي التركي القوي - أنه محاصر لبعض
مدن صلاح الدين الموجودة في بعض نواحي الفرات .

لكن بينما كانت هذه الأخبار المتضاربة تسرى في أرجاء المعسكر
إذا برسول يأتي فيكون وصوله قطعاً لداير كل تضارب ، إذ يعلن
أن بيروت محاصرة تماماً ، كما جاء رسول آخر من الجنوب بغير
مؤكد يقول ان صلاح الدين قد أغار على أرضنا في الداريم واقتحمها
بقوات ضخمة وأن القتلى في هذه الواقعة بلغوا ستة وثلاثين من
الفرسان المسلحين بالأسلحة الخفيفة المعروفين بالتركوبالية ، كما
أنه أحرق بعض القرى التي توجد على الأطراف البعيدة .

فلما سمع الملك هذا الخبر شاور مع باروناته ثم تقرر أن يبدأوا
بمهاجمة الناحية التي هي أخطر ما تكون علينا ، وتخليص المدينة من
الخطر الذي يهددها ، وذلك لأن بلدوين الرابع لم يعتبر قواته قادرة
قدرة تامة على صد الأعداء في الوقت ذاته في داخل الأرض .

— ١٨ —

لذلك استدعى الملك قواته وزحف على رأس جميع عسكره
وتوجه الى صور حيث أصدر أمره للأسطول الراسي في مينائي عكا
وصور بالاستعداد للعمل ، فتم ذلك في مدى سبعة أيام فقط ، وهو
أمر لم يبور بخلد أحد ما قط أن يتم بهذه الصهرة السريعة وفي
هذا الوقت القصير ، وكان الأسطول يتألف من ثلاث وثلاثين قطعة
بحرية .

بينما كان المسيحيون يقومون بهذه الأعمال وهم أشد ما يكونون
تحمسا كان صلاح الدين يحاصر مدينة بيروت كما ذكرنا ، وكان

جيشاه (البرى والبحرى) يبدآن غاية الجهد لايقاع أفدح اضطراب ومضرة بالأهالى ، وظلت الكتائب المحيطة بالمدينة تباجمها لمدة ثلاثة أيام على التوالى وتشدّد الضغط عليها ولم تكن تترك لمن تحاصرهم فرصة يلتقطون فيها أنفاسهم أى يتناولون خلالها ما يقيم أودهم .

ولم يكن صلاح الدين قد أحضر معه آلات الرمى أو أى نوع من العدد الحربية التى تستعمل عادة فى ضرب المعقل ، ولعله كان يتوقع أن يتمكن من الاستيلاء على المدينة من غير الاستعانة بمثل هذه الآلات ان هو شن عليها غارة فجائية ، ولكنه استطاع بمجهوداته النشيطة الدقيقة أن ينجز كل ما يمكن انجازه دون الحاجة للاستعانة بالآلات الحربية ، لأنه وضع - كما قلنا - كل جيشه حول المدينة فى صفوف يتلو بعضها بعضا ، وينجد الواحد منها الآخر ان هو احتاج الى نجدة ، وأخذت هذه المصفوف ترمى من أقواسها بوابل هتان من السهام أولئك المدافعين الذين كانوا يقاتلون من فريق الأسوار ومن داخل الأبراج .

لكن لم تكن هذه الطريقة هى الوحيدة التى حاول بها صلاح الدين منع السكان عن الدفاع عن المدينة ، بل زاد فجاء الى هناك بالعمال الذين عبد الينم ببث الألفم لهدم الأسوار ، عاقدا العزم على أن يؤدى عدم المتأريس والأسوار بهذه الطريقة الى فتح ثغرات ومنافذ تدخل حنيا القوات المسلحة رغم جهود المحصرين . ولقد ظل بقية العسكر مستمرين فى رمى السهام والمنجنيق حتى يستطيع واضعو الألفام الانصراف كلية الى عملهم دون أى عائق يعوقهم عما هم شارعون فى العمل فيه ، وظل العمل سائرا على هذا المنوال من غير انقطاع بصورة أصبح شبيح الموث معها ماثلا أمام عيون الأهالى الموجودين خلف الأسوار ، دون أن يجسروا على الاتيان بأى حركة .

أما المدافعون (المسيحيون) الذين كانوا قلة بالغة فقد أخلصوا أخلاصاً تاماً فى تنفيذ أوامر الحاكم وتوصياته لاسيما توجيهات الأسقف الذى أظهر من الميالة والثبات فى هذا الموقف ما استحق من أجله الثناء العاطر ، وقام المسيحيون بأفساد جميع تدابير العدو بإجراءات مضادة ، فلم يدعوا سبيلاً من سبل المقاومة إلا سلكوه ، وراحت الذبال والسهام تتساقط على الرماة المرحوبين فى الخارج فى مهارة وحداثة تدلان مهارة المغيرين وحماستهم ، وترتب على ذلك أن منى الترك بخسارة فادحة ، كما أن الذين كانوا أجراً من سواهم فى التقدم بالهجوم فقد قتلوا على بكرة أبيهم ووردوا حياض الردى واحداً اثر واحد .

أما واضعو الألغام الذين كانوا يبذلون أقصى الجهد فى نسف الأسوار وهدمها فقد صادفوا جهداً مثل الذى يبذلونه ، مما أدى إلى مصرع الكثيرين منهم وهلاكهم وضيع أوقاتهم .

لم تكن النكبات والأضرار الجسيمات التى لحقت بالمحصورين قاصرة على ما أنزلته بها القنات التى وصلت برا وحدها بل ناقستها أيضاً الجماعات التى جاءت عن طريق البحر ، والتى هائلتها فى ضراوة غضبها وشراسة بطئها ، ووقف صلاح الدين ذاته على أحد التلال القريبة من المعركة وراح يحمس رجاله على الاستئصال فى القتال ويشجعهم عليه ، ونجح فى عمله هذا غاية النجاح حتى أن أحد كبار رجاله واسمه عز الدين « فرخشاه » اقترح عليه أن يسندوا السلالم إلى الأسوار ثم يدخلون إلى ما وراءها قسراً ، وكان يعز على فرخشاه ويشينه أن يكون عند هذه الطائفة القليلة العدد من الشجاعة أو القوة ما تستطيع به الصمود فى وجه مثل هذا الجيش الكبير ، وكان هذا الرجل (عز الدين) مصراً كل الإصرار على تنفيذ هذه الخطة وضرب المثل للباقيين فى تنفيذها .

ظلت المدينة محاصرة على الصورة التى وصفناها ثلاثة أيام
سويا ، حتى اذا فقد صلاح الدين فى النهاية كل أمل له فى النجاح
أمر قواته البحرية بالانسحاب الى السفن ، فلما كان مساء اليوم
الثالث تسللوا على غير توقع من أحد واتسم تسليهم بالصمت
والهدوء .

كذلك استدعى صلاح الدين قواته البرية وابتعد بهم قليلا عن
المدينة ، ثم قسم خيالاته الى فرق وأمرهم بالانطلاق فى السهول التى
حول المدينة وتمشيطها وتسوية كل برج بالأرض حتى تلك الأبراج
الموجودة فى النواحي النائية وأن يجعلوها اثرا بعد عين ، كما أعمل
رجالهم - انصياغا لأمره - قذوسهم وبلطهم فى الحقول والبساتين ،
والأعشاب الكثيرة الموجودة بأطراف المدينة .

ورغبة من صلاح الدين فى أن تسير أعمال الحصار سيرا آمنا
بلا عائق فقد كلف بعض خيالاته باحتلال مسالك ضيقة معينة وعرة
واقعة بين بيروت وصيدا ، وكان من الضروري لعسكرنا أن يمروا
عبرها وهم فى طريقهم الى المدينة ، كذلك أمر باقامة متاريس دفاعية
من الحجر على شاطئ البحر ، وكان يطمع عن طريق هاتين
الوسيلتين أن يمنع كثبتنا من التقدم ، وأن يستمر فى الوقت ذاته
فى مهاجمة بيروت دون أن يعرق هجومه عائق ما .

ثم جاءت الأخبار بأن (٢٩) كان مجمعا العزم على ألا يتخلى
عن الحصار حتى تدين له المدينة بالقوة ، لكن بدى له أن يرجع عما
كان قد اعتزمه وأن يعود الى دياره ، ولقد قيل ان السبب فى هذا
التراجع عائدا لما يلى : هو أن المعهود اليهم بحراسة الدرب
اعترضوا سبيل رسول صليبي كان يحدل الى أهالى بيروت رسائل
من بعض المؤمنين تشد من عزائمهم ، فلما جرى بهذا الرجل بين

يدى صلاح الدين اذاقه أبشسع صور التعذيب ، وانتزع عنه وعن
 حاضرون كتابه الذى يجعله أن جيشنا على أتم استعداد للعمل ،
 وأنه على وشك الوصول فى يدى ثلاثة أيام ، لذلك بدل صلاح الدين
 رأيه ووقع الحصار عن البلد كما قلنا .

على أن أسطولنا بلغ مقصده سالما ، لكنه وجد المدينة قد تحررت
 فلم يضع وقتا فى العودة الى الموانئ التى كن قد أحسرها جنبا ،
 فلما سمع الملك برفع الحصار عن المدينة ورحيل صلاح الدين عنها
 ظل هو وكل جيشه حقيمين فى صور بضعة أيام عاد بعدها للم شتات
 قواته ورجع سالما الى الصفرورية .

- ١٩ -

تميز صلاح الدين على الدوام بالنشاط واليقظة وقد رغب من
 كل قلبه أن يزداد اسمه تألقا ، وأن يجاوز ملكه حدود مملكته . ولما
 كان شديد التطلع الى أن يحوز من الانتصارات فوق ما أحرز ، ولما
 كان يزدري بأس المسيحيين ولا يعدهم شيئا مذكورا فقد صمم على
 أن يتقدم صوب المشرق . وليس من الواضح تماما حتى الآن أكن
 صادرا فى عمله هذا من ذاتية تلقائية وبظمة النفس التى هى طبيعة
 ركبت فيه ، أم أنه كن مدفوعا للقيام بهذه المهمة الشاقة التى ربما
 كانت فوق طاقتة بالحاح أمراء تلك الناحية عليه . ومعها يكن الأمر
 فانه حشد للمرة الثانية طائفة كبيرة من الفرسان شاءت الظروف أن
 يكونوا موجودين إذ ذاك ذلك ، كما أمر بإعداد ما تسمح به ظروف
 الزمان والمكان من تجهيزات وأثقال استعدادا لزحف طويل المدى ،
 ثم سار بقواته هذه ميمما وجهه شطر القرط ، وقد رجح الصليبيون
 انه قاصد مدينة حلب فى محاولة منه للاستيلاء عليها ، إذ لم يكن
 قد بقى سواها وسوى حصون قليلة مجاورة لها مما خلفه نور الدين

وكلمها لم تقع بعد في يد صلاح الدين . وكلنها آلت بعد موت ابن نور الدين الى أخيه قطب الدين مودود (٤٠) صاحب الموصل بالوراثه بعد موت الشاب المشار اليه ، وكان الاعتقاد السائد حينذاك - وهو أمر محتمل - أن صلاح الدين زاحف الى هناك ليستولى على المدينة ، ولكن الخواتيم برهنت على أنه كان يضمر خطة أبعد من هذه الخطة ، إذ ما كان يترك حلب وراءه حتى عبر الفرات ، وما انقضت أيام قلائل حتى استولى بالقوة على مدينتي الرها وحران وهما من أعظم مدن اقليم الجزيرة ، الى جانب كثير من المدن الأخرى والبلدان الملحقة بها ، والواقع أنه ضم اليه جميع مدن الاقليم اما بالسيف او بالمال يرشى به حكامها ، وكانت هذه المدن جميعها تابعة من قبل لصاحب الموصل الذي ذكرناه حالا ، وقد استطاع صلاح الدين بسخائه العميم أن يفسد ذمم ولاية النواحي ويغيرهم على مولاهم الذي كانوا يدينون له بالطاعة والولاء ، ثم انه بعد أن تسلم قلاعهم نجح مرة أخرى في كسب تأييدهم له هو ذاته ، وهكذا استطاع أن يحرم صاحب الموصل العظيم حرمانا تاما من معونة رجاله له مما جعله عاجزا عن قتال صلاح الدين أو مقاومته ، وأصبح الناس يتحدثون فيما بينهم أن صلاح الدين قد أفسد موانئ هذا الأمير وأصدقاءه عليه ، وأنه أوصاهم أن يسقوه جرعة سامة أضرت به أسوأ الضرر وكانت أن تؤدي بحياته ، واعتقد الجميع من هذه الأخبار أن صلاح الدين وصل الى الموصل بقواته دون أي تعب . كذلك دارت بيننا روايات شتى حول هذا الموضوع يقول بعضها ان زحفه كان ناجحا ، وأن كل شيء كان يسير وفق هواه . وتقول روايات أخرى عكس هذا القول إذ تشير الى أن سادة هذه النواحي الكبار قد اتحدوا جميعا فيما بينهم وصاروا يداوادة لنحر محاولاته الجريئة ، مما ترتب عليه قيام المتاعب الشديدة في وجهه عسكريه .

هكذا بدى للعيان أن بلاد العدو قد أصيبت من غير مدافع يحمي دمارها ، وعن ثم فان الملك وبارونات مملكتنا ظفوا - وليس لهم من سدد يزيد ظنهم - أن قد حانت اللحظة التي كانوا يتطلعون اليها منذ حين للاضرار بالعدو ، وكان الغضب من صلاح الدين قد تزايدت حدته لما أبداه من ازدياد لقوة المملكة الحربية واستغفاف بها ، وكان دافعه الى ذلك الاستغفاف ما انطوت عليه نفسه من الشموخ والكبرياء والتعالى ، فخرج ليضم اليه أقطارا أخرى دون أن يعا بعقد هدنة أو اتفاق مع الملك الذي راح يتشاور مع باروناته وانتهت المشاورات بينه وبينهم الى حشدهم هم أيضا قواتهم وخروجهم بها وفي صحبتهم البطرک حاملا الصليب الغالى ودخلوا أرض الكفار وعاثوا في أرجائها تخريبا وتدميرا بقدر ما تسمح لهم به قوتهم .

ومروا في طريقهم باللجاء (٤١) التي كانت تؤلف جزءا كبيرا من أرض بصرى ودخلوا سورية الصغرى التي عاصمتها دمشق ثم وجهوا زحفهم شطر القسم الشرقى من تلك البلاد بعد أن لجأوا الى العسف في اجتيازهم مدينة « زورو » الأهلة بالسكان والتي لا تبعد كثيرا عن دمشق واندسحوا في الناحية وخرّبوا قسما كبيرا من المواضع القاصية المعروفة باسم المزارع Casalia ، وكان تخريبهم أياها بالنار يضرعونها فيها وبشتى الوسائل الأخرى الممكنة ، وكان سكان هذا الاقليم قد جاءهم الخبر من قبل باقتربنا من ناحيتهم ففروا الى الجهات التي هي أمنع تحصينا مستصدين نساءهم وأولادهم ودوابهم ومراسيهم مما أدى بالمسيحيين لأن يعودوا صفر الأيدي لم يحصلوا على شيء من الغنائم والأموال ، أما ما عجز الأهالى عن أخذه معهم في فرارهم كالغلة وغيرها من ضرورات

العيش فلم تسلم من حرق الصليبيين لها أو انسادهم أياها بأي صورة
من الصور .

وبعد أن فرغوا من العيث غسادوا في كل ما رقت عليه عيونهم
كان لابد لهم من العودة من حيث جاءوا فمروا في طريق عيوتهم
باحدى مدن تلك الفواحي الرائعة وتعرف عادة باسم «بصرى» وهنا
تناقش رجالنا في مدى النفع الحائد عليهم من امتلاك ما على أطرافها
فلما أدركوا أن ذلك العمل يستغرق منهم وقتا ليس بالمقصير وأنه
يتطلب منهم أن يطيلوا حكثهم زعنا لا تسمح به قلة ما بين أيديهم من
الماء رأوا أن الأجدى عليهم هو أن يرجعوا حتى لا يهلكهم الظمأ هم
ومواشيهم ، ناهيك بما عليه هذا الأقليم من شدة الجفاف وغلبة
الصحراء عليه ، وخلوه خلوا تاما أو شبه تام من العيون والينابيع
والأنهار ، حتى لقد جرت عادة أهله في شهور الشتاء أن يحرسوا
على جمع المياه في الخزانات وحفظها لسد حاجاتهم الضرورية على
مدار السنة ، على الرغم مما يعتري هذا الماء المخزون من تغير
الطعم بسبب حرارة الشمس والقذورات المتراكمة على سطوح هذه
الخزانات ، كما أن الأهالي حين تناهى اليهم قرب قدومها عمدوا
إلى كسر هذه الصهاريج حتى تتسرب منها المياه كما حارلوا
اقتسادها بالأوساخ يلقونها فيها ، وقد فعلوا ذلك حتى لا تطيل بقاءها
هناك .

على أن هذا الوقت من السنة لم يسمح للمسيحيين بتحقيق
ما يشتهرون من الحاق الخسائر الكثيرة بالعدو لأن الأهالي كانوا
قد حصدوا الحبوب والغلال ثم كوموها في الأجران التي جرت العادة
في هذه الناحية على بنائها في مشارف تدت سطح الأرض ، ولما كانت
هذه الأجران مغطاة بالتراب ومخفية عن العيون ومعبأة فائقة فقد
كان العثور عليها أمرا عسيرا ، أما ما بقى من القلة على الأرض

فُدْرَسَه فَقَدْ اِنْتَزَعَتْ مِنْهُ قَشُورُهُ فَاصْبَحَ حَبُوبًا لَا تَعْسُكَ فِيهَا النَّارُ وَلَا تَحْتَرِقُ بِسَهْوَةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُسْتَطَاعِ الْحَاقِ الْأَذَى بِأَرْضِي الدَّرِيْسِ إِلَّا مَا يَكُونُ مِنْ بَعْثَةِ الْحَبُوبِ وَحَمَلِ مَا يَسْتَطِيعُونَ لَتَكُونَ عِلْفًا لِحَيَادِمِهِمْ .

عَلَى أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْجَنْدِ الَّذِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ ارْتِكَابِ مَا فِيهِ الضَّرَرُ بِالنَّاسِ خَلَّوْا هَذِهِ الْقَشُورَ وَهَذَا الْقَشَّ الْمُبْعَثُ هُنَا وَمِنَاكَ بِالْخَلَّةِ الَّتِي دَرَسَتْ فَأَحْسَكَتْ بِهَا النَّارُ بِسَهْوَةٍ .

عَلَى أَنَّ الْعَسْكَرَ الْقَلَائِلَ الَّذِينَ تَرَكْنَهُمْ صَلَاحَ الدِّينِ وَرَأَاهُ فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ بَعْدَ رَحِيلِهِ هُوَ عَنْهَا لَمْ يَكُونُوا عَلَى دَرَجَةٍ كَافِيَةٍ مِنَ الْقُوَّةِ تَدْفَعُهُمْ لِلْمَخَاطَرَةِ بِالْإِسْتِغْيَاكِ فِي مَقَاتِلَةِ الصَّلِيبِيِّينَ أَوْ تَمَكِّنُهُمْ مِنَ الْإِصْطِدَامِ بِهِمْ فِي النُّوَاحِي الْمَتَاخِضَةِ لَهُمْ ، لَكِنْهُمْ رَاحُوا يَقْسَمُونَ أَنْفُسَهُمْ إِلَى جَمَاعَاتٍ شَرَعَتْ تَتَعَقَّبُ عَلَى مَسَافَةٍ مَا مَوْخِرَةُ الْعَدُوِّ الْمَخَادِرُ ، وَتَحَاوِلُ أَنْ تَلْحَقَ بِهِ مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْأَذَى بِيَدِ أَنْهُمْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا - حَتَّى بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ - أَنْ يَعِيقُوا الْمَسِيحِيِّينَ أَوْ يَنْزِلُوا الضَّرَرَ بِالْجَيْشِ سِوَاءِ أَكَانَ هَذَا الضَّرَرُ جَزْئِيًّا أَمْ كَلْبِيًّا .

- ٢١ -

بَعْدَ أَنْ اجْتَازَ رَجَالُنَا الْأَقْلِيمَ بِأَجْمَعِهِ وَأَفْسَدُوا مَا اسْتَطَاعُوا إِفْسَادُهُ تَوَقَّفُوا فِي طَرِيقِ عَرْدَتِهِمْ فِي ذَلِكَ الْقِسْمِ نَفْسَهُ مِنَ النَّاحِيَةِ الْمُسَمَّاةِ بِالسَّوَادِ الَّتِي تَقَعُ فِيهَا الْقَلْعَةُ الَّتِي قُلْنَا أَنَّ الْعَدُوَّ كَانَ قَدْ احْتَمَلَ عَلَى الصَّلِيبِيِّينَ فَاَنْتَزَعَهَا مِنْ أَيْدِي عَسْكَرِهِمْ غَدْرًا قَبْلَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ حِينَ كَانُوا لَا يَزَالُونَ مَوْجُودِينَ فِي الْأَقْلِيمِ الْمَبْقَاعِ .

وَتَشْتَهَرُ « السَّوَادُ » بِمُنْتَجَاتِهَا مِنَ الْخَمْرِ وَالْحَبُوبِ وَالزَّيْتُونِ ، كَمَا تَشْتَهَرُ أَيْضًا بِجُوهَا الصَّسْحَى وَيَحْمَدُنَ مَوْقِعَهَا ، وَيَقَالُ أَنَّ

« بلد » (٤٢) صديق أيوب المكنى بالشوحي نسبة الى الناحية فقد ولد هنا .

ولما بلغ المسيحيون تلك الناحية استحدثوا محاصرة القلعة ، ومن ثم قرروا الاستيلاء عليها حتى ترجع الى العدو الأضرار التي أنزلها بهم حين احتال فأخذها بالخدعة ، ومن ثم ضربوا معسكرهم أمام القلعة التي أشرفنا اليها حالا ، وبذلوا جهودا جبارة لارغام من فيها على الاستسلام ، وكانت القلعة مديدة المناعة يستحيل اقتحامها الا من الناحية العلوية ، بل ان ذلك يكاد أن يكون مستحيلا الا اذا تم قطع الأحجار وقذفها الى الداخل ، لذلك قرروا أن يبدأ قاطع الأحجار عملهم في القسم العلوي من القلعة ، وجهزوهم بكل ما يعينهم على أداء ما نيط بهم عمله دون خرف من الهجوم عليهم ، كما أمدهم بالمساعدين والحراس ليكونوا أمنين من مخاطر القتال .

كانت القلعة واقعة على جانب جبل شاهق الارتفاع ، وكان الاقتراب منها أمرا بالغ المشقة ولايتأتى الا بالسير عبر ممر ضيق لا يكاد يسمح الا بصعوبة لمرور جندى واحد يكون مترجلا ومتخففا من كل ما يثقله .

وكان عرض الممر من هذا الجانب لا يكاد يبلغ قدما واحدا ، توجد تحته حرة عميقة مفزعة تمتد الى قاع الوادي ، وكان هذا الحصن مؤلفا من ثلاثة طوابق ، يصل بين كل منها والآخر سلم خشبي ضيق الفتحات .

ولما كانت هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن بنا مهاجمة الحصن فقد حاول المسيحيون الوصول اليه من الناحية العلوية كما قلنا أملا منهم في أن يتمكنوا بهذه الطريقة من التسلل الى داخل الطابق الأول والأعلى من تلك القلعة ، ولما كان هذا هو غاية مرامهم

فقد بذلوا كل محاولة من جانبهم لتحقيقه فوضسوا جميع العمال الذين يحتاجهم العمل فى مراضعهم ، وأمدوهم بالمساعدين الذين ما كانت بقايا حطام الصخور والتجارة تزاح حتى طوحوا بهذا الحطام الى الوادى تحتهم .

ورغبته من الصليبيين فى أن يستمر العمل بلا انقطاع فقد رتبوا دوريات تتناوب العمل فيما بينها اذاء الليل وأطراف النهار ، وكان التعب اذا بلغ غايته من رجال احدى الفرق حل محلهم غيرهم ممن لديهم القدرة على الاستمرار فى العمل الذى راح يتقدم بخطا سراع بسبب كثرة العمال وحماستهم ، وبسبب سهولة قطع الأحجار ذاتها بفضل تكوينها الجبرى الذى يسمح للآلات الحديدية بالنفاذ فيها ، الا أن تعترضها عروق من الحجر الصلب تؤذى هذه الآلات وتكسرها فتعطل عمل العمال وتفسد عليهم نشاطهم ، وهم الذين كانوا يقذفون بالحطام الى أسفل الوادى لتنظيف المكان كما شرحنا ، وكانت كل هذه الأحداث تجرى أمام عيون من فى داخل الحصن فتضاعف من فزعهم ان كانوا يتوقعون بين لحظة وأخرى أن يقتحم العدو المكان عليهم حين يتم انجاز هذا العمل .

انقسم جيشنا الى مجموعتين ، قامت احدهما بنهب المعسكر القائم - كما قلنا - على قمة التل الذى توجد به القلعة التى يستطيع رجالها من موقعهم هذا حماية القائمين بالعمل من أن تلحقهم الأضرار التى يريد العدو انزالها بهم .

اما القسم الآخر من الجيش فقد بقى رجاله فى السهل الواقع فى الناحية الدنيا ، وكان القصد من وضع هذه المجموعة هناك هو أن يمنع رجالها أى أحد من الدخول أو الخروج . على أنه كان يحدث فى بعض الأحيان أن يقترب بعض المعسكر

الآخرين من الحصن عبر الطريق الضيق الذى أشرنا اليه ويحاولون الهجوم على من بداخله ، ولكن ذهبت هذه المحاولات أدراج الرياح ولم تجد نفعا ، اذ كان بالداخل قوة تقارب سبعين رجلا من الرجال الأشداء الأقوياء ، وعندهم المزيد من الميرة والسلاح ، وكان صلاح الدين قد انتقى هؤلاء الرجال ودور على أهبة المرحيل ، وعهد اليهم بالحفاظ على الحصن اعتمادا منه على يقظتهم وبراعتهم ووفائهم له .

ثم وصل العمل الى نقطة لم تسمح فيه طرقات الطارق المستمرة بشيء من الراحة للحامية الموجودة فى الحصن ، ولما ازدادت الطرقات بدى البناء وكأنه ينتز ويضطرب فحيف أن يؤدى هذا الأمر الى اقتحام الحصن الذى فزع من به ان يتأثر بالطرقات المتوالية فينهار فجأة ويسحق جميع من بداخله . وانقطع الأمل من وصول نجدة اليهم لأن صلاح الدين كان قد رحل بكل من عنده الى جهات قصية ليس من اليسير عليه أن يعود منها مما حمل أهل القلعة فى النهاية بعد حصار دام ثلاثة أسابيع أو أكثر قليلا على ارسال سفارة الى الملك (الصليبي) واستطاءوا بفضل تدخل كونت طرابلس أن يحصلوا على الاذن لهم بالخروج أحرارا الى بصرى ، وكان شرط اطلاقهم أن يسلموه القلعة وما معهم من السلاح وكل مالمديهم من متاع . ثم أخلوا المكان فى الحال ورحلوا من ساعتهم ، وهكذا تخلصنا برحمة الرب الواسعة من الرضع الخطير الذى كان يبددنا .

حين تم تسليم القلعة رأى الملك والقادة الآخرون أنها كانت مجهزة أحسن تجهيز بالسلاح والذخيرة ، واذا ذاك عهد بها الى رجال أوفياء لا يشك أحد فى ولائهم ، ولا يستطيع أحد الطعن فى كفائتهم ، ولما فرغوا من تسليم كل شيء الى المعسكر عادوا الى

ديارهم . وقد وقع هذا الحادث فى سنة ١٨٨٢م من مولد المسيح
وفى اليرم ٠٠٠٠ (٤٣) ٠٠٠٠ من شهر ٠٠٠٠٠٠

- ٢٢ -

وبعد فترة قصيرة من الزمن أى فى ديسمبر التالى لاحظ
قوادنا أن صلاح الدين قد عوقته فى الناحية الغربية من الموصل
بعض الأمور التى كانت أكثر خطورة فحالت بينه وبين العودة حتى
الآن ، فكره الصليبيون أن تفوتهم فرصة غيابه فاجتمعوا مرة ثانية
وتبادلوا الرأى فيما يذبغى اتخاذه من عمل يكون فيه صالح المملكة ،
فاتفقوا على أن يكون تلاميذهم فى قيسرية الساحلية ، وانهقد اجماعهم
على حشد قوات المملكة وتجهيز كل ما تحتاجه حملة جديدة من الرجال
والعتاد يحملون بها على بلاد العدو وتستغرق اسبوعين ، وقرروا
أن لا تضيق من أيديهم هذه الفرصة التى أتت لهم ، وكان أول
ما فعلوه هو الاقتصاد على حملة سرية قوامها الفرسان دون غيرهم،
وهاجموا الناحية القريبة من « بصري » حسبما تم الاتفاق عليه من
قبل ، ثم عادوا سالمين محملين بكثير من الغنائم والأسلاب على شكل
قطعان من الماشية والأغنام وجملة من الرقيق ، ولما كانت هذه الحملة
قد خرجت من طبرية وعادت إليها فقد كانت قيادتها حوكولة الى كونت
طرابلس .

ولما كان اليوم الخامس عشر شيد أحد الأماكن الواقعة على
بحر الجليل ويسمى كاستلوم Gastellum قرب طبرية حشدا
كثيفا من الفرسان والمشاة كانوا كل من أمكن جمعه حينئذ من شتى
نواحي المملكة وعلى رأسهم الملك وبارونائه ومعهم الصليب الأعظم
ثم عبروا النهر من هناك عند مخاضة يعقوب فصاروا فى أرض العدو
فزحف الجيش جاعلا لبنان على يساره ، واجتاز السهل حتى بلغ

موضعا يسمونه « بيت جن » Bettegene أعملوا فيه وفي
الساكن الملاحقة به المعاول وأضرعوا فيه النيران وسروا بالأرض ،
ومكثوا دمرها كل شيء وجدود هناك تدميرا تاما ، ثم تقدموا حتى
بلغوا « داريا » التي تبعد عن دمشق أربعة أميال أو خمسة فخرّبوها
حتى والقرى الواقعة على الأطراف بنفس الطريقة التي خربوها بها
سابقها .

وكان بعض الأمالي الذين يعيشون في هذه الجهة قد فروا الى
جبال لبنان والبعض الآخر الى دمشق مما ترتب عليه عدم وقوع أي
أسير من تلك النواحي كلها في أيدي الصليبيين .

غير أننا فقدنا نفرا من رجالنا بسبب مسلكتهم الأرعن أثناء
بحثهم عن الكلا لدوابهم فقد استغل بعض الفرسان الأتراك سرعة
جياهم وانطلقوا من دمشق وراحوا يحومون حول رجالنا فكانت
تراهم تارة يتقدموننا وتارة خلفنا ، ولكنهم في كلتا الحالتين يترقبون
الفرصة لا يذأنا ، فلما أتحت لهم هذه الفرصة أغاروا على الباحثين
عن الكلا الذين أشرنا اليهم والذين لم يأخذوا حذرهم وأعملوا فيهم
القتل فأفترسهم عن آخرهم ، وكانت مذبة مروعة .

كذلك خرج الدماشقة من مدينتهم في زرافات تجمعت في
البساتين والحقول التي حول البلد ، وراحوا من موقعهم هذا يراقبون
قواتنا بطرف لا يكل وإن لم يجرؤوا على التقدم ، ولم توات الجرأة
الصليبيين على مهاجمتهم ، كما أن هؤلاء لم يحاولوا القيام بأي
عمل ضدينا ، ثم انهم ما أن رأوا رجالنا يرحلون حتى انسحبوا عائدين
الى المدينة .

ورجع الجيش الصليبي كما قلنا الى دياره دون أن يلقي
صعوبة أو يصادف أي عقبة ، وذلك بعد اجتياحه هذه الناحية من

البلد وانزله الكثير من الدمار الفادح بها . وأما الملك (بلدوين الرابع) فقد أسرع الى صور حيث احتفل معًا بعيد ميلاد المسيح .

- ٢٣ -

سرت في هذا الوقت شائعات عن نشاط صلاح الدين قال بعضها أنه يلقي كثيرًا من النجاح في منطقة الجزيرة بالمرصد حيث أخضع الناحية كلها لسلطانه . وقال البعض الآخر عكس هذا القول تمامًا اذ زعموا أن جميع أعراء المشرق قد اتحدوا وأصبحوا يدا واحدة للعمل على اخراجه من البلاد بقوة السلاح عساهم يستردون الاقليم الذي كان قد اغتصبه منهم بالحيلة والرشوة .

على أن تقدم صلاح الدين أحدث عند الصليبيين قلقًا بالغًا اذ راحوا ينظرون اليه وإلى تزايد قوته بفزع شديد مخافة أن يكر عليهم بامدادات كبيرة . ومن ثم عقد اجتماع عام في بيت المقدس في فبراير التالي (سنة ١١٨٢ م) شهده جميع بارونات المملكة لتبادل الرأي حول الموقف ، وسيطرت عليهم روح من الفزع خوفا من عودة صلاح الدين كما ذكرنا ، ولذلك قرروا أن يصطنعوا جميع الوسائل الممكنة لصدده .

وبعد أن طال الجدل بينهم وتبادلوا مختلف وجهات النظر تقرر بالاجتماع عدل احصاء لجميع أراضي المملكة ، فان تم ذلك أمكن في حال الضرورة الطارئة الحصول على قوات من المشاة والفرسان حتى اذا عاد العدو وجدنا على أتم أهبة لمقاومته ، ورأى الملك والبارونات ما هم فيه من وضع يبعث على اليأس لأن جميع موارد المملكة لم تكن كافية لسد النفقات الضرورية واتفقوا على اصدار قرار في هذا الصدد يعلن على الناس قاطبة ، يوضح تمام الرضوح الطريقة التي تجبى بها هذه الضرائب وتكون كالتالي :

« هذه هي الطريقة لجمع الضريبة التي وافق علينا كبار الشخصيات من روحانيين وعلمانيين ، وارتضاها شعب مملكة بيت المقدس لمواجهة الحاجات الضرورية التي لا حفر منها والتي تجبى بمقتضاها هذه الضريبة من أجل الصالح العام » .

« لذلك تقرر بأمر الدولة أن يتم اختيار أربعة رجال من كل مدينة من مدن المملكة يكونون من أهل الفطنة وموضح الثقة ، ويقسمون قسما غير حائذين فيه أن يعملوا بايمان صادق في هذا الموضوع الحالي ، فيقومون هم أولا : ثم يحصلون غيرهم على أن يعملوا مثل ما عملوا هم أن يدفع كل شخص بيزنتا واحدا عن كل مائة بيزنت يملكها الفرد ، أو يدفع ما يعادلها على الأشياء التي هي ملك يمينه ، ويدفعها عن كل ما هو مؤجل له » .

« كذلك يقوم الحاكم بحمل كل فرد على دفع بيزنتين عن كل مائة بيزنت من دخله ، كما يكون لهذا الحاكم أن يفرض على كل مواطن - سواء أكان من سكان إحدى المدن أو غيرها من الأماكن التي تدخل في نطاق حكومته أن يدفع عن رأس المال ما يتناسب ويعتبر مكافئا لما يملك ، ثم يقدرون هذا على كل واحد على حدة تبعا لقدرته على الدفع » .

« لكن اذا حدث وذكر أحدهم (حين يخبرونه بالقدر الذي يجب عليه دفعه) أنه انما كلف بما غرق طاقته . وأنه قد فرض عليه من الضرائب حالا تتحمله موارده فعلية أن يبين حسبهما عليه عليه ضميره ما يوازي قيمة مناعه طبقا لما يراه عدلا ، وعليهم أن يتركوه يذهب الى حال سبيله في أمان حسب الشروط المذكورة » .

« وعلى الأربعة المختارين أن يقسموا اليمين البرة بأن يعفظوا ما يدلى به كل مواطن سرا لا يفشونه لأحد من الناس ، سواء أكان

ما أدلى به قليلا أو كثيرا ، لأنهم ملزمون باليمين ألا يعلنوا ما عليه كل أحد من الناس من الغنى أو الفقر ، وعليهم مراعاة تطبيق هذه القواعد بالنسبة لكل من يملك شيئا يقدر بثلاثمائة بيزنت ، مهما كانت لغة هذا الشخص أو جنسيته أو دينه ، ومن غير نظر الى جنسه : ذكرا كان أو أنثى ، ان الجميع على قدم المساواة بالنسبة لهذه القاعدة .

« فإذا قدر لهؤلاء الاربعة المختارين والمعينين لأداء هذه المهمة أن يعرفوا معرفة أكيدة أن ما يملكه شخص من الأشخاص لا يساوى مائة بيزنت فانهم يتسلمون منه نقودا حسب المواعد ، أى يأخذون بيزنتا واحدا عن كل قرن ، فان لم يستطيعوا الحصول على البيزنت كاملا اكتفوا بنصف بيزنت ، فان أعجزتهم جباية هذا النصف أخذوا « رابوانا » واحدا ان تراءى لهم أنه حقيق كل الحق ، فمن كانت بضائعهم لا تساوى مائة بيزنت فانهم يخضعون لهذا الشرط مهما كان لسانهم أو جنسهم أو دينهم ، وسواء أكانوا ذكورا أم إناثا .

« كذلك تقرر على كل كنيسة وكل دير وعلى جميع البارونات - مهما كثر عددهم - وكذلك الأفضال وغير هؤلاء ممن لهم دخولات فى المملكة اخراج بيزننتين عن كل مائة بيزنت تدخل لهم كايجارلت كما أن العمال بالأجر يدفع الواحد منهم بيزنتا عن كل مائة بيزنت من أجره . »

« أما الذين يمتلكون المقاطعات فعليهم حسب اليمين أن يدفعوا عن كل مدغاة أو قرن يملكونه فى القرى أو المقاطعات بيزنتا واحدا بالاضافة الى ما أوصى به أعلاه . فإذا كان بالمرزعة مثلا مائة فرن التزم الفلاحون بدفع مائة بيزنت ، ثم يصير بعد ذلك من واجب مالك

المزرعة أن يفرض على كل فلاحها المشاركة في دفع الميزنقات الواجب دفعها بعد تقسيمها عليهم بالتساوي ، أي أن كل واحد منهم يلتزم بدفع الضريبة المشار إليها أعلاه بما يتناسب وأحواله ، وبذلك لا يستطيع الغني أن يتهرب من الدفع ، ولا يثقل كاهل الفقير بما ليس في حقيقته احتماله ، وبهذا تكون النسبة واحدة سواء أكان بالمزرعة كثير من الأفران أو القليل منها .

«وكذلك فإن الأموال التي تجمع من كل مدينة من حيفا حتى القدس سوف يحملها إلى القدس أولئك الذين قلنا عنهم من قبل أنهم أصبحوا رؤساء لكل مدينة ومزرعة ، أي أنهم يلتزمون بدفع قدر معين من المال ووزن ثابت ، ويكون ذلك بحضور البطريرك أو نائبه وبحضور قيم القبر المقدس وأمين بيت مال بيت المقدس ، ويدفعون ذلك إلى المكلفين بهذا العمل في القدس ، ويضعون هذه النقود مخزومة في صرر وعلى حدة كما تسلموها من كل مدينة أو أي مكان ، ثم توضع هذه الصرر كلها في صندوق بخزينة الصليب الطاهر ، ويكون لهذا الصندوق ثلاثة أقفال وثلاثة مفاتيح ، يحتفظ البطريرك بأحدها ، ويعيد بالثاني إلى قيم القبر المقدس ، وأما الثالث فيكون في عهدة كل من أمين القصر والأربعة المختارين الذين أشرنا إليهم من قبل وهم الذين عينوا لجمع المال .

« أما المسئولون عن المدن الواقعة فيما بين حيفا وبيروت فسوف يحملون الأموال المجهدة على هذه الصورة إلى مدينة عكا ، بعد أن يحدد قدرها ووزنها حسبما جاءت من كل مدينة ومن كل قلعة ، ثم تسلم ليهؤلاء الأربعة في كل مدينة ، وهم الذين وكل إليهم جمع الأموال ثم يوضع ذلك كله في صرر مخزومة مشهورة ، ثم توضع هذه الصرر في صندوق له ثلاثة مفاتيح وثلاثة أقفال ، يأخذ أوليا رئيس أساقفة صور ، ويأخذ ثانيها جوسلين سنكال الملك ، أما الثالث فيحتفظ به

الأشخاص الذين ذكرناهم آنفا ، وهم المسئولون عن هذا الأمر ، على أن يقوم من بيدهم المفاتيح بتسلم الأموال المذكورة في حضور السادة المذكورين .

« ولا يجوز صرف هذه الأموال المجموعة على شئون المملكة العادية ، ولكنها توقف للصرف على الدفاع عن البلاد . على أنه طالما ظلت هذه الأموال باقية فإن الضريبة المسماة بضريبة القاي Taille سوف لا تجبى من الكنائس ولا الأهالي . »

« وسوف يعمل بهذه الضريبة مرة واحدة فقط ، ولن تعتبر سابقة يعتد بها فيعمل مثلها في المستقبل . »

- ٢٤ -

في هذه الأثناء كان صلاح الدين - وهو الرجل الذي لا يكل أبدا والذي يمثل على الدوام القائد المحنك في كل شيء - أقول أنه كان قد استولى على الأراضي السورية في بلاد الجزيرة . وأخذ بالقوة المدن ذات الثمينة المدوية ، وإلى جانب ذلك فإنه حاصر « آمد » العاصمة الشهيرة التي كانت مدينة لا يمكن اقتحامها لكثرة سكانها وضخامة أسوارها المحيطة بها ولطبيعة موقعها ، فلما تم استيلاؤه عليها أسلمها - بناء على اتفاق سابق - إلى شريف تركي أسعه نور الدين بن قرا أرسلان الذي كان لمساعدته الصداقة له الفضل في قدرته على اطالة بقائه في هذه النواحي حتى تسدى له أن يتم إخضاع تلك الناحية .

فلما كان الربيع التالي استدعى قواته مرة ثانية وعهد بالناحية كلها إلى رعاية بعض أتباعه المخلصين ، أما هو فقد عبر الفرات

عائدا الى البقاع ، حيث وضع جيشه حول حلب ولم يدع وسيلة
لضايقتها الا اتباعها .

كان صاحب حلب مدركا تمام الإدراك أن أخاه صاحب الموصل
- وهو أقوى منه بأسا - لم يستطع أن يدفع صلاح الدين عن أراضيه
رغم كل ما بذل عن الجيود ، بل لقد حدث ما هو عكس ذلك إذ كان هذا
الأمير الكبير قد أخضع جميع الأراضى الواقعة وراء نهر الفرات ،
ولما كان يخشى أن يصيبه ما أصاب غيره فقد بعث الى صلاح الدين
فى السر رسلا من ناحيته لم يعلم أحد من الحلبيين بخبرهم وذلك
سعيًا منه لعقد الصلح بينهما ، وأخبره أنه مسلم له مدينة حلب أن
هو أعاد اليه سنجار وقلعا أخرى سمهاها له ، ولكنى نسيت
أسماءها .

ولقد تلقى صلاح الدين السفارة أحسن لقاء واغتنب بها أيما
اغتناب ، فقد كان من أغلى أمانيه منذ اللحظة الأولى من حكمه
الحصول على حلب التى يعدها حصن المملكة كلها ويسمى ليملكها
بأى وسيلة من الوسائل ، لذلك قبل عن طيب خاطر هذه الشروط
وسلمه المدينة المذكورة حالا وما حولها من القلاع والحصون ، وكان
تسلمه هو مدينة حلب فى شهر يونيو (سنة ١١٣٨) .

حين سمع قوحنًا بهذا الخبر تملكهم الفزع فقد وقع ما كانوا
يخشونه أشد الخشية وكان المسيحيون يدركون بوضوح أن لو قدر
لصلاح الدين النجاح فى اضافة حلب الى ممتلكاته فإن بلادنا سوف
تكون محاطة بقواته فيبديدها بأسه عن كل جانب فتصبح وكأنها فى حالة
حصار ، لذلك حاول قوحنًا تدعيم تحصينات مدنها وبلدانهم بكل
وسيلة ممكنة ، لاسيما تلك النواحي الواقعة قرب تخوم العدو ،
وفوق ذلك فانهم ضاعفوا من وسائل الدفاع عن بيروت التى اتضح
أنها ضعيفة تماما .

انزعج أمير أنطاكية أشد الانزعاج ان علم بقرب خصمه العنيد منه ، وهو العدو القوي الشكيمة ، ذلك لأنه عرف أنه يواجه في صلاح الدين خصما شديدا المراس ذا مرة ، فمضى ومعه كونت طرابلس الى الملك وكان مقيما اذ ذاك في مدينة عكا ، ولم يستصحب معه حرسا في هذا الذهاب سوى نفر قليل من الجند حتى لا يترك البلد وراءه خاليا عدن يدافع عنه ويرد عادية الخير . فلما صار (الكونت ريموند) في حضرة أمراء المملكة التمس النجدة ضد صلاح الدين ، فتم الاتفاق على استجابة رجائه وأمدوه بثلاثمائة فارس من فرسان المملكة من مختلف الرتب ساروا وراءه الى أنطاكية للمحاربة تحت لوائه ، لكنهم ما لبثوا أن عادوا على أعقابهم مستائذين الأحرى في هذا الرجوع بعد أن عقد معاهدة مؤقتة مع صلاح الدين ، مما تأكد لهم معها أن الأمور قد هدأت .

وأراد الأمير أن يفرغ باله ليطمئن خاطره ويكون أقدر على الالتفات لشئون أمارته أنطاكية ، اذ قبل مبلغا كبيرا من المال لقاء تنازله عن مدينة « طرسوس » عاصمة كيليكية التي كان قد تسلمها من البيزنطيين فأسسها هو بدوره الى الوالى الأرمنى القوي « روبين » الذي كان يسيطر على كثير من المدن في هذه الناحية ، والحق أن أمير أنطاكية كان حكيما كل الحكمة فيما فعل اذ كانت « طرسوس » بعيدة كل البعد عن أرضه ، وتفصلها عن أنطاكية بلاد الأرمن وأرض روبين ، ومن ثم كانت تشكل صعوبة له ، كما يكلفه الحفاظ عليها من أمره رهقا لما تتطلبه العناية بها من الصرف عليها ، ولكن هذا كله كان أمرا هيسورا على روبين ان حسارت طرسوس ملك يمينه .

بعد أن رتب صلاح الدين جميع أمور تلك الناحية حسبما نهى نفسه غادرها الى دمشق مع كتائبه ، وكانت هذه الحركة من جانبه

حبست فزع كبير لقومنا خصوصا وقد استحال عليهم الحصول على أية معلومات مؤكدة من الكشافة عن حقيقة نواياهم ، فظن البعض أنه بعد استدعائه القوات البحرية لابد وأن يحاصر بيروت كما فعل في السنة الماضية ، وقال آخرون أنه يعتزم مهاجمة حصن شقيف تورون وهونين ، وهما من أمنع المعاقل الموجودة في تلك النواحي الجبلية المحللة على صور .

على أن هناك رجالا غير هؤلاء هؤلاء كانوا يجزمون أنه يعتزم تخريب اقليم البقاع الواقع فيما وراء الأردن ، وأنه ينوي كذلك تدمير الأماكن المنيعه الموجودة في تلك الأطراف .

على أن هناك رهطا غير هؤلاء جميعا حاولوا أن يؤكدوا أن صلاح الدين كان قد حل الحملات الطويلة المستمرة في البلاد البعيدة فالتمس فترة الهدنة القائمة ليذهب الى حصر ليجدد نشاط جيشه المرفق ويجمع الأموال اللازمة للحملات التي يزعم القيام بها .

أدت هذه الأقوال المتضاربة والمحيرة الى استيلاء الفزع الدائم والقلق الذي لا انتباه له على الملك والبارونات ، وتركزت أخيرا قوات الملكة التي أحكن جمعها عند نبع « الصفورية » الذي اعتادت الجيوش التجمع عنده منذ أوقات بعيدة ، ووقف الجميع هناك يرقبون ما تسفر عنه الأحداث . وبعثوا بالكتب الى أمير أنطاكية وكونت طرابلس ، فقبلا بعد الحاج أن يضمها قواتهما الى قواتهم ويبدلا لهم النصيحة ، وعلى هذا فقد راحوا يترقبون من يوم الى آخر أن يباغتهم صلاح الدين ، فيهاجم ناحية من نواحي الملكة بعساكر تزيد في قوتها عما جرت العادة به .

بينما كان الجيش على هذه الصورة من الترقب عند نبع « الصفورية » كان الملك في الناصرة يعاني اشتداد الحمى شدة قاسية يضاف الى ذلك أن النقرس الذي كان قد بدأ يضايقه في مستهل حكمه بل وفي أحداثه أصبح الآن أشد ضراوة عما كان عليه من قبل ، فضعف بصره حتى أشفى على العمى ، وصارت أطرافه هامة كل الهمود حتى عجزت يداه وقدماه عن أداء وظائفها ، وكان هو حتى هذه اللحظة يرفض الانصات الى ما أشار به عليه بعضهم من وجوب تخليه عن العرش وترك أمور المملكة الى سواه يتولى تصريفها ، على أن يتناول هو مرتبا مجزيا من الخزانة الملكية لمواجهة احتياجاته ، وحتى ينصرف هو الى حياة الهدوء في أثناء تقاعده .

وعلى الرغم من ضعفه الجثماني وما عليه بدنه من العجز الا أنه كان حاضر العقل بصورة لا تتفق أبدا وما هو فيه ، وكان يجاهد في إخفاء مرضه ، ودأب على تدبير أمور المملكة ، الا أنه فقد الأمل في الحياة حين هاجمته الحمى ، فاستدعى اليه كبار بارونات ، واشترك في هذا الاجتماع أم الملك والبطرك ، ثم قام هو فأعلن في حضرته جميعا أنه قد عين « جى دى لوزنيان » كونت يافا وعسقلان وزوج أخته وحيا على المملكة .

وهذا الأمير « جى دى لوزنيان » هو الذي كثرت اشارتنا اليه في الصفحات السالفة ، أما (الملك بلدوين الرابع) نفسه فقد احتفظ بمنصبه الملوكي ، واستبقى بيت المقدس وحدها اقطاعا خاصا له مع دخل سنوي يقدر بعشرة آلاف قطعة ذهبية .

وعهد الملك الى « جى » بإدارة جميع ما بقى من المملكة دون
أى قيد ، وأمر رعاياه المخلصين وجميع البارونات باعتبار أنفسهم
أفصلا لجى دى لوزنيان ، وأن يقسموا له يمين الطاعة والولاء .
وتم كل شيء وفق ما رأى .



كان أول شيء فعله « جى دى لوزنيان » احتثالا لأمر بلاديون
(الرابع) هو أنه أقسم ألا يتطلع للمقاج طالما بلاديون على قيد الحياة ،
وألا يقطع أحدا ما أيا من المدن والقلاع التى كانت حتى ذلك الوقت
ملكا للملك ، ولا يمسك الصرّف عليها من الخزّانة . والمعتقد أن
« جى » قد التزم بهذا الأمر وأكدّه بيمين قطعها على نفسه أمام جميع
البارونات ، وأعلن أنه سوف يراعى هذا الشرط مراعاة أمانة ، وذلك
لأنه كان قد وعد معظم كبار رجالات الدولة - كلا على انفراد -
بأنصبه من المملكة ليست قليلة وكان ذلك منه سعيًا لضمان وقوفهم
الى جانبه . كذلك يشاع أنه كان قد أعطى يمينًا كهذه اليمين لهؤلاء
اللوردات التزم فيها بالرفاء لهم بما وعدهم به . ولا يمكن لنا أن
نأخذ بهذا القول كحقيقة ثابتة إذ ليس بين أيدينا بينة قاطعة بصدق
هذا الأمر ، لكن لم تنقطع حول هذا الموضوع الشائعات التى كانت
تلوكها جميع الألسن .

على أن هناك أشخاصا لم يقع هذا التفسير عندهم موقع القبول
فعالوا الى معارضته معارضة تذكّيا مصالحهم الذاتية ودرافعيهم
الشخصية .

ثم كان الى جانب هؤلاء نفر كانوا يتذرعون بالمصالح العام
ويجاهرون بخوفهم على وضع المملكة وراحوا يصرحون علانية بأن
الكونت (جى دى لوزنيان) ليس بالرجل الكفء لحمل المسؤولية، وأنه
أعجز عن أن يدير دفة قارب المملكة . على أن هناك رجلا منهم كانوا

يطمعون فى أن تؤدى وعود « جى » لهم الى تسعين اوضاعهم ،
لنزعوا أن الخير كل الخير فيما تم .

وترتب على هذا كله أن سرى بين الناس تذر كبير ، وتفرقوا
فى آرائهم شيئا متباينة وصدق المثل القائل : « تتعدد وجهات
النظر كلما تزايد الرجال كثرة » .

على أن الكونت (جى) لم ينعم طويلا بما أوتيته من أمنية كان
شديد التلطف عليها ، وهامى ذى قد تمت وفق هواه ، وراح فى
بادىء الأمر يتباهى بها جبرا وفى طيش .

ولقد قلنا انه كان عجولا فى قبول هذه المهمة للسبب التالى :
ألا وهو أنه لم يتدبر تماما مدى كفاءته بالنسبة للمسئولية التى ألقيت
على عاتقه ، فلم يكن عنده من التبصر ولا الفطنة ما يؤهله لمثل هذا
الععب حين رضى بقبول ما لا قبل له بتحمله ، فهو لم يتعظ بالمثل
الوارد فى الانجيل حيث يسدى النصيح بأن « من يريد أن يبني برجاً
فعليه أولاً أن يجلس ويقدر هل عنده من المال ما يكفيه للإنفقة عليه
حتى يتم بناؤه ، لئلا يضع الأساس ثم يجد نفسه بعدئذ عاجزاً عن
اتمامه فيكون موضع سخرية جميع مشاهديه فيبزون به ويقولون
هذا الانسان ابتداءً يبني ولم يقدر أن يكمل » .

- ٢٦ -

على هذه الصورة كانت الأمور تجرى فى المملكة حينذاك ،
وكان القسم الأكبر من الجيش لايزال حتمركزاً فى « الصحورية » ،
وقد أخذ صلاح الدين فى هذه الأثناء يتدبر فى ترو كبير هذا الأمر
وانتهى به التروى الى استدعائه لقواته من الأراضى الواقعة فيما
وراء الفرات ومعها جميع كتائب الفرسان التى استطاع حشدتها من
كل ناحية ، وهاجم أطراف المملكة بجيشه الكبير المدجج بالسلاح من

رأسه الى أخدمى قدميه وبعد أن خلف وراءه أرض حوران على طول بحيرة طبرية وبرز فجأة بكتائبه فى أقسام مختلفة بموضع يعرف بكافاف ويقع هذا المكان فى سهل الأردن ، ثم سار من هناك مع النهر متقدما نحو « سكيثوبوليس » المسماة الآن كما ذكرنا كثيرا « بيسان » والتي كانت فى زمن من الأزمنة السالفة عاصمة منطقة الجليل بأجنعيا ، ولا تزال مظاهر عظمتها السالفة ترى حتى اليوم فى مبانيها التى أضحت أطلالا ، وفى كميات الرخام الضخمة المتناثرة بين هذه المباني ، لكنها اندثرت ولم يعد يقطنها سوى نفر ضئيل من الناس مبعثرين فى الأكواخ التى تقع فى ناحية كلها مستنقعات .

وعلى الرغم من أن الأهالى القاطنين هذا كانوا مزودين جيدا بالأسلحة ومجهزين بكميات من الأطعمة تتكاثر مع عددهم ومع حجم المكان الا أنهم كانوا غير مطمئنين الى قدرتهم فى الدفاع عن قلعتهم ، ومن ثم قانهم غادروا الحصن قبيل وصول جيش العدو ، تاركين وراءهم كل ما يملكون ، وعادوا الى طبرية ، فلما وصل العدو الى « سكيثوبوليس » (أى بيسان) وجدها خالية من أهلها ، وأنه قادر على التصرف فيها كيفما يشاء فحمل معه منها جميع الأسلحة والمؤونة وكل ذى جدوى أو نفع ، ثم انطلق رجاله من « سكيثوبوليس » زحرا زحرا - فلما احدى تلك الزحرة فقد عسكرت حيث وجدت الماء متوفرا الى جانب نبع يدعونه « توبانيا » Tubania الذى ينبع من أسفل جبل جليوب Galboa فى رحاب كانت ذات مرة موطئا لمدينة شهيرة عرفت فى السابق باسم « جزرائيل » ، أما الآن فتعرف بجريين الصغيرة .

كان الصليبيون لا يزالون معسكرين قرب نبع « الصفورية » الذى كثيرا ماوردت الإشارة اليه فى تاريخنا هذا ، وقد شغل بالهم التفكير فى معرفة الجهة التى سوف تهاجم منها القوات المعادية أرضنا ، فلما رأوا أن الترك موجودون فى سبيل « بيسان » وأن

كتائبهم بفرقها المتعددة قد غزت تلك الناحية أجمعوا أحرهم على حمل السلاح فحملوه وساروا رافعين أعلامهم الصليب وأهب الحياة ونشروا الرايات الملكية ، وعبروا الجبال التى تقع فيها « الناصرة » بلد سيدنا ونزلوا الى السهل المسمى الذى كان يسمى فى القديم باسم « ايزدريلون Esdrelon » وهبطوا صدفهم للقتال تهيئة حسنة حسبما تقرضه قواعد الحرب وزحفوا نحو حياد « توبانيا » Tubonia حيث يعسكر صلاح الدين على مقربة عنها بقوة عظيمة من نخبة الفرسان الذين ذاع صيتهم واشتهروا بأسمهم .

وانصبت همه المسيحيين على طرد العدو والاستئثار بالمياه لأنفسهم دون غيرهم ، الا أنهم تبينوا بعد وصولهم الى هناك استحالة الاستيلاء على المكان الا بعد بذل جهد شاق وخوض معارك دامية مع العدو ، لكن سرعان ما قوض صلاح الدين خيانه وترك يثابيع المياه مما لم يكن يخطر على البال أبدا ، وشرع فى السير فى اتجاه المجرى حيث نصب معسكره مرة ثانية فى الناحية السفلى فى مواجهة « بيسان » وعلى بعد نصف ميل فقط منها .

غير أنه قبل وصول المسيحيين الى ذلك الموضع كان العدو قد قسم جيشه الى جماعات صغيرة انطلقت تمشط الاقليم تمشيطا دقيقا بروح عدوانية ، وتعيث فيه فسادا ، ومضت احدى هذه الفرق فتهاجمت قرية « جرين الصغرى » التى ذكرناها من قبل ، ودمرت كل ما فيها تدميرا تاما ، ولكنها لم تجد أحدا من سكانها اذ كانوا قد علموا من قبل بمقدم العدو فأخذوا حذرهم وفروا الى الأماكن التى هى أكثر مناعة وأشد حصانة .

وبلغت جماعات أخرى موطئا يعرف عادة باسم « فوروبليه » Forobelet واستولت عليه بقوة ودمرت كل ما صادفته تدميرا .

أما الجماعات الأخرى فقد سارت في الطرق الرئيسية فكان في قدومها خطر على كل من الفرسان والعسكر المشاة ، ولم يصل إلينا من كانوا مسرعين للانضمام إلينا إلا بشق النفس ومواجهة أخطار كبيرة كانت تهدد أرواحهم ، فقد تسلى البعض من هؤلاء الأعداء جبل « تابور » في ميادة لم يسبق لها مثيل ، وهناك أنزلوا بدير القديس « الياس » اليوناني ما شاءوا أن ينزلوه به ، حتى لقد حاولوا اقتحام قلايته الكبرى لكن اعتصم بداخل الدير رهبانه ومن لأنوا به من أهالي شتى القرى المجاورة ، وكان هذا الدير قد أحسن تحصينه بسور ذي أبراج ، وهنا قام هؤلاء جميعا بالدفاع المجيد عنه وأخرجوا العدو الذي كان قد تسلق الجبل من كل جوانبه المحاطة بالمقاريس .

على أن رجالا من نفس هذه الجماعات لم يكونوا يخشون قط شيئا صعدوا المرتفعات الراقعة وراء «الناصرية» حيث استطاعوا من هذه القلال العالية أن يروا المدينة بأكملها تحتهم ، فأثار ظهورهم الفزع الأكبر في قلوب النساء والأطفال ، بالإضافة إلى الشيبوخ العجزة والمرضى الذين خلفهم أهلهم وراءهم ، ويقال أن الكثيرين منهم لاقوا حتفهم فماتوا خنقا في الزحام أثناء مجاهدتهم للمهرب إلى الكنيسة العظمى التماسا للمجاة يجدونه لهم فيها . أما أغلب الأهالي من القادرين على حمل السلاح فكانوا واحدا من اثنين ، أما واحد تابع السير مع الحملة العامة أو آخر قد رحل مع أهل بيته وما حلت يداه إلى إحدى المدن الساحلية لاسيما عكا .

- ٢٧ -

انطلقت هذه الجماعات من جيش صلاح الدين تذرع أرجاء الاقليم كله : قاصيه ودانيه ، ملحقه الضرر للجسيم بمن أرادوا

الوصول الى جيشنا ، وادى استيلاء الفرع عليهم الى فقدان الجرافة على الاقتراب من المعسكر المسيحى ، سواء اكان ذلك لمساعدتنا أو للمتاجرة مما أدى الى سرعة انتشار المجاعة فى صفوف العسكر الذين دفعتهم الرغبة فى الزحف على العدو الى أن يتقدموا من غير حثاء يحملونه أو ائثال يأخذونها معهم ، مؤملين أن تنجلي الأمور فى حدى يرمين أو ثلاثة على الأكثر ، وقامى السائرون على أقدامهم أمر العذاب لاسيما من كان منهم من أهل الساحل الذين بعثوا فى استدعائهم فى لحظتهم هذه وهم البيازنة والجنوية والبنادقة والمبارديون ، فقد بارح هؤلاء سفنهم ، وتخلوا عما كانوا أخذين انفسهم به من الاعداد للابحار (اذ كان الوقت اذ ذاك منتصف اكتوبر وقد أصبح ابحارهم قاب قوسين أو أدنى) ومن ثم فقد انضموا الى قواتنا هم والحجاج الذين كانوا قد تعاقبوا معهم على العودة بهم الى اوطانهم ، ولم يكونوا قد استبضعوا شيئا من الطعام ايا كان هذا الطعام ، وكانوا أعجز ما يكونون عن أن يحملوا معهم أسلحتهم لأن المعسكر كان يبعد عن البحر قرابة عشرين ميلا .

لذلك أرسلوا المبعوثين الى المدن المجاورة يلتمسون من المسؤولين فيها أن يزودهم بالثبونة على جناح السرعة ، فاستجاب القوم فى الحال للأوامر الملكية وانصاعوا لها مظهرين الحماسة والاهتمام ، وبعثوا الى المعسكر من غير توان كل ما أمكنهم جمعه من الأطعمة ، وقد وصل الجانب الأكبر من هذه الأشياء سليما الى نهاية الشوط ، ووجد القوم بين أيديهم امدادات كافية لمواجهة هذا الحادث الطارئ ، غير أن فريقا من هؤلاء الذين كانوا يحملون كميات كبيرة من المأكلا لم يأخذوا ما يجب عليهم من الحذر فسقطوا فى يد العدو لأن الترك كانوا هم أيضا خماصا جياعا . ولقد نهض بعض غرساننا اذ أرسلناهم لحراسة الجماعات التى كانت تقوم بأحضار الامدادات من الطعام ، فأما الذين قابلوهم فلم يجدوا عونا

وسقطوا في يد الأعداء وراحوا ما بين قتيل جندله السيف ، أو أسير عاش عبدا في خدمة العدو ما شاء الله له أن يعيش .

إذا كانت خطايانا في هذا الوقت قد أغضبت الرب حتى جازانا بما نحن أهل له فقد كان من الممكن أن يتحول بأس الترك بسهولة إلى ما فيه دمارهم ، فقد جعلتهم عجزتهم التي لا تفكر حثار السميرية ، ولم يحدث قط في أي مكان من الأمكنة أن احتشدت مثل هذه الأعداء الكبيرة من الفرسان والمشاة من جميع أنحاء المشرق ، ولا يذكر الشيوخ أصحاب السن الذين تقدم بهم العمر كثيرا أن انضم مثل هذه القوات بعضها إلى بعض وكانوا على مثل هذه الصورة من التجهيزات وكلهم من صسقع واحد فقد بلغ عدد الصليبيين ألفا وثلاثمائة فارس، كما قيل أن مشاتهم المجهزين أحسن جهاز كانوا يزيدون على عشرة آلاف جندي ، يضاف إلى ذلك أن هذا الجيش كان بقيادة جماعة من أكبر القواد والمهم ممن تميزوا عن سواهم بكفاءتهم الحربية العالية ، منهم ريموند كونت طرابلس ، وهنري دوق اللوفان وهو قائد ذو مرتبة عالية من مملكة التوتون ، ورالف دي موليون « وكان من مقاتلي أكويتانيا المشهورين - هذا بالإضافة إلى أنه كان في سلك هذا الجيش من بارونات المملكة » جي كونت يافا « و « أرتا » صاحب المنطقة الواقعة فيما وراء الأردن وكان من قبل أميراً لأنطاكية ، وبلدوين صاحب الرحلة ، وأخو دبلان النابلسي ، وريغو الصيداوي ، ولتر صاحب قيصرية ، وجوسلين سنكال الملك .

ولقد عرف هؤلاء من الأخبار التي وصلتهم أن أعداءنا ركبوا متن الشطط والغرور إذ عبروا الأردن واحتلوا أراضيها ، غير أننا جاوزنا على أذاننا إذ تنازع نبلاؤنا أحرهم فيما بينهم ، مما ترتب عليه اهتالهم الشديد وتراخيهم البالغ في أمور النبوة التي كانت

تتطلب أقصى درجات الالتفات والرعاية ، كما أنهم عالجوا هذه الأمور معالجة تتطوى على ما فيه الضرر ببناء أن الذين كانوا معقبرين انهم أقدر الجميع على معالجة المرقف الحرج علجا مرضيا رقصوا المشاركة فى العمل بسبب كراهيتهم لكونت ياغا (جى دى لوزنيان) الذى كان الملك (بلدوين الرابع) قد عهد اليه قبل يومين فقط من هذه الأحداث بإدارة دفة أمور المملكة ، وكان من أسباب سسلبيتهم أنهم اعتقدوا اعتقادا جازما أن أعظم الأمور أهمية قد وضعت فى هذا الوقت العصيب فى يد رجل ساقط الجاه ، وانسان ثاغه حقير الشأن ، مما أفضى الى نفاد صبرهم فأسلمهم هذا الى التراخى مما ساعد العدو على البقاء ثمانية أيام سويا نصب خلالها خيامه فى إحدى النواحي القريبة من معسكرنا ، مما أتاح له الفرصة للعيث بالافساد فى المنطقة كلها دون أن يجد رادعا يردعه أو عقاوما يصدده .

أما البسطاء من العامة الذين كانوا فى الجيش والذين لم يسمِعوا حج القادة المسيحيين فى نذالتهم فقد استولت الدهشة عليهم اذ عجبوا كيف يحجم الجيش (الصليبي) - وزمام الفرصة فى يده عن قتال الخصم ولم يستعد ما لأى معركة . فلما تناقشوا علانية فى الأمر كانت الحجة التى أحتج بها القادة عندهم فى هذا التأخير هى أن صلاح الدين قائد قوات العدو كان قد اتخذ له موقعا حصينا تحوطه الصخور ، وأنه كان من المستحيل على عسكرنا أن يقترب منه دون التعرض للخطر الفادح . أضف الى ذلك أنه حشد جموعا كثيفة قوية من الجند وجعلهم على شكل دائرة وأمرهم بالاغارة على قواتنا عن كل ناحية اذا ما حاولنا محاربة جيشه .

وقال البعض ان هذا كان هو الواقع الحق ، وأن القادة كانوا على صواب فيما فعلوا فى موقفهم هذا ، على حين عارضهم غيرهم مؤكدين أن كل ما قيل ان هو الا زعم خاطيء وحيلة ابتدعوها لتجنب

الاشتباك في القتال حتى لا ينسب انتصار جيوشنا - ان هي احزرت
النصر - الى الكونت (جى دى لوزنيان) الذى لابد وأن تدور المعركة
تحت قيادته فيجنى هو ثمار النصر .

ولقد رأيت أن أورد هذه المصحح المختلفة في تفسيراتها والتي
صرح بها الناس ، ولكنى غير واثق تمام الثقة من أى منها ، إذ لم
يتضح عندى الخبر اليقين ، لكن الذى لا مشاحة فيه هو أن العدو
ظل في أرضنا في ضواحي الأردن سبعة أيام أو ثمانية ملحقا كل
يوم خطرا كبيرا بجيشنا دون أن يردعه أحد .

فلما كان اليوم الثامن - أو على الأصح التاسع - استدعى
صلاح الدين قواته وعاد بهم الى ديارهم سالمين لم يصيبهم أدنى أذى
ولما تأكد المسيحيون تأكدا لا يرقى اليه الشك أنه غير عائد ارتدوا هم
ايضا الى ذنب « الصفرية » .

على أن حادثا معيننا يستحق التسجيل وقع أثناء الوقت الذى
كان جيشنا خلاله واقفا عند ذنب « قوبانيا » فقد كان الظن حتى هذه
اللحظة أن هذه المياه والروافد الخارجة عنها لا تحتوى على شيء
قط من السمك ، أو على الأقل إلا القليل جدا منه ، لكن يقال ان
الصليبيين جاءوا بكميات وفيرة منه تكفى الجيش بأجمعه ، وذلك
أثناء وجودهم في تلك النواحي .

... ٢٨ -

على أن الأمور جرت كما توقع المسيحيون تماما فلما انصرم
شهر واحد على تلك الأحداث حتى كان صلاح الدين قد أعد قواته
واستعد للحرب ، واستدعى ثانية عسكريه وحشد كتائبه ، وحرك آلاته،
وأعد أجهزة المأوفا التي يستعملها في عمليات الحصار اعدادا
دقيقا ، فلما فرغ من ذلك كله على أحسن وجه عبر « ياسان » وجلعاد

واجتاز أرض العموريين والمؤابيين الواقعة وراء الأردن ، وتأهب لحصار المدينة التي كانت تسمى قديما بالبتراء الصمراوية ولكننا نعرف الآن بالكرك .

هاكاد كشافاة « أرناط » (رينو دى شاتيون) يوافونه بنذا الخبر حتى بادر فخرج الى هناك بطائفة من الفرسان كانوا عن الكثرة بالقدر الذى يضمن حماية السكان ، فقد كان (رينو) قائما وقتذاك بدراسة هذه النواحي باعتبارها ملكا لزوجته بالوراثة شرعا .

كذلك كانت له الى جانب ذلك مصالح فى الكرك فقد كان همفرى الثالث بن همفرى الثانى وحفيد همفرى الكبير صاحب « شقيف تورون » وتكونستابل الملك ورييب أرناط . أقول ان همفرى (الثالث) هذا كان على وشك الاقتران بأخت الملك الصغرى التي كانت مخطوبة له قبل ذلك بأربع سنوات .

وحدث بعد وصول « رينو دى شاتيون » الى الكرك عقب انتهاء أيام الاحتفال بالزواج ، او فى الواقع فى آخر يوم منيا ، أقول حدث أن ظهر صلاح الدين أمام ذلك المكان على رأس جيش كبير جدا ومعه اثقال ضخمة من العدد وآلات الرمي التي نستعملها عادة فى الاغارة على المدن المحاصرة . وسرعان ما نصب صلاح الدين معسكره على شكل دائرة أحدقت بالقلعة وبدأ الحصار .

كانت مدينة البتراء تقع قديما هنا على قمة جبل شاهق الارتفاع تحوطه الوديان العميقة ، ولقد بقيت أجيالا طويلة وهى أطلال مهجورة ثم جاء فولك ثالث ملوك اللاتين فى الشرق فشيّد فى هذه البقعة قلعة على يد واحد اسمه « باجانوس » الساقى كان صاحب أرض واقعة وراء الأردن ، وقد بناها على نفس الجبل الذى كانت تقوم عليه من قبل مدينة البتراء ، ولكن على سفح أقل انحدارا ، وان كان ينتهى

فى اندحاره حتى يبلغ الرادى المستحدث ، فلما جاء غليقتا « باجانوس » وهما « موريس » ابن أخيه وفيليب المذابسى حذرا خندقا حولها ، وأقاما عددا من الأبراج ليجمعلا من هذه القلعة عكنا امتنع من عقاب الجو على من ينتشى اقتحامه ، ثم نعت على أطرافها وفى موضع المدينة المدرسة قرية نزاها الناس وأقاموا بها مساكن لهم باعتبار الناحية مكانا حصينا أمينا الى حد ما ، وكنت القلعة قائمة فى الناحية الشرقية . أما فى النواحي الأخرى فثم الجبل تحوطه وديان سحيقة ، وهكذا فإن السكان كانوا لا يحسبون خوفا طالما أن للقرية سوراذا ارتفاع مناسب ، ولم يكن فى الامكان الوصول الى قمة الجبل الا من جهتين فقط . كما كان الدفاع عنها أمرا ميسورا حتى ولو كان المدافعون عنها قلة والمهاجمون كثرة ، كما كان من المفروض أن النواحي الأخرى يستحيل اقتحامها .

ولما عرف الأمير « أرناط » أن العدو قد جاء اندفع انذوفا راه من لهم خبرة بأصول الدفاع أنه ينطوى على الطيش فقد نهى الناس الذين يريدون حمل بضائعهم الى داخل الحصن والتماس السلامة لأنفسهم به عن أن ينجروا دورهم أو يفكروا فى نقل أى شىء مما يملكون ولو كان تافها .

فى هذه الأثناء كانت فصائل الفرسان والمشاة تجاهد جهادا عنيفا فى محاولة يائسة منها لسد الطريق فى وجه العدو الى ما فوق الجبل ، ولكن كثرة عسكر الخصم كانت أقوى منهم بصورة ألزمت الذين يحاولون قطع الطريق عليه أن يلوذوا بأذيال الفرار ، وبهذا تمكنت قوات صلاح الدين من الاستيلاء على الجبل كما استعادت أن تشق طريقا لنفسها بحد السيف ، وهكذا نجح العدو نجاحا كبيرا فى أن يجد سبيله قدما الى القلعة ، ولقد كان من الميسر جدا على أولئك الأتراك الذين كانوا أقرب ما يكونون الى القلعة أن يبيئوا

لرفاقهم مدخلا فوق الجسر وعبر الباب المجاور له لولا الحزم الصادق الذى أبداه نارس اسمه « ايفين » ، ولقد خسر الأهالى التعساء بضائعهم ومتاعهم بسبب خطط هؤلاء (أرناط) الطائشة مما أدى الى استيلاء العدو على كل ممتلكاتهم المذلية وأثاثهم وأمتعتهم التى كانت من كل صنف . ومما زاد فى شقتهم أن الذين فروا الى القلعة فزعوا من غائلة صلاح الدين حطعوا الجسر بسبب تهورهم وتزاحمهم ، وكان هذا الجسر هو الممر الوحيد عبر الخندق ، فلما انهار بسببهم لم يعد فى استطاعة من بداخل القلعة الخروج منها كما استحال دخول أحد اليهم .

واحتشدت فى القلعة جموع غفيرة ممن لا حول لهم ولا قوة وكانوا من كل جنس : ذكورا واناثا ، فكانوا عبئا ثقيلا على المحصورين فيها أكثر من أن يكونوا عوناً لهم . وكان هناك كثير من الممثلين والناغمين فى المزامير والعازفين على المسنابير الذين توافدت جموعهم الى هناك من شتى أنحاء البلاد للمشاركة فى احتفالات الزواج ، ولكن خابت آمالهم جميعا خيبة محرقة ، إذ بدلا مما كانوا يترقبونه من الربح والمرح البهيج اذا بهم يصادفون معارك تسيل فيها الدماء وهى أبعد ما تكون عن حرثهم التى ألفوها واعتادوا عليها .

وبالإضافة الى هؤلاء فقد كانت هناك جماعات كبيرة من السريان الذين يسكنون الاقليم المجاور وغدوا بنسائهم وأطفالهم ، فغص المكان بهم وضاق على سمته حتى لم يعد فيه حوض لقدم ، ولم يعد أحد يستطيع التقدم أو التأخر بسبب الجوع الكثيفة ، وهكذا أصبح هؤلاء القوم عقبة وصاروا سدا فى وجه كل ذى نشاط يبتغى الدفاع عن المكان .

وكانت القلعة زاخرة بالأطعمة رغم أن تزويدها بالسلاح لم يكن بالموفرة التى يستلزمها الدفاع عن الناحية .

أيقن الملك (بلدوين الرابع) عن سير الأمور على هذه الصورة عند مياه « توباندا » أن كرونت يافا (الذى قلنا عن قبل أن مقاليد الأمور قد حشرت فى يده) (وهى جى دى لورنيان) قد كشف اللثام عن أنه رجل أبعد ما يكون عن الفطنة والسداد ، فقد تدهورت حال البلد الى درك مهين بسبب ما طبع عليه من الحمق وعدم الكفاءة ، فأشار أهل الحكمة على الملك حينذاك أن يسترد من الأمور ما كان قد عهد به اليه فاسترده .

ويقال ان هناك دواعى خاصة أخرى حملته على اتخاذ هذا الاجراء ، منها ما ذكرناه حالا . من أن الملك - حين ألقى أزمة الحكم الى جى - كان قد استبقى لمصاريفه الخاصة مدينة القدس مع دخل سنوى له يقدر بعشرة آلاف قطعة ذهبية ، الا أنه رجع عما كان منه بناء على نصيحة مستشاريه الصادقين ، ورغب أن يستبدل القدس بصور على نفس الشروط لأن الثانية كانت أحسن مدن المملكة ، كما رآها أنسب لمقتضيات حاجاته ، فلما تبين له أن الكونت غير راض عن هذا الطلب تغير خاطره عليه تغيرا كلياً .

لقد كان من الحق حرمان هذا الرجل « جى دى لورنيان » من التصرف فى الشؤون العليا بعد أن أقام الدليل على أنه يأبى أن يكون أريحياً فى أمر تافه كهذا الأمر يطلبه منه الرجل الذى هو صاحب الفضل عليه والذى كان سمحاً معه حتى خوله التصرف فى كل شيء وهكذا أضاع « جى دى لورنيان » من يده ما يتمتع به وحده من حق تصرف أمور المملكة ، كما أنه قضى على نفسه بأن يحرم من شرف ادارة المملكة ، بل لقد ضاع رجاءه فى ارتقاء العرش ولم يعد له أى أمل فيه ، وعن ثم اتفق رأى كل الأمراء والبارونات - وعلى

رأسهم برهيموند أمير أنطاكية ، وريموند كونت طرابلس ، وريتو الصيداوى وبلدوين صاحب الرملة وأخيه بليان - على أن يسوق العرش الى بلدوين (الصغير ابن أخت الملك) ، وزكت هذا الاقتراح الملكة الأم تزكية قوية ، وكان الصغير بلدوين طفلا فى الخامسة من عمره فمسحوه بالزيت المقدس وتوج فى كنيسة القيامة ، وصادق الناس كلهم على هذا القرار ، وقعت الموافقة عليه بحضور رجال الدين ، كما كان كونت يافا (جى دى لوزيان) حاضرا هو الآخر هذا الاجتماع ، لكنه لاذ بالصمت ولم يجرؤ على أن ينبس ببنت شفة ضده .

وبادر الكونتات فى الحال من غير إبطاء فاقسموا يمين الولاء للصبرى بالصورة المألوفة ، مبدئين له مظاهر الاجلال والتعظيم اللائقة بصاحب الجلالة الملكية ، وكان كونت يافا هو الشخص الوحيد الذى لم يطلب أحد منه أن يأخذ يمين التبعية والولاء ، وكانت هذه الحقيقة فى نظر أصحاب الخبرة الطويلة برهانا قاطعا على عداوة عميقة ، أو بلفظ أدق تشير الى كراهية صريحة مما سيتضح أكثر فأكثر ، وستكشف عنه الأيام القادمة .

ولقد تعددت آراء أصحاب العقل الراجح فى شأن ما طرأ من تغيير جسيم فى الدولة وتضاربت هذه الآراء ، فقال بعضهم أن ليس من جدوى تعود على الملكة بالخير من رفع صبرى كهذا الصبرى الى مرتبة العرش ، وليس فى ذلك من فائدة تعود على الصالح العام ، فقد كان الملكان (بلدوين الرابع وبلدوين الخامس) عاجزين تماما ، فاما أحدهما (وهو بلدوين الرابع) فطويح ألفراش يعانى المرض الذى يقعده ، وأما الآخر (وهو بلدوين ابن أخته) فطفل غض الحداثة ، وعن ثم فلا جدوى تترجى من الاثنين معا ، وقالوا أنه من الخير اتباع نصيحة أصحاب الحجا من رجال الملكة ، التى

قنادى بأن يعهد بالمهمة الملكية وإدارة دفة شئون الدولة الى رجل
يكون قادرا على العرب ان كان ثمت حرب ، وترتجى مشورته ان
احتاج الموقف الى المشورة الناجعة .

وشعر آخرون أنه حتى اذا كان القرار الذى اتخذ حيال الطفل
قليل الجدوى الا أنه قد يكون مقيدا للدولة من ناحية أخرى ، لأنه
قرار يبدد كل ما قد يكون عند كونت يافا (جى دى لورنزيان) من أمل
يرأوده فى أن يؤول التاج اليه . ولما كان جميع الأحرار قد أجمعوا
الرأى على أن كونت يافا هذا رجل قاعد الهمة غير أهل لتصرف
الأمر ، الى جانب تطلعه الشره الى الحكم فإنه قد يصبح مصدر
مذازعات فى المستقبل ومثار فتنة طخياء يخشى استفحالها بعد موت
الموت ، وأن الخير كل الخير انما يكون فى استئصال ذلك كله الآن .

ولقد سيطرت على نفوس الجميع فكرة واحدة هى وجوب
تعيين رضى يوكل اليه تسيير دفة أعمال الدولة لاسيما قيادة الجيوش
لقتال العدو الذى أصبح الآن يبدد الملركة أكثر من ذى قبل ،
واتفقت المشاعر كلها على أن كونت طرابلس - ولا أحد سواه - هو
أقدر الجميع على تحمل هذه المسئولية والنهوض بها نهوضا يضمن
لها النجاح .

وقد تم هذا فى اليوم العشرين من نوفمبر سنة ١١٨٣ من ميلاد
المسيح .

- ٣٠ -

بينما كانت هذه الأحداث تجرى فى بيت المقدس كان صلاح
الدين يشدد الحناق على المدينة المحاصرة تشديدا يتسم بالعنف
والاصرار اللذين لا يعرفان التراخى ، ذلك أن مثابرتة الملحة على

التضييق عليها ومضايقتها لم تدع للمحصورين فى داخلها لحظة يلتقطون فيها أنفاسهم ، فقد أمر ببناء ثمانى آلات للرعى : تنصب ست حنبا فى الداخل حيث تقوم المدينة القديمة ، أما الاثنتان البائيتان فتنصبان خارجها فى المكان المعروف عادة باسم فورييليه واستمر الهجوم علينا مرصولا بالليل والنهار من غير أى كلال ، كذلك لم ينقطع الرعى بالأحجار الكبيرة الحجم ، حتى لم يجد أحد من الذين فى داخل المدينة يتأذى على أن يرفع يده أو يطل من نافذة بيته أو يحاول المقاومة بأى شكل من الأشكال ، واستولى الذعر واليأس على الأهالى التمساء استيلاء بلغ بهم حدا لم يعودوا معه يجرؤون على الظهور حتى لحظة أن أخذ الأعداء يقتلون بالحبال ويقتلون بلا رادع الحيوانات التى كان اللاجئون قد جاءوا بها معهم ووضعوها فى الخندق المحيط بالقلعة . ولما لم يجد الترك من يصدهم أو يدفع خطرهم فقد شرعوا فى تقطيع الذبائح أوصالا كبيرة واعدادها للطلعام .

أما من كانوا فى جيش العدو من الطباقين والخبازين والذين يمدون الأسواق بشتى السلع فقد أخذوا من بيوت الأهالى أماكن يمارسون فيها حرفهم وهم آمنون مطمئنون ، وكانت هذه الدور عامرة بالحفظة والشعير والذبيذ والزيت وغيرها مما اغتصبه العدو عنوة رغم أنف أصحابها ثم حصى يتصرف فيها كيف شاء .

وحدث فى إحدى المرات أن حاول المحصورون فى القلعة نصب آلة حربية لهم يصيبون بها خصمهم ، فلم يكن من خصمهم هذا إلا أن كلف رجاله القائمين فى الخارج على حراسة الآلات بتسديد القذائف الحجرية فقتلوا بها عبارة قائقة حملت المسيحيين على الكف عن محاولتهم هذه فقد توالى القذائف عليهم تصيبهم من شتى النواحي حتى باتوا مجذيين من كل جانب فى كل حجر يقدفون به ، وعين ذلك لم يعد أمامهم إلا التمسك بحبال الصبر حيال ما يرميهم به القدر ، فالصبر أجدى عليهم من أن يعرضوا أنفسهم للهلاك ، وأنفع لهم من أن يلقوا بأنفسهم

وبأيديهم الى التهلكة إن هم حاولوا الدفاع عن أنفسهم بأى وسيلة من الوسائل .

لم تقتصر هذه الأخطار التى ملأت النفوس رعبا على من انسلوا من مخابئهم الخفية بل تعداهم الى من كانوا قد لاذوا بالدور القاصية المنعزلة ، فقد اضطربوا هم ايضا هلعا أمام أصوات القذائف التى كان صداها يبدو وكأنه الرعد القاصف ، وخشوا أن تسقط عليهم الدور التى هم فيها فيهلكون تحت انقاضها ، فقد كانوا يتوقعون الموت بين لحظة وأخرى وربما من رمية تصيبهم فتوديهم .

فى هذا الوقت بالذات كان الملك (بلديون الرابع) يبذل أقصى جهده لتدبير أى وسيلة لمساعدتهم ويحاول ارسال الغوث المنشود اليهم بأسرع ما يمكن ، لذلك استدعى اليه جميع قوات المملكة من شتى الأرجاء ، وأخذ الصليب الحى وزحف بنفسه ، حتى اذا بلغ بحر الملح الذى يسمى الآن ببحيرة الاسفلت أخذ يتشاور مع رجاله مشاورات طويلة أفضت به الى أن يعهد الى كونت طرابلس بقيادة الجيش العامة وجعل فى يده لواءه .

فلما جاءت عيون صلاح الدين اليه يخبرونه بأن الجيش المسيحى أصبح قريبا منه كل القرب ، وأن قيادة الكتائب آلت الى (ريموند) كونت طرابلس ترك آلاته وأمر رجاله بالانسحاب ورفع الحصار عن المكان ، وعاد الى دياره بعد أن أذاق المدينة الزكسال شجرا بأكمله .

على أن ذلك الحذل من جانب صلاح الدين لم يصرف الملك عن الاستمرار فى زحفه الى الكرك التى تنفس أهلها الصعداء فرحا بقدومه ، فقد كانوا يتطلعون اليه منذ أمد بعيد عاقدين الأمل على أن ينقذهم مما هم فيه ، ثم لما أذن فى النفير بالرحيل أعاد تجميع قواته ورجع سالما الى بيت المقدس .

هنا ينتهى الكتاب الثانى والعشرون

حواشي الكتاب الثاني والعشرين

(١) الملقب بالكبيرين هذا أمير أنطاكية وكونت طرابلس .

(٢) الواقع أن الملك بلدوين كان شديد المعارضة لزواج أخته سيبيللا من « جى دى لوزنيان » ولكنه وقع تحت ضغط شديد حارسه البطريرك هرقل والملكة الأم وسيبيللا التي وصفوا لها من قبل « جى » وحفا اثار شوقها اليه فلما استقدموه اليها من فرنسا أحبته حبا شديدا ، وإن لم يكن فيه ما يحصل الرجال على احترامه ، واضطر الملك ثعت الضغط الشديد عليه الى قبوله زوجا لأخته واقطعه يافا وعسقلان ، ولما اشتدت العلة ببلدوين حتى كادت يدها ورجلاه أن تفقد الحركة ألحت الملكة الزائدة وسيبيللا والبطريرك هرقل على بلدوين أن يجعل ل« جى دى لوزنيان » الاشراف الكلى على المطكة فقبل العرض على كره من كبار رجال مملكته واحتفظ لنفسه بالقدس مع معاش قدره عشرة آلاف بيزنت . ثم رأى الملك أن يستبدل مدينة صور بالقدس فرد « جى » طلبه ردا عينا مما حمل الملك على خلعها من الاشراف على الملكة والايحاء الى أخته « سيبيللا » بفراق زوجها فارتد « جى » الى يافا وعسقلان وخلع طاعته للمتاج مما حمل بلدوين على أن يعطى سلطانه على يافا فتحداه « جى » فى عسقلان بل لقد انضم الى جانبه البطريرك وكبيرا فرسان الداوية والاستبارية وبعض من كبار الرجال ، ثم تباطؤوا فى الاستجابة الى الملك بالمضى الى الغرب لاحت على حرب صليبية . وسار « جى » حينذاك سيرة

عوجاء كلها تحد للملك معا سوف يشير اليه المؤلف ، وقد حل ذلك كله الملك على استدعاء ريموند كزنت طرابلس ليضع عقايد الأنور في يده . ولقد سقنا هذه الاخبار مرة واحدة وحى وغيرها متناثرة في صفحات الكتاب وبعضها أسقطه المؤلف وقد جمعناها مع بعضها حتى يكون من اليسير على القارئ فهم الأحداث .

(٣) « حرقية » (بكسر التاء وتشديد الياء المثناة والمفتوحة) قلعة - كما قال ياقوت - من القلاع الحربية على أطراف حصن . انظر في تاريخها عند الفتح الاسلامي

Le-Strange : Palestine Under The Moslems, P. 502.

(٤) هو الطفل « الكسيوس » الثانى (١١٨٠ - ١١٨٢ م) ابن مانويل من الامبراطورة مارية الأنطاكية ، وقد انتهى عهده اسوأ نهاية بسبب عوامل مختلفة منها كراتية الشعب البيزنطى للاثين ، وسوء تصرف الأم الامبراطورة الزهنية ووقوعها العوبة فى يد مستبد طاغية .

(٥) سبقت الاشارة الى ايرين هذه التى كانت تسمى فى الأصل « برتا سولزباخ » ، وقد ذكرها المؤلف فى الجزء الثالث من هذا الكتاب ، وكانت « برتا » هذه أخت زوجة الامبراطور كونراد الثالث ومن هنا كان زواج مانويل عنها سياسيا ، انظر تفصيل ذلك فى :

Ch Diehl : Figures Byzantines, PP. 170 — 190.

(٦) تشير كلمة « حاليا » هنا الى أن المؤلف كتب هذا قبل سنة ١١٨٢ م وهى السنة التى انتهى فيها حكم الكسيوس الثانى الطفل بمثلته ، كما أن المؤلف وليم الصوري مات قبل نهاية سنة ١١٨٤ م ، انظر مقدمة الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٧) الوارد فى الأصل الذى كتبه وليم « خمسون عاما » والصحيح « اثنتاه بالمتن حيث ظل على العرش من ١١٢٧ م حتى ١١٨٠ م » وهو صاحب خبر ملويل فى الحرب الصليبية الثانية .

(٨) ورود ضمير المتكلم فى كلمة « تمت » اشارة عامة الى أن المؤلف كان يقوم بوظيفة مستشار للملك مما يتيح له أن يملأ أو يشترك اشتراكا كبيرا فى وضع نصوص الاتفاقية لما له من الصلاحيات الكبرى . وتعلق الترجمة الانجليزية على الخبر الوارد فى المتن اعلاه بأن وليم كان لا يزال

حتى هذه اللحظة يقوم بتهامه الرسمية رشح « ما كان يخص به الدلائل يومذاك
عن طائفة كبيرة العدد تعارضه وكان لها نفوذ عظيم » .

(٩) الواقع ان وفاة مانويل الاول كانت يوم ٢٤ سبتمبر ١١٨٠ م .

(١٠) خير بوهيوند الثالث مع كل من تيودورا وسيبيلا مثل صريح
للتفكك الأخلاقي الذي كان مستشرياً في طبقات المجتمع الصليبي العليا ،
وقد تزوج من تيودورا (إحدى قريبات الأسرة الحاكمة) ثم هجرها وعاش
عيشة تنكرها الأخلاق مع « سيبيلا » التي كانت تحوطها الإشاعات وتزعم
بممارسة السحر ويقيمها الأنطاكيون بالتبسس لصالح الدين ، وقد حصلت
كل هذه الأمور البطرك على طردها من حضان الكنيسة وإصدار قرار الحرمان
ضدها ، ويمكن مراجعة ذلك في ابن الأثير وأبى شامة ، وانظر أيضاً :
Rey : Hist. des Princes d'Antioch (Pol.) 1936, II, P. 379 et fol.

(١١) يقصد ببناء جوسلين خال الملك وبلدوين صاحب الرملة .

(١٢) اشار وليم اشارة موجزة الى هذا الدور .

(١٣) الأمثال ١٨/٣ .

(١٤) المزامير ٥/٥٨ .

(١٥) ذلك هو حصن المرقب المعروف في الحوليات للصليبية باسم :

Castrum Merghatani أو حصن Margal وقد وصفه ياقوت
بأنه يطل على بحر الشام ويقرم بالحفاظ على مدينة بانياس وساحل جبلة ،
ولقد شيده المسلمون سنة ٤٥٤ هـ (= ١٠٦٢ م) .

(١٦) حتى ٢٥/١٢ .

(١٧) مزامير ١٦/١٤٧ .

(١٨) المقصود بالملكة هنا عارة أنطاكية .

(١٩) هو روبين الثالث (١١٧٥ - ١١٨٥ م) صاحب أرمينية الدغرى
التي ناسبت في جبال طوروس قبل ذلك بقرن عن الزمان تقريباً أعني سنة
١٠٧١م على يد روبين الأول انظر في ذلك ما جاء في .
Adontz (N) : L'Age et l'origine de l'Empereur Basil I.

ثم استولى خلقه على معظم حصون كيليكية الهامة بالتعاون مع الصليبيين ولقد كان روبين الثالث حريصا في فترة ما من تاريخه على تأكيد علاقاته الودية بالفرنجة ، فزار القدس حاجا سنة ١١٨١م كما تزوج السيدة «إيزابيلا» صاحبة تورون . أما في اللحظة التي يتكلم عنها ولیم حين أصبحت «سبييلا» أميرة مكان الأخيرة الشرعية تيردورا في أنطاكية فقد فر كثير عن كبار الفرنجة الى روبين الثالث كما في المتن .

(٢٠) أى كنيسة صور .

(٢١) كان الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين قد يبيع بالحكم بعد موت أبيه وكان صغيرا لم يبلغ الحلم وأطاعه صلاح الدين ، ثم كانت وفاته سنة ٥٧٧ هـ ، وعلى الرغم من موته المبكر إلا أنه كان كأييه الشهيد محمود قائما في خدمة المصالح الدينية فقد أوقف في سنة ٥٦٧ هـ وقفا على مسجد بزازة ، انظر النحيسى : الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق جعفر الحسنى ١١٥/١ ، و Elisseeff : Nour ad-din I, P. 171 note 3.

(٢٢) كانت آخر زيارة قام بها كونت طرابلس هي التي جرت في عهد فصح ١١٨٠م كما اشار الى ذلك ولیم نفسه من قبل .

(٢٣) متى ٢٥/١٢ .

(٢٤) يقصد بالمرجل العظيم ريموند كونت طرابلس .

(٢٥) مزامير ١٤/٧ .

(٢٦) تعددت الاشارة اليه هنا فارجع الى الكشف .

(٢٧) متى ١٨/١٦ .

Diehl : Figures Byzantines P. 195 et seq. (٢٨)

(٢٩) لفهم الأحداث المعقدة المتضاربة التي جرت في هذه الفترة القصيرة وإزالة ما يبدو من غموض في تعاقب الأحداث فانا نحيل القارئ الى Ostrogorsky, op. cit. ففيه في أماكن متناثرة ما يوضح هذه الأمور .

(٣٠) زيادة عما ورد من قبل عن بيتشيفيا انظر الملحق في ختام هذا الجزء ،

(٢١) ضمير المتكلم هنا عائد على « اللاتين » الذين كانوا يعيشون في القسطنطينية إبان هذه الحقبة عام ١١٨٢ م . ويلاحظ أن وليم لم ينس أصله اللاتيني فكان كلامه عنهم باعتبارهم واحدا منهم يأسى على ما يصيبهم من ضرر .

(٢٢) كان دخوله العاصمة أيذاña بأحور عدة أولها توقع ضربة قاصمة للغزو الغربي اللاتيني وانهيار الأسرة البيزنطية الشرعية بل والتمهيد لسقوط الامبراطورية البيزنطية ذاتها على يد الحملة الصليبية الرابعة وقيام المملكة اللاتينية التي كانت انتقاما في الواقع لهذه الأحداث . ولقد انتقلت حقاليـد الأسور في اللحظة التي يتكلم عنها وليم في المتن الى يد المفتـصـب « أندرونيكوس » وأن تظاهر أنه جاء لحماية الامبراطور الطفل ، ولم يعد هذا المفتـصـب الوسيلة التي يدفع بها كبار رجال الدولة والكنيسة للسلطانة بتتويجه شريكا للامبراطور الطفل الذي حاليث أن اغتيل بعد شهرين من هذا الحادث والى بجسده في البحر وإن ذلك تزوج « أندرونيكوس » الذي كان في الخامسة والخمسين من عمره من خطيبة الطفل المقتول Agnes Anna ابنة لويس السابع وكانت في الثالثة عشرة من عمرها . لكن يذكر لهذا المفتـصـب أنه منع بيع الوظائف ومنع الرشوة بزيادة المرفقات واشتد ضد جامعى الضرائب الى غير ذلك عن الاعمال التي أدت الى نشر الأمن والطبائفة بين الشعب والفلاحين ، وقد حاول كسب ود صلاح الدين فلم يفلح ، راجع :

Brand (C.M.) The Byzantines and Saladin 1185 — 1192.

كما حاول محاولة فاشلة دفع التعويضات المالية للبنائفة . هذا الى قيام النـرمـنـديين عام ١١٨٥ م بالهجوم على بعض الأملاك البيزنطية مما كان له أثر فعال في سقوط المفتـصـب .

(٢٣) هو وادى سلفستر Sylvester في المراجع الاجنبية وقد أشار ياقوت الى أنه يقع جنوب القدس ويتجه الى الحجاز ، انظر :

Le-Strange : op. cit., P. 548 — 549.

(٢٤) أثـرنا كلمة « دبورية » ترجمة لكلمة Buxia التي استعملها وليم ، وهذا الاسم العربي وارد عند ياقوت إذ قال أنها بلدة صغيرة قرب طبرية بالأردن ، ويشير Le-Strange, op. cit. P. 427 الى أنها في Daberath الواردة في المتروية الواقعة على السفح الغربى لجبل تابور ، وانظر ما كتبناه عنها في الملحق الذى الحتناد فى نهاية هذا الجزء تحت كلمة « دبورية » .

(٢٤) وردت في الترجمة الانجليزية كلمة Syrians التي يمكن ترجمتها بالسوريين أو السريان وقد اشارت الترجمة الانجليزية (ج ٢ ، ص ٤٧١ ، حاشية رقم ٤٠) الى أن العبارة كلها تدل على أن ولیم رغم أنه كان مملوكا بفلسطين التي هي جزء من الشام إلا أنه لم يكن يعد نفسه شاميا خالصا .

(٢٦) القنود بالأخير هنا السلطان صلاح الدين .

(٢٧) حصن دكوكب ، المعروف في العوليات الحليية باسم Beauvoir وارد في ياقوت ووصفه بأنه حصن يطل على جبل طبرية ويشرف على جند الأردن ، انظر : Le-Strange : op. cit. P. 483.

(٢٨) حتى ٥٢/٢٦ .

(٢٩) الضمير هنا عائد على السلطان صلاح الدين .

(٣٠) Cf. Elisseoff : Nur ad-Din, II, PP. 438 — 439.

(٣١) Cf. Le-Strange, op. cit. PP. 425 et 492

(٣٢) فيما يتعلق ببلد الشوحى وأيوب ، انظر فيما بعد الملحق تحت كلمة « بلد » .

(٣٣) خلت نسخة ولیم اللاتينية من الاشارة الى ذكراليوم والشهر ، وهذا ما لاحظته الترجمة الانجليزية ولم نستطع التحقق عنهما .

هنا يبدأ
الكتاب الثالث والعشرون

هل في استطاعة ريموند كونت طرابلس
انقاذ بيت المقدس ؟

فصول الكتيب :

١ - التمهيد

٢ - الكراهية المتأصلة التي بين الملك (بلانوين الرابع) وكونت
يافا (جى دى لوزنيان) تنتج في شكل صراع حاد . عدم
توقع أى أمل في التفاهم بينهما . كونت طرابلس يصبح وصياً
على المملكة وحارساً على الملك .

التمهيد :

شهدت المملكة أحداثا داعية لم تكن قاصرة على كثرة وقوعها فحسب بل كادت أن تكون موصولة على الدوام يأخذ بعضها بحجز البعض الآخر بلا انقطاع . لذلك أليت أن أكسر قلبي وأن أصمت صمت القبور ، وأن أكف عن كتابة الأخبار التي كنت قد أخذت على نفسي عهدا أن أدونها حتى يطلع عليها الذراري .

وليس هناك من أحد يرضى أن يسجل أخبارا تقدح في وطنه ، كما لا يحب أن يكشف الستر عن أخطاء بنى قومه فيبرزها للعيان ، فقد أصبح الرجال يأخذون أنفسهم بطريقة صارت على مر الزمن أشبه بطبيعة ركبت فيهم هي أن يبذل الواحد منهم أقصى جهده لإبراز محاسن بلده ، ولا يحاول قط الزرابة بصن سمعة مواطنيه .

لكننا اليوم نرى أنفسنا وقد ضاع منا كل ما كان يضيء علينا مجدا مهيبا ، ولم يعد يطالعنا سوى مصائب وطن حزين ، وها مني به من النكبات الكبيرة ، وكل هذه لا تؤدى إلا إلى مزيد من البكاء وقيض عن الدعوى .

ولقد أدرجنا في الكتب السابقة من تاريخنا هذا - وبقدر ما نستطيع من الأمانة - الأعمال للنايبة التي نهض بها الرجال الأمجاد الذين كانت حقاليق السلطة في أيديهم طوال ثمانين عاما من عمر الزمان في قسمنا هذا من الشرق ، لاسيما في بيت المقدس ، أما الآن فيمتلكنا اشتمزاز ما بعده اشتمزاز من حاضرتنا ، وأن الدهشة لتبلغ ذروتها من عطلالة الأمور التي تجري أمام أبصارنا وتصدك سمعنا ، وهي أمور لا يجوز روايتها ، حتى ليستنكف جوقة المهرجين من

انشادها ، ويمتنع قصاصو حكايات « هافيروس » عن روايتها ، كما تعوزنا الشجاعة في الاستمرار في ايرادها ، ذلك أنه ليس في فعال امرأتنا شيء يراه العاقل جديرا بأن يضاف الى مخزون ذكرياتنا ، وليس هناك من شيء يرضى القارئ أو تشرف روايته الكاتب ، بل أن كل ما نستطيعه هو أن نندب مع النبي أنه قد تلاشى من بيننا قول القائل (١) : « أن التشريعة لا تبعد عن الكاهن ، ولا المشورة عن الحكيم ولا الكلمة عن النبي » ، وأنه ليمر بالخاطر قول القائل (٢) : « كما الشعب هكذا الكاهن » كذلك يمكن أن ينطبق علينا تمام الانطباق النبوءة القائلة (٣) : « كل الرأس مريض ، وكل القلب سقيم ، من أسفل القدم الى الرأس ليس فيه صحة بل جرح واحباط » ، ذلك لأننا قد وصلنا الآن الى درك لا نستطيع فيه أن نتحمل شرورنا وتعجز عن علاجها .

ولقد كان من الحق أن نعاقب على خطايانا إذ أصبح العدو يفوقنا قوة ، ويشاونا اقتدارا ، أما نحن الذين اعتدنا النصر على خصومنا ، ولا نخرج من صراعنا معه الا وعلى مفرقنا تاج الغلبة فقد غدونا الآن محرومين من العطف الالهي ، إذ نعود من ساحة القتال بعد كل معركة مجليلين بحار الهزيمة الشائنة .

وها قد آن الأوان لأن نستمسك بالمصمت فقد أصبح الزمن أكثر ملاءمة لأن نسدل سجف الظلام على هزائمنا ، فذلك خير وأجدي من أن نسلط ضوء النهار على عارنا ، ولكن على الرغم من ذلك فإن هناك بعضا من الناس يطلبون حتى أن أتابع العمل الذي كنت قد أخذت نفسي به ، وانهم ليلتمسون حتى في الحاح أن أسجل في هذا السفر - ولو من أجل الأجيال القادمة - كل شيء يتعلق بمملكة بيت المقدس سواء أكان هذا الشيء أمرا يثلج الصدر أو يكرب النفس ، ولقد أريدوا تشجيعي على هذا المسلك فضربوا لي المثل بواحد من

أنبه المؤرخين وأبرزهم وهو « تيتوس ليفياس » الذى لم يقتصر فى كتاباته على ذكر أفئصارات الرومان وحدها ، بل أشار أيضا الى هزائمهم . كما ضربوا لى المثل بيوسيفوس الذى لم يكتف فى كتبه الجامعة بذكر أيام الينورد المجيدة بل جاوزها فأشار الى ما حاق بهم من أمور مخزية .

كذلك دفعتهم حساسيتهم لحصى على الاستمرار فى هذا المؤلف لأن يسبقوا كثيرا من الأمثلة الأخرى ، وإرائى أكثر استعدادا لاستجابة هذا الرجاء ، إذ أنه من الجلى الواضح أن مؤرخى الأحداث التى غيرت قد التزموا الحياد فى إيراد ما كان من هذه الأحداث مما يؤذى النفس خبره ، وما كان منها نير الجوانب مشرقا ، ذلك لأنهم فى ذكرهم الانجازات الناجحة إنما يطمعون فى أن يبنوا الشجاعة فى نفوس الأجيال القادمة ، كما أنهم فى إيرادهم صور الهزائم التى تحملها عن نزلت بهم هذه الهزائم إنما يرجون أن يكون أبناء هذه الاجيال أكثر حذرا وحيطة حين يمرون بمثل هذه الظروف .

ان واجب المؤرخ يقتضيه ألا يقتصر على ذكر الحوادث التى ترضى عنها نفسه وتلذ له هى وحدها بل يجب أن يلزم نفسه بالزمن الذى أملى هذه الحوادث ، كما أن عائد الأمور الدنيوية – لاسيما ما كان منها متعلقا بالحروب – إنما هو عائد يعثره التغير على الدوام ، ويتسم بعدم التوقف والثبات على وجه واحد ، فما كان للنعمة أن تستمر الى الأبد ، وما كان للملأوى أن تتسم بالرتابة التى تسير على وتيرة واحدة ، بل تتخللها فترات حذيرة مشرقة .

ولقد أذعننا لما قالوا ، ورجعت عما كنت قد اعتزمته ، وسوف استمر – ما قدر الرب لى أن أعيش – فى كتابة التاريخ ، ملتزما بالدقة الثامة كما فعلت فيما سبق ، مهما تكن الصورة التى تجيء عليها الأحداث المقبلة .

واننى لأرجو من الله أن يجعل هذه الحوادث سعيدة مرفقة •

- ٢ -

لقد جرى فى هذه الأثناء ازدياد حدة الكراهية الموجودة بين الملك وبين كونت ياغا (جى دى لوزنيان) وأخذت تتفاقم يوما بعد يوم نتيجة أسباب خفية ، فقد انفجر مرجل الحقد الذى كان لايزال حتى هذه اللحظة مكتوما فى صدر الملك ، وكان انفجاره عنيفا تمثل فى أنه لم يستطع أن يكتم محاولاته فى تلمس الأسباب التى تؤدى الى انفصال أخته (سيبيل) عن زوجها وفسخ القران ، وقد دفعه هذا الهدف للذهاب علانية ومن غير استنكار الى البطرك ليطلب منه - أن أراد التلصقى من هذا الزواج - أن يحدد يوما يعلن فيه فسخ العقد فى حضور البطرك غسحا صديقا •

ولما عاد كونت ياغا من الحملة أخبروه بكل ما جرى ، وسرعان ما ترك الجيش فى لحظته ومضى الى عسقلان سالكا أقصر الطرق اليها ليدحر زوجته التى كانت إذ ذاك فى القدس ، واطلب اليها مغادرتها والذهاب الى عسقلان قبل وصول الملك خوفا عليها ان هى ظلت فى القدس أن تصبح تحت سيطرة أخيها بلدوين (الرابع) الذى لن ياتن لها بالرجوع الى زوجها جى دى لوزنيان •

أما الملك فقد بحث فى أعقاب ذلك رسولا لاستدعاء الكونت للحضور لمحاكمته وليخبره بأسباب المحاكمة ، فرفض الكونت (جى) متعللا بالمرض حتى يتجنب المثول أمام المحكمة ، وظل (الكونت جى) سادرا فى غلوائه ، رافضا الاعتقال لأمر الملك وطاعته ، وتكرر اعلائه بالحضور للمحاكمة وتكرر منه الرفض ، وإذ ذاك رأى الملك أن يذهب هو بنفسه اليه ، وأن يعلنه شخصا قما لأنن بالمجيء لمقاضاته •

ولما بلغ بلدوين مدينة عسقلان محاطا بكوكبة من كبار رجال البلاط وجد أبواب المدينة مغلقة في وجهه ، فراح يطرقها بيده وطلب ثلاث مرات فتحها له فلم يستجب أحد لطلبه ، فعاد على أعقابيه وهو يتعيز غيظا ويتلظى غضبا .

وقد جرى هذا كله على مرأى ومسمع من جميع أهل المدينة الذين عاكادوا يعلمون بوصوله حتى اتخذوا أماكنهم بالأبراج والأسوار يرقبون ماذا تكون الخاتمة .

ومضى الملك مباشرة من عسقلان الى يافا فصادف في طريقه كثيرا من سكان تلك المدينة : وكان فيهم أكبر رجالاتها وأناس من مختلف الطبقات ، وفتحت يافا له أبوابها فدخلها من غير مشقة ، وبعد أن عين عليها واليا يسير دفعة الأمور انقلت الى عكا حيث نادى بعقد مؤتمر عام في تلك المدينة ذاتها .

فلما جاء اليوم المحدد للاجتماع التأم شمل جميع البارونات ومضى البطرك - بمعاونة رئيسى الداوية والاستبائية - لمخاطبة جلالة الملك ، وركع البطرك أمامه وجثى على ركبتيه وشرع يتشفع عنده للكونت (جى دى لوزنيان) ، ويستعطف جلالته أن يطرح جانبا غضبه على الكونت وأن يعيده ليتفيا ظلال عطفه عليه . فلما لم يلق هذا الالتئاس استجابة في الحال عند الملك انصرف البطرك ومعاوناه ، وهم أشد مايكزنون حنقا ، ولم يكتفوا بخادعة البلاط فقط بل والمدينة أيضا .

وطرح اقتراح امام البارونات المجتمعين يقضى بارسال بعوثين الى ملوك بلاد ما وراء الجبال والى عن هناك من الأمراء يدعونهم للحضور لمساعدة المملكة والملة النصرانية ذاتها .

غيره الا أن البطرك (هرقل) أفسد هذا الاجتماع ، وأصر على الموضوع الهام ، وتكلم عن الحدث الذي أشرنا اليه ، ثم انفلت فغار عكا وصفا .

ولما عرف كونت يافا أن الملك لن يتنازل فيصفح عنه لج في سلوكه الطائش السالف ، واركب مزيدا من الأعمال التي اتسمت بالعنف ، وسار بمن تحت يده من العسكر شطر القلعة المسماة بقلعة «الداروم» ، ثم مضى فهاجم جماعة من الحرب كانوا قد نصبوا خيامهم في هذه الناحية التماسا للمرعى ، وكان الملك قد وعد هؤلاء الأعراب ببسط حمايته عليهم ، وأطمعهم في رعايته لهم ، فاطمأنوا الى هذا العهد كل الاطمئنان واعتمدوا عليه ، ومن ثم وجدهم كونت يافا غير مستعدين أو متاهبين لمقاومته ، فهاجمهم وساق مواشيهم وعبيدهم وعدما غنيمة باردة له ، ورجع بذلك كله الى عسقلان .

حين سمع الملك نبأ هذه الخارة استدعى اليه ثانية باروناته وعهد برعاية المملكة وإدارة شئونها العسامة الى ريموند كونت طرابلس وثوقا منه في حكمته وسمو نفسه .

ويبدو أن العامة وأغلب الأشراف تقبلوا هذا العمل من جانب الملك قبولاً حسناً وأرضى رغباتهم ، إذ كان من الواضح للجميع أن طريق السلامة الوحيدة إنما يتمثل في وضع أمور المملكة في يد كونت طرابلس .

هذا يتوقف الكتاب

هواشي الكتاب الثالث والعشرين

• (١) ارميا ١٨/١٨

• (٢) مزمع ٦/٤

• (٣) اشعيا ٥/١ - ٦

ملحق

وَضَمْنَا هَذَا الْمَلْحَقَ خَاصًا لِلتَّعْرِيفِ بِبَعْضِ
الْأَعْلَامِ وَالْأَمَاكِنِ الْجُغْرَافِيَّةِ وَتَفْسِيرِ بَعْضِ
الْأَلْفَاظِ وَالْمَصْطَلَحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْيَهُودِيَّةِ
وَالْمَسِيحِيَّةِ الْوَارِدَةِ فِي الْأَجْزَاءِ الْأَرْبَعَةِ مِنْ هَذِهِ
الْتَرْجُومَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَذَلِكَ بِغِيَةِ التَّيْسِيرِ عَلَى
الْقَارِئِ الْعَرَبِيِّ لِفَهْمِ مَا قَدْ يَبْهَمُ عَلَيْهِ مِنْهَا .

ح . ح

أبولسو

من المية الاغريق القدماء الذين تزعم أساطيرهم أن أباء هو « جوبيتر » وأمه « لاتونا » ، وأخته « ديانا » ، وأنه ولد فى ديلوس Delos وهى إحدى الجزر الصغيرة المبعثرة فى بحرايعة .

أبولونيوس

اكتفى وليم الصورى حين ذكر أبولونيوس Apollonius بالقول بأن « شجرة أعماله ذاعت وطبقت الآفاق » ، وإذا رجعنا الى التاريخ وجدنا أن هناك كثيرين من رجال الفكر والأدب أطلق عليهم هذا الاسم منهم « أبولونيوس » الذى هو من « رودس » .

كما أن هذا الاسم يطلق على مؤلف ظهر فى القرن الثالث قبل الميلاد ، ويبدو أنه هو المقصود فى متن كتابنا هذا ، ولعله منسوب الى « أبى لونيا » وهو الاسم الذى يطلق على عدة مدن بعضها كان فى « الليريا » ، والبعض الآخر فى « مقدونيا » .

أبيجايل

كانت « أبيجايل » تحت « نابال » الذى تفسميرد « الذبى » وقد تباعد عا بين الرجل وزوجته فى الخلق والخلق والطبيعة والقيم الأخلاقية، إذ

كانت هي عاقلة مدبرة حكيمة، تسوس الأمر بما يجنبها كثير من الخطأ .
أما « نابال » فكان - رغم شدة ثرائه لكثرة ما يملك من قطعان الغنم
والماعز - رجلا فظا غليظا شديدا فدما لا يعرف الرحمة ولا يحسن
معالجة المشكلات التي تعترضه ، وكانت « أביجايل » تتسم بالجمال
والفتنة مما حبيها الى نفس داود حتى صارت له فيما بعد زوجة .

وجرت عادة « نابال » أن يبعث بقطعان غنمه وماعزه مع
عبيده ترعى في أرض داود آمنة في حماد لا يخشى صاحبها عليها
هجمة الأشرار واللصوص ، فلما جز « نابال » غنمه وقت أن حان
أوان جزها بعث داود اليه يذكره بفضلته عليه « إذ أمن رجاله يوم
كانوا في حمايته ، حتى سلم هو وأهل بيته وكل ماله ، وبعث اليه
داود بكلام رقيق يقول له فيه « اعط ما وجدته يدك لمعبيدك ولابنك
داود » فأنكر « نابال » ما يريده داود ، فخرج داود في نحو أربعمئة
رجل لقتال « نابال » الذي خاف عبيده من حركة داود .

وحدث أحدهم « أביجايل » باقتراب داود وهو الرجل الذي
كان هو ورجاله « سورا لرفاقه ليلا ونهارا أيام اقامتهم معهم لرعى
الغنم » ، فهداها حسن تفكيرها الى حمل « خمسين رغيف ، وزقي
خمر ، وخمسة خرفان ٠٠٠ وفريك وزبيب وتين ، وساقط ذلك كله
أمامها الى داود دون أن تخبر زوجها أو تعلمه بما انتوت عمله ،
وخرجت فصادت داود « فخرت على وجهها أمامه ، وتوسلت اليه
أن يكون رحيما » ولا « يكون كالرجل ٠٠٠ اللئيم نابال » لأن اسمه
هكذا هو ٠٠٠ نابال اسمه والحماقة عنده » .

فأثنى عليها داود وعلى ما فعلت ، وقبل هديتها وصدقها
مشكورة ، فلما عادت الى زوجها وجدته « في وليمة كوايمة ملك »
فلم تحدثه بشيء حتى اذا طلع الصباح وذهبت عنه نشوة الخمر

أخبرته بما كان من أمرها مع داود « فمات قلبه داخله وصار كحجر ، ثم ضربه الرب بعد عشرة أيام فمات » فسر داود بما جرى لنابال « النغبى » وبعث الى « أبيجايل » ليأخذها له زوجة « فرحبت بالعرض وحضت الى خيمة داود » وصارت له امرأة « (انظر صمويل الأول ٢٥/٢ - ٤٢) ، وولدت « أبيجايل » لداود ولدا اختلف فى اسمه ، فهو فى صمويل الثانى ٢/٣ « كئول أب » ، ولكنه « دانئيل » فى أخبار الأيام الأول ١/٣ .

أبيمالك

يكثر ورود هذا الاسم فى العهد القديم ، وهناك من يرجح أن يكون لفظ « أبيمالك » لقبا لملوك الفلسطينيين ، ويقوم هذا الترجيح على أن هناك واحدا من ملوكهم عاصر ابراهيم الخليل عليه السلام ، وعرف كل منهما الآخر .

على أن الأحداث التى تربط « أبيمالك » بكل من ابراهيم واسحق متشابهة ، وتكاد معظمها فى كل منهما تكون مطابقة للأخرى حتى فى أدق التفاصيل ، فغطالع فى سفر التكوين أن خليل الله فى تجواله الدائم نزل فى أرض « جرار » وكان حينها « أبيمالك » وكانت سارة امرأة الخليل معه ، فلما سأله « أبيمالك » من تكون هذه المرأة التى بصحبته زعم ليا أنها أخته ، فأرسل « أبيمالك » من أخذها ، فجاءه الرائي فى نومه ينهاه عما فعل ويحذره عقاب « إذ أنها متزوجة » ولم يكن أبيمالك قد اقترب اليها ، إذ أحسكه الله عن ذلك .

وتذهب التوراة الى أن « أبيمالك » لما عرف ما كان خافيا عنه جمع « جميع عبيده » ، ودعا ابراهيم ورد عليه سارة ، ووصلهما

بصلات جزيلة (انظر سفر التكوين ٢/١٠ - ١٤) ، كما انه رد عليه البئر التى كان عبيده قد اغتصبوها منه ، وهى المعروفة ببير سبع « التى سميت بهذا الاسم كما يقول نفس السفر (٢١/٢٨ - ٣١) لأن أبيمالك أعطاه سبع فجاج » .

وتتكرر نفس القصة بمذاخيرها لكن مع اسحق ، وقد اُطال فيها نفس السفر (راجع سفر التكوين ، ٢٦/٧ - ١٥) .

أتاليا

تقع هذه المدينة « أتالية » (أو أتاليا ، أو أضاليا ، أو أداليا) فى اقليم « باخيليا » جنوب آسيا الصغرى .

وقد اختلف فى رسم اسم هذه المدينة وان كان الأرجح أنه Attalia كما فى معظم المراجع الغربية ، وان رسمها بعضها Adalia ، وهو تحريف لأتالية ، وكذلك فى أعمال الرسل ، ٢٥/١٤ .

وكلمة « أتالية » منطور غيبا الى اسم بانيتها « أتاليس فيلادلفوس » ، الذى شيدها قبل الميلاد بما يقرب من قرن من الزمان، ومن ثم اشتق اسمها من اسمه .

ولما ظهرت المسيحية زارها بولس الرسول مبشرا ومكرزا وكان فى صحبته « برنابا » ، ومنها سافرا الى أنطاكية .

أجانيب

أجانيب نبع تكثر الاشارة اليه فى الأساطير الاغريقية ، وهو يجرى فى « بيوتيا » Boeotia وقد ذكره الشاعر اللاتينى

فرجيل باعتباره رافدا مقدسا ، لما له من الصلة الوثيقة ببعض
الآلهة القديمة .

أخيمالك الكاهن

إذا جمعنا الاشارات الواردة بالتوراة عن أخيمالك وقارناها
بعضها ببعض أخذتنا الحيرة فى تبليان حقيقة هذه الشخصية وإن
كان الاجماع منعقدا على أنه كان معاصرا لداود وبينهما من المعرفة
ما يرقى به لأن يمدده بما يعرف بخبز الوجوه يوم أن جاء داود الى
أخيمالك هاربا من بطش شاول وقد اشتد به الجوع فطرق باب أخيمالك
الذى لم يكن عنده من الأرغفة غير « خبز الوجوه » الذى لا يحصل
لأحد غير الكهنة أن يأكل منه ، فلم يتأخر أخيمالك عن المبادرة الى
تقديمه لداود ، مع سيف جليات .

وقال له أخيمالك حين سأله أن يعطيه « ماذا يكون تحت يده
» فأجابه « لا يوجد خبز محلل تحت يدي ولكن يوجد خبز مقدس اذا
كان غلمان قد حفظوا أنفسهم لا سيما من النساء أعطاهم منه .

كان هذا الخبز المقدس هو « خبز الوجوه » عند اليهود أو
« خبز التقديم » عند المسيحيين (مرقس ٢/٢٦ ، متى ٤/١٢)
ويقوم بصنعه طائفة معينة من الخبازين (يوحنا ٩/٢٣) .

ثم زاد داود فسأل الكاهن أخيمالك سيفا أو رمحا فكان السيف
الذى أعطاه له هو سيف « جليات » الفلسطينى ، الذى كان داود
قد قتله ، وكان السيف ملفوفا فى ثوب ، فرحب داود بالسيف لأنه -

على حد قوله - « لا يوجد مثله » • (صمويل أول ٩/٢٦) • ، وقد غضب شاول كل الغضب مما فعله أخيمالك من إعطاء داود خبز الرجوه وسيف جليات ، فوثب على أخيمالك فقتله وحن معه من الكهنة في نوب •

الأرجوان

يكثر المؤلف من الإشارة الى « الأرجوان » لاسيما في معرض كلامه عن « صور » ، وهو اللون الذى كانت تصبغ به الثياب الفالية الى لا يلبسها الا الملوك والأثرياء والحكام ، ونطالع في العهد القديم لاسيما في سفر استير على وجه الخصوص (١٥/٨) أن أحد الملوك القدامى كان حين ينعم على من يشغله برضائه ، انما ينعم عليه « بحلة من بز وأرجوان » •

وكأنوا يعتقدون أن لهذا اللون قدرة على حفظ الانسان من « ابليس » والأرواح الشريرة ، ونسندل على ذلك بما ورد في سفر دانيال ٧/٥ ، من أنه حدث لأحد ملوك الذوراة فزع فدعى اليه السحرة وطلب من الحكماء تفسيراً لما يرى ويقول في لهجة أمره : « أى رجل يقرأ هذه الكتابة يلبس الأرجوان » •

كذلك نرى ثياب الأرجوان خاصة بالبة الوثنيين تمييزاً لهم عن بقية الشعب ، ومن شاء تأكيد ذلك فليرجع الى أرميا ١٠/١٠ •

وقد برع الصوريون في صناعة الثياب الأرجوانية حتى ان « حيرام » يرسل الى سليمان رجلاً من صور « حكيماً ماهراً في صناعة الذهب والفضة » • والأرجوان • انظر أخيسار الأيام الثانى ١٤/٢ •

وكان القوم يستخرجون اللون الأرجواني هذا من أصداف سمك معين يجمعونها ويستنبطون منها نوعا خاصا تصبغ به الملابس ، وبلغ من الاقبال على اللون الأرجواني الصوري أن قامت له أسواق خارجية ، وكانت هناك حركة تجارية نافقة في «الأرجوان» ما بين صور وجزر « أليشة » وذلك ما نفهمه من سفر حزقيال ، ٧/٢٧ - ٩ .

أما سمك الأرجوان فنوع من الأسماك يمتاز بالأصداق الأرجوانية ، وكان لهذا الصدف سوق تجارية نشطة حتى يقول « بولص » عن رحلته التبشيرية الى مقدونيا « ٠٠٠ وفي يوم السبت خرجنا الى خارج المدينة عند نهر ٠٠٠ وكنا نكلم النساء اللواتي اجتمعن ، وكانت تسمع امرأة ليدية بياعة أرجوان متعبدة » . انظر أعمال الرسل ، ١٦/١٢ - ١٤ .

أرونة

« أرونة » و « أرنان » لفظان لشخص واحد ينعت باليبوسى ، وتجرى القصة كما جاء في أخبار الأيام الأول (١٥/٢١) ابن « الرب كان قد أرسل ملاكاً على اورشليم لاهلاكها ٠٠٠ وكان ملاك الرب واقفاً عند بيدر أرنان اليبوسى » .

وهذا اليبدر الذي كان على جبل « الموريا » هو الذي اشتراه داود ليجعله مذبحاً للرب وذلك تنفيذاً لأمر من الرب ألقاه إليه على لسان ملاكته (أخبار الأيام الأول ١٩/٢١) ليعبد غضب الرب عن شعبه ، فأراد داود شراء اليبدر من « أرنان اليبوسى » بفضة يدفعها له فأبى أن يأخذ ثمناً لها ، فأبى داود أن يقبل عرض « أرنان » وقال : « انى لا أخذ مالك للرب فأصعد محرقة سبانية » ودفع داود لأرنان

ذهبا وزنه ست مائة شاقل ، فقبل أرناث فانفتحا غضب الرب الذي أمر
« الملك فرد سيفه الى غمده » (نفس السفر ٢١/٢٧) .

ولما خلف سليمان أبا داود بنى هيكله هنا على هذا البيدر .

استيفانوس

وقد يقال له اسطيافان أو أصطفان أو ستيفن في اللغات
الحديثة، ويرجع من كتبوا عنه انه « كان يهوديا يتكلم اليونانية » كما
يقول القاحوس ، وقد عرف بين كافة من عرفوه - أنصارا كانوا
أو خصوما - باستقامته القائمة وليس فيه من عوج ولا يجرى لسانه
قط بسوء ، ولا يدنس فاه بالكذب .

كان أول ظهور « استيفانوس » يوم شمل القذمر اليونانيين
عامة على العبرانيين بسبب أن « أراملهم كن يعملن في الخدمة اليوحية »
فانتخبوا سبعة رجال « من المشهود لهم ، المملوئين من الروح القدس
والحكمة » لسد هذا النقص فكان من بينهم « استيفانوس الذي كان
« يصنع عجائب وآيات عظيمة في الشعب » بفضل إيمانه ، فأثار
ذلك ثائرة اليهود عليه ودرسوا عليه من افتري عليه الكذب فاتهموه
« بالتجديف على موسى وعلى الله » ، وهاج الشعب والكهنة فخطفوه
وأثروا به الى الجمع « فدافع عن نفسه دفاعا مجيدا وذكر اليهود
بما كان من أيدائهم أذبياءهم وبما فعلوه مع « يوسف » حتى باعوه
الى مصر» وكان الله معه . . . وصار مدبرا على حصر وعلى كل
بيت فرعون . ثم جاء موسى وقد « تهذب بكل حكمة المصريين
وتجلت آية الله له في لهيب نار عليقة ، ثم كان ما نعرفه من خبر
موسى إذ تجلى الله جل جلاله له . ولقد أشار القرآن الكريم الى
ذلك في قوله تعالى (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من
السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم

الصاعقة بظلمهم ، ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات
فعفونا عن ذلك وآتيناهم موسى سلطانا مبينا ، ورفعنا فوقهم الطور
بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا غي
السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا . فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم
بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله
عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا) الى غير ذلك من الآيات
الكريمة .

كان « استيفانوس قاسى اللهجة فى مخاطبته اليهود حتى قال
لهم « يا قساسة الرقاب أى الأنبياء لم يضطهد أبائكم وقد قتلوا
الذين سبقوا ؟ » (أعمال الرسل ٧/ ٥١ - ٥٢) .

وأثار كلامه ثائرة خصومه فأخرجوه من المدينة ورجموه ،
وكان التثكيل بالمسيحيين شديدا لاسيما ما تم على يد « شاول » الذى
كان فى أول أمره أعنف أعداء الملة المسيحية حتى انه يوم أن قاموا
برجم « استيفانوس » كان هو يقوم على حفظ ملابس قاتليه .

أَسْدُود

تكتب هذه الكلمة على صور مختلفة فى العربية فهى
« أسدود » و « أزودود » و « يزودود » و « أشدود » وهى دائمة الورد
بالرسم الأخير فى العهدين القديم والجديد ، كما ترد فى كتب
الجغرافيين العرب بصورها المختلفة .

وتقع « أسدود » الى الشمال الشرقى من غزة فى الطريق
المؤدى الى يافا ، وتتفرع منها الطرق الى أماكن عدة مثل يافا
والرملة ويبنى ، انظر .

Le Strange : Palestine Under The Moslems P. 405.

ويستفاد من سفر يشوع ٣/١٣ ، أنها كانت من أملاك الفلسطينيين ، وهى ذات تاريخ حربى طويل ، وكانت موضع نزاع بين اليهود والفلسطينيين ، ونستفيد من سفر صمويل الأول (٣/٥ - ٨) أنه لما انتصر الفلسطينيون على إسرائيل حملوا معهم التابوت الى « أشدود » ووضعوه فى هيكل « داجون » الذى خربه المكابيون فى القرن الثانى قبل الميلاد .

وتروى الأخبار القديمة أن أحد ملوك مصر فى القرن السابع قبل الميلاد حاصر البلد حصارا طال أمده حتى قارب - كما يقال - الثلاثين عاما ، مما كان له أثره السئ فى تدمير كثير من نواحي « أشدود » حتى أنه لم يبق منها الا أطلال سماها ارميا (٢٥/٢٠) « بقية أشدود » .

كذلك لحقتها يد الخراب على يد « عزيا » ملك يهوذا (وعزيا بضم العين وفتح الزاى) هو الذى « خرج » كما جاء فى أخبار الأيام الثانى ٢٦/٦ وحارب الفلسطينيين . . . وهدم سور أشدود » .

ولقد كانت « أشدود » من الأماكن التى دخلتها المسيحية على يد « فيليبس » إذ جاء فى أعمال الرسل (٨/٤٠) ما يشير الى أنه ألهم بأن يخرج الى الجنوب فأطاع فلحق حبشيا خصيا ووزيرا للملك الحبشة كان يقرأ فى سفر أشعيا بصوت عال دون أن يفهم ما يحويه وما تشير اليه الفقرات ، ففسر له فيليبس ما غمض عليه فكان هذا الخصى الحبشى أول المؤمنين بالنصرانية هناك ، وتم تعميده على يد « فيليبس » الذى اتخذ التبشير بالمسيحية سبيله ، وقد جاء فى أعمال الرسل ٢٦/٩ « أنه كان لفيلبس هذا أربع بنات عذارى كن يمتبأن » .

على أنه يجب ألا نخلط بين فيلبس هذا المنعوت بالمبشر وبين

فيليبس المذكور فى متى ٢/١٠ الذى هو أحد تلاميذ المسيح أو
« الرسل الاثنى عشر » الذين ارسلهم « الى خراف بنى اسرائيل
الضالة » .

أما ملكة الحبشة هذه فكانت تدعى « كنداكة » ، أما هذا البعبد
الخصى الحبشى فكان وزيرا « على جميع خزائن » هذه الملكة .
انظر أعمال الرسل ٨/٢٧ .

افسوس

افسوس من المدن التاريخية الهامة الكبرى من الناحيتين
السياسية والدينية ، وهى تقع فى أقصى الساحل الغربى من آسيا
الصغرى فى مواجهة أثينا ويفصل بينهما البحر ، كما أنها تقع
قباله جزيرة « ساموس » .

وقد وردت هذه المدينة فى أعمال الرسل ١٩/١٧ بفتح البصرة
والقاء وضم السين الأولى ، وجاء نفس هذا الرسم فى ياقوت : معجم
البلدان ٨٠٦/٢ وان جاء ذكرها فى موضع آخر باسم « افسوس »
(نفس المصدر ٤٩١/١) . ولكنها فى المراجع الغربية واردة بكسر
البصرة فيقال «Ephesus»

ونظرا للموقع الجغرافى الهام الذى تتمتع به « افسوس »
من اطلالها على البحر واقتربها من أماكن ذات خطورة تجارية
وحربية مثل كريت وقبرص واليونان فقد طمع فيها الأجانب طمعا
تمثل فى أن تداولتها أيد اجنبية كثيرة فحكمها بعض ملوك فارس
وكذلك الاسكندر المقدونى ، ثم آلت الى الرومان سنة ٣٣٣ ق . م .
فلما ظهرت النصرانية كانت مركزا لدعوة « بولس » التبشيرية فقد

تعددت زياراته لها ، وذهبت فيها حركة تكريز وتبشير أدت بالطبع الى قيام حركة مضادة أسفرت عن استشهاده بعض الدعاة ، فقد جاءها « بولس » هربا من يهود « أخائية » وبرفته اثنان من أتباعه فكلفهما بالدعوة وحضى هو الى أنطاكية ، واذ ذاك وفد على « افسوس » رجل يهودى أسكندرى اسمه « ابلوس » حسب ما تقول أعمال الرسل ١٨/٢٥ الذى قصفه بعدئذ بأنه « خبير فى طريق الرب » فاجتمع الثلاثة فكانوا حريا على اليهود .

ولما كان « بولس » قد شن حربا لاهوادة فيها على صناعة وعمل هياكل فضية لمعبد « أرطاميس » يقوم بها فريق ليس بالقليل من الصاغة فقد خسر هؤلاء الصاغة الأرباح الكبيرة التى كانوا يجنونها من وراء هذه الحرفة ، فاجمعوا أمرهم على محاربة الدعوة المسيحية ، وقام احد هؤلاء الصاغة واسمه « ديمتريوس » وحرك رفاقه ضد بولس لأنه ندد بما يجرى لقوله « ان ليس ما يصنع بالأيدي الية » .

وأنت دعوة « بولس » ضد الوثنية أكلها « فكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرين ومخبرين بأفعالهم ، وكان كثير من الذين يستعملون السحر » يجمعون الكتب يحرقونها أمام الجميع » (أعمال الرسل ، ١٩/١٨ - ١٩) .

وافتشرت المسيحية فى « افسوس » وقوى ساعدها وحأ لبثت كنيستها ان صارت أم الكنائس فى آسيا الصغرى ، وبلغ من أهمية البلاد كمركز أشعاع مسيحى أن عقد بها سنة ٢٣١ م ما عرف « بسجمع افسوس » .

والرأى الشائع أنهما كانت الناحية التى ارتبطت بأهل الكهف الذين كرموا الوثنية ففروا حفاظا على عقيدتهم « وقالوا ربنا اتنا

من ادنك رحمة وهى لنا من امرنا رشدا» ولجئوا الى كهفها يعرف بالرقيم حتى نعتهم القرآن الكريم بأصحاب الكهف والرقيم فقال تعالى (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا (سورة الكهف ١٨/٩) . وأشار الى ذلك البلدانى ياقوت فى معجمه ٨٠٥/٢ فقال ان « افسوس بلدهم » ، على حين نرى كاتبها مسلما آخر وهو المقدسى يقرر ان الرقيم انما يقع على بعد ثلاثة أميال من « عمان » .

أما ابن الأثير فيشير فى تاريخه الى أن الرقيم على مسيرة يومين شمالى الكرك فى الطريق الواصل بين دمشق والقلعة .

من هذه البيانات المتضاربة يصعب علينا أن نجزم جزماً تاماً أين موضع « الرقيم » تماماً .

وتشير الأبحاث التى جرت منذ قرن على أن هذا الاختلاف – أو بعضه – ناشئ من وجود موضعين باسم « الرقيم » (فى التلمود حسبما جاء فى .

وعلى أية حال فمسجد القارىء العربى تفصيلات وافية واضافات جديدة حين تظهر ترجمتنا لكتاب لى سترانج . فلسطين فى ظل الحكم الاسلامى .

الليريكوم

ترد الإشارة كثيراً فى كتب الحروب الصليبية وتاريخ اليونان الى « الليريكوم » Illyricum وقد تبدل الميم الأخيرة بنون . وهى على أى الرسمين اسم لمقاطعة أغريقية على الساحل الشرقى لبحر الادرياتيك ، وقد وردت الإشارة إليها فى ترجمتنا هذه (١٩٠/١) حين عرض المؤلف لسير الحملة الصليبية الأولى فذكر أنها اجتازت

« الليريكوم » ، ومنها نستدل على أنها هي المنطقة التي عرفت فيما بعد بدماشيا التي هي جزء من البوسنة .

ولقد عرفت « الليريكوم » المسيحية منذ القرن الأول للميلاد ان كانت أقصى المدى الذي بلغته الدعوة على يد بولس حيث نجده يقول في رسالته الى رومية ١٥/١٩ « ٠٠٠ أيها الاخوة ٠٠٠ لكم افتخار في المسيح يسوع من جهة ما الله ٠٠٠ حتى أتى من اورشليم وما حولها الى الليريكون » وقد اكملت للتبشير بانجيل المسيح ،

وليس من شك في أن جذور المسيحية قد تأصلت في الليريكون وأنه كان هناك اقبال كبير على الكتاب المقدس ، حتى أن جيروم - من علماء النصرانية في القرن الرابع الميلادي - والمولود في الليريكون - قام بترجمة الكتاب المقدس الى اللاتينية .

اليشمة

يستفاد من الكتابات الجغرافية القديمة أن « اليشة » كانت تقع عند جزيرة قبرص في مواجهة مدينة صور الشامية ، وقد أدى هذا القرب الجغرافي الى ازدهار الحركة التجارية بينهما لاسيما في « الأرجوان » الذي تكاد صور أن تكون قد تفردت به أو على الأقل فاقت غيرها في شرائه من « اليشة » وبيعه بعد صناعته التي ترقب عليها قيام صناعة « الصبغة الأرجوانية » بها . ومن ثم وردت الإشارة اليه في سفر حزقيال ٢٧/٧ في قوله « يا صور ٠٠٠ أنت قلت انا كاملة الجمال ٠٠٠ كتان عطرز من حصر هو شرارك ٠٠٠ الاسمانجونى والأرجوان من جزائر اليشة كانا غطاءك » .

ويبدو أن « اليشة » ذات تاريخ موغل في القدم ، وقد وردت

الإشارة في سفر التكوين (٤/١٠) الى أن بعض المواليد من نسل
نوح هم مواليد « أليشة » .

اليشع

على الرغم من أن وليم الصوري لم يصرح باسم « اليشع »
في معرض كلامه عن رخص الأسعار رخصا كبيرا في السامرة قديما
الا أنه كان يقصد « اليشع » الذي كان قد تنبأ بهذا الرخص الفاحش
يعم الناحية بدءا من باب البلد حتى كل الناحية (راجع هذه الترجمة
العربية ٤١٨/١ ، حاشية رقم ١) .

ولقد كان « اليشع » من أسرة ثرية في وادي الأردن بما تملكه
من المزارع الفسيحة والحقول الشاسعة والتي كان هو ذاته يقوم
بالمشاركة في العمل بها .

وحدث أن خرج « إيليا » المنعرت قديما برجل الرب ودخل
مخارة في جبل « حوريب » غضبا من بنى اسرائيل « لتركهم عهد
الرب ونقضهم مذابحه وقتلهم أنبياءه » ، وجدهم في طلبه هو ذاته .
ثم تجلى له الرب وأمره أن يذهب الى بركة دمشق وأن « يمسح اليشع
بن شافاط نبيا » عوضا عنه ، فانطلق « إيليا » مستجيبا لأمر الرب
فوجد « اليشع » في حقل أبيه « فطرح رداءه عليه . . . فمضى
اليشع وراءه وراح يخدمه » (انظر الملوك الأول ١٩/١٠ - ٢١) .

وصارت لاليشع معجزات منها انه رفع رداء « إيليا » الذي
سقط عنه حين غادره وضرب به ماء الأردن « فانطلق الماء وعبر
اليشع فجاءه بنو الأنبياء الذين في أريحا وقالوا استقرت « روح
إيليا على اليشع » ثم سجدوا له . (الملوك الثاني ١٢/١ - ١٨) .

ويتابع السفر الرواية عن « اليشع » فيشير الى أن أهل المدينة شكروا اليه رداة الماء بها وجذب أرضها فجاءوه - كما أمر بصحن حديد فيه ملح فطرحه فى الماء « فبرأت المياه » (انظر الملوك الثانى ١٩/٢ - ٢٢) .

ويتجلى ما تم على يد « اليشع » من دعائه لعافر أن تحمل فحملت وولدت ولدا كبر ثم مات فجاءت أمه الى « اليشع » تسأله أن يرده للحياة فمضى اليه وبعد محاولات منه عادت الحياة الى الصبي فانطلقت أم الغلام الى اليشع « فسقطت على رجله ٠٠٠ ثم حملت ابنها وخرجت » (انظر الملوك الثانى ٨/٤ - ٣٧) .

ويفيض سفر الملوك الثانى (٢٠/١٣ ، ٢١) بما تم على يد اليشع من الآيات .

على أن هذه الآيات لم تغارقه - كما يذكر هذا السفر - حتى فى موته ، فقد كان الناس ماضين ذات يوم لدفن رجل مات فلما رأى الناس العزاة خافوا وطرحوا الرجل فى قبر اليشع فلما مس عظمه ردت اليه الحياة من جديد « وقام على رجله » .

أهم

تصادفنا فى التوراة والانجيل وكتب الرهبان والقساوسة والكهنة كلمة « أهم » ، وقد تبدو الكلمة فى غير حاجة الى ايضاح وتفسير ، ولكنها ذات دلالة مسيحية معينة فى هذه الكتب اكتسبتها من الترجمة العربية للتوراة والانجيل ، اذ يستفاد مما ورد فى رسالة بولس الى أهل رومية ١٤/٢ ، أنه يقصد بكلمة « أهم » من لا يسمعون الناعوس » ، ويفسر القاموس هذا القول بأن المقصود به « غير العبرانيين » فاذا رجعنا الى العهد القديم وجدنا كلمة

« الأمم » ترد في سفر أشعيا ٩: ٦ على هذه الصورة « ... يقول الرب جعلتك نورا للأمم لتكون خلاصى الى أقصى الأرض » .

وربما كان هذا الخالص مما يكون في هذه الشعوب . أو الأمم التى لا تتبع الناموس - من روح الأنانية وتغلب شهوة حب الحياة ولذا نذرها على كل شئ . فهدد جميعها مع مباحج الشرب والملبس « انما تحلبها الأمم » . وقد قدم انجيل متى عليها « ملكوت الله وبره » راجع متى ٢٢/٦ - ٢٣ .

ويصرح نفس الانجيل ولكن في موضع آخر بأن المقصود بالأمم كل الشعوب التى لم تعتنق النصرانية ولم تعتمد (متى ٢٨/٢٩) .

باشان

في معرض كلام وليم الصوري (١٦/٣) عن « صور » يقتبس من التوراة ما يشير الى ما كانت تمدها به « باشان » من خشب البروط للاستعانة به في عمل عجائز السفن الصورية .

وتقع منطقة « باشان » شرقي الأردن فيما بين جبلى « جرمون » و « جلماد » .

ويوجد هناك جبل يعرف بجبل باشان ، ولا نعرف أيهما هو الذى خلع على الناحية اسمه الجبل أم البلد ، وقد جاء في مزامير داود ١٥/٦٨ « جبل الله ... جبل باشان » ، ويؤكد القاموس (١٥٩ ، ع ١ ، ٢) أن هذا الجبل هو المعروف حاليا باسم « جبل الدور » .

وقد أشار اليعقوبى (في جغرافيته ، ص ١١٣) الى « أذرة » التى هى « أذرات » وقال أنها قصبة ولاية « البثنية » ، ثم جاء

فى آخر القرن الماضى العالم الجغرافى المؤرخ لى سترانج فقال
« أدرعى ٠٠٠ قصبة باشان » الواردة فى العهدين القديم والجديد ،
وسمى سفر التكوين سكانها الأوائى باسم « الرفائين » . انظر سفر
التثنية ١١/٣ .

وكان للرفائين هؤلاء ملك فى القديم يدعى « عوج » الذى مضى
لصد اليهود بقيادة موسى ، ودارت المعركة بين الجسانين فى
العاصمة « أدرعى » (انظر العدد ٢١/٢٢ - ٣٥) .

وقل أن يرد ذكر باشان فى أسفار العهد القديم الا مقرونا بما
تخرجه أرضها من خشب البلوط الذى ينسب لها فيقال « بلوط
باشان » ، وحسبه هذه النسبة إليها من تزكية له .

وحين يرضى الرب عن اسرائيل يبعث بهم ليرعوا فى أرض
« باشان » كما جاء ذلك فى ارميا ، ١٩/٥٠ .

ويشير « حزقيال » الى أن الرب حين يدعو الجميع الى
تبيحته انما يدعوهم « الى كباش وحملان وأعددة وثيران كلها من
مسمات باشان » . (انظر حزقيال ١٨/٣٩) .

بامفيليا

بامفيليا Pamphylia أو « بمفيلية » كما ترد فى
بعض الكتب أحيانا وكما ذكرت فى كتب العهد القديم : مقاطعة
من مقاطعات آسيا الصغرى ، وإذا كان « وليم الصورى »
(الترجمة العربية ٢٠٠/٣) يعتبر « أتالية » أو « أضالية » عاصمتها
فالواقع أن العاصمة كانت ، برجة ، التى كان سكانها من الاغريق ،
وإذا كانت « برجة » واقعة على شاطئ نهر اسمه نهر « تكسترس »
فقد كانت السفن تأتيها من جهات متعددة ، ويؤكد هذا ما جاء فى أعمال

الرسل ١٣/١٣ من « أن بولس أفلح من باخوس بمن معه وأتوا الى برجة بمغيلية » .

وكانت « بامفيليا » من الأقاليم التي ركز بولس على التبشير بالمسيحية فيها ، وهذا ماتشهد به الاشارات العدة الواردة في ثلاثة اصحاحات من سفر الأعمال .

ولقد كان موقع « بامفيليا » جاعلا اياها عرضة لتطلع البيزنطيين اليها من ناحية ، واختراقهم اياها من ناحية اخرى كلما أقدموا على النهوض الى آسيا الصغرى وبلاد الشام .

وفي الحروب الفارسية يرد ذكر الدور الذي لعبته وان لم يكن دورا كبيرا . راجع Dussaud : Topographie Hist., P. 325

بركة سلوام

في البركة القريبة من بيت المقدس ، وتسمى اليوم « بركة سلوان » ، وينزلها اليهود منزلة القداسة حتى أنهم ليبعثون اليها في يوم معين من عيد من أعيادهم كاهنا بابريق من الذهب ، فيخلوؤه من مائها ثم يعود فيصب الماء في وعاء ذهبي آخر ، ويترنم اليهود وهو يفعل ذلك ترنيمة خاصة .

ولقد شهدت هذه البركة آية للمسيح عليه السلام حين مر برجل أعمى منذ ولادته فاستصرخ به الكفيف أن يرد عليه بصره فثقل المسيح وصنع من التفل طينا ، وطلى بالطين عيني الأعمى وقال له : اذهب فاغتسل في بركة سلوام ففعل الرجل ما أمره به المسيح واغتسل فرد اليه بصره .

ويمكن مراجعة القصة كاملة وأطول من هذا في سفر يوحنا ٧/٩ - ٢٨ .

بِسِيديا

بِسِيديا أو بيسيدية منطقة من أعمال أسيا الصغرى ، شمالي « بامفيليا » وتنقسم المنطقة التي تقع فيها بوعورة الأرض وصعوبة السير فيها مما جعلها صعبة على إخضاعها لمن يفتزوها ، ومما يزيد في صعوبة أرضها أن جبال طوروس تشقها ومن ثم تكثر بها المنحدرات والشلالات . ومع ذلك فقد ركز « بولس » جهدا غير قليل على التبشير فيها وقت أن جعل من أسيا الصغرى مجالا للتكرير ، فزارها فيما زار من أقاليم تلك النواحي ، « وتلمذ له كثيرون فيها » .

« كان لجغرافية البلاد أثرها في أن تطبع أهلها بطابع يتسم بالخشونة والقوة والحزم والشدة وحُب الاستقلال - ، وقد جمعت كل هذه الأمور لتجعلها شاقة على من أغاروا عليها من الفرس والرومان ، فلم يستطع هؤلاء ولا هؤلاء أن يفلوا شوكة الأهالي » .

بلد الشوحى

« حان » بلد « (بكسر الهمزة وسكون اللام وفتح الدال الأولى) من ولد « شوح بن ابراهيم الخليل » ومن هنا عرف بالشوحى ، كما كان واحدا من ثلاثة من أخلص أصحاب أيوب ، وكانت بينه وبينهم « خطابات » تناولوا مواضيع مختلفة وهي أشبه بالحوار حول مسائل جسيمة كالفتنة والمرض يضرب الله به عبده الصالح ، وكلها واردة في سفر أيوب .

وقد جاء « بلد » مع رفيقيه - وان كان كل على حدة - الى
 أيوب يوم ضرب « بقرح ردىء من باطن قدمه الى شامته » ، وقد
 حضروا « ليرثوا له ويعزوه » ، ورفعوا أعينهم من بعيد ولم يعرفوه
 ٠٠٠ فذكروا ٠٠٠ وقعدوا معه سبعة أيام وسبع ليال ولم يكلمه أحد
 منهم بكلمة ، لأنهم رأوا أن كآبته كانت عظيمة جدا « (راجع أيوب
 ١١/٢ - ١٣) » .

وكان لبلد مع أيوب حوار طويل تضمنه الاصحاح الثامن
 من سفر أيوب ، ينصب على المصيبة يبتلى الله بها المؤمن ، فلا يكون
 من أيوب الا أن يفسر هذا الأمر الا بأنه بسبب ذنب الشخص ولا تزيب
 على غيره ويقول لربه « أذنبت فويل لى » . (أيوب ١٠/١٥) .

وكان بين بلد وأيوب مراسلات ، وقد تضمن الاصحاح الثامن
 عشر من سفر أيوب حوارا « عن فاعلى الشر ومقام من لا يعرف
 الله » .

والتأمل فى خطابات بلد وصاحبيه الى أيوب وردوده عليهم
 يرى كيف يفلسفون الخير والشر ، والحق والظلم . وكلها نمط
 طيب فى الاقرار بضالة الفرد ازاء ربه .

بالمقام

ياتى رسم هذه الكلمة بصورتين أولاهما بكسر الباء أوله
 وحينذاك يقصد به موضع يقع فى أقصى غربى نهر الأردن .

أما ثاني هذين الرسمين فقد ورد في (يشوع ١٧/١١) على هذه الصورة « بلعام » (بفتح أوله بعده باء ساكنة ولام مفتوحة)

على أن هذا الموضع قد صار اليوم - كما يقول القاموس - قرية تعرف باسم « بلعة » - وإذا رجعنا إلى المصادر الإسلامية وجدنا أنه ترد في معجم ياقوت كلمة « بالعة » ويقول أنها قرية عن قرى البلقاء ، وأنه عاش فيها « بلعام بن بعورة المصلخ » ، ويزيد على ذلك أنه هو الذي نزل فيه قول الحق تبارك وتعالى (سورة الأعراف ١٧٤/٧) (وائل سليم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الفاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الخلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) .

وبلعام الرجل هذا إنما هو بفتح الباء أوله .

ويستفاد مما ذكره وليم (٢٩٧/٣) انه كان رجلاً سيئاً ، مما يتفق مع ما جاء في القرآن الكريم .

وإذا رجعنا إلى التوراة في شأن نشأته وجدناه مذكوراً فيها بأنه كان نبياً مشهوراً ، وكان الناس يقصدونه عن شتى الجنبات فيقتبأ لهم بما قد يصيبهم .

ويفسر «مقر العدد» (٩/٢٢ ، ٢٥/٢٤) خبر خسروجه عن الناحوس بأنه لما ذاع صيته بأنه رجل مستجاب الدعاء جاءه رجال

بعث بهم اليه « بالاق » بن صفور « ملك مؤاب يسألونه على لسان صاحبهم أن يلعن شعب اسرائيل اثر خروجهم من مصر - وتطيل التوراة خبره مع « بالاق » وتصور كيف رفض الاستجابة له « حتى ولو ملأ له بالاق بيته فضة وذهبا ، فهو لا يقدر أن يتجاوز قول الرب » - والخبر طويل فليرجع اليه من شاء في سفر العدد ٩/٢٢ حتى آخر الاصحاح الرابع والعشرين .

ولقد لقي « بلعام بن بعورة » هذا مصرعه بالسيف اذ قتل في خروج اليهود لمحاربة المديانيين ، وقتلوا النساء « اذ كن حسب كلام بلعام » سبب خيانة للرب « (عدد ٣١/١٥ - ١٦) .

ولقد جاء في رسالة يهوذا عن المسيح الاشارة الى « ضلالة بلعام لأجل أجرة » .

تراخونيتس

بالاضافة الى ما ذكرناه في الجزء الثالث ص ٢٩٦ . حاشية رقم ٢ من هذه الترجمة العربية عن تراخونيتس « وما قاله المؤلف وليم الصوري عما يظنه بشأن هذا الاسم (٢٤٩/٣) فقد وردت الاشارة اليه في الدمشقي (ص ١٩٨ وما بعدها) بما يفيد بأن « تراخونيتس » هي « اللجاة » ، وهو الاسم الذي وضعه ياقوت في معجمه (٦٢١/١) ثم نقله عنه ابن عبد الحق في مراصد الاطلاع . ولما نقل عنهما الباحث الايرلندي :

Le Strange : Palestine Under Moslems, P. 425

فسر « اللجاة » بأنها تراخونيتس ، ثم عاد فذكر ذلك في موضع آخر Le Strange : Op. Cit., P. 492. وذلك حين نقل ما أورده الجغرافي المسلم في معجمه في موضع ثان (معجم ياقوت ٣٥٠/٤)

وترد الإشارة الى أن هذا الاسم يونانى الأصل (راجع انجيل لوقا ١/٢) حيث يقول « فيليپس رئيس ربعة على كورة تراخونيتس »

تقوع

تتردد كلمة تقوع (بفتح التاء وضم القاف بعدها وار وأخرها عين) كثيرا فى تاريخ وليم ، وليس من عجب فى ذلك فوليم - كرجل بارز من رجال الكهنوت فى وقته - كان لابد له من الإشارة الى تقوع باعتبارها - كما يقول فى أكثر من موضع - « مدينة الأنبياء » ، اذ كان منها عاموس الذى ظهر فى القرن الثامن قبل الميلاد والذى اشتد فى مهاجمة اليهود لما هم عليه فى يومه من انصراف عن الديانة الحقبة .

وتقوع من المدن القديمة فى « يهوذا » فقد ورد فى الأخبار الثانى ٦/١١ ، « انه بنيت مدن للحصار فى يهوذا منها بيت لحم وتقوع » .

وقد اندثرت « تقوع » الآن الا من أطلال تشير اليها ، ويقول القاموس (ص ٢٢١ ، ع ١) ان هذه الأطلال تعدوى الآن « على تل عريض القبة حيث توجد بقايا أساسات منازل من حجارة مربعة ، وخرائب » . كذلك وردت الإشارة اليها فى معجم ياقوت فيصفها بأنها « قرية من قرى القدس اشتهرت بعلمها » ومعنى هذا انها كانت معروفة حتى زمن ياقوت .

جبعون

كانت « جبعون » (بكسر الجيم وسكون الباء بعدها عين مضمومة وآخره نون) كبرى مدن طائفة من الكنعانيين تقع على

بعد احيال قلائل شمالي القدس ، وذكر القاموس أن « موقعها الحالي
يفرغ بقريّة » الجب « شمالي غربي أورشليم ، فهل تكون هذه هي
القريّة التي ذكرها ياقوت باسم « الجيب » وقال انها موضع في جند
فلسطين بين القدس ونابلس ؟ ثم زاد فذكر انه يوجد هنا قلعتان
تعرّفان بالجيب الفوقاني والجيب التحتاني » (ياقوت ١٧٠/٢) .

تردد الاشارة الى أن سكانها جاءوا الى « يشوع » يسألونه
عهد امان متظاهرين بالفقر المدقع ، وزعموا له أنهم من ارض بعيدة
وقالوا له « نحن عبيدك » فجازت الحيلة على « يشوع » .

« قد شهدت » جبعون « انتصار داود على الفلسطينيين انتصارا
« صارت له به هيبة على جميع الأمم » كما تقول اخبار الأيام
الأول ١٧/٤ .

ولما أخذ القوم في بناء سور أورشليم كان الجبعيون من بين
الجماعات التي عملت في هذا البناء ، فقد شارك منهم خمسة
وتسعون رجلا (نحميا ٢٥/٧) .

وقيل انه جرت في جبعون معجزة وقوف الشمس عن
المغيب استجابة ليشوع إذ نادى ربه امام الاسرائيليين « يا شمس
دعني على جبعون » فاستجاب الشمس له بأمر الله وظلت مشرقة
حتى تم للشعب الانتقام من أعدائه .

جبل تابور

يقع جبل تابور على مقربة من بلدة « الناصرة » من أعمال
فلسطين وفي ارض الجليل ، ويطل هذا الجبل على مايفرغ بمرج
ابن عامر ، ومعنى ذلك أنه يحظى بموقع استراتيجي هام لم تفت
أهميته بال محاربين القدماء .

على أن لهذا الجبل - من ناحية أخرى - أهمية روحية عند المسيحيين فهم يسمونه « جبل التجلى » ، ويفسر لنا مرقس (٢/٩ - ٤) سبب هذه التسمية فى معرض كلامه عن صعود المسيح وثلاثة من تلاميذه هذا الجبل ، ثم رآه قد تغيرت هيئته حتى « صارت ثيابه تلمع ببيضاء جدا كالثلج » . كما ظهر لئسم « ايليا » مع موسى . ومن هنا بلغت بعض الطوائف فى الاحتفاء بهذا الجبل احتفاء كبيرا حتى لقد أقام كل من الروم واللاتين على قمته دبرا ، لكل منهما .

وقد أشار القاموس (ص ٢١٠ ، ع ٢) الى أنه يسمى الآن بالطور .

ويستفاد مما ذكره ياقوت فى حجه ٢/٦٧٥ ، ونقله عنه مراد الاطلاع أن دير الطور ويسمى أيضا بتابور يقع بين طبرية واللجون (Legio) ويطل على غور الأردن ومـرج « اللجون » وهذا المرج هو المعروف فى الحوليات الصليبية باسم Esdraelon كذلك سماه ياقوت بدير التجلى ، فترجمه لى سفرانج بكلمة Transfiguration ويشير ياقوت (نفس المرجع والجزء والصفحة) الى أن المسيح عليه السلام تجلى لتلاميذه ليكونوا شهودا على التجلى . وقد ترجم ذلك كله الباحث Le Strange : Palestine Under The Moslems, PP. 434 — 435 .

جبل جابـوع

جابوع (بكسر أوله وسكون ثانيه وضم الباء بعدها وار ثم عين ، اسم يطلق على أحد الجبال كما يطلق على سلسلة من الجبال متصل بعضها ببعض ، وقد يتخللها فى أماكن حثائثة وديان ، أما

الجبال فتمتد ما يقرب من ثمانية أميال ، وهذه مسافة ليست بالقصيرة
فى ناحية محدودة شمالي شرقي نهر الأردن .

وتمتاز هذه السلسلة من الجبال بأنها شديدة الانحدار من
ناحية الجنوب والشرق .

واحتازت ناحية من هذه الجبال بحدث تاريخي كان أبطاله
الفلسطينيين وشاول الملك الذي التحم بهم التحاما أدى الى مصرعه
والتمثيل به ، فقد شبت الحرب بينه وبينهم ودارت عليه الدائسة
وهزمه الفلسطينيون هزيمة نكراء ، وحفظت أخبار الأيام الأول
(١٠/١) نبأ ذلك فقالت « وحارب الفلسطينيون اسرائيل فغرب
رجال اسرائيل من أمام الفلسطينيين وسقطوا قتلى فى جبل جلبوع » ،
ولم يعلم الفلسطينيون أن عدوهم شاول قد سقط قتيلًا الا غداة يوم
البحركة حين جاؤا « ليعروا القتلى » فوجدوا شاول « وفيه الثلاثة
صرعى وجثثا هامة فقطعوا رأس شاول ويعثوا به الى عشيرتهم .
اما جسده وأجساد أبنائه الثلاثة قسموها على سور « بيت باشان »
(صمويل الثانى ١٢/٢١) .

وقد ذكر القاموس (ص ٢٦٢ ، ع ٢) أن جبل جلبوع هذا
أصبح يعرف اليوم بجبل « غقوع » ، وزاد بأنه يوجد على مقربة منه
قرية « جلبون » التى اشتق اسمها من اسمه لكن بعد تحريف .

جبل جلبوع

جلبوع (بكسر الجيم وسكون اللام وفتح العين بعدها ألف
ثم دال) اسم اذا تعلق اللسان به انصرف الذهن الى أكثر من معنى ،
غير أن أكثرها يكون اطلاقه على ذلك القسم الممتد من شرقي الأردن
حتى يصل الى حدود شبه الجزيرة العربية ، وأغلب ما تنسم به

طبيعة هذه الناحية هي أنها منطقة صخرية ، وقد تقاسمها في التاريخ وفي أوقات مختلفة صنوف شتى من الناس .

وكانت أرض تلك الناحية تجود بطيب زكى يعرف بالبلسان وينسب إليها فيقال « بلسان جلعاد » ونسمع في هتاف وارد في سفر « ارميا » قول القائل : « اصعدى الى جلعاد وخذى بلسانا يا عذراء يا بنت مصر » (ارميا ، ١١/٤٦) .

أما اذا أريد بجلعاد الجبل فإنه يقع غربى الأردن ، كما توجد على مقربة منه « عين جلعود » التى كانت تسمى قديما « بعين حرود » .

وقد ينسب الى هذه الناحية : أرضا وجبلا وعينا قوم يغرفون بالجلعاءيين وهم من سبط منسى أحد ابنى يوسف عليه السلام .

جدعون

« جدعون » (بكسر الجيم وسكون الدال وضم العين) بطل من أبطال الدفاع الوطنى ، أقام مملكة سادها العدل وان خلفه خلف أضاع بهاء مجده وطمس نوره .

أما خير ظهور « جدعون » فيرجع الى أن الرب أراد معاقبة بنى اسرائيل على افسادهم فى الأرض فسلط عليهم « مديان » سبع سننات أذاقهم فيها شتى صنوف النكال حتى فروا منه على وجوههم الى الكهوف فى الجبال والمغارات يتدأشون شره وشر قومهم وطفيانهم ، ان كان هؤلاء الآخرون يتلفون غلة أرض اسرائيل « ولا يتركون لاسرائيل قوت الحياة ، ولا غنما ولا بقرا ولا حميرا » حتى كابذوا الذل والمهانة والمشقة .

ولم يطلق « جدعون » صبرا على ما يفعله « المديانيون » بأهله وعشيرته ، فعمل في بداية الأمر في المعصرة إذ كان « يخبط الحنطة بها لكي يهربها من المديانيين » ، وبينما هو فيما هو فيه من عمل قد يكون شاقا إذ جاءه - كما يقول سفر القضاة ١٢/٦ - ٢٤ - ملاك الرب قائلا له : « الرب معك يا جبار البأس » فتكاد الرجل « جدعون » أن ينكر هذا الوصف لنفسه ، وحدث نفسه : لئن كان الرب معي فلم كل هذه المصائب والنكبات ينزلها على رؤوس بني اسرائيل ؟ فعرفه الملاك السبب .

وبعد أنور طويلة قام « جدعون » فهدم مذبح « البعل » الذي لأبيه ، وقطع السارية التي عنده ، وبنى مذبحا جديدا .

وشبهت الحرب بين « جدعون » وبين المديانيين والعمالقة ، وكتب له النصر الذي « كان من عند الله لا بفضل الانسان » وتوالت انتصاراته بصورة حملت قومه على رغبته في أن يملكوه عليهم .

جنيسارت

تطلق كلمة جنيسارت على عدة مواضع في أرض فلسطين ، أما أولها وأشهرها فالمنطقة الواقعة غربى بحر الجليل ، والتي أشار إليها حتى في انجيله ٢٤/١٤ في معرض حديثه عن معجزة السيد المسيح عليه السلام إذ أطعم جمعا كبيرا من الناس وفتحهم مرضاهم ، ولم يكن عنده أو عند تلاميذه على الأصح سوى خمسة أرغفة وسمكتين ، فصرف هذا الجمع وأمر تلاميذه بالدخول الى سفينة هناك وصعد هو الجبل يصلى ثم نزل اليهم فتشاهدوه يتشنى على الماء « فاضطربوا قائلين انه خيال وصرخوا » ، وبعد حين يتطول ذكره عبروا وعبر معهم الى « جنيسارت » ، فلما عرفه رجالها

بعثوا و « أحضروا اليه جميع المرضى فشفي من لسوءه » ، ومن ثم ارتبط اسم هذه الناحية بتلك الآية التي أكرم الله بها المسيح .

كذلك تطلق كلمة « جديسارت » على مسطح كبير وعميق من الماء يسميه لوقا (١/٥) ببديرة جينيسيرات ، وإن أطلق عليها يوحنا اسم « بحر الجليل » ، وقال أنه هو « بديرة طبرية » وإن عاد في موضع آخر (يوحنا ١/٢٦) فخص هذه البديرة باسم « طبرية » وزعم أنها « بحر » .

وهكذا يتضح لنا أن « جينيسارت » يقصد بها دينا بحر الجليل وحينما ما يعرف ببديرة طبرية ، وكلها لسمى واحد ، ومن ثم فإن وليم الصوري (١٦٨/٢) يقول أن مدينة طبرية تقع على بحيرة « جينيسيرات » ، ولكنه يعود فيقول في موضع آخر (ج ٢ ، ص ٥٢ من الترجمة العربية) : « جينيسيرات التي هي بحر الجليل » .

حبقوق

كان حبقوق النبي (بفتح الحاء والباء وضم القاف) من أرض تقوع « مدينة الرسل والأنبياء على حد تسمية وليم الصوري لها ، وهو سبط من أسباط « لاوى » (انظر مادة لاوى في هذا الملحق) . وكان يعمل مغنيا في الهيكل .

ونستطيع أن نصفه بأنه كان حندا بالجبروت والطغيان ، مدركا أن حال الطغيان الى اللبلاك ، وكان داعية للرحمة بالناس فهو يصرخ مما تضطرب به الدنيا من عذف « قدامى اغتصاب وظلم » (حبقوق ٢/١) وهو يرى الكلدانيين قد تجبروا وعربدوا

وافسدوا وسيملكون مساكن ليست لهم ٠٠٠ ويأتون للظلم (شرحه
١/٦ - ٩) وهكذا كان « حقوق » صرخة في وجه الفساد المستشري
ومئذرا بأسوأ العواقب وأوخمها ٠

حقل الدم

هو الاسم الذي أطلقه المسيحيون على ناحية اتخذت مقبرة
للغريباء ، وجاء في الاخبار أنه صرف عليها المال الذي أخذه يهوذا
(الاسخريوطى) لقاء خيانتة ، فردده الى « رؤساء الكهنة
والشيوخ » وطرحه في الهيكل ٠ وفى ذلك يقول متى (٢٧/٧)
أخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لا يحل لنا أن نلقيها في الخزانة
لأنها ثمن دم ٠٠٠٠ واشتروا بها حقل الفخارى : مقبرة للغريباء ٠
وقد سمي هذا الحقل منذ ذلك اليوم باسم حقل الدم ٠

وهم وان جعلوه مقبرة الا أنهم أوقفوها على دفن الغريباء ،
وتشير القصة الواردة في أعمال الرسل ١/١٩ الى أن يهوذا
الاسخريوطى « اقتنى حقلا عن أجرة الظلم ٠٠٠ واند سقط على
وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها ، وصار ذلك معلوما
عند جميع سكان اورشليم حتى دعى ذلك الحقل فى لغتهم « حقل
دما » أى « حقل الدم » ، وهو واقع جنوبى وادى هنرم (راجع
مادة : هنرم) ٠

ولما هاجم الصليبيون القدس ومات بعضهم دفن أكثر هذا
البعض فى ذلك الموضع ٠

حيرام

هذا هو الرسم الشائع في اسم هذا الشخص الذي كان ملكاً على صور زمن سليمان وكانا صديقين ، وحيرام (بكسر الحاء) ، وأن ورد في بعض المصادر القديمة باسم « حورام » تارة و « حيروم » تارة أخرى * وعلى أية حال فقد كان بينه وبين سليمان ومن قبله داود : مراسلات يشير إليها الكتاب الذي هو بين يدي القارئ العربي الآن .

وقد أقم « حيرام بصور » فزاد من رقعتيها ، وجعل بينها وبين هيكل « جوبيتر » ممرا ، كما أكثر من العمارة والبنيان .

وتحدثنا القوراة عن علاقاته الودية مع سليمان الذي بعث إليه - حين أراد بناء الهيكل - كتابا يرجوه فيه أن يفعل معه مثل الذي فعله مع أبيه من مساعدات مادية وعينية ، فاستجاب له حيرام (انظر تفصيل ذلك في أخبار الأيام الثاني ٢/٢ - ١١) .

وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس ، ص ٢٢٠ ، ع ٢ : « انه اكتشف في مدينة « جبيل » تابوت ملك يدعى « أحيرام » وعلق كاتب ذلك المقال على هذا بقوله « وقد ظن بعضهم انه هو نفس الملك الذي عاصر داود وسليمان » * ولم يعقب الكاتب على ما قاله بالتأكيد أو النفي حول هذه الشخصية المسماة « أحيرام » .

زربابل

يشير وليم الصوري في كتابه هذا (٨٨/٢) في معرض كلامه عن الهيكل في القدس أنه أعيد بناؤه على يد زربابل زمن كرش كسرى فارس الذي سمح له ولل يهود بالعودة إلى اورشليم .

و « زريابل » (بضم الزاي والراء بعدهما باء مشددة مفتوحة ثم باء ولام) اسم - كما يقول القاموس - « أكادى » معناه زرع بابل ، « أى » المولود فى بابل .

وتكثر الإشارة إليه فى العهد القديم فى عدة أسفار ، فنرى « نحميا » يشير إليه فى سفره (١٢/١) ويذكر أباه ويسميه « شالتييل » ، وكذلك حجي فى سفره الأول والثانى ، ويشير إلى اسمه كاملاً خمس مرات بما لا يدع مجالاً للشك فى أن أباه كان يدعى بهذا الاسم .

ولم ينفرد العهد القديم وحده بذكر هذا الاسم بل نراه أيضاً فى العهد الجديد المذكوراً بهذه الصورة فى لوقا ٣/٢٧ ، وينص الانجيلى متى (١٢/١) على ذلك فيقول بصريح العبارة « وشالتييل » ولد زريابل ، وإن كان سفر أخبار الأيام الأول (١٧/٢ - ١٩) ينفى أن يكون « زريابل » ابناً لـ شالتييل ، وينص على أن أباه هو « فدايا » ، وهذا أمر يدعو للاستغراب ، وقد تنبه إليه القاموس فقال (ص ٤٢٥ ، ع ٢) ولعل فدايا - أخو شالتييل - تزوج بامراته وأقام نسلاً لأخيه حسب القاموس ، فصار زريابل ابناً لـ شالتييل .

على أية حال كان « زريابل » من الشخصيات البارزة التى لعبت أدواراً هامة وذات أثر غير منكور فى تاريخ الحقبة وشعوبها القريبة منها ، فلما عاد اليهود من بابل إلى « أورشليم » من أسرهم على يد نابوخذ نصر عادوا وعلى رأسهم « زريابل » الذى شرع وشرع معه الكهنة فى « بناء مذبح اله إسرائيل ليصعدوا عليه محرقات الصباح والمساء ٠٠٠ وأقام ومن حجه من اللاويين من أبناء عشرين سنة فما فوق للمعاظرة على عمل بيت الرب » ، كما يقول سفر عزرا ١/٣ - ٩ .

ويبدو ان زربابل كان مولعا بالتجارة والبناء .

ويرمز سفر زكريا الى ما كان عليه « زربابل » من تأكيد يفوق طاقة الانسان العادى فى اقامة المباني المقدسة عند قومه ، فقد تبنى حلاك الرب لمزكريا فى ثومه وأراه منارة من ذهب ، وسمعه يقول عن لسان الرب للجبل « ٠٠٠٠ من أنت أيها الجبل العظيم ٠٠٠٠ انك اهام زربابل تعمير سهلا ٠٠٠ ان يدى زربابل قد أسست هذا البيت » (زكريا ١ - ٦) .

وهكذا يبدو زربابل زعيما يبنى ما تنهدم ، ويرمم ما تحطم .. ويشيد ما أصبح ينسب اليه ، فيقول : « هذا هيكل زربابل » ، وما ذلك بالقليل .

بمسند بلط

اذا كان « زربابل » قد أعاد تشييد الهيكل وكانت له اليد الطولى فى التعمير فان « سنبلط » كان على شكسه تماما ، واذا كان وليم الصورى يبرزه لنا فى شكل المعتدى على « صبر » يحاصرها سبعة أشهر ، وعلى « جرش » يحاصرها شهرين (وليم الصورى (٢٥/٢) فانه كان فى الوقت ذاته لايرضى أن يعيد « زربابل » بناء الهيكل وتشديده من جديد . ويشير القاموس (٤٨٧ ، ع ١) الى انه بذل جهدا فى تحريك العرب للثورة عليه حتى لا يعاد بناء الهيكل ، كما أنه اغتتم فرصة رفض « زربابل » ما طلبه السامريون منه من السماح لهم أن يشاركوه فى بناء الهيكل فسعى « سنبلط » فى إثارتهم ، ونجح فى حسماد وحرك أحقادهم فوقفوا ضد « زربابل » ، وأيدهم فى موقفهم هذا كل من العرب والعمونيين والأشموديين » .

هكذا نجحت مكيدة « سنبلط » ولكن الى حين ، اذ ما ليث اليهود ان اكلوا السور .

على ان حرقه هذا شق صف الوحدة اليهودية ، فانصرف البعض منهم الى هيكल بناه أحد خصومهم .

الملاويون

ينتسب الملاويون الى « لاوى » ثالث أبناء يعقوب ، ونستدل من سفر العدد ٤/٥ أن للرب كلم موسى وهرون ، وأخذ « عدد قهات من بين بنى لاوى » حسب عشائرتهم وبيوت آبائهم .

وكان للملاوى أخ هو « شمعون » وأخت من أبيهما هي « دينة » (يتسّر الدال المشبعة وفتح النون) شاء لها قدرها أن تخرج ذات يوم غراما « شكيم بن حمور » الحوى (وشكيم بفتح الشين ، وحمور بفتح الحاء وضم الميم) صاحب الناحية من أرض كنعان ، فوقعت الفتاة من قلبه موقعا تمناها لنفسه وتعلق بها وأخذها « وأذلها » . ثم كلم شكيم أباه أن يسعى كي تكون له زوجة فمضى حمور الى يعقوب الذى كان غاضبا لأن ابن « حمور » « نجس دينة » ابنته .

وشعر ولدا يعقوب واخوتهم « أن شكيم صنع قباحة فى اسرائيل » .

وعرض حمور أن تتم المصاهرة والمتاجرة بين البيتين ، كما أبدى ابنه « شكيم » استعدادا لدفع ما يطلبه اخوة « دينة » من مهر وأن غلا . فقبلوا ولكنهم قالوا انهم لا يستطيعون اعطاء اخوتهم وهو « رجل أغلف » . واشترطوا على قومه أن « يختنوا كل ذكر فيهم ، فيصير الشعبان شعبا واحدا » .

واستجاب للشروط قوم شكيم وحمور واختنوا كلهم .

ولم يكن ما قاله لاوى وشمعون الاحيلة ومكرا منكما ، ان قاما في اليوم الثالث من اتمام هذا الاتفاق ، وعاجا على جميع الذكور من البيت الآخر فقتلهم كما قتلوا حمور وشكيم ، وأخذوا أختيها « دينة » من بيت شكيم وخرجا ، واستولى بنو يعقوب على كل ما في البلد وعلى الحقول ، وسبوا النساء واسترقوا الأطفال . لكن ذلك العمل لم يقع موقعا الرضا من نفس يعقوب الذي أنكر على ولديه ما فعلا مخافة أن يجتمع عليه « الخصوم » وهو نفر قليل ويضر بونه فيبيد هو وبيته ، فكتان ردهما عليه « نظير زانية يفعل بأختنا » . هذا ما كان من امر لاوى وأخيه שמعون .

وهناك سفر اللاويين الذي يتضمن أسلوب تقديم الذبائح . وشرح هذا وارد في الاصحاحات الثلاثة الأولى من سفر اللاويين .

لعازر

لعازر هو الاسم الشائع لاليعازر المعروف في الغرب باسم القديس لازاروس St. Lazarus الذي قل ان يذكر الا مقرونا ببخثيه « مرثا » و « مريم » ، وكان ثلاثتهم من أشد الناس اخلاصا للمسيح عليه السلام ، وكان هو يحبهم جميعا ، وكانت « مرثا » اكبر من لعازر ومريم ، وقد وردت الاشارة اليها في انجيل يوحنا (٢١/١١ - ٣٢) ، ويدل واقع عبارات يوحنا عنها أنها كانت تبجل المسيح وتقدره كل التقدير ، وكان ايمانها به وبرسالته عظيما ، وحدث أنها لما سمعت بوصوله بعد موت أخيها « لعازر » هبت للقائه وأدركته في بيت عثبا « موطن الأشقاء الثلاثة وقالت له : « ٠٠٠ لو كنت هنا يا سيد لم يمت أخى » ، وكان ذلك القول بعد أربعة أيام من دفن « لعازر » ، ثم طلبت الى المسيح أن يرده الى الحياة .

وعادت « مرثا » الى أختها « مريم » ودمعتها سراً لمقابلة المسيح فانطلقت مريم مسرعة حتى ظننا اليهود الذين كانوا قد جاؤوا يعزونها أنها ماضية الى قبر أخيها تبيكيه فتبعوها ، حتى اذا بلغت المسيح « خرت عنده عند رجله » وقالت له ما قالت أختها « مرثا » من أنه لو كان هنا ما مات أخوها ، فسألها أين وضعوه فدلته على قبره فجاءه وكان مغارة قد وضع عليه حجر وطلب اليهم ورفع الحجر ، فقالت له « مرثا » انه « أنتن لأن له أربعة أيام » .

ورفعوا الحجر عن قبره فناداه المسيح عليه السلام أن يخرج فخرج « ويداه ورجلاه مربوطات بأقمعة » ، ووجهه معلقوف بمنديل « ثم طلب المسيح اليهم أن يحلوه من الأقمعة والمنديل فحلوه فقام « لعازر » ومشى امام الجميع فأمن بالمسيح اذ ذاك كثير من اليهود وعدوها آية . أما غيرهم من رؤساء الكهنة والفريسيين فقد جمعوا مجمعا للتشاور فيما يصنعون « بهذا الانسان الذي يحل آيات كثيرة » فراحوا يتآخرون عليه تأمرا دنيئا ، حمل المسيح « الا يمشى بين اليهود علانية » ، وقد اشار ياقوت في معجمه (٢ / ٤٨٦ ، ٧٤٢) الى قيام لعازر من الموتى على يد المسيح .

واقامت « مرثا » عشاء لأخيها « لعازر » قبل الفصح بسنة أيام (بعد قيامه من الموتى) وكان العشاء في « بيت عذبا » ، وأخذت « مريم » كأسا من طيب غال ودهنت به قدمي عيسى ، كما مسحت قدميه بشعرها .

• ودبر اليهود مؤامرة لقتل لعازر .

ووصف انجيل يوحنا (١ / ١١ - ١٢ / ١ - ١١) خبر قيام لعازر من بين الموتى وخبر أختيه مريم و « مرثا » .

أما بيت عذبا « المشار اليها هنا بقوة تقع الى الجنوب الشرقى لجبل الزيتون قرب القدس » وقد تحول اسمها (بعد قيام لعازر

Le Strange : Op. Cit., 405 اسم « العازارية » ومع ايراد
حيث من قبره) الى « العازارية » ومع ايراد

هذا وقد ذكر القاموس (ص ٢٠٤ ، ع ٢) أن هناك في
« العازارية » أو « بيت عنيا » قبر المازر لا يزال موجودا الى اليوم
وأنه منحوت في الصخر ، وإذا رجعنا الى الادريسي في كتابه
نزهة المشتاق الذي ألفه سنة ١١٥٤ م بطلب من روجر الثاني ملك
صقلية ، فإنه يقول (ص ٩) أن في الجانب الشرقي من جبل
الزيتون يوجد قبر « العازار » .

مؤاب

تطلق هذه الكلمة في التوراة على شيتين ، فإن أريد بها انسان
فمؤاب ابن لوط (التكوين ١٩/٢٧) ، وإن أريد بها أرض فناحية واقعة
شرقي البحر الميت ، وقد يقال لها « عربات مؤاب » ، ويقصد بها
أردن أيضا ، وتذكر التوراة أن موسى عليه السلام صعد منها
« فأراه الرب جميع الأرض » كما يقول نفس السفر أنه مات هناك
« حسب قول الرب » (انظر سفر التثنية ٣٤/١) .

ولما مات سليمان أصبحت « مؤاب » جزءا من المملكة الشمالية
حسب ما يقول القس جورج خوري راعي الكنيسة الانجيلية
بطرابلس لبنان في الكلمة التي كتبها عنها في القاموس ، ص ٩٢٨ .

ومؤاب حافلة بالآثار القديمة فقد اكتشف فيها حجر مؤاب
هناك أكثر من قرن وهو الحجر الذي أقيم « احتفاء باستقلال مؤاب
عن الاسرائيليين » .

تشير التوراة في أخبار الأيام ٧/٢٤ الى انه لما اجتمعت
فرق بنى هرون خرجت القرعة الاولى « ليهو ياريب » جد المكابيين -
فشبت منازعات وحروب بين الأبناء ، حتى انتهى الحكم الى
« هيرودوس الكبير » .

وهناك ما يعرف بأسفار المكابيين وهي خمسة ، ذكر القاموس
انها تحتوي على تاريخ استقلال اليهود تحت قيادة الأسرة
المكابية .

وتتضمن هذه الأسفار - كما يشير القاموس - ذكرا لما كان
من عصيان اليهود ثم نجاحهم وقد ضاع الأصل العبراني للسفر
الأول ولم يبق سوى ترجمته اليونانية .

أما الأسفار الأربعة التالية فلا تبدو أن تكون « تاريخا » ،
ولعل أهمها من الوجهة التاريخية السفر الثالث ، إذ يتعرض
لزيرة بطليموس الرابع لأورشليم سنة ٢١٧ ق م . واعتدائه على
المعبد ، وما وقع على اليهود في اسكندرية من الاضطهاد .

ويصف القاموس (ص ٩١٢) مادة هذا السفر بأنها
« خرافية » .

أما آخر هذه الأسفار فيشتمل على تاريخ اليهود حتى سنة
٨٦ ق قبل الميلاد .

ثالثا النبي

هو أحد أنبياء يهوذا ، وكان كثير النصيح لداود وسليمان بما
فيه الخير والصلاح ، شتفيد ذلك مما ورد في هذا الصدد في سفرى
صمويل الثانى والأخبار ١٧/١ - ١٥ .

ولم يكن بين ناثان وداود حجاب حتى انه ليجابه - فى غلة
 انكرها عليه - مجابهة عنيفة ويؤثبه على قتله « أوريا الحثي » الذى
 كان قائدا فى جيش داود ، واتصل داود بزوجة « أوريا » اتصالا
 مشينا ثم زاد فجعل « أوريا » فى صف من القتال وافاد فيه مصرعه
 وتم لداود ما اراده ليخلو له الجو مع امرأة « أوريا » ، فاستنكر
 « ناثان » فعله داود « لأنه قبح فى عين الرب » لاسيما وقد اخذ
 زوجة « أوريا » فولدت له ولدا فاماته الرب وأحزن قلب أبيه حتى
 انفطر (راجع صمويل الثانى ، ٢/١١ - ٢٦ ، ٩/١٢ - ١٨) .

وصدق ناثان فيما أنذر به داود ، فقد مات ولده من امرأة
 أوريا فأخذ يعذب نفسه .

وكان داود كثير التعظيم لناثان وانصياعا لأمره حتى لقد
 استمع اليه حين أشار عليه أن ينصب « سليمان » من بعده بدلا
 من ولد آخر له اسمه « أدونيا » (بفتح الهمزة أوله وضم الدال
 وكسر النون وتشديد الياء المفتوحة بعدها ألف) ، وفصل داود
 ما أشار به ناثان عليه ومسح « صادوق » الكاهن سليمان « ملكا فى
 جيحون وهو تبع فى اورشليم » ، وقد وردت هذه الاخبار بالتفصيل
 فى الاصحاح الأول من الملوك الأول ، ٢٢ - ٤٠ .

نايين

يشير وليم الصورى الى قرية صغيرة يسميها « ناين » تقع
 فى الجليل على مشارف القسم الجنوبى الشرقى من الناصرة .

وترجع الأهمية التى تتمتع بها هذه القرية الى تلك المساحة
 الكبيرة الدينية من المعجزات التى تمت على يد السيد المسيح حين
 كان ماضيا فى طريقه فلما قارب باب « ناين » رأى أناسا يشيعون

ابن أرحلة وهى تذرف الدمع السخين عليه فقد كان وحيدها فى هذه الدنيا ، فعطف المسيح عليها ونهاها عن البكاء « ثم أمر المشيعين أن ينزلوا النعش على الأرض ففعلوا » ، « ثم تقدم هو ومسه وقال : أيها الشاب اتول : « قم » ، فجلس الميت وابتدا يتكلم فدفعه الى أمه ، فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين قد قام ههنا نبي عظيم » .
(انظر لوقا ١١/٧ - ٢٢) .

ومن ثم ذهبت قرية نايين منذ تلك اللحظة بالأعمية والقداسة عند المسيحيين .

وادی هنوم

وادی هنوم (بكسر الهاء وتشديد النون المضمومة) واد يحيط بالقدس من الجنوب والغرب ، وقد يقال له وادی « ابن هنوم » كما جاء فى يشوع : ١٨/١٥ ، أو « بنى هنوم » حسبما ورد فى الملوك الثانى : ١٠/٢٢ ، ويعدده اليهود كما قال القاموس موضعاً نجساً ، ويعلق نفس المصدر على ذلك بأن اشتقت من « هنوم » كلمة جنهم « مستقرشدا فى ذلك ببعض عبارات قال انها واردة فى اتجيل متى ، لكننا لم نجد الكلمة صريحة فى المواضع التى أشار اليها القاموس .
ويربط لى سترانج

Le-Strange : Palestine Under The Moslems, PP. 218 — 220.

بين هذا الوادى وبين وادی قدرون معتمدا فى ذلك على بعض الكتاب المسلمين أمثال المقدسى وياقوت وناصرى خسرو .

يؤاب بن هروية

كان يؤاب أحد ثلاثة أبناء للمرأة «صروية» (بفتح الصاد وضم الراء بعدها واو وفتح الياء المثناة من تحت وآخرها تاء مربوطة) ،

وهي أخت داود . وكان « يؤاب » مقداما متطلعا للزعامة والعظمة ، فقد جاء في أخبار الأيام الأول ١١/٤ - ٩ ، أن داود قال ان الذي « يضرب اليوسيين أولا يكون راسا وقائدا » ، فتقدم يؤاب الجميع « فصار رأسا » ، وأسدى بذلك يدا الى داود الذي أقام في الحصن ، وسموه « مدينة داود » .

ومع طاعة يؤاب لخاله داود الا أنه قتل ثالث أولاده وهو « أبشالوم » (بفتح الهمزة أوله وسكون الباء) الذي استطاع بلباقتة وذكائه وحسن منظره ولطف حديثه أن يستحوذ على قلب أبيه وشعب اورشليم ، ثم تأمر على أبيه وأثار عليه جميع أسباط اسرائيل وجند الجند لقتال أبيه وكان يؤاب في جيشه ولكنه فر من جيشه كراهية منه في أن يقا تل خاله . وخرج يؤاب لمحاربة أبشالوم فاوصاه داود - على مسمع من كل الشعب - أن يتوقف بالفتى أبشالوم « ولكنه تناسى الوصية عن عمد ان كان « أبشالوم قد دخل بالبغل الذي يركبه تحت أكمة فتعلق رأسه « بها فعلق بين السماء والأرض ، ومر البغل الذي تحته « أى انطلق وتركه مدلى فجاء الى يؤاب واحد من خدمه فأمره يؤاب ان يقتله فأحجم الحبد إذ ما كان له أن يعد يده بالسوء الى « أبشالوم » ابن مولاه بعد أن سمع وصية داود فيه فما كان من « يؤاب » الا أن أنشعب ثلاثة سنين في قلب أبشالوم وهو لا يزال حيا محلقا في الأغصان الكثيفة الملتفة ، وساعده في قتله ثلاثة من الغلمان ، فلما سمع أبوه نبأ مصرعه انزعج أشد الانزعاج وبكى وراح يصيح « يا ابنى أبشالوم يا ليتنى مت عرضك ! » .

وكان يؤاب طماعا ارتكب كثيرا من المشناعات التي أغضبت داود منه ، بل انه تأمر على داود وقد طلعن في السن فلم تنجح مؤامراته مما حمل داود على ان يطلب من ابنه سليمان أن يقتله

فهرب « يواب » فلم ينفعه هربه وقتل فى الهيكل « ورد الرب دمه
على رأسه » . الملوك الأول ٢٣/٢ .

يشوع بن نون

يشوع « كلمة عبرية يفسرها كذاب العهدين بأنها تعنى « يهوه »
أى « الرب مخلص » ، (ويهوه بفتح المياء والواو بينهما هاء ساكنة
وأخرها هاء) من اسماء الله فى العبرية .

وأول ما نرى هذا الاسم فى سفر الخروج الذى نطالع فيه أن
موسى سأل الله - حين أرسله لبني اسرائيل - ماذا هو قائل لهم ،
غامره أن يقول لهم : « يهوه ، اله آبائكم : اله ابراهيم واله اسحق
واله يعقوب أرسلنى اليكم » .

هذا فيها يتعلق بكلمة « يهوه » .

ويقول مفسرو العهد القديم ان أصل « يشوع » هو « هوشع »
وأنه ابن نون (العدد ١٢/٨) ، وأنه ولد بمصر وصار خليفة لموسى
وكان قد عمل خادما عنده فعينه موسى لقيادة بني اسرائيل حين
خرج « عماليق » لقتالهم ، وأمر موسى « يشوع » أن ينتخب له
رجالا ينهض بهم لمحاربة « عماليق » . انظر سفر الخروج ١٧/٩) .

وتروى الاخبار أن الشمس وقفت انصياعا لأمره ، ويشير الى
ذلك شاعر مصر أحمد شوقي اذ يقول :

قضى يا أخت يوشع خبري
أحاديث القرون الخابري

ويقول القاموس (ص ١٠٧٠) عن سفر يشوع أنه كان مجهولا
وأنه نسب لأشخاص كثيرين .

كما ورد في القاموس أيضا ثبت بمن سموا في العهد القديم
بعشوع ، كما تضمن بحثا مطولا عن سفره فليرجع اليه من شاء
الاستزادة عن هذه الناحية .

يوحنا المعمدان

يوحنا المعمدان هو عند المسلمين « يحيى » ، وأبوه « زكريا »
الذي دعا ربه أن يهب له من لدنه غلاما ولما فجاءته البشري يحيى
الذي لم يجعل الله له من قبل سميا ، وكان مصدقا بكلمة من الله
وسيدا وحضورا ، فهكذا كان نعته في القرآن الكريم الذي أكرمه
فذكره بكل خير في كثير من المواضع .

وكان يحيى أو يوحنا من « البررة الأطهار » كما يصفه لوقا
في إنجيله ١٥/١ - ١٦ . وقد بشر جبريل عليه السلام أباه زكريا
به وهو في الهيكل وأنبأه أنه سيكون « عظيما أمام السرب » . . .
وخمرا ومسكرا لا يشرب . . . ويرد كثيرين من بنى إسرائيل إلى
الرب الأهم . فتعجب زكريا أن ينجب وهو شيخ وامراته عاقرة .
وأشار كتاب الله إلى ذلك في قوله تعالى « قال رب أنى يكون لى غلام
وقد بلغنى الكبر وامراتى عاقرة قال كذلك الله يفعل ما يشاء » (آل
عمران ٤٠/٣) .

ولم يكن عجب زوجته أقل من عجبه فهي « متقدمة فى أيامها »

وتصف الرواية المسيحية هذا الموقف إذ قال جبريل عليه السلام
لزكريا « أرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا . . . وها أنت تكون صامتا إلى
اليوم الذى يكون فيه هذا الميلاء » . فلما خرج زكريا لازم الصمت
فقهم الناس أنه قد رأى رؤيا واقتصر كلامه على الإيماء . .

ويقول الله عز من قائل (يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا • قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا • قال كذلك قال ربك ذو على مين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا • قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا • فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا) • صدق الله العظيم • (مريم ٧/١٩ - ١١) •

وتمت آية الله جل من قادر ، وصدقت البشرى ، فأنجبت امرأة زكريا ولد هما « يحيى » المعروف فى المسيحية باسم « يوحنا » الذى قال فيه كتاب الله (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وأتيناه الحكم صبيا • وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا • وبراً بوالديه ولم يكن جبارا عصيا • وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا • (مريم ١١/١٩ - ١٥) •

وكان مولد يحيى بن زكريا قبل المسيح بستة أشهر ، واعتزت به المسيحية - اعتزاز الاسلام به أيضا •

ولد يحيى أو يوحنا المعمدان - « وقد امتلأ من الروح القدس ، وبشر بظهور المسيح الذى وصفه بأجل الأوصاف ، اذ جاء فى اتجيل متى ١١/١١ » الحق أقول لكم : لم يقم بين المولود من النساء أعظم من يوحنا المعمدان •

كذلك جاء فى كتاب الله ان الله أمر زكريا ألا يكلم الناس ثلاثة أيام الا « رمزا » •

وتذكر الرواية المسيحية أن « يوحنا المعمدان » هذا هو الشخص الذى كان اليهود ينتظرون قدومه « قدام المسيح وسموه ايليا » وقال عنه المسيح لتلاميذه « انه جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما ارادوا » ••

ومع أن المسيح - حسب هذه الرواية - لم يصرح باسم
باسمه إلا أن تلاميذه فهموا أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان «
(انظر متى ١٧/٩ - ١٢) » .

كان يوحنا المعمدان - أو يحيى بن زكريا - قوى التغلب على
شبهوات البدن ، وراح يبشر بالمسيح قائلا : « هذا هو الذى قلت
عنه : ان الذى يأتى بعدى صار قدامى لأنه كان قبلى » (يوحنا
١/١٥) .

ولما رأى اليهود من آيات يحيى ما رواوا سالوه من يكون ،
وبعد حوار طويل قال لهم : « أنا صوت صارخ فى البرية » فكان
هذا دليلا على شدة تواضعه .

وكان يوحنا المعمدان « يعمد » فأنكر اليهود عليه ما يفعل
ان ليس هو « المسيح ولا ايليا » فرد عليهم « بأنه يعمد بالماء فى
نهر الأردن » . وأما المسيح فيعمد بالروح القدس ونار » . ثم أشار
الى أنه فى وسطهم » . ووصف حرقه هو ذاته من المسيح بأنه
« ليس بمستحق أن يحل سيور حذائه » .

ولم يكن يوحنا المعمدان يكف عن مجابية الاتم بائعة ولم
يرهبه أن يواجه « هيرودوس » الطاغية وهو فى قمة جبروته ، وندد
بفجوره مع « هيروديا » امرأة أخيه « فيلبس » ، وكان بين المؤمن
يحيى والفاجر هيرودوس من أجل ذلك مواجهة عنيفة أثارت الطاغية
فزعج به فى الحبس ، وكان يتعنى لمو قتله ولكنه كان يخشى ثورة
الناس ان هو قتله . (انظر لوقا ١٩/٢ - ٢٠) .

واستشهد يوحنا المعمدان على يد « هيرودوس » بتحريض خفى
من امرأة أخيه « هيروديا » نقلته اليه ابنتها « سالومي » .

ويلاحظ أن الانجيل حين عرض لمأساة يوحنا التي انتهت بقتله لم يصرح باسم « سالومة » ولكننا نستطيع الجزم من ملابس الرواية التي ساقها حتى في انجيله من أن سالومة ابنة هيروديا رقصت فسرت هيردوس ، فوعد بقسم منه أنها مهما طلبت يعطيها ، « فهي إذ كانت قد تلقنت من أمها قالت اعطني ها هنا على طبق رأس يوحنا المعمدان » فأرسل وقطع رأسه في السجن فأحضر ودفع به إلى الصبية فجاءت به إلى أمها » .

ونستفيد من الاصحاح الخامس عشر من أعمال الرسل أن يوحنا المعمدان كان من عمد الكنيسة في القدس حين جرى الشقاق الكبير في الرأي بين الناس حول أمور خاصة كالختان وغيره .

وإذا تتبعنا تاريخ يوحنا المعمدان كما جاء في العهد الجديد نجد أنه ذهب إلى « افسرس » وإلى سميرنا (أزمير) وبرجامس وبقية كنائس آسيا الصغرى السبع ، ووردت أخبار ذلك كله بالتفصيل في رؤيا يوحنا اللاهوتي ١/٩ - ٢٠ .

يهوذا التقى

إذا جرت على اللسان كلمة « يهوذا » انصرف الذهن إلى شيئين ، أما أحدهما فشخص ، وأما ثانيهما فموضع بفلسطين .

فأما الشخص فتطلق على اثنين أحدهما كان غما تقيا وهو أخو يوسف عليه السلام وأما الآخر فسمى له يعرف في التاريخ باسم يهوذا « الخائن » وأكثر ما يسمى بيهوذا « الأسخريوطي » .

وستتكلم عن أولهما في هذه الأسطر فنقول انه واحد من أربعة أبناء كانوا ليعقوب من امراته « ليئة » ، ويورد سفر التكوين

(٢٩/٣٥) من خبر « ليثة هذه أنها كانت مكروهة » فتعطف عليها الرب فولدت أربعة أولاد كان آخرهم يهوذا . ثم قوتفت عن الولادة .

وكان « يوسف » أثيرا عند أبيه يعقوب يقدمه على أخوته جميعا بصورة أحققتهم عليه ، وكادوا له غدبروا أن يقتلوه أو يطرحوه أرضا ، ولم يشذ عنهم فى تدبيرهم ومكرهم السيئ إلا أخوه وأخوهم « يهوذا » ، ولكنه كان أعجز عن مقاومتهم فاختر أخف الأضرار ، وقال لهم كما جاء فى القرآن الكريم (لا تقتلوا يوسف وألقوه فى غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة) ، وقالت التبراة فى ذلك أنه عرض عليهم ذلك « حتى لا تكون أيديهم عليه لأنه أخوهم ولحمهم (راجع سفر التكوين ٢٧/٢٦) .

ونفذوا مؤامراتهم ولكن الله أنجاه . وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك فى قوله تعالى (وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون) ويمكن مراجعة هذه القصة مفصلة فى سورة يوسف بالكتاب الكريم ١٢/٩ - ١٥ .

لقد مر به وهو فى الجب بعضهم فشتروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ، وتسمى التوراة هؤلاء الذين اشتروه وحملوه الى مصر بالاسماعيليين ، أى العرب من نسل اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وتزيد أنهم اشتروه بعشرين من الفضة .

ولقد مكن الله ليهوذا واسباطه الذين كانوا من أظهر الأسباط . وبلغ يهوذا من القوة والبأس الحربى ما وردت الإشارة إليه فى الأصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين (٨ - ١٢) وذلك حين

جمع يحقوب أولاده ليحذرهم عما هم ملاقوه من بعده ، وشرح لهم جرم كل واحد منهم ، فلما جاء الى « يهوذا » قال ان اخوته سوف « يحسدونه وأن يده على قفا أعدائه ، وأنه يسجد له بنو أبيه » (راجع سفر التكوين ٨/٤٩ - ٩) ، ووصفه نفس السقر بقوله « يهوذا جرد أسد » .

ويرد في سفر القضاة (١٨/٢٠) أن رجال اسرائيل لما اجتمعوا وسألوا من يكون منهم أول الصاعدين الى بيت « أيل » قال الرب : يهوذا أولا .

ونستفيد من تاريخه أن الرب كان راضيا عنه بدليل كثرة حارزقه من الأسباط ، وتقديمه أسباطه على غيرهم (انظر سفر العدد ٤/٢ ، ٢٢/٢٦) .

أما الأرض التي يطلق عليها أرض يهوذا « قلم تكن كلها لهم ، إذ كانت مدن الساحل في أيدي الفلسطينيين ، وقد ورد تحديدها الديني الدقيق - حسب النص اليهودي - في الاصحاح الخامس عشر من سفر يشوع .

يهوذا الاسخريوطي

هو يهوذا بن سمعان كان أحد تلاميذ المسيح عليه السلام ومن بين رسله الاثنى عشر الذين اصطفاهم لنشر دعوته والتبشير بالانصرانية ، وكان يهوذا الاسخريوطي رجلا غدارا مطبوعا على الشر والطمع ، قد تغفلت الخيانة والغدر في حفاياه ، وسرقا مسير النعم في عروقه وكانت طبيعة ركبت فيه ، وهو لا يتورع عن عجاجة الحسنة بالسيئة ان رأى في سلوكه هذا السبيل نفعا لذاته حتى ولو كان هذا النفع مدموما .

وكان المسيح يعرف فيه دناءته وأدركنا ولكن لم يصرح بها بل أشار إليها رمزا ذات مرة ، نستفيد ذلك من قوله لتلاميذه ذات يوم ويهوذا بن سمعان هذا حاضرهم :

« الحق الحق أقول لكم • ان واحدا سيسلمنى » فعجب تلاميذه من ذلك القول تنفرج عنه شفاه وراحوا يتبادلون النظرات فيما بينهم « وهم محدثون من يفتيه يسوع بهذا القول ، فسأله أحدهم من يكون هذا الشخص منهم ، فأجابه « من ذا الذى أغمس أنا اللقمة وأعطيه ، فغمس اللقمة وأعطاهم ليهوذا سمعان الأسخريوطى ، فبعت اللقمة دخله الشيطان » • راجع غي ذلك يوحنا ١٣/١٥ - ٢٧ (•)

وكان المسيح قد جعل الصندوق مع يهوذا بن سمعان الأسخريوطى (يوحنا ١٣/٢٩) فلم يزد ذلك الا فجورا كشف عن سقامته التى تمثلت فى عدم تورعه عن سرقة مافى الصندوق « فكان يحمل ما يلقى فيه » • (يوحنا ١٢/٦) •

وحما يدل على لزوم طبيعته مرقفه من مريم اخت لعازر يوم اقامت لختها مرثا عشاء فى بيت عنيا حضره يسوع بمناسبة اقامته لعازر من الأموات ، ان عمدت مريم يومذاك فأخذت منا من طيب « ناردين » كثير الثمن ودهنت قدمى المسيح يسوع ، ومسحت قدميه بشعرها فاملا البيت من رائحة الطيب • • فقال يهوذا بن سمعان الأسخريوطى المزمع أن يسلمه : لماذا لم يبع هذا الطيب بثلاثمائة دينار ويعطى للفقراء ؟ » ، وكان فى ظاهر قوله الرحمة وهى حقيقته الجشع ان كان يتعنى لو بيع الطيب ووضعوا ثمنه فى الصندوق فيسرق منه ما شاء •

وقد نعتته المسيح - وإن لم يسمه ويصرح باسمه - بالشيطان حين قال لتلاميذه « اليس أنا اخترتكم الاثنى عشر ، وواحد منكم شيطان ؟ » ، ويعقب يوحنا على ذلك بقوله « قال يسوع هذا عن يهوذا سمعان الأسخريوطى لأن هذا كان مزمعا أن يسلمه وهو واحد من الاثنى عشر » (راجع يوحنا / ٧٠ - ٧١) .

وقد انتهت حياة يهوذا الأسخريوطى أسوأ نهاية ، إذ يشير متى الى ما كان من ندمه على ما فعل بيسوع وتسليمه لرؤساء الكهنة وشيوخ الشعب حين ، « رد الثلاثين من الفضة اليهم قائلا : قد أخطأت إذ سلمت دما بريئا » فلم يكثر هؤلاء الرؤساء بما قال ، فادرك أنه خسر هؤلاء وهؤلاء ، فندم على نفسه ، ومن ثم عمد الى « طرح الفضة في الهيكل وانصرف ، ثم حصى وخنق نفسه » (متى ١/٢٧ - ٥) .

على هذه الصورة الزرية كانت نهاية هذا الشرير الفاجر وهي نهاية يستحقها .

يهوشافاط

يتردد هذا الاسم كثيرا في بعض الأسفار والكتب القديمة ، والكلمة عبرية ، ومعناها كما يقول العالمون بتلك اللغة « هكذا قضى الرب » .

وقد أطلقت في التاريخ على رجل من الرجال ، كما أنها أطلقت في القديم على بقعة من الأرض في فلسطين . فلما الشخص الذي تسمى بها - بعد انقسام مملكة سليمان - فواحد من ملوك يهوذا ترجع اوليات حكمه الى اخريات القرن التاسع قبل الميلاد ، وقد تميز

« بالحكمة والعقل وحسن الإدارة حتى كأن الرب معه لأنه سار في طريق داود » . وقد عدد سفر أخبار الأيام الثاني ، ١٧/١٢ - ١٩ من كان يستعين بهم « يهوشافاط » في حكمه ، ومافيهام الا كل بارع في عمله بمفهوم براعة ذلك الوقت وقيمه .

كما أننا نستفيد مما ذكره نفس المصدر (١٩/٥ - ١١) أنه كان عادلا ، لأنه ليس « عند الرب ظلم ولا محاباة ولا ارتشاء » ، ولم يكن هو يقصر من جانبه في نصح من استعمله ، فالرب « مع الصالح » .

على هذه الصورة الكريمة يبدو لنا يهوشافاط ، في العدل وحسن الإدارة والاهتمام بإحقاق الحق ورد الظلم عن المظلوم ، لكن خلفه ولد له لم يكن على شاكلته كما يقرر ذلك سفر الملوك الأول ٢٢/٥٠ ، وهذا الولد هو الذي يسمونه في الكتب القديمة باسم « يهودام » .

هذا فيما يتعلق بلفظ « يهوشافاط » إذا قصد به الشخص .

أما الأرض فهناك وادي « يهوشافاط » الذي يعرفه القاموس هو « وادي قدرون » الواقع شرقي أورشليم ، وهو بقعة يجلبها أهل الأديان السحائية الثلاثة .

وقد ورد التعريف بوادي قدرون في القاموس (ص ٧١٦ ، - ٧١٧) بأنه يعرف الآن بوادي ست مريم الذي يمتد من شمال غربي أورشليم ويتجه جنوبا مشرقا حتى ينحدر الى ما يسمى بوادي الراهب فبحر لوط ، وهنا يسمى بوادي النار .

ويشير نفس القاموس (نفس الموضع) الى أن يوسيبوس هو القائل بأن وادي قدرون هو وادي يهوشافاط .

« يوثيل » لفظ عبري معناه « يهود هو الله » - وهذا هو تفسير تلك الكلمة كما جاء في القاموس (ص ١١٠٢) ، وهذا الاسم كثير الوجود في غير واحد من أسفار العهد القديم ، وهو يطلق في كل مرة على شخص معين . ويهمننا في هذا المجال أن نقول أننا نستفيد من أخبار الأيام الأول (١٥/٧ ، ١١) أنه لما أراد داود حمل التابوت الى الخيمة التي أعدها له أمر ألا يحمله الا « اللاويون » انصياعا « لأمر الرب » فكان « يوثيل » واحدا ممن جمعهم من بني « جرشوم » (وهى بفتح الجيم وسكون الراء وضم الشين) .

وهكذا عرفنا مكانة « يوثيل » وأنه كان من رجال لهم الصدارة في جليل الأمور .

كما نستدل من نفس السفر ، لكن في موضع آخر (١١/١٥) أنه كان وجيها في جماعته ، راسا فيهم ، وذلك حين يرد وصف داود ليوثيل بأنه كان « راسا من رؤوس أبناء اللاويين » .

وهنا يحق لنا أن نتساءل - ونحن في مجال التعريف بهذا الاسم - هل تراه هو نفس « يوثيل » الذي أشارت اليه الأخبار الأول (٢٣/٨) بأنه كان أحد ثلاثة من رؤوس بني لعوان « حيث تطالع أنه كان في خدمة داود ؟

أما السفر الذي يحمل اسمه فقد ذكر القاموس عنه أنه لا يعرف شيئا عن كاتبه سوى أنه من اقليم يهوذا .

كشاف عام

للأجزاء الأربعة من كتاب

الحروب الصليبية

لأوليم الصوري

الأب ثيوبولد (Theobald) : ١٢٧/٤

• ٤٥/١

الآباء اليسوعيون : ٣١/١

أبجار (Abgar الملك) : ٢٥٨/١ ، ٢٤٠/٣

ابديموس بن ابيديون : ١٦/٣ ، ١٧

• إبراهيم الناصري : ٢٣١/٤

ابراهيم (الخليل عليه السلام) : ٢٠٩/٢ ، ٢٤٨ ، ١٣٢/٣

• ١٥٣ ، ٩٨/٤ ، ٣٥٣ ، ٣٩٢

• ابراهيم بن طرغت : ٢١٩/٣

• أبرشية أورليان : ١١٧/٣

• أبرشية طرسوس : ١٥٥/٤

• ابروس Epirus انظر ابيروس)

• الابريز : ١١٣/٤ ، ١١٨ ، ٢٤١

- أبريمار (Ebrema) : ٢/١٩١ ، ٢٤٢ ، ٢٥٤ ،
 ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٨٣ .
- أبسالوم (Ebsalom) أسقف عسقلان) : ٢/٣٧١ .
- أبليس : ٤/٣٥٦ .
- أبليس بسوس ٣/٤٠٣ .
- أبشالوم بن داود
- أبلين : ٢/١٦٤ ، ٢٧١ .
- أبولو (Apollo) : ١/٢٧٢ - ٢٧٥ ، ٤/٣٥١
- أبولونيا (موضع) : ٤/٣٥١ .
- أبو لرنخيوس (Apollonius) : ٢/١٦ ، ٤/٣٥١
- أبوليا (Apulia) : ١/٩٣ ، ٩٦ ، ١١٠ ، ١٥٤ ،
 ١٧٥ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٧٦ ، ٢/١٧١ ، ٢٤٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ،
 ٢٧١ ، ٢٤٠ ، ٣٥٢ ، ٣/٥٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ٣٩٢ ،
 ٣٩٧ ، ٤/١١٧ ، ٢٠٥ ، ٣٣٦ .
- أبيالو : (وارك حيرام) ٢/١٧ .
- أبيجايل (زوجة نابال الغبي) : ٤/١٦٧ ، ٣٥١ - ٣٥٣ .
- أبيدوس : ١/١٥٨ ، ٤/١٦٦ .
- أبيروس (Epirus) : ١/١٥٢ ، ١٨١ ، ٢/٢٧٠ .
- أبيمالك : ٤/٤٥٣ ، ٤٥٤

• اتارد (أسقف الناصرة) : ٤٥٧/٣ .

أتالبا (= أتالية ، أداليا) : ٣٥٤/٤ ، ٣٦٨ .

• أتاليس يلا دلفوس : ٣٥٤/٤ .

• الأتراك (= الترك ، والترکمان) : ٧٦/١ ، ٧٩ ، ٢١٨ ،

٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٥٢ ،

٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣١٣ ،

٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٢٤ ، ٣٢٩ ، ٣٤٥ ، ٣٥٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٧٢ ،

— ٣٧٤ ، ٣٧٧ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤١٢ ، ٤١٧ ،

٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٢٨/٢ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ١٦١ ،

١٦٢ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٠٩ ، ٢٥٠ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣٢١ ، ٣٦٦ ،

٣٢/٣ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٩٩ ، ١٧٢ — ١٧٤ ، ٢٤٠ ، ٢٥٣ ، ٢٥٨ ،

• ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٤ ، ٣٤٠ ، ٤٠٣ ، ٤١٤ ، ٤١٩ ، ٤٢٦ .

• اترانتو (Otranto) : ٣٩٣/٣ ، ٩٩/٤ .

• أتريب : ١٦٣/٤ .

• أتيكا : ٢٧٤/١ .

• أثناسيوس الرابع (Athanasius IV) : ٢٨١/٣ ،

• ٦٩/٤ .

• أثينا : ٣٦١/٤ .

• الأثيوبيون : ٥٩/٤ .

• أجانيب : ٢٧٥/١ .

• اجزسيس : ١٥٨/١ .

- اجناتيوس : ١٠٥/٢
- اجانيب : ٣٥٤/٤
- اجنس (بنت لويس السابع) : ٢٥٨/٤ ، ٢٣٩
- اجنس (بنت اخى وليم بيورى) : ١٢٦/٢
- اجنس (زوجة رينو الصيداوى) : ١٩٦/٤
- اجنس (بنت جوسلين ومطلقة عمورى) : ٩٥/٣ ، ٤٤٢ ، ٢٢/٤ - ٢٤ ، ٥٦ ، ٨٢ ، ٨٧ ، ١٧٢
- اجنس (رئيسة دير نساء القدس) : ٣٩١/٣
- اجونيم : ٦١/٤
- اجينور (الملك) : ١٤/٣
- احمد شوقي : ٣٩٣/٤
- احمد بن طولون : ٨٧/٤
- احيرام (انظر حيرام) : ٢٨٢
- اخائية : ٣٦٧/٤
- الاخشاب : ١٢٥/٤
- اخيمالك الكامن : ٨٠/٢ ، ١٥٠/٣ ، ٢٥٥/٤ ، ٢٥٦
- ابرنة : ١٥٥/١ ، ١٦٤ ، ٢٧٠/٣ ، ١٤٨/٤
- الادريسى : ٤٧/٢ ، ١٥١/٣ ، ٨٧/٤ ، ٢٨٨/٤
- ادليدا (Adelaida كونتيسة صقلية) : ٢٥٦/٢ ، ٢٩٤ ، ٢٠٣ - ٢٠٥ ، ٢٢٢ ، ٢٤٢

• ۱۶۵ ، ۱۵۳

• ادونیا بن سلیمان ۳۹۰/۴

• أدیلة Adele زوجة ستیفن دی بلوا (

ادیمار دی مونتیل أسقف بوی (Adhemar de
monteil du puy) (Montei du Puy)

، ۱۸۸ ، ۱۸۰ ، ۱۷۸ ، ۱۷۶ ، ۱۴۲ ، ۱۱۱ ، ۱۰۹ ، ۱۰۷/۱

، ۳۹۵ ، ۳۷۷ ، ۳۰۰ ، ۲۸۷ ، ۲۸۶ ، ۲۸۳ ، ۲۲۶ ، ۲۰۶ ، ۲۰۳

، ۱۳۱ ، ۷۸ ، ۱۹ ، ۱۱/۲ ، ۴۲۰ ، ۴۱۹ ، ۴۰۵ ، ۴۰۴ ، ۴۹۶

• ۱۴۵

• اذرعاع (= اذرع اذرعی) : ۲۵۰/۳ ، ۱۶۵/۴ ، ۳۶۷

• ۳۶۸

• الأرائقة : ۳۴۶/۳

• ارادوس (Arados) : ۴۵/۲ ، ۴۸ ، ۲۵۶/۴

• ارادیون بن کنعان : ۲۵۶/۴

• اربد : ۱۵۳/۳

• ارتا اجزسیس : ۹۳/۲

ارتاج (Artasium) : ٢٥٠/١ ، ٢٦٦ - ٢٦٨ ، ٤٢٠ ،
٢٦١/٢ ، ٣٤٩ ، ٣٥٣ ، ٢١٢/٤ .

ارتوريا : ٢٠/٢

الأرثوذكس : ٣٢/١

الأرجوان : ١٦/٣ ، ٣٥٦/٤ ، ٣٥٧ ، ٣٦٤ .

ارخوس : ٤٥/٢

أردار (Arda) بنت توروس الارمني وزوجة بلدوين الأول :
٣٢٤/٢ .

الأردن : ٨٠/٢ ، ٨١ ، ١٤٩ ، ١٨٥ ، ١٩٠ ، ٢١١ ، ٢٨٢ ،
٥١/٣ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ٣٤٧ ، ١٥٤/٤ ، ١٩٣ ، ٢٢٧ ، ٢٨٣ ،
٢٨٥ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٣٢٦ ، ٣٦٧/٤ .

أردن أريحا : ٢٨٨/٤

أردولافو (الدوج اليندقي) : ٢٨٠/٢

أرسطوطاليس : ١٨٧/٤

أرسكونياس (Arsequinus) وقد يقال له (Ascellin)
مستشار ملك صقلية : ٢٩٥/٣

أرسوف (Antipiatris) : ١٤١/٢ ، ١٨١ ، ١٩٠ ، ١٩١ ،
٢٠٦ ، ٢١٨ ، ٢٣٤ - ٢٣٦ ، ١٢١/٣ ، ١٥٢ .

أرشارد الأسقف (Archard) : ٢٨٥/٢ ، ٢٨٧ .

أرض الجليل : ٣٧٥/٤

أرض كنعان : ٣٨٥/٤

- أرض مؤاب : ٣٨٨/٤
- أرض الميعاد : ٤٠/٤
- أرض يهوذا : ٣٩٧/٤
- أرض يهوذا : ٤٠٢/٤
- أركاديا (Arcadia) : ١٥٣/١
- أربليس (Arlis) : ٢٦٥/٢ ، ٢٨٥ - ٢٨٧
- أرمبيرج بنت هلي : ٩١/٣
- أرملة نور الدين : ١٦٠/٤
- الأرمن : ٢٢/١ ، ٢٣٦ ، ٢٦٦ ، ٣٠٢ ، ٣١٤ ، ٣٥٩ ، ١٩٤/٢ ، ٢٧٤ ، ٣٢٣ ، ٣٦٠ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٤٢٩/٣
- ٢٦٨ ، ٣١/٤
- أرميا : ٨٣/٤
- أرمينيا الصغرى : ٣٢٧/٤ ، ٢٧٢/٣
- أرمينيا الكبرى : ٤٥٧ ، ٢٧٣/٣
- أرنات (Reynauld de Chatillon) : ٢٩/١ ، ٣٥١/٣ ، ٣٥٩ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٢٠ ، ٤٢٩ ، ٤٣١ - ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٨١/٤ ، ٨٢ ، ١٩٦ ، ٢٠١ ، ٢٦٦ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٣٢٤
- ٣٢٩ - ٣٢٧
- أرنان اليبوسى (وهو أيضا أرونة ، انظر الملحق ٨٦/٢ ، ٨٧ ، ٢٤٦/٤ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨
- أرنولد (Aronld) : ٣٨٤/٢
- أرنولد (دى) توبرج (رئيس فرسان الهيكل) : ٢٦٦/٤
- أرنولف (عن تل باشير) : ٧٥/٤

• أرنولف (اسقف ليزيبه Arnulf de Lesieux) : ٣٠٦/٣ .

• أرنولف (صاحب الحرب المقدسة) : ٥٥/٢ .

• أرنولف (الأسقف) : ١٣٩/٢ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،
١٧٢ ، ١٩٦ ، ٢٠٧ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦٦ ،
٢٦٧ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٣٠١ ، ٣٠٥ ، ٣١٦ ،
٣٢٢ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ١٠٥/٣ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ،
١٩٠ ، ١٩٤ .

• أرنولف الكلابري (de Calabria) ١٠٥/٣ .

• أرواد (رودس) : ٤٧/٢ ، ٤٨ ، ٢٥٦/٤ .

• أرونة اليبوسى (انظر ارنان) .

• أريانو (Ariano) ١٧١/٢ .

• أريحا (Jericho) ٨١/٢ ، ٩٣ ، ٢٩٤ ، ١٧٢/٣ ، ٢١٣ ،
٢٢٢ ، ٢٤٧ ، ٢٦٥/٤ .

• أريوس (Arius) ٩٩/١ .

• أزدود (= أسدود - أشدود - يزدود) : ٢٦٢/٢ ، ٢٤٣ ،
٢٠٩/٣ ، ٢٢١ .

• أزمير (Symerna) ٢٨٠/٣ .

• أسامة بن منقذ : ٣٦/١ ، ٢١٧/٣ .

• الاسبان : ١٣٩/٤ .

• اسبانيا : ٢٠/١ ، ٢٥ ، ٢٢٢ ، ٢٦٩/٤ .

• الاسبتارية (Hospitallers) : ١٠٢/٣ ، ١٢٢ ، ١٥٣ ،

٢٨٤ - ٢٨٦ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٤٠٥ ، ٤٥٤ ، ١٠٣/٤ ،
٢٠٠ ، ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢٤٤ ، ٢٥٥ ، ٢٤٦ .

اسبطة : ١٥٩/١ .

استاس (أو يوستاس Eustace) كونت بولونيا والد
جودفروي (١٥١/٢ ، ١٥٢ ، ١٥٥ .

استاس بن استاس (كونت بولونيا) : ٩/١ ، ١٠٩ ، ١٤٢ ،
١٨٩ ، ٢٠٦ ، ٢٨٢ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٤٠٥ ، ٤٠٨ ، ١٢٠/٢ ،
١٩٤ ، ٣٣١ ، ١١٨/٢ .

استاس جرنيه (Grenier) ٢٨٧/٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ،
٣٥٨ ، ٣٦٤ ، ١٩٠/٤ .

استاس شوليه (Cholet) ٦٣/٤ .

استاس الصغير ١١٨/٢ .

استريا : ١٧٧/١ .

استور : ٢٥/٣ .

استيفانوس : ٣٥٨/٤ ، ٣٥٩ .

الاستيلاء على دمياط (كتاب) : ٤٢/١ .

اسحق بن ابراهيم : ٢٥٢/٤ ، ٣٥٤ ، ٢٩٣ .

اسحق كوزين : ٧٩/٢ .

اسحق بن يوحنا : ٢٠٦/٣ - ٢٠٨ .

اسدود (= اشدود = ازود) : ٣٥٩/٤ ، ٣٦٠ .

الاسرائيليات : ٨٧/٤ .

اسرائيل : ٣٢٧/٤ .

الاسرائيليون : ٣٨٨/٤ .

- الاسطبلات : ٤١٩/١
- الاسفيسلار : ٨٠/٢ ، ٨٢
- اسقف ارتاح : ١١٥/٣
- اسقف ارواد : ١١٥/٣
- اسقف أميين : ٣٤٤/٢
- اسقف انطرسوس : ١١٥/٣
- اسقف اورنج : ٢١٥/٢
- اسقف البترون (البطرون) : ١١٥/٣ ، ٢٧٠/٤
- اسقف بوقيه : ١٨٢/٣
- اسقف بيروت : ١١١/٣
- اسقف جبيل : ٢٧٠/٤
- اسقف الرها : ١٩١/٣
- اسقف ريمز : ٣٣٥/٢
- اسقفية روان : ٦٦/٢
- اسقفية صور : ٥٤/١
- اسقفية صيدا : ١١١/٣
- اسقفية طرسوس : ١٠٩/٣
- اسقفية عرقة : ١١٥/٣
- اسقفية عكا : ١١١/٣
- اسقفية كورتيانيوم : ١٩١/٣
- اسقفية مرقالية : ١١٥/٣
- اسقفية هيرا بوليس : ١٩١/٣

اسكنداليوم (Scandalium) أو (Alexanderium) :
 ٨١ ، ٣٥/٣
 الاسكندر المقدوني : ١٥٨/١ ، ٢٧١ ، ٢٤/٣ ، ٦٨/٤ ، ٤/٤
 ٣٦١

اسكندر كونت جرافينا : ٩٩/٤

اسكندر كونت كونفرسانا (Conversana) ١١٧/٤ ، ٢٠٥

اسكندرونة : ٣٢٢/١ ، ٢٨٧ ، ٨١/٣ ، ٣٨٧

الاسكندرية : ٢٩/١ ، ٦٨ ، ١٣٧ ، ١٧٣ ، ٣٢٢ ، ٢٨٧ ، ٣٥/٣ ، ٢٨٧ ، ٥٩ ، ٥٧/٤ ، ٦٦ - ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٨ - ٧٥ ، ١٧٧ ، ٢٩٣ ، ٢٨٩

اسكندرية الصغرى : ٢٤٧/١

الاسكندناويون : ٢٩١/٢

الاسكيثيون (Scythians) ٢٥/٣ ، ٧٨ ، ٧٩

اسكيفا (أرملة ولتر أمير طبرية) : ١٨٣/٤

اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام : ٢٩٨/٤

اسماعيل العجمي : ١٥٢/٣

الاسماعيلية (طائفة) : ٤٥٥/٣

الاسماعيليون (العرب) : ٣٩٨/٤

الاسمانجونى (لون) : ٣٦٤/٤

الاسهال (مرض) : ٤٥١/٣

اسوزومينوس : ٧٠/٢

اسيا (القارة) : ٢٠٠/٣ ، ١٤٦/٤

آسيا الصغرى : ٥/١ ، ٤٠ ، ٨٦ ، ١٢٤ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،
 ١٦٧ ، ١٩٢ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨/٢ ، ٢٢٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٠ ، ٢٧١/٢ ،
 ٢٨١ ، ٢٢٩/٤ ، ٢٤٢ ، ٢٥٨ ، ٢٥٤/٤ ، ٢٦١ ، ٢٦٨ - ٢٦٢ ،

• اشارد عقدم الداوية (Achard) : ٢٥٨/٢

• اشتينوس : (Aschetinus) اسقف بيت لحم : ٢٨٥/٢

• اشعيا : ١٢٢/٢

• آشور : ٢٢/٢ ، ٢٥/٢

• اشيفا (Eschiva) ، زوجة ريموند الثالث :

• الاصطخرى : ٨٧/٤

• اضااليا (Aralia) ٢٠٠/٢ ، ٢٠٥ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨

• اطفيح : ٤١/٤ ، ٨٥

• الأعراب (وانظر العرب ، والاسماعيليين) : ٢٢٢/٤ ، ٢٤٤

• اعزاز : ١١/٢ ، ٢١ - ٢٥ ، ٢٧ ، ٤٧/٢ ، ٢٢٧ ، ٢٧٢

• أعمال أمراء الشرق : ٢١/١

• أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس (كتاب) : ٢٣/١

• الاغريق : ٦٧/١ ، ٦٨ ، ٨٢ ، ٨٦ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٥٢ -

١٥٤ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٢١ ، ٢٣٦ ،

٢٥٨ ، ٢٠٢ ، ٢٨٨ ، ٢٩٢ ، ٦٣/٢ ، ١٢٧ ، ٢٢٧ ، ٢٧٠ ، ٢٦٠ ،

١١٦/٢ ، ١٦٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٤٢٧ ، ٤٤٦ ، ٩٧/٤ ، ١١٨ ،

١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٦١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧

• ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٥١ ، ٢٦٨

- أقاما (اثيوكس سلوقس) : ٢٢٨/٢
- أقامية (= أقاميا ، وفامية Apamea) : ٢٢/٢ ، ١٩٠ ، ٢٢٧ ، ٢٤١ ، ٢٥٢ ، ٣٥٥/٢ ، ١٠٩ ، ٣٢٤
- أفرام : ٨٢/٢
- أفريقية : ٦٨/١ ، ١٥/٢ ، ٦٢ ، ٤٢/٤ ، ٥٣
- أفسجوريا (منطقة قرب فارس) : ٢٩٥/٢
- أفسوس (Ephesus) = ايسوس : ٢٢٨/٢ ، ٢٨١/٣
- ٢٦١/٤ - ٢٦٢ ، ٢٩٧
- الأفضل أمير الجيوش (Emireus) : ١٥٩/٢ ، ١٦١ ، ٣٤٣ ، ٣٧٠
- أفلاطون : ٥٩/٤
- أفينيون (Avignon) : ٢٨١/٣
- أقي سنقر : ٢٧٩/١
- إقليم البقاع : ٥٦/٣ ، ٢٩/٤ ، ١٢٩ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٨٣
- ١٨٤ ، ٢٦١ ، ٢١٤ ، ٣١٦
- إقليم الثغور : ١٥١/٣
- إقليم الجزيرة : ٣٠٠/٤ ، ٣٠٩
- إقليم السواد : ٢٨٦/٤ ، ٣٠٣
- إقليم لوكا : ٢٦٨/٤
- إقليم المزارع : ٣٠١/٤
- الاكراد : ٢٣٩/١ ، ٨٣/٤

• اكسفورد : ٣١/١

• اكل لحوم البشر : ٤٠/٢

• اكويتانيا : ٢١٢/٢ ، ١٠٢/٣ ، ١٧٣ ، ٢٨٣ ، ٣٠/٤ ، ٣٢١

• ٢٢٤

• اكوليا : ١٧٧/١

• اكيوليوس (لقب بلدوين الثانى) : ٣٣٥/٢

• الب ارسلان : ٨٣/١ ، ٨٤

• البارة : ١٢/٢ ، ٣٣ ، ٢٤ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٥٢ ، ٦٠ ،

• ١٤٩ ، ١٢٦

• البرت (Albert) اسقف بيت لحم) : ٢١٧/٤ ، ٢٢٦ ،

• ٢٦٦

• البرت ديه (او ديكس المؤرخ d'Aix) : ٣٤/٢

• البرت دى كانيانو : ١٦٩/١

• البيريكوس (الأسقف Albericus) : ٢٧٦/١ ، ١٨٢/٣

• التونتاش (الطنطاش) : ٢٤٣/٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٩٦ ،

• ٢٩٧

• اليعازار (انظر لعازر ، وكذلك الملحق)

• العازارية : ٢١٣/٣ ، ٢٢٣ ، ٢٣٩/٤ ، ٣٨٨

• الفانوس (التاجر المسيحى) : ١٢٢/٣

القونس بن ريموند الصنجيلي (كونت تولوز) : ٢٤٥/٢ ، ٢٩١/٣

الفيرا (Elvira) زوجة كونت ريموند الخامس) :
الكسياد : ٣٤/١ ، ٤٢ ، ٥٠/٢ ، ٧٨/٣ ، ٧٩ ، ١٥٠ ، ٢٢٢ ، ٨٢/٤

الكسيوس كومنين البروتوسيبياستوس (Protosebastos) :
٢٧٦ ، ٢٧٥ ، ٢٧٣ ، ٢٦٢ ، ٨٤/٤

الكسيوس كونستفانوس
: (Megalducas =) Contostephanus
٢٧٧ ، ١١٧/٤

الكسيوس بن يوحنا الثاني : ٢٢٠ ، ٢٠٠/٣

اللييريا : ٦٥/٢

الليريا : ٣٥١ ، ١٠٠/٤

الليريكون (الليريكوم) : ٣٦٤ ، ٣٦٣/٤ ، ١٩٠/١

اللمان : ٢٧٤/٣ ، ٩٧/١

المانيا : ٢٩٨/٣ ، ١١٠/١

الياريندو (زوجة سيشاريوس) : ١٥/٣

الياس (النبي) : ١٥٤/٤

اليانورا الفرنسية الاكويطينية (Eleanor of Aquitaine) :
٢٢١ ، ٢٨٩/٣

اليس (Alice) (ابنة بوهيموند) : ١٨٦/٣

اليس (بنت بلدوين الثاني) : ٣٤٢/٢ ، ٥٩/٣ ، ٧٣ - ٧٦

٩٦

اليس (أميرة أنطاكية وأخت عزيزند وأرملة بوهيموند) :
١٢٧/٣ ، ١٢٩ .

اليشة (جزر) : ٣٥٧/٤ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

اليشم : ٣٦٥/٤ ، ٣٦٦ .

St. Lazarous اليعازار (انظر العازار ، ولعازر
٢١٣/٣ ، ٢٣٩/٤ .

اليكس Alix بنت تبولولد الكبير وزوجة لويس
(السابع) : ٢٦٠/٤ .

اليناندوس (Elinandus صاحب طبرية) : ٢٢٨/٣ ، ٣٠٧ .

امارة أنطاكية (انظر انطاكية) .

امارة الرها (Edessa) ، وانظر فيما بعد الرها) .

أمالريك (Amalric بطرك القدس) : ٣٩/١ ،
٤٢٤/٣ ، ١٥/٤ ، ٢٢ ، ٨١ ، ٩٦ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٩٢ ، ٢٦٠ .

أمالريك (رئيس دير حبقوق) : ٣٦١/٢ .

أمالفي (Ispahan) : ٢٨٧/٢ ، ٢٨٩ .

الأمالفيون : ١٧/١ ، ٨٨ ، ٢٨٧/٢ ، ٢٨٨ .

الامبراطور الكسيوس كومنين (Alexius Comnenes)

٣٤/١ ، ٤٢ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥٥ - ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،
٥٨/٢ ، ٥٩ ، ١٢٦ ، ١٩٠ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٦٩ - ٢٧١ ، ٢٢١ ،
٣٤٢ ، ٧٩/٣ ، ١٣٤ ، ٢٢٢ .

الامبراطور الكسيوس الثاني بن حانويل : ٢٥٨/٢ ، ٢٥٩ ،
٢٦٣ .

• الامبراطور امانسيوس : ٦٠/٤

• الامبراطور يازل : ١٥٣/١

• الامبراطور ثيودوسيوس : ١٤٤/٤

• الامبراطور جستنيان : ١٤٤/٤

• الامبراطور فريديك : ٨١/٤ ، ١١٥ ، ١٧٦

• الامبراطور قسطنطين الأول : ٧٠/١ ، ١٩٩

• الامبراطور كونراد : ٢٧٠/٢ ، ٢٦٩/٢ - ٢٧١ ، ٢٧٣ -

٢٧٥ ، ٢٧٨ - ٢٨١ ، ٢٩٠ ، ٢٩٨ ، ٣٠٦ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣٢٠ ،

٣٥٩ ، ١٩٩/٤

• الامبراطور قسطنطين بن قسطنطين بن هرقل : ٢٥٨/٤

• الامبراطور قسطنطين السابع (ابن ايرين) : ١٩٩/١

• الامبراطور قسطنطين (العاشر) دوكاس : ١٧٧/٢

• الامبراطور مانويل بن الكسيوس كومنين :

٢٧/٤ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩٥ - ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١١٦ ، ١٣٩ ،

١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٦٢ - ١٦٤ ، ١٧٦ ، ١٩٧ ،

٢٠١ ، ٢٠٥ - ٢٠٨ ، ٢٢٥ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٥٧ ،

٢٦١ ، ٢٥٩

• ٢٦٢ ، ٢٧٣ - ٢٧٦ ، ٢١٦ ، ٢٣٧

• الامبراطورية البيزنطية : ٥/٢

• الامبراطورية الرومانية : ١٩٩/٤

Amida آمد : ١١٠/٣

الامر بأحكام الله الفاطمي : ٨٠/٢

• امراء التركمان : ٨١/٣

• الأمم : ١٣٢/٢ ، ٣١٧ ، ٣٦٦/٤ ، ٣٦٧

• اميجارا : ١٩٤/٤

• امير الجيوش (Emireus) انظر الافضل)

• امير على زعيم طائفة الحشيشية : ١٣٦/٣

• اناستاسيوس الرابع (Anastasius IV) : ٣٨١/٣

• اناكومينا (Anna Comnena) : ١٧٢ ، ٤٢ ، ٣٤/١

• ١٧٤ - ١٧٦ ، ١٨١ - ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٩ - ١٩١ ، ٢٠٠ ، ٢٠٥ ،

• ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢٨٠ ، ٢٩٨ ، ٣٦٥ ، ٣٨٨ ،

• ٣٩٢ - ٣٩٤ ، ٧٨/٣ ، ٧٩ ، ١٥٠ ، ٨٢/٤

• انترادوس : ٤٧/٢ ، ٢٥٦/٤

• انتيباتريس (Antipatris) : ١٨١ ، ٦٥/٢

• ٢١٨ ، ١٢١/٣ ، ١٥٢ ، ٤٥٤ ، ٢٤٤/٤

• انثيوكس بن سلوقس : ٢٧١/١ ، ٢٢٨/٢

• انتيفاري : ١٧٧/١

• انجازات الملك عموري : ٢٨/١

• انجران بن هيج (Enguerrand of Hugh St. Pol)

• ١٤٥/١ ، ٤٠٥ ، ٤٠/٢

• انجلترا : ٤١/١ ، ٦٣/٢ ، ١٩٤ ، ١٢٦/٣ ، ١٣٧/٤

• الانجليز : ١٥/١ ، ١٦ ، ١٦٧/٢

• انجوسينا : ١٥/٣

الانجيل : ١٥٢/٣

• اندروز (القديس St. Andrews) ٢٩٦/١ ، ٢٩٧

• اندروميديا : ١٠٥/٢

• اندرونيكوس انجيلوس : ٢٧٧/٤ ، ٢٧٨

• اندرونيكوس البيزنطي : ٩٦/٤ ، ٩٧

• اندرونيكوس كومنين : ١٦٢/٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦

• اندرونيكوس المختصب للعرش : ٢٤٢/٤ ، ٢٨١ ، ٢٨٢

• ٢٣٩

• اندرونيكوس بن يوحنا الثاني : ٢٠٠/٣ ، ٢٢٠

• اندريا (كونت رايكاثينا) : ٢٨٣/٣

• اندرياس : ٢٩٨/٣

• انر (معين الدين Anardius) : ١٧٥/٣ ، ١٧٨

• ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢١٨ ، ٢٤٢ - ٢٤٦ ، ٢٩٧ ، ٣٥٩

• انزلم دي پاس (Anselm de Pass) : ١٣١/٤

• انسالدوس (Ansaldus) : ٢٧٧/٢ ، ٢٧٨

• انسلم دي بيوري : ٩٧/٣

• انسلم (اسقف بيت لحم) : ١٩٣/٣ ، ٢٠٣

• انسلم (قيم برج داود) : ٢٨٦/٢

• انسلم (دي) ريمونت : ٤٠٤/١ ، ٤٠٨

, ٢٥٦ — ٢٤٩ , ٢٤٦ , ٨٦ , ٤٠ , ٢٥ , ٢٣/١ : ٢٤٦
 , ٢٠١ , ٢٩٨ , ٢٩٧ , ٢٨١ — ٢٧٩ , ٢٧٦ — ٢٧٠ , ٢٦٨ — ٢٦٥
 , ٢٢٣ , ٢١٧ , ٢١٥ , ٢١٤ , ٢١٢ , ٢٠٧ , ٢٠٥ — ٢٠٢
 , ٢٤٤ , ٢٤٣ , ٢٤١ — ٢٣٩ , ٢٣٤ , ٢٣٣ , ٢٣٨ , ٢٣٧
 , ٢٦٩ , ٢٦٦ , ٢٦٤ , ٢٦١ , ٢٦٠ , ٢٥٠ , ٢٤٩ , ٢٤٧
 , ٢٩٣ — ٢٨٧ , ٢٨٢ , ٢٧٨ , ٢٧٧ , ٢٧٥ , ٢٧٤ , ٢٧٢ , ٢٧١
 ٢١,١٨,١٧,١٣/٢,٤٢١ , ٤١٩ , ٤١٦ , ٤١٠ , ٤٠٩ , ٤٠٠
 , ٥٤ , ٥٢ — ٤٩ , ٤٦ , ٤٢ , ٣٩ — ٣٧ , ٣٢ , ٣٢ , ٣٦ — ٣٤
 , ١٧٠ , ١٦٩ , ١٤٣ , ١٣٩ , ١٣١ , ١٠١ , ٦٧ , ٥٩ — ٥٦
 , ٢١٣ , ٢١٠ , ٢٠٢ , ١٩٤ , ١٩١ , ١٨٣ , ١٧٥ , ١٧٢
 , ٢٥٦ , ٢٥٥ , ٢٥٢ , ٢٤٨ , ٢٤١ , ٢٤٠ , ٢٢١ , ٢٢٨
 , ٢١٨ , ٢١٦ — ٢١٢ , ٢١١ , ٢١٠ , ٢٩٩ , ٢٧٥ , ٢٧٢ , ٢٦١
 , ٢٥٦ , ٢٥٤ , ٢٥٢ , ٢٤٩ , ٢٤٣ , ٢٤٢ , ٢٣٢ , ٢٣٢ , ٢٢٠
 , ٤٦ , ٤٤,٢٧ ٢٦/٢ , ٢٨٢,٢٧٧,٢٦٩,٢٦٢ , ٢٦١ ٢٥٩ , ٢٥٧
 , ١٢٧ , ١١٣ , ١٠٢ — ١٠١ , ٩٩ — ٩٦ , ٧٦ — ٧٣ , ٦١ , ٥٧
 , ١٦٥ — ١٦٣ , ١٦٠ , ١٤٨ ١٤٧ , ١٤٠ , ١٣٦ — ١٣٤ , ١٢٩
 , ٢٠٣ , ٢٠١ , ١٩٨ , ١٩٦ , ١٩٢ , ١٨٥ , ١٧٣ , ١٧١ , ١٦٨
 , ٢٢٨ , ٢٢١ , ٢٢٨ — ٢٢٤ , ٢٢٢ , ٢٩١ , ٢٨٨ , ٢٢٣
 , ٤١٨ — ٤١٦ , ٤٠٣ , ٤٠١ , ٢٤٣ , ٢٤٢ , ٢٤٠
 , ٨٢ , ٢٧ , ٢٦ , ٢١ , ٢٠/٤ , ٤٥١ , ٤٤٣ , ٤٣٥ — ٤٣٢
 , ٢٦٢ , ٢٥٩ , ٢٢٤ , ٢١٣ , ٢١٢ , ٢١٠ , ١٥١ , ١٤٧ , ١٢٩
 . ٢٦٢ , ٢٥٤ , ٢١٥ , ٢٦٦

- أنطاكية الصغرى : ٢٣١/١
- الأنطاكيون : ٢٦/٤ ، ٢٧
- انطرسوس : ٤٧/٢ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٢١٦ ، ٢٥٦/٤
- انطورية وتسعى بالجيدور : ١٩٤/٤
- أنكونا : ٢٨٢/٢ ، ٢٩٤ ، ٣٩٥
- انوسنت الثانى : (Innosent II) ١٠٦/٣ ، ١٠٧ ، ١١١
- ١١٣
- أنى : ٢٧٢/١
- أهل الكهف : ٣٦٢
- الأوبئة : ٨٠/١
- اوتو أسقف اورنج : ٣٠٦/٣
- اوتو ديزبيرج (سفير بلدوين الثالث الى بيزنطة) : ٤٤٦/٢
- اوجستوس قيصر : ٢٢١/٢
- اوخيانوس : ١٨/٢
- اودو أسقف صيدا : ١٩٦/٤
- اودو رئيس شمامسة صور : ٢٦٨/٤
- اوديسا (= Odessa وهى الرها) : ٢٥٨/١
- اور (المدينة الكلدانية) : ٢٤٨/٢

• أورنج المدينة : ١٢٤/٢

• أوريا الدثى (ومختضره أورى • انظر الملحق) : ٢٠٤/٣ ،
• ٣٩٠/٤

• أوريجن : ١٧/٣ ، ١٨

• أوريسيوس الأسقف : ٧٠/١

• أوفيد (Ovides) ٢٧/١ ، ٢٧٤

• أوفيرن : ٩٨/١

• أوكتاقيوس (كركدينال كنيسة سنت سيلفيا) : ٤٣٦/٢

• أولبيان (المشرع والكاتب الصورى) : ٢٨٨/٢ ، ١٣/٣ ،
• ١٩٤/٤

• ايبيريا : ٢٩٥/٢

• ايتوريا (وانظر ايطورية) : ١٧٣/٢

• ايتيه دى منجناك : ٢٨٥/٣

ايرين (Irene) هي برتاسولزباخ ، وانظرها هناك)
• ١٥٩/٤ ، ٢٢٦

ايزابيلا Isabella (بنت جوسلين صاحب الرشا) :
• ٢٤٣/٤ ، ٢٠٠/٢

ايزابيلا (صاحبة ثورون) ٢٣٨/٤

ايزيدور كوقت داي : ١١٠/١ ، ٤٠٥ ، ١٢٦/٢

ايسوريا : ٨٦/١ ، ٢٣٥ ، ٢٧٤ ، ٢٨٦ ، ٢٠٩/٢ ، ٢/٢
• ٢٥٨/٤ ، ٢٧٢ ، ٢٠٠

ايطاليا : ١١/١ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٢٦ ،
• ١٥٤ ، ١٧٧ ، ١٧٠/٢ ، ٢٨٢/٢ ، ٥٢/٤ ، ٤٨

الايطاليون : ١٦٢/٤

ايطورية : ٢٤٩/٢ ، ٢٤/٤

ايف : ٢٧٧/٢

ايفرار (دى) بريتل (Evrard de Breteul) : ٢٨٥/٣

ايفرار (دى) بويسيد (du Puisset) : ١١٠/١ ، ٢٦٩ ،
• ٢٨٥/٢ ٣١٧

ايفزدي نيزل (كونت سولسون Ives de Nesle Count de
• ٢٤٤ ، ٢٢٢/٢ : Soissons

ايفو : ٢٧٤/١

ايفيتا Iveta بنت بلدوين الثاني (: ٣٤٢/٢

ايفيتا (أخت الملكة حليزند ورئيسة دير راهبات سنت لازار) :

٢١٢/٢ ، ٤٣٨ ، ٤٥٦ ، ١٧٦/٤

ايفيوس : ٢٧٧/٢

الايقونات (Icons) : ١٦٦/٤

ايكارد (Aicard) مقدم غرسان الهيكل (: ٣٨٤/٢

ايلة : ٢٤٠/٤ ، ٢٢٠/٣

ايلغازي : ٢٢٢/٢ ، ٣٤٨ ، ٣٥١ - ٣٥٢ ، ٣٥٦ ، ٣٥٩

ايلوس المؤمن : ٣٦٢/٤

ايليا (النبي) : ٦٤/٢ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٢/٤ ، ٣٦٥ ، ٣٧٦

٣٩٥

ايليا (أرض) : ٨٢/٢ ، ٨٤

ايمري (Aimery) بطرك أنطاكية (: ١٩٩/٣ ، ٢٢٠

٢٣٤ ، ٢٢٥ ، ٤٢٨ ، ١٦/٤ ، ٨١ ، ٨٢ ، ١٧٦ ، ٢٧٠

أيمن فؤاد سيد : ١٦٤/٤ ، ١٦٥

ايميكو (Emicho) الكونت (: ١٢٨/١

ايميلونا (بنت أخى رالف البعلوك والمستشار الملكى) :

١١٨/٣

اينياس : ٨٠/٢

ايوب : ٢٧٠/٤ ، ٢٧١

- ايود (دى) هونفوكرون : ١٧٤/٣
- ايوتيش الراصب (Eutyches) : ٢٧٠/٣
- ايتلوس هادريان : ٨٢/٢ ، ٩٢ ، ٢٥/٣
- باب اليون (يابليون) : ٨٥/٤
- باب البحر : ٣٥٢/٣
- باب بولص : ٢٧٦/١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٧٥/٣
- باب جبل صهيون : ٩٧/٢
- باب الجسر : ٢٨٢/١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٤ ، ٤٠٤
- باب الجميل : ٨٨/٢
- باب داود : ١٧٩/٢
- باب الدوق : ٢٨٢/١ ، ٢٨٦
- باب السامرة : ٤١٨/١
- باب سان استفان : ٩٥/٢ ، ٩٧ ، ١١١ ، ١٢٤ ، ١٧٩
- باب سان جورج : ٢٨٢/١ ، ٢٨٣ ، ٢٣٥
- باب غزة : ٣٥٢/٣
- باب القدس : ٢٥٢/٣
- باب الكلب : ٢٨٦/١
- باب يافا : ٣٥٢/٣
- البابا اسكندر الثالث (هو رولاند كاردينال كنيسة رومة) :
 • ٤٣٦/٣ ، ٤٤١

- البابا بسكال الثانى (Paschal II) ٢/٢٦٥ ، ٢٦٦ ،
 ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢١٩ - ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٣١ ، ٢٤٢ ،
 ٢٤٧ ، ٢٤٨ .
- البابا بوردينوس : ٢/٢٤٧ .
- البابا جريجورى السابع : ١/٦٥ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٢/٢٠٠ ،
 ٢٤٨ .
- البابا جلاسيوس الثانى : ٢/٢٤٢ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ .
- بابل : ١/٢٧١ ، ٢/٨٨ ، ٤/٢٨٣ .
- بابلليون : ٢/١٩٩ ، ٢٧٩ ، ٤/٤٢ ، ٤٣ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٣ ،
 ٧٩ ، ٨٥ ، ١٠٩ ، ١٢٠ .
- بابيريوس القنصل : ٤/٦٧ .
- بابيلاس (الشهيد) : ١/٢٧٥ .
- البابين : ٤/٦٣ .
- باتساونيوس : ١/١٥٩ .
- باجانوس (Paganus) ساقى الملك) : ٢/٢٠٤ ،
 ٢٢١ ، ٤/٣٢٧ ، ٢٢٨ .
- باخوس : ١/٢٧٢ ، ٤/٣٦٩ .
- باراك (Barac) الطبيب المقدسى المتهم بدس السم
 لبلدين الثالث) : ٢/٤٥٠ .
- باراموس : ٣/٢٧٨ .
- بارثيا : ٢/٢٧٢ .

- البارثيون (الفرس) : ٣١/٤
- بارناسيس (Parnasis الجبل) : ٢٧٤/١
- بارى (Bari) : ١٧٥/١ ، ١٩٢ ، ١٥٠/٢
- باريس : ١١٦/٤
- باريسون (Barison كونستابل يافا) : ٢٥٨/٢
- باسان : ٢٢٦/٤
- باشان : ١١٥/٢ ، ٢٦٧/٤ ، ٢٦٨
- الباشورة : ٢٤٦/٤
- الباطنية (طائفة) : ٨٢ ، ٨١/٢
- باقاريا : ١١٥/١ ، ١٢٥ ، ٢٦٩/٣
- الباقاريون : ٢٨٢/١
- بافلاجونيا : ٢٧١/٢
- باكراد (الارمنى) : ٢٤٩/١ ، ٢٥٦ ، ٢٣٠ ، ٢٦/٢
- بالاق بن صفور : ٢٧٢/٤
- بالس : ٧٩/٣
- بالميرا (Palmyra) : ١٩٤/٤ ، ٢٤١
- باماخيوس (Bamachius) : ١٧/٢
- بامبيرج : ٢٢٠/٣
- بامغليا : ٢٠٠/٢ ، ٢٥٨/٤ ، ٢٥٤ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩
- بان (من الآلية القديمة) : ٢١٨/٢

• بانونيا ٢٧٠/٣

• بانياس (Banias) ، وقد يقال لها بليناس) : ١٧٣/٢ ،
١٩/٣ ، ١١٤ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٢ ، ١٥٢ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ،
١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٣٠٨ ، ٣٦٠ ، ٤٠٥ - ٤٠٩ ،
٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٣٤/٤ ، ٣٥ ، ٨٤ ، ١٤٦ ، ١٦٠ ،
١٩٣ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٤٦ ، ٢٥٤ ، ٢٦١ ، ٢٢٧

• بارساونوريوس (ملك الاسبرطيين) : ١٥٩/١

• باين (المستشار الملكي) : ٣٥٨/٢ ، ٢٧٦

• بترا انكسيا : ٢٩٧/٢

• البتراء (Petra) ٣١٧/٢ ، ٢٠٤/٣ ، ١٦٧/٤ ،
١٨٤

• البتراء الصحراوية : ٢٢٧/٤

• البترون (البطرون) : ٢٠/٣

• بتسيلوس بن جالوس : ٦٧/٤

• بثينيا : ٣٦٧/٤

• البحر الأبيض المتوسط : ١٥٨/١ ، ٢٠١ ، ٢٧٠ ، ٢٠/٢ ،
٨٧/٤ ، ٨٨ ، ١١٩ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ٢٨٠ ، ٣٣٧

• البحر الاثالي (الخليج الاثالي) : ٢٨٧/٣

• البحر الاحمر : ٢٢٦/٢ ، ١٨/٣ ، ٢٢١ ، ٦٩/٤ ، ٢٤٠

• البحر الادرياتيكي : ١٥٢/١ ، ١٦٩ ، ١٧٧ ، ٣٦٣/٤

• البحر الأسود : ٢٧٩/٣ ، ١٤٥/٤ ، ٢٨٠ ، ٣٥١ .

• بحر ايجيه : ٢٣٥/١ ، ٣٥١/٤ .

• بحر بنطس : (= البحر الأسود) : ١٥٨/١ ، ١٦٠ .

• بحر الجليل : ١٧٢/٢ ، ٥١/٣ ، ٢٥٧ ، ٢٨٥/٤ ، ٣٠٧ .

• ٢٨٠ ، ٣٧٩

• بحر الشام (انظر البحر الأبيض المتوسط) .

• بحر القلزم ٩٠/٤ .

• بحر لوط : ٤٠٢/٤ .

• البحر الميت (ويسمى بحيرة الملح وبحيرة الاسفلت) :

٨٠/٢ ، ٢٠٩ ، ٥٢/٣ ، ١٧٢ ، ٢٤١ ، ١٥٤/٤ ، ٢٨٤ ، ٣٣٤ .

• ٢٨٨

• البحيرة : ٨٩/٤ .

• بحيرة البطرك : ٨٥/٢ .

• بحيرة جينيسارت : ١٦٨/٢ ، ٤٢٥/٢ .

• بحيرة الحولة (وقيل لها ايضا بحيرة مبروم) : ٢١٨/٣ .

• بحيرة طبرية : ٣٢٠/٤ ، ٢٨٠ .

• بحيرة ميخائيل : ٤٠٩/٢ .

• بحيرة مبروم (انظر بحيرة الحولة) .

• ير آمن (مدينة الاله آمون) : ٨٨/٤ .

• بربرير قوص (أى قوص الحارة) : ٨٨/٤ .

• برتا (انظر بيرتا سيلزباخ) .

• برترادا Bertrada (زوجة رنجن) : ٩٠/٣ ، ٩١ ،

• برترام Bertram (ابن كونت تولوز الصقلي) :
٢٥٤/٢ ، ٢٥٥ ، ٢٦٠ ، ٢٧٥ - ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨٨ ، ٢٩٦ ،
٢٩٩ ، ٤٣٥/٣ ، ١٨١/٤ ،

• برتراند بن جيسلبيرت (Bertrand Son of Gisellbert) :
٢٦٨/٤ ،

• برتولد Bartold (دوق بارغاريا) : ٢٠٦/٣ ،

• برج الأختين : ٣٣٥/١ ،

• البرج الأخضر : ٤١/٣ ،

• برج استراتوس : ٦٥/٢ ،

• برج تانكريد : ٩٥/٢ ، ٩٦ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١٣٩ ، ١٤١ ،
١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢١٩ ،

• برج تراناريا : ٤١/٣ ،

• برج الجليل : ١٧٣/٢ ،

• برج داود : ٩٥/٢ ، ١٠٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ،
١٧٣ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢١٩ ، ٢١٦/٤ ،

• برج شتراتوس (انظر برج استراتوس) ،

• برج فاروس : ٦٩/٤ ، ٧٧ ،

• برج المراقبة الأبيض : ٢١١/٣ ،

• برجاموس في أسيا الصغرى : ٢٣٨/٢ ، ٢٦٧/٤ ،

• برجة العاصمة (برجة بامفيليا) : ٢٦٨/٤ ،

• البجنديون : ٢٨٢/١

• برسق (أمير دمشق Bursequinos) : ٢٥٦/٢ ، ٣١٢ - ٣١٥ ، ٤٦/٣ - ٤٨ ، ٥٦ ، ٥٧

• بركة سلولم : ٣٦٩/٤

• بركة الضان : ٩٤/٢

• برما (انظر ايضا الفرما) : ٨٨/٤

• برهون (انظر ايضا الفرما) : ٨٨/٤

• برنابا : ٣٥٤/٤

• برنارد (بطرك أنطاكية) : ٢٤٢/٢ ، ٢٤٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٣٤٢ ، ٣٦٩ ، ٦١/٣ ، ٦٥ ، ١٠٤

• برنارد Bernard (اسقف أرتاح) : ٤٢٠/١

• برنارد (اسقف صيدا) : ١١٣/٣ ، ١٩٣ ، ٢٦٦ ، ٢٦١

• برنارد (اسقف اللد Lydda) : ١١٥/٤ ، ١٢٢

• برنارد (اسقف الناصرة) : ٣٥٨/٢

• برنارد دي تامب (d'Etampes) : ٢٥٠/٢

• برنارد دى تريمبلى : ٢٥٠/٢ ، ٢٦٢

• برنارد فاشيه (Vacher) : ١٧٢/٣ ، ٢٤٧

• برنارد دى كليرفرو (de Clairvaux) : ٢٦٨/٢

• برنديزى : ١٨٧/٣ ، ٣٩٣ ، ٢٣٦/٤

- برويونتس : ١٥٨/١
- بريانوس (المدينة الاسيوية) : ١٥٨/١
- البروفنساليون : ٢٨٣/١
- بربة دمشق : ٣٦٥/٤
- بريتانى : ١٢٢/٣
- البريطانيون : ٢٨٣/١
- برينجار الكبير دوق سولزباخ (Sulzbach) : ٢٨١/٣
- البرز : ٣٥٦/٤
- بزاعة : ٤٢٦/٣
- بزواج : ١٥٣ , ١٤٢ , ١٤١ , ١٣٣/٣
- البسفور : ٦٠/١ , ٨٥ , ١٢٤ , ١٤١ , ١٤٣ , ١٥٧
- ١٦١ , ١٧٤ , ١٨١ , ١٨٧ , ١٩١ , ٢٠١ , ٢٠٤ , ٢٢٣ , ٢/٢
- ١٣٥ , ٢٠٠ , ٢٧٩ , ٤٢٨
- بسيديا (او بيسيدية) : ٢٢٩/١ , ٢٣١ , ٢٣٤ , ٢٤٦
- ٣٠١ , ٣٧٠/٤
- البشناق : ٧٩ , ٧٨/٣ , ١٨٧/١
- بصرى : ٢٠/٣ , ١٠٩ , ٢٤٣ , ٢٤٤ , ٢٥٠ , ٢٩٦ , ٤/٤
- ١٨٩ , ٢٥٥ , ٢٨٥ , ٢٠١ , ٢٠٢ , ٢٠٦ , ٢٠٧
- البصق : ٨٨/١

البطالة : ٤٢/٤ ، ٥١ .

بطرس الحواري : ١٠٥/١ ، ٢٧١ ، ٢٧١ ، ٤٠٠ ، ١٠٥/٣ ، ١٠٧ ، ٢٠٢ ، ٣٤/٤ ، ٢٥٦ ، ٢٧٤ .

بطرس رئيس المرتلين بكنيسة القيامة : ٢٢٦/٤ ، ٢٦٦ .

بطرس أرموان (d'Armoine) : ١٩٥/٣ ، ١٩٦ ، ١٩٩ .

بطرس (أسقف افامية) : ٢٥٢/٢ .

بطرس (أسقف جبل تايور) : ٢٥٨/٢ .

بطرس (أسقف صور : انظر بطرس البرشلوني) .

بطرس اسقف عكا : ٢٨/٤ .

بطرس اسقف قيصرية : ٣٥٠/٣ .

بطرس اسقف ليون : ١٨٢/٣ ، ١٩٢ .

بطرس ايمري : ١٩٥/٣ .

بطرس بارتلميو (Bartholmew) : ٣٦٥/١ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ١٤/٢ ، ٥٥ ، ٥٦ .

بطرس البرشلوني (سلف ولیم المؤرخ في اسقفية صور) :

٢٠/١ ، ٢١ ، ٢٦٦/٣ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ٢٩٣ ، ٤٢٥ ، ٤٤١ ، ١٦/٤ ، ٢٧ .

بطرس بن بطرس ليو (Leo) : ١٠٧/٣ .

بطرس بن جيسيل : ٢٧٤/١ ، ٢٨٠/٢ .

بطرس لكونت دي سقناي (Stenay) : ٤٠٥/١ .

• بطرس دي كورتناي (de Courtenay) ٢٣٦/٤

• بطرس دي لاتيناتور (de Latinator) ٧٥/٢

بطرس الناسك : ٢٠/١ ، ٤٠ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١٥ - ١١٧ ، ١١٩ - ١٢٥ ، ١٢٩ - ١٣١ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٨٨ ، ٢١٨ ، ٢٦٥ ، ٢٩٩ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٧ ، ٧٧/٢ ، ١٠٩ ، ١٣٣

• بطرس الكزيوني ٣٣/٢

• ابن البطريق (سعيد) : ٢١/١

• بظلمية : ٢٤٣/٢

• بطليموس الرابع : ٣٨٩/٤

• بطلموسة (أنظر عكا) :

• ابن بطوطة : ٢٢١/٣

• بعزين : ١٤٩/٣ ، ١٥٤

• بعلبك : ٢٧٠/١ ، ١٧٣/٢ ، ٢٢١/٣ ، ١٨٤/٤ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢٨٥

• بغداد : ٢٧٢/١

• البقاع (راجع : إقليم البقاع)

• البقر : ٣٧٨/٤

• ابو بكر الصديق : ٨٥/٤

• بلاجونيا : ١٧٠/١ ، ١٨١ ، ١٠١/٤

• بلاد آشور : ٢٣٥/٣ ، ١٨٩/٤

• بلاد العرب : ٧٩/١ ، ١٦٢/٢ ، ٣١٨ ، ٣٨/٤ ، ٦٩ ، ١٦٥

• بلاد العمونيين : ٢٢٧/٤

• بلاد المؤابيين : ٢٢٧/٤

• البلاذرى : ١٥١/٣

• بلاس (الوالى التركى) : ٢٦٤/١ ، ١٢/٢ ، ٢٩ - ٣١

• بلاشيرتاي (قصر (Elachernae) ١٦٠/١ ، ٤/٤
• ١٦٦

• بلانش جارد (Blanche Garde) ٢١١/٣ ، ٢٢١

• بلبيس : ٢٥/٤ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٨١ ، ١٠٣ -
• ١١١ ، ١١٠ ، ١٠٦

• بلجراد : ١١٢/١ ، ١١٦ ، ١٢٢

• بلد الشوحى : ٣٠٤/٤ ، ٢٤٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧١

• بادوك (حاكم سميسطة Balduk) : ٢٥٠/١ ، ٢٦١ ،
• ٢٢ ، ١٢/٢ ، ٢٦٤

• بلدوين (رجل تنصر ثم ارتد) : ٢٩٢/٢

• بلدوين (أسقف بيروت) : ١١٣/٣ ، ١٩٣

• بلدوين (أسقف قيصرية) : ٣٥٠/٣

• بلدوين بن استاس كونت بولونيا : ١٥٠/١ ، ١٥١ ، ١٦١ ،
• ١٩٦

• بلدوين (حارس المقبر) : ٢٩٣/٤

• بلدوين (صاحب الرملة) : ٢٥٨/٢ ، ١٣٩/٣ ، ٢٥٩ ،
• ٢٦٠ ، ٢٦٤ ، ٢١١/٤ ، ٢١٨ ، ٢٦٢ ، ٢٩١ ، ٢٢٤ ، ٢٣١ ،
• ٢٢٧

بلدوين (صاحب مرعش) : ٢٦٤ ، ٢٦٠ ، ٢٥٩/٣ .

بلدوين (الخامس الطفل ابن أخت بلدوين الرابع) : ٧٦/٣ .
٣٣١ .

بلدوين بن استاس كونت يولونيا : ١٣٩/١ ، ١٥٠ ، ١٥١ ،
١٦١ ، ١٩٦ ، ٢٠٦ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ - ٢٤٦ ،
٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ - ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٩٣ ، ٣٠٩ ،
٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٤٠ .

بلدوين بن بلبان الكبير : ٢٠٩/٣٠ ، ٢١٠ .

بلدوين دي بورج (مو بلدوين الثاني بن هيج) : ١ ، ١١٠ ،
١٦٠ ، ١٦٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٤٠٥ ، ٢٧٤/٢ - ٢٧٦ ، ٢٨٣ -
٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٦ - ٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ،
٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٦ ،
٣٣٧ ، ٢٤/٤ .

بلدوين دي غنت Ghent : ٢٠٧/١ .

بلدوين دي كالديرون (du Calderon) : ٢٠٧/١ .

بلدوين دي ليل (de Lille) : ٤٢١/٣ .

بلدوين دي هونت دينولت : ١١٠/١ ، ١٤٥ ، ١٨٣ ، ٣٢٢ ،
٤٠٨ ، ١٨/٢ .

بلدوين الثاني : ٢٢/١ ، ٤٠ ، ٢٣١/٢ - ٢٣٣ ، ٢٣٦ ،
٢٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ - ٣٥٨ ، ٣٦٠ - ٣٦٣ ، ٣٦٧ ، ٣٨٣ ،
٢٤/٤ .

بلدوين الثالث : ٢٣/١ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٢٢٩/٣ ، ٢٣٠ ،

٢٠٧ ، ٢٩١ ، ٢٥٨ ، ٢٤٥ — ٢٤٣ ، ٢٢٩ ، ٢٢٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٢
 ، ٢٢٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦ ، ٢١١ ، ٢٠٩
 ، ٤٠٧ ، ٢٦٩ ، ٢٦٤ ، ٢٦٠ ، ٢٤٨ ، ٢٤٥ — ٢٤٢ ، ٢٢٩
 {٢٧،٤٣٥،٤٣٢،٤٣١،٤٢٦ ، ٤١٤ ، ٤١٣ ، ٤١٠ ، ٤٠٨ ، ٤٠٧
 ، ١٦ ، ١٥/٤ ، ٤٥٧ ، ٤٥١ ، ٤٥٠ ، ٤٤٧ — ٤٤٤ ، ٤٤٠ —
 • ٨٢ ، ٢٤ — ٢٢ ، ١٨

بلدوين الرابع الأجدم : ٢٤/١ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٤١ ،
 ١٨٠ ، ١٧٨ — ١٧٣ ، ١٥٩ ، ١٣٤ ، ٢٤ ، ٢٢/٤ ، ٩٥/٣ ، ٥٤
 ٢١٠ ، ٢٠٥ — ٢٠٣ ، ٢٠١ — ١٩٨ ، ١٩٦ ، ١٩٤ ، ١٩٣ ، ١٨٢
 ٢٣١ ، ٢٣٠ ، ٢٢٨ — ٢٢٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢١ ، ٢١٨ ، ٢١٧ ، ٢١٤
 ، ٢٦٠ ، ٢٦٠ ، ٢٥٦ ، ٢٥٤ ، ٢٥٣ ، ٢٤١ ، ٢٣٧ ، ٢٣٣
 ، ٢٠١ ، ٢٩٥ ، ٢٩٣ ، ٢٨٩ ، ٢٨٤ ، ٢٨٣ ، ٢٧١ ، ٢٦٥ ، ٢٦٢
 ، ٢٣١ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢١٨ — ٢١٥ ، ٢٠٩ ، ٢٠٧ ، ٢٠٦
 • ٢٤٧ — ٢٤٥ ، ٢٢٦ — ٢٢٤

• البلسان : ٢٧٨/٤

• بلسان جلعاد : ٢٧٨/٤

• بلعام بن بعورة المنسلخ : ٢٧٢/٤ ، ٢٧٢

• البلسم : ١٠٨/٤

البلغار : ٦٠/١ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٢ ، ١٤٢ ، ١٥٢

• ٢٧٠/٣ ، ١٨٧ ، ١٨١ ، ١٥٣

• بلغاريا : ١١٤/١ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٦٩

• البلقاء : ٢٧٢/٤ ، ٢٢١/٣

• يلقامس : ٦٦/٣

• يلك : ٢٢٢/٢ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦ /٣

• ٣٧

• البوط : ٢١٧/٤

• بلوط باشان : ٢٦٨/٤

البليار (جزائر Balearie Isles)

بليان الصغير Balian (صاحب الرملة) : ٣٢٢/٣

• ٢٤/٤

بليان الكبير (صاحب البين) : ١٢١/٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ،

• ٢١٨ ، ٢١١ ، ٢٤/٤ ، ٣٢٢ ، ٣٠٧

• بليان النابلسي : ٣٢٤/٤

• بليان (أخو بلادوين صاحب الرملة) : ٣٣١/٤

• بليان البافاري : ٤١١/٣ ، ١٨٠/٤

• بليشم : ١٧٨/٣

• بنو (Ben) ٨٥/٢

البنداقية : ٢٢٤/٢ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ ، ٣٨٢ ، ٢٨/٣ ،

• ٢٢٩ ، ٢٢٣/٤ ، ٤٣ ، ٢٤

• بنت مصر : ٣٧٨/٤

• البندقية : ٦٣/٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٨ ، ٣٨١ ، ٢٢٦/٤

• بندكت (أسقف الرها) : ٢٤٨/٢

• بنفنتو (Benevento) ٣٨٢/٣ ، ٣٩٥ - ٣٩٧

• بنو اسرائيل : ٣٤١/٣ ، ٤٠/٤ ، ٣٦٥ ، ٣٧٨

• بنو جرشوم : ٤٠٣/٤

• بنو لعوان : ٤٠٣/٤

• بنو هنوم : ٣٩١/٤

• بنيامين الطليطلي : ٧٩/٢

• بوانتييه (Poitiers) : ٨٣/٤ ، ٢٥٤

• بوتيللا (Butella) : ١٠١/٤

• بورفيريون : ١٦٨/٢ ، ١٩/٣ ، ١٠٨

• بوريا : ١٢٩/٤

• البوسنة : ٣٦٤/٤

• بولس المبشر : ٢٨٠/٢ ، ١٥٢/٣ ، ٢٤٤/٤ ، ٢٧٤ ، ٣٥٤

• ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠

• بولونيا : ٢٤٤/١ ، ٥٠/٢ ، ١٥١

• البوليكان (Paulicans) : ٧٩/٣

• بونقس : ٨٦/١ ، ٢٧١/٣ ، ٢٧٧/٤ ، ٣٣٨

• بونس بن برترام : ٢٩٩/٢ ، ٣١٠ ، ٣٤٨ ، ٣٦٢

• ٣٠/٣ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٤٧ ، ٥٥ ، ٦٨ ، ٩١ ، ٩٧ - ١٠٠

• ١٣٣ ، ١٨١/٤

• بوس دي بالزون : ٥٤/٢

• بوهيموند (الأول) بن روبرت جيسكارد : ٢٣/١ ، ١١٠

• ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٨٥

• ١٨٨ ، ١٩٥ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ - ٢٢٦ ، ٢٣٦ ، ٢٤١

• ٢٥٢ - ٢٥٤ ، ٢٨٢ ، ٢٩٤ - ٢٩٦ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩

• ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢٠ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠

• ٣٤٢ ، ٣٤٤ - ٣٤٦ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ - ٣٥٧ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٨

• ٣٧٢ - ٣٧٤ ، ٣٧٧ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٤٠٦ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤٢١

• ١١/٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ١٤١ ، ١٧٠ - ١٧٢

بوهيموند الثالث (أمير انطاكية) : ٣٦ ، ٣٢ ، ٣١/٤ :
• ٣٣٧ ، ٣٣١ ، ٢٦٧ - ٢٦٣ ، ٢٦١ ، ١٩٩ ، ٨٢ ، ٣٧

بياتريس (Beatrice زوجة جوسلين الثانى الصغير) :
• ٩٥/٣

• البيازنة : ١٧٠/٢ ، ٢٢٣/٤

• بيت ايل : ٣٩٩/٤

• بيت باشان : ٣٧٧/٤

• بيت برنارد دى نيد شاتل : ٢٨١/٣

• بيت بيزان : ٢٨٦/٢

• بيت جبريل (أو حبرين) : ١٢٢/٣ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ٢٢٢
• ١٦٥/٤

• بيت جن (Bettegene) : ٣٠٨/٤

• بيت جيلبرت (Gilbert البافارى) : ٢٨١/٢

• بيت سمعان الدباغ : ٧٩/٢

• بيت عبا : ٢٨٦/٤ - ٢٨٨ ، ٣٩٩

بيت اللذة : ١٩٣/٤ .

بيت لھيا : ١٥١/٢ .

بيت نوب Bettenubbe : ١٠٢/٢ ، ١٥٠ .

بيت وعر لبنان : ٤٥٤/٣ .

بيثاني : ٢١٣/٢ ، ٢٢٢ ، ١٧٦/٤ ، ٢٣٩ ، ٢٨٨ .

بيثيل (عابد العجل الذهبي) : ٨٢/٢ .

بيثينية (Bythynia) ٦٠/١ ، ٨٦ ، ١٢٤ ، ١٣١ ،

١٤١ ، ١٦٨ ، ١٧٤ ، ١٨٧ ، ٢١٤/٢ ، ٢٧٠/٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٩ ،

٢٨٠ ، ٢٣٩/٤ ، ٢٧٧ ، ٢٢٨ .

بيدي (العالم) : ٥٢/٢ .

بيرتا السلزباخية (Bertha Sulzbach) ، وكانت

تصرف بايرين) : ٢٩٨/٣ ، ٨٤/٤ .

بيير سيج Beersheba ١٣١/٢ ، ١٣٢ ، ١٥٣ ، ٢٤/٤

١٥٢ ، ٣٥٤/٤ .

بيروت : ٢١/١ ، ١٩١/٢ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢٢٨ ، ٢٥٥ ،

٢٧٨ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ - ٢٩٣ ، ٢٧٧ ، ٢٠/٢ ، ٥٧ ، ١١٥ ،

٢٩٢ ، ٢٩٧ ، ٤١٥ ، ٤٥٢ ، ٤٥٦ ، ٩٧/٤ ، ١٦٢ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠ ،

٢٩٢ - ٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٦ .

• ٢٦٩ ، ٢١٥

• بيسارو : ٢٩٥/٣

• بيسان : ٩١/٢ ، ٢٧٠ ، ٢١/٣ ، ٥١ ، ٨٣ ، ٢٩٠/٤ ، ٢٢١ ، ٢٣٠

• بيسان سكيثوبوليس (Scythopolis) ١٧٣/٢ ، ٢١/٣ ، ٨٣ ، ٥١

• بيسيديا (بيسيدية Pysidia) ٢٢٩/١ ، ٢٢١ ، ٢٣٤ ، ٢٤٦ ، ٣٠١

• بيلا : ٢٥٨/٣

• بيلوز (بيلوزيوم = الفرما) : ٤١/٤ ، ٨٨ ، ١٠٣

• بيلين (Bilin) ٣٩/٣

• بيمارستان القديس يوحنا : ٢٧٩/٤

• بين النهرين : ١٩/٣

• بيوتيا Boetea : ٢٥٤/٤

• بيورى (المؤرخ) : ١٠/١

• تابوت العهد : ٢٦٠/٤ ، ٤٠٣

• تاتيكيوس (Taticius) : ١٤٣/١ ، ١٩١ ، ١٩٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٥٢ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٩١

• تاج الملك بوري : ٦٩/٣ ، ٨٣ ، ١٥٢

• تاديوس الرسول : ٢٥٨/١ ، ٢٤٠

• تارج (والد ابراهيم الخليل) : ٢٤٨/٢

• تارنتو : ١٦٩/١

• تاريخ الاعمال التي تمت وراء البحر : ٥/٢

• تاريخ أعمال أمراء المشرق : ٦٨/١

• تاريخ الفرنجة وحجاج بيت المقدس : ٦/١

• تاريخ الفرنجة وغزاة القدس : ٣٣/١

• التاريخ الكبير : ٣١/١ ، ٣٥ ، ٣٧

• التاريخ المجموع على التحقيق : ٣١/١

• تانكريد (Tancred) : ٩١/١ ، ٩٧ ، ١١٠ ، ١٤١ ، ١٧٢ ، ١٩٥ - ١٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ - ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٥٦ ، ٢٧٥ ، ٤٠٥ ، ٤١٣ - ٤١٥ ، ١٢/٢ ، ١٥ ، ٣٤ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦١ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٩٥ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٩٠ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٥١ - ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ - ٢٧٥ ، ٢٨٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٥١ ، ٣١/٣ ، ٩٧ ، ١٣٦

• تانكريد بن وليم مارشيسيوس : ١٦٩/١

• تبين : ١٥٤/٣

• التجديف : ٢٥٨/٤

• التجسس : ٣٢٧/٤

• التديك بالزيت : ١٧٥/٤

• تدمير : ٢٠/٣ ، ٩٧/٤ ، ١٥١ ، ١٩٤ ، ٢٤١ ، ٢٦١

• تدمير بن حسان : ٢٤١/٤

• تدمير الصحراوية : ٢٨٤/٤

• تدهور وسقوط الامبراطورية الرومانية : ١٠/١

• تراخونيتس (Trachonitis) ٢٤٩/٣ ، ٢٩٦ ، ٣٤/٤

• ٣٧٤ ، ٣٧٣/٤

• تراقيا : ١٥٣/١ ، ١٥٩ ، ١٩٠ ، ٢٧٠/٣ ، ١٤٨/٤

• الترسييم الكنسى : ٩٦/٤

• ترشيش : ١٦/٣

• الترك (الاتراك ، والتركمانيان) : ٥٧/١ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٩

• ١٩٣ ، ٢٠٠ ، ٢٦٠ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٣٧٥ ، ٢٣/٣ ، ٥٤ ، ٦٠

• ٩٩ ، ١٧٢ - ١٧٤ ، ٢٤٠ ، ٢٥٣ ، ٢٥٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٤

• ٤٠٣ ، ٤١٤ ، ٤١٩ ، ٤٢٦ ، ٢٢/٤ ، ٥٥ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٧١

• ٧٦ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٣٦ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٦٠

• ٢٢٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٩ ، ٢٨٥ ، ٢٩٧ ، ٢٢٣

التركمان : ٧٦/١ ، ٧٩ ، ٥٤/٣ ، ٦٠ ، ٤٠٣ ، ٦٢/٤ ، ١١٠ ، ٢٣٠ .

التركوبوليه Turcopoles : ٤٥٤/٣ . (وانظر
الدركوبولية عند ابن القلانسي : ٦٢/٤ ، ٦٥ ، ٢٩٥) .

تركي البركاتي : ٤٥/١ .

تروجة : ٦٥/٤ ، ٨٩ .

تروى : ٢٤٦/٢ .

تساليا : ١٥٢/١ ، ٢٧٤ ، ٢٨١/٤ .

تسكانييا : ٢٦٨/٤ .

التسمير : ٢٧٧/٤ .

التعميد : ٢٦٦/٤ .

التعميد بالروح القدس : ٢٩٦/٤ .

التعميد بالقار : ٢٩٦/٤ .

التعميد بالماء : ٢٩٦/٤ .

تقوع (Tekoah) : ٧٤/١ ، ٨١/٢ ، ١٠٠ ، ١٧٢/٣ ، ١٧٤ ، ٢١٧ ، ٢٧٤/٤ ، ٣٨٠ .

تقى الدين الحموي : ٦/١ .

تل باشر : ٢٣٠/١ ، ١٩/٢ ، ٣٢ ، ٢٢٩ ، ٢٩٦ ، ٣٦٣ ، ٣٦٩ ، ٢٠٠/٣ ، ٢٣٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٣٢٩ ، ٢٤٠ .

تل تانكريد : ١٩٢/٢ .

تل الحجاج : ١٩٢/٢ ، ٢٤٤ ، ٢٧٦ ، ٢٩٣ .

تل حمدون : ٢٢٢/٣ .

- قل دانيث : ٣١٤/٢ ، ٣٥٤
- قل شمر : ٨٢/٢
- قل صافية : ٢١٠/٣ ، ٢١٣ ، ٢٢٢
- قل القرما : ٨٨/٤
- تللال كيسون : ٢٩٣/٤
- التلمود : ٢٦٣/٤
- ابو تميم (المعز لدين الله) : ٥٣/٤
- قفيس : ٢٢٩/٢ ، ٥٦/٤ ، ٨٧ ، ١٠٧ ، ١١٩
- توبانيا : ٢٢٠/٤ ، ٢٢١ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠
- التوراة : ٧٤/٢ ، ١٥٠/٢ ، ١٥٢ ، ٢٣٩/٤ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥
- تورانتو : ١٦٢/٤
- توروتا : ٢٨٢/٢
- توروس الأرمني : ١٩٤/٢ ، ٢٢٦ ، ٤٠١/٣ ، ٤٠٢ ، ٤١٧
- ٤٢٩ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٥٧ ، ٢١/٤ ، ٢٢ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠
- تورون : ٢٢٢/٤ ، ٢٣٣
- توفيليوس : ٢٧١/١
- توما الرسول : ٢٤٠/٢
- ترماس (ابن اخت توروس الأرمني) : ١٥٠/٤
- توماس بيكيت (Thomas à Becket) : ١٢٧/٤ ، ١٦٦
- توماس دي لافر (de la fère) : ١١٠/١ ، ١٢٤ ، ٢٢٨
- ١٢٤/٢

• تيبيريوس قيصر (هو طيباريوس في الاناجيل) : ١٧٨/٣

• تيتس ليفياس المؤرخ : ٣٤٤/٤

• تيتس الكبير : ٦٦/١

• تيتس فاسباسيان الامبراطور : ٨٢/٢ ، ٨٨ ، ٩٢

• تيراس بن باث بن نوح : ١٥/٢

• تيفازيا (رئيسة دير النساء) : ٢٣/٤

• تيفولى : ٢٨٢/٢

• الثين : ١٨٢/٢ ، ٣٥٢/٤

• الثيرون : ١٣/١ ، ١١١ ، ١١٨ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣١

• ١٣٣ ، ٢٠٧ ، ٤١٧ ، ٢٤/٢ ، ٢٩٧/٣ ، ٣٠٦ ، ٣١٣ ، ٣٨٢

• ٢٢٤ ، ٢٥٩/٤

• تيودورا بنت اسحق (زوجة بلدوين الثانى) : ٤٢٧/٢

• ٤٢٨ ، ٩٧/٤ ، ٢٠٠

• تيودورا (زوجة بوهيموند الثالث الشرعية) : ٢٦١/٤

• ٢٦٣ ، ٣٣٨

• تيودورا كالوسنيا : ٢٦٢/٤

• تيودوسيوس المؤرخ (Theodosius) : ٢٧٥/١

• تيودوسيوس (بطرك القسطنطينية) : ٢٥٩/٤

• تييرى كونت فلاندرز (Tierry of Flanders)

• ٩٢/٣ ، ١٧١ ، ٣٠٦ ، ٢٠٧ ، ٤١٥ ، ٤٢٠ ، ٤٢٣ ، ٤٣١

• ٤٥٦ ، ٢٣/٤ ، ٣٦

• الخفور : ١٥١/٣

• ثوبييت الصغير : ٢٥٨/١

• ثوبييت الكبير : ٢٥٨/١

• الثياب الأرجوانية : ٢٥٦/٤

• ثياتيرا : ٢٣٨/٢

• الثيران : ٣٦٨/٤

• ثيوبولد الكونت الكبير : ١٠٩/١ ، ٢٠٦/٣

ثيوبولد الثانى (كونت بلوا وشارترز

Count de Blois et Chartres

• ٢٦٠ ، ١٤٧ ، ١١٥/٤

• ثيوفلاكت (المترجم البيزنطى) : ٤٤٤/٣

• ثيوفين (أسقف بورتو) : ٣٠٥/٣

• جابيلوس : ٢٥٨/١

• الجاثليق : ١٩٨/٣

• جارنتون (أخو الملك لويس) : ٩٧/٣

• جارنييه دى جراى (Garnier de Grey) : ١٤٥/١

• ٣١٧ ، ٤٠٥ ، ١٩٦/٢ ، ١٩٧

• جاستون دى بيزيه (Gaston de Beziers) : ١٧٧/١

• ٢٢٨ ، ٧٢/٢ ، ١٢٤

• جاستون دى بيارن (de Bearn) : ١١٠/١ ، ١٧٧

• ٢٢٨ ، ٤٠٥ ، ١٠٧/٢ ، ١٢٤

- جالن دى كالفومونت (Galen de Calvomont) : ١١٠/١
- جالو دى شومونت (Galo de Chaumont) : ٢٢٨/١
- ٤٠٥
- جالو دى ليل (de Lille) : ٢٠٧/١
- جاليران : ٢٦٢/٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٨
- جامعة عين شمس : ٦/١ ، ٤٥
- جامعة القاهرة : ٤٥/١
- جامعة الملك عبد العزيز بجدة : ٣٤/١ ، ٤٥
- جب الأسد : ٨٥/٢
- جبريل (عليه السلام) : ٣٩٤/٤
- جبريل الارمنى : ١٨٢/٢ ، ١٩١ ، ٢٣٩ ، ٢٥٥ ، ٢٨٠ - ٢٨٣ ، ٣٤١
- جبعون : ٨١/٢ ، ٢٧٤/٤ ، ٢٧٥
- الجبعيون : ٢٧٥/٤
- الجبل الأسود : ٢٧٦/١
- جبال الألب : ٩٦/١ ، ٩٨ ، ١١٠ ، ١٥٤ ، ٢٨٠ ، ٢٥٧/٢
- جبال أطلس : ١٩٠/٢
- جبل بارلييه : ٢٧٣/١
- جبل باشان : ٣٦٧/٤
- جبل برناسيس : ٢٧٣/١ ، ٢٧٤
- جبال البلقان : ١٥٣/١

- جبل بنى هلال : ٢٩٦/٣ .
- جبل تابور : ١٦٩/٢ ، ٣٧٥/٤ .
- جبل التجلى Transfiguration : ٢٧٦/٤ .
- جبل تقوع : ٢٧٦/٤ ، ٢٧٧ .
- جبل جرمون : ٢٦٧/٤ .
- جبل جلبوع : ٢٧٦/٤ ، ٢٧٧ .
- جبل الجليظة : ٨١/٢ ، ٨٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣٧ ، ٧٧/٣ ، ٢١٥ ، ٢٨٦ ، ٤٩١ .
- جبل جلعاد : ٣٦١/٢ ، ١٧١/٣ ، ١٧٤ ، ٤٢١ ، ٣٦٧/٤ .
- ٢٧٧ ، ٢٧٨ .
- جبل الجليل : ١٧٤/٣ .
- جبل حوريب : ٣٦٥/٤ .
- جبل الدروز : ٣٦٧/٤ .
- جبل الريان (هو جبل بنى هلال) : ٢٩٦/٣ .
- جبل الزيتون : ٧٦/٢ ، ٧٧ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٢٢ ، ١٣/٣ .
- ٢١٢ ، ٣٤٧ ، ٣٨٧/٤ ، ٣٨٨ .
- جبل السامرة : ١٨١/٢ .
- جبل الشراة : ٢٢١/٣ .
- جبل صهيون : ٨٤/٢ ، ٨٦ ، ١٢٥ ، ٣٨٤ ، ٢٦٥/٣ .
- جبال طوروس : ٢٣٥/١ ، ٢٣٦ ، ١٩٤/٢ ، ٢٧٠/٤ .
- جبل العاصى : ٢٧٣/١ .
- جبل كاسيوس : ٢٧٤/١ .

• جبل الكرمل : ٦٥/٢

• جبل كلفارى : ٣٣٧/٢ ، ٧٧/٣

• جبل لبنان : ٢٦٩/١ ، ٤٥/٢ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٢٦٨ ، ٣٠٠

• ١٣٣ ، ٥٢/٣

• جبل اللكام : ٢٢٢/٣

• جبل المريا : ٨٦/٣ ، ٨٧ ، ٣٥٧/٤

• جبل نجرة : ٣٥٢/٢

• جبل بنى هلال : ٢٩٦/٣

• جبل هليكون : ٢٧٥/١

• جبلة : ١٤/٢ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٢٠٢ ، ٩٦/٣ ، ١٢٩

• جبيلين (Gibelin اسم آخر لجبلة عند الصليبيين) :

• ٥١/٢

• جبيلين (Gibelin بطرك بيت المقدس) : ٢٥٥/٢ ، ٢٩٣

• ٢٢٢ ، ١١٥/٢

• جبيلين (رئيس اساقفة ارليس) : ٢٦٥/٢ - ٢٦٧ ، ٢٨٥ -

• ٢٨٧

• ابن جبير : ٧٩/٣ ، ١٥٤ ، ٢١٨

• جبيل : ٦٢/٢ ، ٦٢ ، ٢٠٣ ، ٢٥٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨

• ٢٨٨ ، ٢٧٧ ، ٢٠/٣ ، ٢٧ ، ١١١ ، ٢٩٢ ، ٤٤١ ، ٢٨٢/٤

• جدة : ٤١/١

• جدعون : ٢٧٨/٤ ، ٢٧٩

• الجذام : ٢٤/١

• الجراد : ٣٥٧/٢

- جرار (أرض) : ٢٥٣/٤
- جرشي : ٢٨٤/٤ ، ٢٥/٢
- جريكيز Gercaise أخو بلدوين الثاني) : ٢٣٦/٢
- جريجوري الكردينال : ١٠٦/٢
- جزر البشة : ١٦/٢ ، ٢٥٧/٤ ، ٢٦٤
- جزيرة ديلوس : ٢٥١/٤
- جزيرة ساموس (Samos) : ٢٦١/٤
- الجزيرة العربية : ٢٨٧/٢
- جزيرة قبرص (Cyprus)
- الجسر الحديد : ٤٤٨/٢
- جسر لوكان : ٢٨٢/٣
- جلاسيوس (Gelasius) الملك) : ٢٢٢/٢
- جلبوع : ٣٧٦/٤
- جلعاد : ٨١/٢ ، ٨٢ ، ٤٢١/٢
- جلف (Guelf) الدوق ١٩٦/١ ، ٢٣٩ ، ٢٠٦/٢
- جلفيروس البرجي (ويسمى جوفيه) : ٢٦/٢
- الجليل : ٦٥/٢ ، ١٧٤/٢ ، ٢٧٥/٤ ، ٢٩٠
- جنوب إيطاليا : ١٥٠/٢
- جنوة : ٢٠٧/١ ، ٢١٦ ، ٦٢/٢ ، ٧٦ ، ١٠٤ ، ٢٤٥
- الجنوبية (الجنوبيون) : ٣١٦/١ ، ٣١٧ ، ١٠٧/٢ ، ١٩٢

۲۱۷ ، ۲۲۱ ، ۲۴۵ — ۲۴۷ ، ۲۵۴ ، ۲۷۵ ، ۲۷۷ ، ۲۷۸ ، ۲ / ۲
• ۴۴۱

• جهنم : ۲۹۱/۴

• جزبیتر : ۳۵۱/۴

• جوائفیل : (Joinville) : ۶/۱

• جوتابیل : ۲۴/۳

• جوتاس : ۱۰۵/۲

جوتشوک (Gottschalk) ، وانظر جودشو :

• ۱۴۸ ، ۱۴۶ ، ۱۴۲ ، ۱۳۶ ، ۱۳۲ — ۱۳۱ ، ۶/۱

جوتیرا (Gutuera) وانظر ایضا جودمیلک (Godehilde)

• ۱۹۴/۲ ، ۲۳۵ ، ۲۳۴/۱

• جوتیه دی مونت جوی : ۲۸۵/۳

جودفری (وقد یقال له جوفری ، اسقف لانجرز Dangers) :

• ۳۰۶/۲

جودفری دی بویون (Godefroy de Bouillon) ۲۲/۱

• ۳۹ ، ۴۰ ، ۵۴ ، ۱۰۹ ، ۱۳۹ ، ۱۴۱ ، ۱۴۵ ، ۱۴۷ — ۱۵۲ ،

• ۱۵۴ — ۱۵۶ ، ۱۶۰ — ۱۶۹ ، ۱۷۲ ، ۱۷۴ ، ۱۸۵ ، ۱۸۸ ، ۱۹۴ ،

• ۲۰۱ ، ۲۰۶ ، ۲۱۲ ، ۲۱۳ ، ۲۲۶ ، ۲۳۲ ، ۲۴۶ ، ۲۵۲ ، ۲۸۲ ،

• ۳۰۱ ، ۳۱۹ — ۳۲۱ ، ۳۲۸ ، ۳۴۲ ، ۳۶۸ ، ۳۷۲ ، ۴۰۲ ، ۴۰۵ ،

• ۴۱۳ ، ۴۱۴ ، ۷/۲ ، ۸ ، ۱۴ ، ۲۲ — ۲۴ ، ۲۶ ، ۲۷ ، ۳۲ ،

• ۳۴ ، ۳۷ ، ۴۹ — ۵۱ ، ۷۰ — ۷۱ ، ۹۵ ، ۱۰۷ ، ۱۰۸ ، ۱۲۰ ،

• ۱۲۲ — ۱۲۴ ، ۱۲۹ — ۱۴۱ ، ۱۴۳ ، ۱۴۶ — ۱۴۸ ، ۱۵۰ — ۱۵۲ ،

• ۱۵۵ ، ۱۵۷ — ۱۶۰ ، ۱۶۳ ، ۱۶۴ ، ۱۷۰ — ۱۷۴ ، ۱۷۹ ، ۱۸۱ ،

۱۸۲ ، ۱۸۴ - ۱۸۶ ، ۱۸۹ ، ۱۹۳ ، ۱۹۶ ، ۱۹۸ ، ۱۹۹ ، ۲۰۱ ،
 ۲۱۰ ، ۲۱۸ ، ۲۲۳ ، ۲۸۴ ، ۲۸۶ ، ۳۳۶ .

• جودفري (جوفري) بوريل Burel ۱۲۷/۱

• جودفري دی رانکون Rancogne : ۲۸۲/۲

• جودفري الراهب : ۳۵۰/۲ ، ۹۴/۳ ، ۲۰۳ ، ۴۲۱

• جودفري ديش d'Esch ۱۲۹/۱ ، ۱۴۶ ، ۱۴۷

• جودفري دی سنت اومير de St. Omer ۳۴۵/۲

• جودفري شاربولو Charpulu (اخو جوسلين الكبير)
 ۱۳۹/۳

• جودفري مارتل (Martel) : ۹۰/۳

• جودنتيوس (أسقف قيصرية) : ۱۹۲/۳

• جود هليدا (Godehilda) (انظر جوتيرا)

• جورج القديس الشهيد : ۶۵/۲ ، ۶۶

• جورج خوري : ۳۸۸/۴

• جورج قنراتي : ۴۵/۱

• جورجون (Gorgon) ۲۲۲/۱

• جورموند (Gormond) بطرك القدس : ۳۵۷/۲

• ۲۵۸ ، ۲۷۶ ، ۳۸۲ ، ۶۶/۲ ، ۶۷

جوسلون بن كونون دی مونتاج

(Joscelon Son of Conon de Montague)

جوسلين بروتوسيباستوس (Protosebastos) ٤٢٠/٣ ،
٤٣١ .

جوسلين بيسيلوس (Pisellus) ٤٢٦/٣ ، ٤٣١ .

جوسلين الكبير ٢/٣٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٣/٣ ، ٢٧ ، ٤١ ، ٦٠ ،
٦١ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٩٤ - ٩٦ ، ٢٢٦ .

جوسلين الثالث : ٢/٩٥ ، ٩٧ ، ١٤٠ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ،
١٩١ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٢٤ ، ٢٥٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٧ ، ٢٧٢ .

جوسلين دي كورتناي (de Gourtenay الاول) :
٢/٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٧٢ ،
٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٠٦ - ٢٠٨ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٤١ .

الجوسنطازيا : ٢/٢٧٤

جوفري راحب فرسان المعبد : ٢/٤٣١

جوفري دي مارتل (Martel) : ٢/٩٠ .

جون (يوحنا) البروتوسيباستوس Protosebastus :
٢/٤٣١ .

جون (يوحنا) كونت بلاندارس : ٢/٢٠٦ .

جون (يوحنا) جوتمانوس (Gotmanus) : ٢/٤١١ .

جون (يوحنا) جوليان : ٢/٢٨١ .

جون (يوحنا) كاريانيس (Carianis) : ١/٧٢ ، ٧٤

جون (يوحنا) المنير (Almoner) : ١/٨٨ ، ٢/٢٩١ .

جونيه : ٢/٢٠٥ .

جي الاسكندروني : ٢/٤١٣ .

جي بريسبار Guy de Brisebar : ٢/٩٢ ، ١٣٩ .

- جی دی پوسسیسا (Possessa) : ۱۱۰/۱ ، ۲۰۵ ، ۲۰۷ .
- جی دی پونتییه (Ponthiew) ۲۸۱/۲ .
- جی صاحب بیروت : ۲۰۷/۲ ، ۲۲۶ ، ۲۵۱ .
- جی دی تروسیل (Troussel) ۲۷۶/۱ .
- جی دی جارلاند (Garland) ۱۱۰/۱ .
- جی دی لاتور : ۱۲/۲ .

جی دی لوزنیان (Lusignan) :

- جیبون Edward Gibbon المؤرخ) : ۶/۱ .

جیبیریس : ۱۰۳/۲

جیحون : ۲۹۰/۴

- جیدو (Guido) آخر بوهیموند لابیہ) : ۲۹۱/۱ .

• ۲۹۲

جیدو (الراهب) : ۲۴۷/۲

الجیدور (= راجع انطورية) :

- جیرار (أسقف طرابلس) : ۱۱۱/۲ ، ۱۲۲ .

• جیرار (المندوب البایوری) : ۱۰۷/۲ .

- جیرار (أسقف اللاذقية) : ۱۹۳/۲ ، ۴۳۰ .

جیرار (حارس عارستان القدس) : ۲۵۸/۲ ، ۳۸۴ ، ۳/۲

• ۲۹۲ ، ۲۹۶

- جیرار صاحب صیدا (والد رینو) : ۳۰۷/۲ ، ۳۵۱ .

• ۲۵۴

جیرار دی روسیلون (Roussillon) ۱۷۷ ، ۱۱۰/۱
• ۱۲۴/۲ ، ۴۰۵

جیرار دی شیریزی (Cherisi) ۲۲۸ ، ۱۱۰/۱
• ۲۴۱

جیرالد Gerald ۳۹/۲

جیرالد (أسقف کوریس) : ۱۹۳/۲

جیرالد (أسقف بیت لحم) : ۲۰۷/۲ ، ۳۵۰ ، ۳۷۱

جیرالد (صاحب صیدا) : ۲۰۷/۲ ، ۳۵۱ ، ۳۵۴

جیرسی : ۲۸۸/۲

جیرسیوس : ۲۸۸/۲

جیروم : ۱۷/۳ ، ۲۷۳/۱

جیروم العالم : ۳۶۴/۴

جیرویام : ۸۲/۲

جیسکار دی لیل کونسابل بوهموند الثالث ، ویسمی

ایضا جیشارد دی لیل (Gueschard de Lylle) :

جیسلبیرت (Giselebert) : ۱۲۳/۲

جیمون : ۸۱/۲

جیلبرت دی تریف (de Trèves) ۱۰۶/۲

جیلبرت مونٹ کلیر (de Montclair) ۲۳۱/۱ ، ۲۴۶

جیلدمار (Geldemar) ۱۰۵/۲ ، ۱۰۶

جیلز Giles (الندوب البایوی) : ۶۵/۳

جینمار : ۲۴۴/۱ ، ۱۲/۲ ، ۵۰ ، ۵۱ ، ۶۲

• جينيسارت : ٥٢/٣ ، ٣٧٩/٤

• حارس القبر المقدس : ١٤/١ ، ٢٩ ، ٣٩

• حارم (البلد) : ٣٠٧/١ ، ٣١٢ ، ٣٣١ ، ١٦٦/٤ ، ٢١٣ ، ٢٢٤

• الحاقدارية : ٨٢/٣

• الحاكم بأمر الله : ٥٧/١ ، ٦٩ ، ٧٠

• الحبس : ٩٦/١

• الحبشة : ٦٩/٤ ، ٣٦٠/٤

• حقوق : ٨١/٢ ، ١٧٢/٢ ، ٢٨٠/٤ ، ٣٨١

• حبيس جلدك : ١٧٣/٢ ، ٢١٧

• الحجاز : ٢٩٥/٢

• حجر مؤاب : ٢٨٨/٤

• حبشى : ٢٨٢/٤

• حمد الشعانين : ٣٣٠/٢ ، ٣٣٧

• الحدود الليبية : ٥٩/٤

• حران : ٢٤٧/٢ - ٢٤٩ ، ٣٦٨ ، ٤٥٦/٢ ، ٢٠٠/٤

• الحرب الصليبية الرابعة : ٤١/١

• حرية المسيح : ٥٤/٢ ، ٥٥

• حزقيال : ٩٢/٢

• حسن حبشى : ٦/١ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٧/٢ ، ٨٢

• حسين محمد عطية : ٢٣/١

الحشاشون (الحشيشية Assassins) ٣٠٢/٢ ، ١٢٦/٣ ، ٢٤٥ ، ٤٥٦ ، ١٥٦/٤ ، ١٥٧ ، ١٨١ .

حصن (أو قلعة) الأثارب (: ٢٤٩/٢ ، ٣٥٣ ، ٢٥٤ ، ٤٥/٣ ، ٥٧ .

• حصن أرسكانوم: ٩٧/٣

• حصن اليون : ٨٥/٤

• حصن أودولا : ١٧٢/٣

• حصن بعرين : ١٠٠/٣

• حصن جاستون : ٢٢٠/٣

• الحصن الجديد : ٤١٤/٣

• حصن الحاج : ١٥٤/٣

حصن حارم Harene ١٤٩/٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٤٥٦ ، ٣١/٤ ، ٨٣ ، ٢١٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٤٥ .

• حصن رانكولات (Ranculat) : ٢٢٩/٣

• حصن راوندا : ٢٢٩/٣

• حصن الروج : ٩٧/٣

• حصن سكنداليوم : ٤٢/٣

• حصن صلخد : ٢٤٢/٣

• حصن صور : ٣٨/٤

• حصن عتليت : ١٥٤/٣

- حصن الخراب : ٢٢١/٢
- حصن فاقوس : ٥٩/٤
- حصن قشتال الراج (Castel Rosso) : ٤١٦/٢
- حصن الكرك : ٢٠٤/٢ ، ٢٨٤/٤
- حصن كفر سلام : ٢١٦/٤
- حصن كوكب : ٣٤٠/٤
- حصن الرقب : ١٧٠/٢ ، ١٠٩/٢ ، ٢٦٤/٤ ، ٣٢٧
- حصن المنيطرة : ١٩٥/٤
- حصن وادي الأحمر : ١٥٤/٢
- حطب (بلد) : ٢٦/٢
- حقل الدم : ٣٨١/٤ ، ٣٤٩/٢
- حقل دما (انظر حقل الدم)
- حقل الفخاري : ٣٨١/٤

حلب : ٢٧/١ ، ٢٧٩ ، ٣١٢ ، ٢١/٢ ، ٢٤ ، ٢٦١ ، ٢٩٦
 ٣١٠ ، ٣٤٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٩ ، ٤٣/٢ ، ٩٤ ، ١٠٠ ، ١٤٧ ، ١٤٩
 ١٥٠ ، ٢١٩ ، ٢٤٣ ، ٢٧٢ ، ٢٣/٤ ، ٢٤ ، ٨٣ ، ١٢٩
 ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٩ - ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٦٨ ، ٢٩٥
 • ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣١٤

حماة : ٢١٢/١ ، ٤٣/٢ ، ١٤٧/٢ ، ١٤٩ ، ١٢٩/٤ ، ١٩٠

- الحمام الزاجل : ٢٣/٢
- حمد العرينان : ٤١/١

- حفص : ٣١٢/١ ، ٤٣/٢ ، ٨١/٣ ، ١١٠ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ،
 • ١٢٩/٤ ، ١٨٤ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٨٥ ، ٢٣٦ ،
 • الحملان : ٣٦٨/٤ ،
 • حمور الحوى : ٢٨٥/٤ ،
 • الحمى : ٣١٧/٤ ،
 • الحمى الثلاثية : ٢٩٠/٤ ،
 • حمى النقرس : ٢١٧/٤ ،
 • الحمير : ٣٧٨/٤ ،
 حنا البروتوسيباستوس ، وانظر أيضا : John the جون
 الحنطة ١٤٠/٤ ، ١٤٦ ، ١٦٦ ،
 الحوار التوسكاني : ٥١/١ ،
 حوران : ٨١/٣ ، ٢٩٦ ، ٣٢٠/٤ ،
 الحثيون : ٩١/٢ ،
 حيرام (ملك صور) : ٢٩١/٢ ، ١٦/٣ ، ١٧ ، ٣٥٦/٤ ،
 • ٣٨٢ ،
 حيفا : ١٦٨/٢ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ١٩/٣ ، ١٠٨ ، ٣١٢/٤ ،

- خارببيديس : ٤٩/١ ،
 • خاربديس (Chardyssi) ١٢٦/٢ ،
 • خالد بن الوليد : ٢٤٢/٤ ،
 • خالسييس (Protosebastos = ارتاح) : ٢٦٦/١ ،
 • ٢٤٣ ، ٢١٢/٤

- الخبازون : ٣٥٥/٤
- الخبز : ١٨٢/٢ ، ٣٥٧ ، ١٢٣/٤ ، ١٢٤
- خبز التقدمة : ٣٥٥/٤
- خبز الشعير : ٣٠٦/٢
- خبز الوجوه : ٣٥٥/٤
- الختان : ٣٨٥/٤ ، ٣٩٧
- الخراف : ٣٥٢/٤
- خريسويوليس : ٢٨١/٤
- خسرو : ٦٣/١ - ٦٥
- الخشب : ١٢٥/٤
- خشب البلوط : ٣٦٨/٤
- الخشخاش : ٦١/٤
- الخشخاش الحلبي : ٦١/٤
- الخدمة : ٨٥/٢
- خلقدونية : ١٦٨/١ ، ١٧٤ ، ٢٧٠/٢
- الخليج الفارسي : ٣٣٣/١ ، ٩٩/٢
- خليج نيقوميديا : ٢٧٩/٢
- خليفة بغداد : ٣٢٤/٢ ، ٣٩/٤ ، ٤٠
- الخليفة العاضد القاطمي : ١٦٠/٢ ، ٢٢/٢
- ٢٧ ، ٣٢ ، ٨٥/٤
- الخليفة العباسي المستنصر بالله : ٨٦/٤
- الخليفة العباسي المعتصم بالله : ١٥١/٢

- الخليل : ٨١/٢ ، ٨٣ ، ٢٠٩ .
- الخناق (مرض) : ٤٣٥/٣ .
- الخنزيرة (لقب صاحبة عكا عند ابن جبير) : ١٥٤/٣ ، ٢٤٦/٤ .
- الخنق : ٨٨/١ .
- دار بطرس زنى : ٣٨٠/٢ .
- دار الفكر الحرى : ٣٣/١ .
- دار المعرفة باسكندرية : ٣٣/١ .
- دارا (كسرى فارس Darius) : ١٥٨/٣ .
- الداروم : ٢٩٢/٣ ، ٨١/٤ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٥٢ ، ١٦٥ ، ٢٩٣ - ٢٩٥ .
- داريا : ٣٠٨/٣ ، ٣٠٩ ، ١٩٣/٤ ، ٢٠٨ .
- داكيا البحرية : ١٥٢/١ - ١٥٤ ، ٢٧٠/٣ .
- داكيا الوسطى (الجر) : ١١٤/١ ، ٢٧٠/٣ .
- دالماستون : ١٧٩/١ .
- دالاشيا : ١٧٧/١ ، ١٧٩ ، ٢٧٨/٢ ، ١٠٠/٤ ، ٣٦٤ .
- دامبيرت الاسقف (Daembert) : ١٤١/٢ ، ١٧٠ .
- ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٨٩ - ١٩١ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٨ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ .
- دان بن يعقوب : ١٥٣/٣ .
- دان (اسم باثياس فى العهد القديم) : ١٢٢/٣ ، ٢٤/٤ .

- دانشمند : ١٨٣/٢
- دانشمندیون : ١٨٣/٢
- الدائيماركيون : ٢٥٥/٢
- دانيثيل بن ايجابل : ٣٥٣/٤
- داود النبي : ١٠٣/١ ، ٧٥/٢ ، ٨٩/٢ : ٣٥٣ ، ٣٥٢/٤ ، ٢٥٦ — ٢٥٨ ، ٢٧٥ ، ٢٨٢ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣
- الداوية : ٣٤٥/٢ ، ٢٤٦ ، ٦٨/٣ ، ٢٢٠ ، ٢٦٢ ، ٤٠٠ ، ٤٥٤ ، ٤٥٧ ، ٤٧/٤ ، ١٢٢ ، ١٣٤ ، ١٤٠ ، ١٥٦ — ١٥٨ ، ٢٠٠ ، ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٦
- دبورية : ٢٨٥/٤ ، ٢٨٦ ، ٢٣٩
- دبيس بن صدقة : ٣٤٨/٢ ، ٣٥٦
- الدجال : ١٥٠/٢
- الدرامين : ١١٧/٤ ، ١٦٤
- درب العبید : ٢٢١/٣
- الدرکبویة (وانظر التركوبولية) : ٤٥٤/٢ ، ٦٢/٤ ، ٦٥ ، ٢٩٥
- دروجو (دى) مونشى (Drogo de Monci) : ١٥٦/١ ، ٣٤١
- درويش النخيلي : ٢٤٥/٢ ، ١٦٤/٤
- دقاق : ٢٧٨/١ ، ٢٠٢/٢
- دقلديانوس : ٦١/٤ ، ٨٨
- الدقيق : ٤١٨/١

• دلماتيا (راجع دالماشيا)

• دلوک : ٤٣٩/٣

• الدماشقة : ٣٤/٣ ، ١٢٥ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ٢١٨ ، ٣١١ ،

• ٣١٣ ، ١٩٢/٤ ، ٣٠٨

• دمشق : ٦٤/١ ، ٧٨ ، ١٦٢/٢ ، ٢٦٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٣ ،

• ٣١٠ ، ٣٠/٣ ، ٢٤ ، ٣٣ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٦٨ ، ١١٠ ، ١٧٥ ،

• ١٨٠ ، ٢٢١ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣٦٠ ، ٤٣٧ ، ٢٦/٤ ، ٢٩ ، ٢٤ ،

• ٩٧ ، ١١٨ ، ١٣١ ، ١٨٣ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤٦ ،

• ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣٠١ ، ٣٠٨ ،

• ٣٦٣ ، ٣١٥

• دمنهور : ٦٦/٤ ، ٨٩

• دمنهور الوحش : ٨٩/٤

• دمياط : ٥٦/٤ ، ٨٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ٢٨٢ ،

• الدهن : ١٣٠/١

• دوج البنديقية : ٢٢٣/٢ ، ٢٣٤ ، ٢٨/٣

• دودو (دى) كونتى (Dodo de Conti) ١٤٥/١

• دورا (مكان) : ٢٤٣/٢ ، ٢٥٦

• دورازو (Durazzo) ١٣٨/١ : ١٤٢ ، ١٥٢ -

• ١٥٤ ، ١٦٩ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٩٠ ، ٢٧٠/٢

• دوروثيوس (مدرس القانون) : ٢٨٨/٣

• الدوسنتاريا : ٧٠/٤ ، ١٦٠ ، ١٦١

• دوق اكويتين : ٢٨٨/٣

• دوق نرمنديا : ٤٩/٢ ، ١٢٤

دومونيحو ميكانيلي (Domanigo Michieli = Donminicus Michaelis) :
• ٢٨١ ، ٣٧٨ ، ٣٧٣/٢

• ديانا بنت جوبيتر : ٣٥١/٤

• دير الآباء الدومنيكان بالقاهرة : ٤٥/١

• دير التجلى : ٣٧٦/٤

• دير توبينى : ٣٤٦/٢

• دير جبل الطور : ١١٥/٤

• دير ديمتريوس : ٣٨٠ ، ٣٤٧/٢

• دير سكوريس : ١٦٨/١

• دير سمعان : ٣٢٥ ، ٢١٩/٣

• دير سنت بول : ٧٥/٣

• دير سنت جورج : ١٥٩/١

• دير سنت جون غالى : ٦٧/٢

• دير سنت لازار : ١٧٦/٤

• دير سنت ماري فى يروشافاط : ٣٨٣/٢

• دير سبتو : ٣٤٦/٢

• دير الطور : ٣٧٦/٤

• دير فونتفرولت : ٩٢/٣

• دير القديس الياس : ٣٢٢/٤

• دير القديسة حنة : ٢٥٨/٢ ، ٣٢٦ ، ٣١٢/٣

• دير القديسة ماريا : ٨٨/١

- دير القديسة مريم : ٣٥٧/٢
- دير كلوني (Cluny) : ٣٤٧/٢
- دير كليوفو : ٣٤٦/٢
- دير اللاتين : ١٧٩/٢ ، ٣٨٩/٢ ، ٣٩٠
- دير مريم الجدلية : ١٧/١
- ديكابوليس : ٣٦١/٢ ، ٥١/٣
- الديلم : ٨٢/٣
- ديمتريوس الصائغ :
- ديموس : ٢٧٦/١
- دينة بنت يعقوب : ٨٢/٢ ، ٣٨٥/٤
- دينوكريتس : ٦٨/٤
- ديوان رسائل مملكة بيت المقدس : ١١ ، ٥/١
- ديوان مراسيم المملكة : ١٨٣/٤
- ديونيسيوس الراهب : ١٦٨/١
- ديوسبوليس : ٦٥/٢ ، ٨٢ ، ٢٢٣
- ديوكليز : ٢٤/٣
- ذراع سفت جورج : ١٢٥/٢
- الذهب : ٢٧٣ ، ٣٥٦/٤
- ذيل تاريخ دمشق : ١٣٥/٣
- رابون (عملة صليبية)
- راتسبون : ٣٣/٢ ، ٢٦٩/٣
- راجوزة : ١٧٧/١

- راس العين (Rasaline) ١٧٥/٣ ، ٤٥٤
- الراضى الخليفة العباسى : ٣١/١
- رافد هيبوكرين : ٢٧٥/١
- رالف (أسقف بيت لحم) : ٢٦٦/٣ ، ٤٢٤
- رالف (أسقف المصيصة) : ١٠٤/٣
- رالف (بطرك أنطاكية) : ١٠٥/٣ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٢٩ ، ١٨٥ - ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٧ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٣٨٠
- رالف بن رومان دى بوى : ٢٠٤/٣
- رالف (دى) فورتينيتو : ٢٨٧/٢
- رالف (دى) فونتى : ٢٧٤/١
- رالف (دى) ميرل de Merle ٢٤٤/٣ ، ٢٤٥
- رواندا : ٣٢٩/٣
- راوندال (Ravendal) ٢٦/٢
- الربة : ٢٠٤/٣ ، ٢٢١
- الرجم : ٣٥٩/٤
- الرشوة : ٥٢/٢
- رضوان : ١١/٢ ، ١٢ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦١ ، ٧٢/٣
- الرفائليون (سكان باشان) : ٣٦٨/٤
- رفنية (Raphania) ٥٥/٣ ، ١٣٦ ، ١٥٤
- الرقيم : ٣٦٣/٤

الرها (Roha = Edessa) ٢٥٠ ، ٢٤٩ ، ٣٥/١
 /٢ ، ٢٤٠ ، ٣٠٨ ، ٢٩٣ ، ٢٦٨ ، ٢٦٥ — ٢٦٠ ، ٢٥٨ ، ٢٥٧
 ٢٤٧ ، ١٨٤ ، ٣١ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٦ ، ٢٤ ، ٢٢ ، ٢١ ، ١٢
 ٢٤١ ، ٣٠٨ ، ٣٠٧ ، ٣٠٥ ، ٢٨٢ ، ٢٧٤ ، ٢٥٨ ، ٢٥٦ ، ٢٤٩
 ٢٤٠ ، ٢٢٨ — ٢٣٥ ، ١٠٩ ، ٤١ ، ٥/٣ ، ٢٦٨ ، ٢٦٧ ، ٢٦٣
 ، ٢٢٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٩٢ ، ٢٦٧ ، ٢٦٤ ، ٢٦١ ، ٢٥٩ ، ٢٤٢
 . ٢٧٤

• روبرت (من أسقفية روان) : ٦٦/٢

• روبرت (رئيس الداوية) : ٣٠٧/٣

• روبرت (أسقف الناصرة) : ٢٥٤/٣ ، ٣٠٧ ، ٢٥٠

• روبرت (دى) باريس : ٢٢٥/١

• روبرت أنزى (d'Anzi) ١٦٩/١ ، ٢٢١ ، ٢٤٦

روبرت أمير كابوا (Capua) : ٣٩٤/٢

• روبرت (دى) باريس : ٢٢٥/١

• روبرت البرجندى : ١٧٢/٣

روبرت (كونت) بيرش (Perche) ١١٠/١ ، ١٨٩
 . ٢٠٦/٢ ، ٤٠٥

روبرت (دى) باسافيلا (de Bassavilla) ٢٨٢/٢
 . ٣٩٧

• روبرت بن تستان (Tostan) ١٦٩/١

• روبرت (دی) جيرار (Gerard) ٤٠٥/١ .

• روبرت جيسكارڊ (R. Guiscard) : ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٣٠٣/٢ ، ١٠٤/٢ ، ١٥٠ .

• روبرت (دی) روزيير (de Rozieres) ٢٦٦/١ .

• روبرت السرنٲوني (de Sorrento) : ٢٨٢/٢ .

• روبرت (دی) سنت لو (St. Loo) ٣٥٠/٢ .

• روبرت (دی) سورڊيفال (de Sourdeval) : ١٦٩/١ ، ٢٤٠/٣ .

• روبرت (كونٲ) فلانڊرز : ١٠٩/١ ، ١٤١ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٥٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٨٢ ، ٢٩٤ — ٢٩٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٣٠ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ ، ٢٥٦ ، ٢٦٤ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤١٤ ، ٢٤/٢ ، ٢٧ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٦١ ، ٦٦ ، ٩٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٢٤ ، ١٤١ ، ١٤٨ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ٢٧٤ ، ٣٤٠/٣ .

• روبرت كورٲيبوز : ١٦٨/٢ .

• روبرت (كونٲ) نرمنڊيا : ١٠٩/١ ، ١٤٢ ، ١٨٩ ، ٢١٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٨٢ ، ٢٩٤ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٣٨ ، ٣٤٢ ، ٣٧٠ ، ٤٠٤ ، ٤٠٨ ، ٤١٤ ، ١٣/٢ ، ٣٤ ، ٤٤ ، ٦١ ، ٩٥ ، ١٠٧ ، ١٤١ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٦٧ ، ٢٨٤ .

• روبين الارمني (صاحب ارمنيٲة الصغرى) :

• روترو (كونٲ) بيرش : ٩٢/٣ .

• الروج : ١٣/٢ ، ٣٩ ، ٢٩٦ ، ٢١٤ ، ٣٥٤ ، ٩٨/٣ .

- روجر (أسقف اللد) : ٢٥٨/٢ ، ٢٨٢ ، ١٤٠/٢ .
- روجر (أمير أنطاكية) : ٢٤٨/٢ ، ٢٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ .
- روجر بارنفيل (Barnville) ١١٠/١ ، ١٨٩ ، ٢٠٥ ،
• ٢٦٢ ، ٢٦٩ ، ٢٧٥ .
- روجر بورصة (Boursa ملك صقلية) : ٢٠٢/٢ .
- روجر بن جيسكار : ١٥٠/٢ .
- روجر بن ريتشارد : ٢٥٥/٢ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٦ ،
• ٣١٦ .
- روجر كونت صقلية وأبوليا : ١٧/١ ، ٦٢/٢ ، ١٠٢ ،
• ١٠٤ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٨٧ ، ١٩٠ — ٢٨٨/٤ .
- روجر دي مولان (des Moulins) رئيس الاستبارية)
• الروح القدس : ٣٩٥/٤ .
- رودس : ٢٨٦/١ ، ٦٢/٢ : ٣٥١/٤ .
- رودستو : ١٤٢/١ ، ١٨١ .
- رولان (كردينال كنيسة رومة) : ٤٢٦/٢ ، ٤٤١ .
- الروم : ٦٥/١ ، ٣٧٦/٤ .
- الرومان : ١٨٣/٢ ، ٢٨٨ ، ١٢/٣ ، ٢٦١/٤ ، ٣٧٠ .
- رومان (دي) بوي (Roumain de Puy) ١١٧/٢ ، ٢٠٤ .
- رومانيا : ٢٩٧/١ .
- رومة ١٤/١ ، ١٧ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٥٩ ، ٢٧١ ، ٢٠٠/٢ ،
• ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٦٥ ، ٢٨٥ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٧٨ ، ٢/٣ ،
• ١٤ ، ٦٣ ، ١١١ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ٣٨٢ .

• روهارد (Rohard حارس قلعة القدس) : ٢٠٢/٢ .

• روهارد (الكبير صاحب نابلس) : ١٢٤/٢ ، ٣٣٤ .

• روهارد (اليافاوى) : ٤١١/٣ .

• ريتشارد (ذو الذراع الحديدى) : ١٦٩/١ .

• ريتشارد برونسيباتى الزعيم (Principate) : ١٦٩/١ ، ٢٣١ .

• ٢٢٢ ، ٢٤٥ .

• ريشام بن سليمان : ٩٠/٢ .

• ريمز : ١٥١/٢ ، ٣٤٦ .

• ريموند الصنجيلى دى بواتيه كونت تولوز : ٤١/١ ،

١٠٩ ، ١٤٢ ، ١٨٢ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢١١ ،

٢٢٣ ، ٢٥١ ، ٢٨٢ ، ٣٠٩ ، ٣١٧ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ،

٣٣٥ ، ٣٤٤ ، ٣٦٦ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٩٥ ،

٣٩٦ ، ٤٠٥ ، ٤١٨ ، ٤٢١ ، ٤٣/٢ ، ١٤ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٨ - ٤٢

٤٩ ، ٥٢ - ٥٥ ، ٥٩ - ٦١ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٥ ، ١٠٨ -

١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٤١ ، ١٤٧ -

١٤٩ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٩٠ - ١٩٢ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩

٢٤٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٨٤ ، ٢/٣

• ٢٩١ .

• ريموند رئيس الاستبارية : ٣٠٧/٣ ، ٢٥٠ ، ٢٦٦ ، ٢٨٤ ،

• ٣٩٢ .

• ريموند أمير أنطاكية : ١٠٣/٣ ، ١٠٤ ، ١٢٦ - ١٢٩ ،

١٣٤ ، ١٤٦ - ١٤٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ،

١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩٠ - ١٩٢ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ،

٢٠٢ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٨٨ - ٢٩٠ ، ٢٩٣ ،

• ٣١٩ ، ٣٢٢ - ٣٢٤ ، ٣٢٦ .

ریموند بن بونس کونت طرابلس : ۱۳۳/۲ ، ۱۳۶ ، ۱۳۸ ، ۱۴۵

ریموند بیلپه (Raymond Pilet) ۱۷۷/۱ ، ۴۰۵ ، ۲/۲ ، ۴۶ ، ۱۰۵ ، ۱۲۶

رینارد (رئیس فرسان المعبد) : ۴۱۱/۲

رینارد کونت تول (Reinard of Toul) : ۱۴۵/۱ ، ۱۸۳ ، ۲۳۱ ، ۴۰۵

رینالد کریتون : ۳۷۴/۱

رینو : ۵۶/۲

رینو (الاسقف) : ۱۴۰/۳

رینو دی بوفیه (Reinaud de Beauvais) : ۲۸۸/۱ ، ۴۰۵

رینو (صاحب مرعش) ۹۵/۲ ، ۲۲۲

روتو جارنیه الصیداوی : ۱۲۶/۲

رینولد فون آمرزباچ (Reinhold Von Ammersbach) : ۱۹/۲ ، ۴۰۵/۱

رینولد کونت اورانچ : ۱۱۰/۱ ، ۱۷۷ ، ۴۰۵

رینولف (أخو روبرت جیسکار) : ۱۶۹/۱

رینییه دی بروس (Renier de Brus) : ۱۱۲/۲ ، ۱۲۵ ، ۱۳۹ ، ۱۸۵

رینییه صاحب صیدا : ۱۲۶/۲

رينيه دي ماسويه (de Msaier) انظر الاسم التالي :

رينيه منصور (mansour) ١٢٩/١ ، ٢٥١/٢ ، ٩٩ /٢

• ريهوبوم : ٩٠/٢

زارا : ١٧٧/١

• الزبيب : ١٨٢/٢ ، ٢٥٢/٤

• الزجاج : ٢٢/٢

• زربابل : ٨٨/٢ ، ٢٨٢/٤ - ٢٨٤

• الزرديون (اسرة) : ٢٢٤/١

• زكريا : ٢٨٤/٤ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥

• الزلزال ٢٠٩/٢ ، ٣٥٨

• الزمرد : ٢٢١/٢

• زنكى (عماد الدين) : ٢٧٨/١

• الزهاد المسيحيون : ٢٦/٢

• زوجة قلج أرسلان : ٢١١/١ ، ٢١٦ ، ٢٢١

• زوفير (قرية) : ٢٨٦/٢

• الزيت : ١٨٢/٢

• زيجمار : ٢٨٤/١

• سارة (زوجة ابراهيم الخليل) : ٢٥٢/٤

• سارديس : ٢٢٨/٢

• ساريتا (اسم صور قديما) : ٦٤/٢ ، ١٩/٢

• سالاماندر : ٢٥/٢

- سالرنو : ٩٦/١ ، ٣٤٧/٢ ، ٣٨٧/٣ ، ٣٩٤ .
- سالومي = أو سالومة : ٣٩٧/٤ .
- سالونا : ١٧٧/١ .
- سالونيكيا : ١٨١/١ .
- السامرة : ٨٢/٢ ، ٣٢٣ ، ٣٥٧ ، ٣٦٥/٤ .
- السامريون : ٤٥٠/٣ ، ٣٨٤/٤ .
- سان جرمانو : ٣٩٤/٣ .
- سبالنو : ١٧٦/١ .
- سمسطية : ٨٢/٢ .
- ستاليا : ٣٨٧/٣ .
- ستراليكيا : ١١٤/١ ، ١٥١ ، ١٥٣ .
- ستيفان أول الشهداء : ٨٥/٢ ، ٩٦ .
- ستيفاني (ارملة همفري الثالث وينت فيليب التايلسي) :
- ستيفن البرجندي : ٢١٣/٢ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ .
- ستيفن ملك انجلترا : ١٥١/٢ ، ٣٢١/٣ .
- ستيفن (كونت بلوا وشارترز) : ١٠٩/١ ، ١٢٣ ، ٢٠٦ .
- ٢٨٠ ، ٣٠٧ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٨٧ — ٣٨٩ ، ٣٩١ —
- ٣٩٤ ، ٢١٣/٢ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ .
- ستيفن (أسقف طرسوس) : ١٩٣/٣ .
- ستيفن (أسقف ميتر) : ٣٠٦/٣ .
- ستيفن (بطرك القدس) : ٣٤٦/٢ ، ٦٧/٣ ، ٦٨ ، ٧٢ .
- ستيفن أورمال : ١١٠/١ ، ١٨٩ ، ٤٠٤ .

- سفار : ٨٢/٢
 - سدوم : ٨١/٢ ، ٢٠٩
 - السرجندية : ٢٤٩/٢ ، ٤٥٤/٣
 - سرجيوس : ١١٠/٣
 - سروج : ٢٥٠/١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٩/٢ ، ٣١
 - السريان : ٢٢/١ ، ٣٠٢ ، ٣١٨/٢ ، ٢٣٠ ، ٤٣٩/٣
- ٤٥٠

- سعيد بن البطريق : ٥٣/١
- سفر اشعيا : ٣٦٠/٤
- السككة القلبية : ٢٥٩/٢
- السكر ٢٣/٣
- السكسون : ٢٨٣/١ ، ١٥٦/٢ - ١٥٨
- سكسونيا : ١٤٠/٢
- سكنداليوم : ٢٢٨/٢ ، ٢١/٣
- سكوتاري : ١٧٩/١
- سكيثوبوليس : ٩١/٢ ، ١٩٣ ، ٥١/٣
- سكيلا : ٤٩/١ ، ١٢٦/٢
- السل (مرض) : ٤٥١/٣
- السلاجقة : ٧٨/١ ، ٧٨/٢
- سلاجقة فارس : ٢٩٥/٢ ، ٢٩٦
- السلاحدارية : ٨٢/٣
- السلاف : ١٧٨/١

• سلجوق : ٧٨/١

• سلطان قونية : ٢٢٦/٣ ، ٢٣٦ ، ٤٢٧

• سلطان نيقية : ٢٧٨/٢

• سلوام : ٧٦/٢ ، ٩٣ ، ٩٧

• سلوقية : ٢٧٤/١ ، ٢٨٦ ، ١١٠/٣ ، ٢٨٨

• سنيحان بن داود : ٨٢/٢ ، ٩٣ ، ١٦/٢ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٢٤

• ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٨ — ٢٩٠ ، ٢٩٢

• سليمان بن عبد الملك : ١٥٠/٢

• سسمان بن بطرس الحواري :

• سمك الأرجوان : ١٥/٣ ، ٢٥٧/٤

• سمل الحيون : ٢٨/٢

• سمطين : ١١٢/١ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٥٠

• سحيرنا (انظر ازمير) : ٢٣٨/٢

• سميساط : ١٧/١ ، ٢٥٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٤/٢

• ٣٣٩

• سنبلط : ٢٥/٣ ، ٢٨٤/٤ ، ٢٨٥

• السنة : ٦٩/١

• سنت باولا : ١٠٥/٢

• سهاريب بن شلمانصر : ٩٢/٢

• سور اسدود : ٣٦٠/٤

• سورنتو : ٢٨٧/٢

• سورونا : ٢٢٩/٢

• سورية : ٥٧/١ ، ٢١٨/٢ ، ٢٧٢ ، ١٨/٣ ، ١٩ ، ٢٤

• ٥٨ ، ١٧١ ، ١٨٢ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٩ ، ٢٠٢

• السوريون : ١٣٣/٢

• سولينوس (Solinus) ١٥٨/١ ، ٢٣٦ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥

• ٩١/٢ - ٩٣ ، ١٠٤

• السويدية : ٩٧/٣ ، ١٨٩ ، ٢٢١ ، ٢٧٤

• سببيل بنت عموري : ٩٥/٣ ، ٩٧

• سببيل بنت فرك : ٩٢/٣

• سببيل (زوجة تييري كونت فلاندرز) : ٤١٥/٣ ، ٤٢٤

• سببيل (أخت بلدوين الرابع وزوجة جى دي لوزنيان)

• سببيل الشريرة

• سيجور : ٢٠٩/٢

• سميراثيون : ٦٢/٣

• سيرلو (اسقف افامية) : ١٩٣/٣ ، ١٩٥ ، ١٩٦

• سيزوبوليس : ٢١/٣

• سيس : ٢٢٢/٣ ، ٤٢٩ ، ٤٥٧

• سيسمتون : ١٥٨/١

• سيسيليا بنت فيليب ملك فرنسا : ٣

• ٩٩/٢

• سيشاريوس : ١٥٣/٢

• سيف جليات : ٣٥٥/٤

• سيف الدين آق سنقر : ٨١/٣ ، ٨٢

• سيف الدين مسعود : ٨٠/٢

• سيفيتوت (Civitot) : ٦٠/١ ، ١٢٤ ، ٣١٨

• سيلون : ٢٨٦/٢

• سيمون (صاحب طبرية) : ٣٥١/٣

• سيمون البطرك : ٩١/١ - ٩٣

• سيمون بن الدوق : ٢٨٧/٢

• السيمونية : ٨٢/١

• سينيجاليا : ٣٩٥/٣

• شارع عكا : ٣٨٠/٢

• شارع الفرائين بالقدس : ١٢٢/٣

• شارل هارتل : ٨٣/٤

• شارلمان : ٥٧/١ ، ٦٧ ، ٦٨

• الشاقل (عملة الصليبيين) : ٤١٨/١ ، ٣٥٨/٤

• شالاندون (Chalandon المُرَخ) : ٢٢٠/٣ ، ١٦٣/٤

• الشام : ٥/١ ، ٩ ، ١٠ ، ٢٠ ، ٣٦ ، ٢٧ ، ٤٠ ، ٥٤

٦٣ - ٦٥ ، ٦٨ ، ٨٢ ، ٢٠١ ، ٢٢٠ ، ٢٤٥ ، ٢٢١ ، ٢٢٩ ،
 ٥/٢ ، ٦ ، ٩١ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٧٥ ، ٢٤٥ ، ٢٥٤ ،
 ٢٩٤ ، ٣١١ ، ٣٢٩ ، ٥/٣ ، ١٨ ، ٢٠٤ ، ٢٨٧ ، ٣٦/٤ ،
 ٥٦ ، ٦١ ، ٧٠ ، ١٦٥ ، ٢٤٢ ، ٢٩١ ، ٢٤٠ ، ٢٦٩ .

• شائفيل : ٢٨٢/٤ .

• أبو شامة : ٢٣/١ .

شاوړ : ٢٦/٤ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٨ ،
 ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٢ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ،
 ١١٢ ، ١٦٣ .

• شاول (الملك) : ١٩٥/٢ ، ٣٥٦/٤ ، ٣٥٩ ، ٣٧٧ .

• شبه جزيرة البلقان : ٧٩/٢ .

• شبه الجزيرة العربية : ٣٧٧/٤ .

• الشراة : ١٦٥/٤ .

• الشعير : ٤١٨/١ .

• شقيف توروڼ : ٤١/٢ ، ٢٣٥/٤ ، ٢٤٦ ، ٢٦١ ، ٣١٦ .

• شكيم بن حمور : ٨٢/٢ ، ٣٨٥/٤ .

• الشلل (مرض) : ١١٨/٢ .

• شمال العراق : ٥/٣ .

• شمبانيا : ١٧٨/٤ .

• شمس الدولة (أخو صلاح الدين) : ١٩٥/٤ .

• شمس الدولة بن ياغي سيان : ٣٢/٢ .

• شمس الملوك اسماعيل بن قاج الملوك بورى : ١٢٢/٣ ،

• ١٥٢

- شمعون (النبي) ١٣١/٣
- شمعون الصافي : ٢١٩/٣
- شمعون اخو لاوى : ٢٨٥/٤ ، ٢٨٦
- شمعون بن يعقوب : ٨٢/٣
- الشلح : ٩٦/١
- شلواد : ٨٢/٢
- الشنق : ٢٨
- الشهيد بطرس الاسكندري : ٢٢١/٤
- الشبيدة كاترين العذراء : ٢٢١/٤
- الشواني : ٣٤/٣ ، ٥٧ ، ١١٦/٤ ، ١١٧ ، ١٢٥ ، ١٣٩
- ٢٠٧ ، ٢٢٥ ، ٢٧٧
- الشوبك : ٢٤٠/٤
- شوح (بن ابراهيم الخليل) : ٣٧٠/٤
- الشموفان : ١٢٤/٤
- شيخ الجبل : ١٥٥/٤ ، ١٥٩
- شميركو : ٤٢٥/٣ ، ٤٥٥ ، ٢٧/٤ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٣٨ — ٤٠
- ٤٢ — ٤٦ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٢ — ٧٥ ، ٨٣ ،
- ٨٥ — ٨٧ ، ٩٠ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١٠ — ١١٤ ، ١٦٤ ، ١٨٢
- ١٨٨
- شيزر : ٢٧٠/١ ، ٤٣/٣ ، ٢٩٦ ، ١٤٧/٣ ، ١٥٩ ، ١٦٠
- ١٦٢ ، ٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٩٥ ، ٤٥٦ ، ١٢٩/٤ ، ١٨٤ ، ١٩٠
- شيشيرون : ٢٧/١ ، ٥٠

• الشيطان : ٢١/٤ ، ٤٠٠/٤ ، ٤٠١

• الشيعة : ٦٩/١

• صادق الكاهن : ٩٢/٢ ، ٢٩٠/٤

• الصالح اسماعيل بن نور الدين :

• الصبغة الأرجوانية : ٢٦٤/٤

• صحراء القيه : ٤١/٤

• الصحراء الليلية : ٢٢/٣

• صخرة أرفوت : ٢٤٦/٤

• صدقيا : ٢٧١/١

• الصرب : ١٠٠/٤

• الصربيون : ١٠١/٤

• صرغند (= صلخد) : ١٩/٣ ، ٢١ ، ١١٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧

• ٢٤١/٤

• صرويه أخت داود : ٢٩١/٤

• الصعيد : ٥٩/٤ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ١٢٠

• صغد : ٤١٢/٣ ، ٢٣٢/٤

• صفورية : ١٤٦/٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣ ، ٢٩٩ ، ٣١٦ ، ٣١٧

• ٣٢٦ ، ٣١٩

• صقلية : ١٧/١ ، ٢٥٤/٢ ، ٢٦٥ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٢٤٢

• ١٨٦ ، ٦٢ ، ٥٦/٣ ، ٢٨٧ ، ١٨٩ ، ١٨٧ ، ١٨٦ ، ٦٢ ، ٥٦/٣ ، ١٨٦

• ١٨٧ ، ١٨٩ ، ٢٨٧ ، ٥٣/٤ ، ٩٨ ، ١٣٩ ، ١٧٦

• صوفيا : ١١٤/١

• الصوفية : ٨٢/٢

صيدا : ٤٧/٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٢٠٦ ، ٢٢٨ ، ٢٥٥ ، ٢٧٨ ،
٢٨٨ ، ٢٩١ — ٢٩٤ ، ٢٦٤ ، ٢٨٠ ، ٢٠/٢ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ ،
٢٧ ، ٦٧ ، ١١٥ ، ٢٥٧ ، ٢٨/٤ ، ١٤٦ ، ١٥٨ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ،
٢٣٢ — ٢٣٤ ، ٢٩٨

• الصيداويون : ٢٩١/٢

• طايبتا : ٨٠/٢

• طارسييس (حفيد ياغت) : ٢٣٥/١ ، ٢٣٦

الطاعون : ٣٠٠/١ ، ٢٥٢ ، ٧/٢ ، ١٨ — ٢٠ ، ٢٦ ، ٢٤
• ٤٠

طبرية : ١٦٩/٢ ، ٢١٠ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٤١/٢ ، ٥١ ،
٨١ ، ١٥٣ ، ٢٢١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٤ ، ٤٠٨ ، ٤٥٥ ، ١٦٠/٤ ،
٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٢٥٤ — ٢٥٦ ، ٢٧١ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،
٣٠٧ ، ٣٢٩ ، ٣٧٦

طرابلس : ١٧/١ ، ٣٥ ، ٤٦/٢ ، ٦٠ — ٦٢ ، ٢٦٠ ،
٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٤٣ ، ٣٥٤ ،
٢٠/٣ ، ٢٧ ، ٥٥ ، ٩٨ ، ١١١ ، ١٣٦ ، ١٤٨ ، ١٦٥ ، ١٩٩ ،
٢٠٤ ، ٢٩٢ ، ٣٦٨ ، ٤٣٩ ، ٣١٥/٤

طربلوس : ٥٢/٢ ، ٢٠٢ ، ٢١٠ ، ٢١٦ ، ٢٤٤ ، ٢٠/٣ ،
٢٥٦/٤ ، ٢٥٧

• طريق الآلام : ١٧٩/٢

طفتكين (أمير دمشق) : ٢/٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣٤٣ ، ٣٦١
٢/٣٤ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٨١ ، ٨٣ .

الطواشية : ٤/٢١٩ ، ٢٤٣ .

الطور : ٤/٣٥٩ ، ٣٧٦ .

طوروس (المدينة) : ١/٢٠١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٢ .

طوروس الأرمني (انظر طوروس) .

طيب، ناردين : ٤/٤٠٠ .

طيبة : ١/٢٧٥ ، ٣/١٤ ، ٤/٦٠ .

طبييريوس : ٤/٣٤ .

ظهير الدين اتابك دمشق : ٣/٨١ .

عار مؤاب : ٣/٢٢١ .

العاضد لدين الله (أبو محمد عبد الله الخليفة الفاطمي) :

٤/٢٨ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٢
١١٤ .

عامرس النبي : ٣/١٧٢ ، ٤/٣٧٤ .

ابن عبد الحق : ٣/١٤٩ ، ١٥٣ ، ٤/٨٧ .

ابن عبد الرسول : ٤/٦٧ ، ٨٩ .

عبد العظيم رمضان : ١/٦ ، ٤٥ .

عبد الله بن سبأ : ٤/٨٧ .

• عبد الله بن عبد الملك : ١٥١/٣

• عبد الله بن محمد بن جعفر بن الحسين ٥٣/٤

• عبد الله (رسول شيخ الجبل الى الصليبيين) ١٥٦/٤ ، ١٥٨

• عبد يا ٨٢/٢

• العبرية (لغة) : ٣٩٣/٤

• العبرانيون : ٣٥٨/٤ ، ٣٦٦

• عثمان بن عفان : ٨٥/٤

• العجل الذهبي : ٣٥٩/٤

• العراق ٢٦/١ ، ٢٥٨ ، ٣٣٩ ، ٢٤٢/٤

• العرب : ٦٣/١ - ٦٥ ، ٤٠٢/٣ ، ٢٦/٤ ، ٢٤٧ ، ٢٨٤/٤ ، ٢٩٨

• عربات مؤاب : ٢٨٨/٤

• عربية : ١٧٤/٣

• العربية (اللغة) : ٤٩/١

• عرقنة : ٤٥/٢ - ٤٧ ، ٥٢ - ٥٤ ، ٦١ ، ٢٠٢ ، ٢٧٦ ، ٢٠/٣ ، ٢٥ ، ٤٥ ، ١٨٩/٤ ، ٣٥٥

• العريش : ٢١٣/٤ ، ٢٢٢

• عز الدين ابو العساكر : ٢١٧/٣

• عز الدين على بن مالك بن سالم : ٢٩٥/٣

• عز الدين فرخشاه : ٢٩٧/٤

• عزيا (ملك اليهود) : ٢٦٠/٤

• عسقلان : ٤٠/١ ، ١٠٦/٢ ، ١٣٦ ، ١٦١ - ١٦٢ ، ٢٠٨ ،

٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٨٥ ، ٢٩٦ ، ٢٤٣ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ،

٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٢ ، ٤٩/٣ ، ٦٧ ، ١٢٠ ، ١٢٠ ، ١٢١ ،

١٥٣ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ٢١٠ ، ٢٢٣ ، ٣٠٦ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٥١ ،

٣٥٢ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ١٦/٤ ، ٤٠ ،

٧٩ ، ١١٨ ، ١٢٧ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣٧ ، ١٥٢ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ،

• ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٩٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧

• العسقلانيون : ٢٦٧/٢ ، ٣٠٢ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣٢/٣ ،

٣٨ ، ٣٩ ، ٥٠ ، ١٠٢ ، ١٢٠ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ، ١٤٢ - ١٤٥ ،

• ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٣٢٩ ، ٣٦٧ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٢

• عسكرغالة : ٣٠/٤

• العسل : ٣٧٤/٤

• عشور الكنيسة : ١٨/٤

• عضد الدولة : ٢١٩/٢

• عكا : ١٧/١ ، ٢٢٨/٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٦ ، ٢٩٨ ،

٢٦٤ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٤ ، ١٩/٣ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٦٥ ، ٦٦ ،

٩٣ ، ١١٥ ، ١٩٢ ، ١٩٨ ، ٢١٤ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٣٠٧ ، ٣٣٣ ،

٤١٢ ، ٤٢٧ ، ٨١/٤ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٧ ، ١٤٨ ، ١٧٩ ، ٢٠٠ ،

٢٠٧ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦ ، ٢٩٥ ، ٢١٢ - ٢١٥ ، ٢٢٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧

• عتق : ٢٤٣/٢

• العلف : ٢٠٩/٢

• عماد الدين زنكى : ٧٤/٢ ، ٧٩ ، ١٣٦ ، ١٣٩ - ١٧٥ ،
١٧٦ ، ٢١٨ - ٢٢٠ ، ٢٣٥ - ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ،
٢٤٦ ، ٢٥٩ ، ٢٩٦ ، ١٨٧/٤

• العماليق (العمالقة) : ٣٧٩/٤ ، ٢٩٣

• عمان : ٢٤٠/٤ ، ٣٦٣/٤

• عمر بن الخطاب : ١١/١ ، ٥٧ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٨٨/٢ ، ٤

• ٨٦

• عمر بن عبد العزيز : ١٥١/٣

• عمرو بن العاص : ٨٥/٤

• عمواس : ٧٠/٢ ، ٧٩

• عمورى (ملك بيت المقدس) : ٦/١ ، ١١ ، ٢٢ - ٢٥ ، ٢٨

٣٠ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥/٢ ، ٩٥ ، ٢١٦ ، ٢٣٠

٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٧٢ ، ٤٣١ ، ٤٣٣ ، ٤٤٢ ، ٤٥١ ، ٤٥٧ ،

٤٠ ، ٢٨ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٢٩ ، ٢٧ - ٢٢ ، ١٨ ، ١٦ ، ١٥/٤

٤١ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٤ - ٦٦ ، ٧٣

٧٥ - ٧٧ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ - ١٠٢

١٠٥ ، ١١٠ - ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠

١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٤ - ١٤٨ ، ١٥١ - ١٥٥ ، ١٥٧ -

١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٨

١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٨ ، ١٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢٤٢

• عموري دى نيزل : ٨١/٤

• حمون : ٨١/٢

• العمونيون : ٣٨٤/٤

• العواصم : ٧٩/٣

• عوج (الملك) : ٣٦٨/٤

• عيد الشعانين : ٧٢/١

• عيد الصعود : ١٦٧/١

• عيد العنصرة : ٢٨١/٤

• عيد الغطاس : ١٦٧/١ ، ٢٥٩/٤

• عيد الفصح : ٢٢٤/٤ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٨٧

• عيد القيامة : ٣٣٩/٢

• عيد الميلاد : ٣٠٩/٤

• عيذاب : ٦٩/٤ ، ٩٠

• عيسى المسيح (عليه السلام) : ٩٣/١ ، ١٤٤/٢ ، ٢٤٠/٣

• ١٤٣/٤ ، ٢٨٥

• العين : ٢٢٢/٣

• عين البقر : ٢٤٣/٢

• عين جرود : ٣٧٨/٤

• عين جلعود : ٢٧٨/٤

• عيتاب : ٢٢٩/٣

عين زربة : ٢٣٥/١ ، ٢١/٢ ، ١١٠/٣ ، ١٣٥ ، ١٦٥ ،

• ٢٠٨ ٢٢٢ ، ٤٢٩

• غابة دفنى : ٢٧٥/١

• غابة لبنان : ١٩٤/٤

• غامة مريم : ٢٩٢/٣ ، ٣٤٢

• الغراب : ٥٨/٣ ، ٦٢ ، ٢٨١/٤

• غرب الأردن : ٢٠٤/٣

• الغزالة : ٨٠/٢

• غزة : ٦٣/١ ، ٣٠٥ ، ١٥٣/٢ ، ٢١٩ ، ٢٢٩ ، ٢٣١

• ٤١/٤ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٦٥ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢٩٣ ، ٣٥٩

• غلاطية : ٨٦/١ ، ٢٧١/٣

• الغلمان الأتراك : ٨١/٣

• الغنم : ٣٧٨

• أنغور : ٢٢٢/٣ ، ٢٧٦/٤

• غوطة دمشق : ٨١/٣ ، ٢٤١/٤

• فارس : ٥٧/١ ، ٦٥ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٣٦٤ ، ٩/٤

• ٩٧

- الفارسية (اللغة) : ٢٦/١ ، ٣٩٩ .
- غاروم Farum : ٥٦/٣ .
- غاسيل (القديس) : ٤١٨/٣ .
- فاقوس : ٨٨/٤ .
- فالنسيا : ٤٢٠/١ .
- فالنسيا البحرية : ١٧٠/٢ .
- فان فلوتن : ٨٧/٤ .
- فتح القسطنطينية (كتاب) : ٦/١ ، ٣٥ .
- أبو الغداء : ١٤٩/٣ ، ١٥١ .
- فدايا : ٢٨٣/٤ .
- الفراعنة : ٥١/٤ ، ٨٧ ، ٨٩ .
- فرانكو (الفارس الصليبي) : ٣٨٤/١ ، ٣٨٥ .
- فرانكونيا : ١١٥/١ ، ١٣٥ .
- فرجيل : ٢٨٧/٣ ، ٣٥٤/٤ .
- فردريك (دوق سوابيا) : ٢٧٩/٣ ، ٣٠٦ ، ٣٢١ ، ٣٨٢ ، ٣٩٥ ، ٤٢٦ .
- فردريك بربروسة : ٢٤٢/٤ .
- فردريك (أسقف عكا) : ٣٥٠/٣ ، ٣٨٠ ، ٤٢٤ ، ٢٧/٤ .
- ٢٨ ، ٧٠ ، ٩٦ ، ١١٦ ، ١٤٧ ، ١٦٦ ، ١٧٦ ، ١٨٠ .
- الفرس : ٨٦/١ ، ٣٠٤ ، ٥٦/٢ ، ١٨٣ ، ٣٠٠ ، ٣٧٠/٤ .

فرسان الداوية : ٣٤٥/٢ - ٣٤٧ ، ٦٨/٣ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ،
٣٠/٤ ، ٣٨ ، ١٥٠ ، ١٥٦ ، ٢١٧ ، ٢٣٧ ، ٢٥٥ .

فرسان القديس جورج : ١٤٠/٣ .

فرسان القديس يوحنا :

فرع دمياط : ٨٨/٤ .

فرع رشيد : ٦٨/٤ .

فرع النيل الكاريبي : ٦٨/٤ ، ١٠٧ .

فرع النيل الهرقلي : ٦٨/٤ .

فريغون : ٢٢٩/٢ ، ٥١/٤ ، ٣٥٨ .

فركسيس (من الالهة اليونان) ١٥٩/١ .

الفرما : ٢٢٨/٢ ، ٢٢٩ ، ٥٦/٤ ، ١١٧ - ١١٩ ، ١٦٥ .

الفرن (الموقد) : ٣١١/٤ .

الفرنجة : ٩٨/١ ، ٢٠٧ ، ٢٨٣ ، ٣٠٣ ، ٢٢/٢ ، ١٥١ .

٨٠/٣ ، ٣٣٨/٤ .

فرنسا : ١١/١ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١١٠ .

١٥٠/٣ ، ١١٦/٤ ، ١٣٧ ، ١٨٠ .

الفروسية : ٢٤/١ .

فريجيا : ٢٥٨/٤ .

الفريزيون : ٢٨٣/١ .

الفريك : ٣٥٢/٤ .

• الفضة : ٢٥٦/٤ ، ٢٥٧ ، ٣٧٣ ، ٢٨١ ، ٣٩٨ ، ٤٠١ .

فلسطين : ١٢/١ ، ٣٠ ، ٦٣ ، ٥/٢ ، ٨ ، ٧٠ ، ٩١ ، ٣/٢

• ٢٣٤ : ١١١/٤ ، ١٢٧ ، ١٢٠ - ١٢٢ ، ٢٨٨ ، ٢٧٥/٤ ، ٣٧٩

• فلسطين الأولى : ٩٠/٢

• فلسطينيا (اسم آخر لفلسطين في القديم) : ٩١/٢

الغلسطينيون : ٧٩/٢ ، ٩١ ، ٢٤٢ ، ٢٥٣/٤ ، ٣٦٠ ، ٣٧٥

• ٢٧٧ ، ٢٨٧ ، ٢٩١

• فلهاردوان (Villehardoin) : ٥١/١

• فلورس (بن فيليب ملك الفرنجة) : ٩١/٣

• فور بيليه : ٣٢١/٤

• فورم جليي (الاقليم الايطالى) : ١٧٧/١

• فوستنفلد (Wüstenfeld) : ٨٠/٢

• فوكيس (سبل باليونان) : ٢٧٤/١

• فولبيرت دي شارقرز : ٣٣/١ ، ٣١/٢ ، ٣٢

• فولتر (بطرك القدس) : ٢٠/١ ، ٢٩١/٢ ، ٢٩٣ ، ٣٠٧

• ١٧٤ ، ٨١/٤ ، ٣٣٥

• فولتر دي أورليانز : ١٢٩/١

• فولشر (اسقف صيدا) : ١٠٦/٣ - ١٠٩ ، ١١١ - ١١٤

• ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٩٣ ، ٢٣٤ ، ٢٦٥

هولك ريخين (كونت نورين وانجو ووالد هولك دانجو) :
• ٩٠/٣

• هولك (صاحب طبرية) : ٢٨٧ ، ٢٨٦/٤

• فونكس بن أجور : ١٤/٣

• فيروز : ٣٠٨/١ - ٣١٠ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ،
• ٣٤٤ - ٣٥٦

• فيرينتينو : ٣٩٦/٣

• فيزينبورج : ١٣٥/١

• فيزيليه : ٩٨/١

• الفيضان : ٢٥/٤ ، ٥٩ ، ٦٨ ، ٢٠٦

• فيلادلفيا : ١٢٨/٢ ، ٢٨٠/٣

• فيلوستراتس : ٢٤/٣

• فيلو مليام : ٢٥٢/١ ، ٢٩٨ ، ٣٨٨

• فيليب ملك الفرنجة : ١٠٩/١ ، ١٣٧/٢ ، ٢٥٨ ، ٢٧١ ،
• ٩٠/٣

• فيليب بن لويس السابع : ٢٦٠/٤

- فيليب (الأول) بن هنرى : ٩٧/١ ، ١٠٩ .
- فيليب (اسقف بوقيه) : ٢٢٦/٤ ، ٢٤٧ .
- فيليب بن برتراد : ٩١/٣ .
- فيليب حتى : ٢١٧/٣ .
- فيليب كونت فلاندرز : ١١٥/٤ ، ٢٠٠ - ٢٠٦ ، ٢٠٨ -
- ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢٢٣ - ٢٢٦ ، ٢٤٣ .
- فيليب النابلسي : ٢٢٧/٣ ، ٣٠٧ ، ٣٣٤ ، ٣٥١ ، ٤٠٩ ،
- ٥٥/٤ ، ١٤٠ ، ٢٦١ ، ٣٢٨ .
- فيليب بن هيرود : ١٧٨/٣ ، ٢٤/٤ ، ١٩٤ .
- فيليب (بنت ريموند أمير أنطاكية) : ١٦٢/٤ ، ١٩٩ ،
- ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٣٠٠ .
- فيليبو بوليس : ١٥٤/١ ، ١٦٤ ، ٢٧٠/٣ .
- فيليبس (البشر) : ٣٦٠/٤ .
- فيليبس (الرسول) : ٣٦٠/٤ .
- فيليبس (حاكم تراخنتوس) : ٣٧٤/٤ .
- فينيقية : ٢٤٣/٢ ، ٢٧٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٧ ، ١٨/٣ ،
- ١٩ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٩٢ ، ٣٠٩ ، ٣٣٣ ، ١٩٤/٤ ، ٢٢٧ ، ٣٥٧ ،
- ٢٧٠ .
- الفينيقية (اللغة) : ١٧/٣ .
- فينيقية حمص : ٢٠/٣ .

• الفينيقيون : ١٥/٢ ، ٢٥

• الفيوم : ٦٠/٤

• قادس برنيه : ٤٠/٤

• قادس النبطية : ٢٢٧/٤

• القار : ١٢٥/٤

• القاقون : ٢٧١/٢

• القبارصة : ٤٠٢/٣ ، ٤٢٩

• قبر استيفان اول شهداء المسيحية : ٩٦/٢

• قبر ام موسى : ١٥٣/٣

• القبر المقدس : ٢٠/١ ، ١٤٣/٢ ، ١٥٠ ، ١٦٢ ، ٢٣/٤

• قبرص : ٣٢٩/١ ، ٦٢/٢ ، ٦٩ ، ١٣٤ ، ٢٧٣ ، ٢٢٠/٣

• ٢٨٧ ، ٤٠١ ، ٤٤٧ ، ٢٦١/٤ ، ٣٦٤

• قبيلة شمعون : ٢١٠/٣

• قبيلة عشير : ٢٦٨/٢

• القتل ذبحا : ٢٨٠/٤

• قدرون (وانظر وادي قدرون) : ٨٤/٢

• القدس : ٦/١ ، ١١ - ١٣ ، ١٨ - ٢٠ ، ٢٦ ، ٣٧ ، ٤٠ ،

٤١ ، ٥٧ ، ٦٣ ، ٦٥ - ٦٩ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٦ ، ١٠٤ ،

٢٤٤ ، ٧/٢ ، ٨ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢٧ ، ٤٩ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٥ ،

٦٧ - ٧٠ ، ٧٤ ، ٨٤ - ٨٧ ، ٩٢ - ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ،

, ١٥٢ , ١٤٢ , ١٢٧ , ١٣٥ — ١٢٢ , ١٣٠ , ١٢٥ , ١٢٣
 ٢٠٩ — ٢٠٦ , ٢٠٠ , ١٨٦ , ١٧٥ , ١٧٣ , ١٦٩ , ١٦٣ — ١٦١
 , ٢٧٦ , ٢٦٦ , ٢٦٥ , ٢٥٨ , ٢٤٣ — ٢٤١ , ٢٢٨ , ٢١٦
 ٢٤٤ , ٢٤٢ , ٢٢٦ — ٢٢٣ , ٢٢١ , ٢١٩ , ٢٩٠ , ٢٨٦ , ٢٨٥
 , ٢١ , ٢٠/٣ , ٢٨٠ , ٢٧٦ , ٢٧٠ , ٢٦٠ , ٢٥٧ , ٢٥٦
 ١٧٣ , ١٧١ , ١٥٣ , ١٥٠ , ١٠٤ , ١٠٣ , ٩٣ , ٦١ , ٢٩ , ٢٢
 ٢٤٦ , ٢٣٤ , ٢٣٣ , ٢٩٣ , ٢٨٩ , ٢٤٣ , ١٩٢ , ١٨٥ , ١٧٥
 ١٨٠ , ١٧٣ , ١٦٢ , ١٦٠ , ١٤٠ , ١٣٥ , ١١٨ , ٩٨/٤ , ٤٢٨
 ٣٠٩ , ٢٢٦ , ٢٢٥ , ٢٢٣ , ٢٠٨ , ٢٠٧ , ٢٠٥ , ٢٠٠ , ١٩٩
 , ٢٦٩/٤ , ٢٤٥ , ٢٤٢ , ٢٣٩ , ٢٣٤ , ٢٣٢ , ٢٣٠ , ٢١٧ , ٢١٠
 • ٢٨٧ , ٢٨١ , ٢٧٥ , ٢٧٤

• القديس اثناسيوس : ٩٠/٤

• القديس استفان (أول شهداء المسيحية) : ٩٧/٢ , ١١١

• القديس كيريل : ٩٠/٤

• قرار الحرمان : ١٠٥/١ , ٣٠٠ , ٢٣٢ , ٢٧٠/٤ , ٢٣٧

• القراغلامية : ٢١٩/٤ , ٢٤٤

• القربان المقدس : ١٨٧/٢

• قرطاجنة : ١٥/٣

• قرطاجنة : ١٥/٣

• قرطبة : ٦٨/١

• قرقس (Corycos) : ٢٢٠/٣

• القرقورة : ٢٧٤/٢ , ٢٥/٣ , ٥٨

• القرن الذهبي : ١٦٦/٤

• قرية بالعة : ٢٧٢/٤

• قرية بلعة : ٢٧٢/٤

• قرية جالبون : ٢٧٧/٤

• قرية جرين الصفري : ٢٢٠/٤ ، ٢٢١

• قرية الجيب الفوقاني : ٢٧٥/٤

• قرية الجيب التحتاني : ٢٧٥/٤

• قرية مسافر : ٢٢٢/٤

• القسطل : ١٢٤/٤

• قسطنطين الرهاوي : ٢٦٢/١

• قسطنطين حنون ماخوس : ٥٧/١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ١٧٧/٢

• القسطنطينية : ٢٣/١ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٦٠ ، ٧٣ ، ٨٣ ، ٨٥ ،

٨٦ ، ١١١ ، ١١٥ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٥٢ ،

١٥٨ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ،

٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٥٨ ، ٢٧٨ ، ٢٩٧ ، ٤٢٠ ، ١٦٧/٢ ، ١٦٨ ،

١٧٦ ، ١٧٧ ، ٢٦٩ ، ٢٤٢ ، ٧٩/٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ،

٢٧٩ - ٢٨١ ، ٤٢٦ ، ٨٤/٤ ، ١٠٠ ، ١٤١ ، ١٤٦ - ١٤٨ ، ١٧٦ ،

٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٣٢٩

• القصب الفارسي : ٣٨٠/٢

• قصر بالشرناي : ١٥٧/١ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٤٤/٤

• ٢٥٩

- قصر قسطنطين : ١٤١/٤ ، ١٤٤ ، ٢٥٨ .
- قصر العين : ٨١/٢ .
- قطب الدين مسعود (أمير الموصل) : ٩٠/٤ ، ٢٦٩ .
- قطب الدين مودود بن زنكى (أخو نور الدين) : ١٨٩/٤ ، ٢٤١ ، ٣٠٠ .
- القطران (انظر ايضا القار) : ١١٨/٢ .
- قطع الأطراف : ١٢٢/٢ .
- قطع الرأس : ٣٧٧/٤ .
- قطع اللسان : ١٢٣/٣ .
- ابن القلانسي : ٧٩/٢ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ٢١٩ ، ٢٩٧ .
- قلج ارسلان : ٦٠/١ ، ١٢٦ - ١٢٩ ، ١٩٣ - ١٩٥ ، ٢٠٠ - ٢٠٥ ، ٢١٨ ، ٢٢٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٣٠٤ ، ٣٦٦ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٤ ، ٢٤٢/٤ .
- قلعة ابلين : ٢١٠/٢ .
- قلعة ارنولد : ١٠٢/٢ .
- قلعة أعزاز : ٢١/٢ - ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٢٦/٢ .
- قلعة الطينة : ٨٨/٤ .
- قلعة أنب : ٤١٦/٢ .
- قلعة أنتونيا : ٨٤/٢ .
- قلعة أنطاكية : ٢٧٦/١ .

- قلعة بالاس : ٣١/٢
- قلعة بايب : ٣٣٩/٣
- قلعة بلوين : ٢٤٧/٤
- قلعة بهسنا : ٤٣٧/٣
- قلعة بوميغوند : ١٦٢/١
- قلعة بير سبع : ٢١٠/٣
- قلعة تبنين : ٢٤٦/٤
- قلعة تل باشر : ٣٦٤/٢
- قلعة تل الحجاج : ٢٤٤/٢ ، ١٣٣/٣
- قلعة جعير (وهي قلعة دوسر) : ٢٤٢/٣ ، ٢٩٥
- قلعة الجيب التحتاني : ٣٧٥/٤
- قلعة الجيب الفوقاني : ٣٧٥/٤
- قلعة تورون شقيف : ٢٣١/٤ ، ٢٤٦
- قلعة الحجاج (راجع قلعة تل الحجاج)
- قلعة حلب : ٣٧٣/٢
- قلعة حمص : ١٩٠/٤ ، ١٩١
- قلعة خرتبرت : ٣٦٤/٢
- قلعة الداروم : ١٣١/٤ ، ١٣٢ ، ١٣٤ - ١٣٧ ، ٢١٤
- ٢٤٧

- قلعة داود : ١٣٦/٢
- قلعة دوسر (انظر قلعة جعبر)
- قلعة الرها : ٢٦٤/١
- قلعة الرملة : ٢٣٤/٢ ، ٢٣٥
- قلعة الدوج : ٣٢٤/٣
- قلعة زردنا : ٤٧/٣
- قلعة سانت البانو : ٣٨١/٣
- قلعة سنجار : ٢١٤/٤
- قلعة صهيون : ٨٣/٢
- قلعة صور : ٢٠/٤
- قلعة العريش : ٤١/٤
- قلعة غزة : ٢١٤/٤
- قلعة فيترى : ٣٣٦/٢
- قلعة فيزيثبورج : ٦١/١ ، ١٣٥
- قلعة الكرك : ٢٨٨/٤
- قلعة كريسون : ٩٤/٣ ، ٩٥
- قلعة كفر طاب : ٤٧/٣ ، ٥٩
- قلعة كوكب : ٢٩٠/٤
- قلعة كيسوم : ٤٢٧/٣ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣

- قلعة حودين : ٨٠/٢
- قلعة مونتريال : ٣٢٦/٢
- قلعة مونت جالغيانوس : ٤٩/٣
- قلعة مونت فيراند (Mons Ferrandus) ٩٩/٣ ، ١٣٦ ،
- ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٥٤
- قلعة ميرابل : ٣٢٤/٣
- قلعة هونين : ٢١٨/٣
- قلوبورية (Calabria) انظر كلايريا : ١٨٧/٣
- القمار (اليسر) : ٣٠١/١
- قناة أيتيرنو : ٢١٩/٤
- قنسرين : ١٠٠/٣ ، ١٤٩ ، ٢٤٣/٤
- قورس (أى قورص =
: (Cyrrhus = Cyrrus = Kurus)
- ٢١٩/٣
- قوص : ٥٩/٤ ، ٧٣ ، ٨٨
- قوثية : ٢٣١/١ ، ٢٣٤ ، ٣٩٢ ، ٢٧٢/٢ ، ٢٧٤ - ٢٧٤ /٤
- ١٩٧
- القيامة بعد الموت : ٢١/٤
- القيروان : ٤٣/٤ ، ٥٣
- قيصرية : ٣٩/١ ، ٩١/٢ ، ٢٠٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٤٣ ،
- ٢٩٤ ، ٣٥٤ ، ٣٧١ ، ٢٩١/٣ ، ٣٠٧/٤

• قيصرية البحرية : ٢١/٣

• قيصرية قليب (فيليبس) : ١٩/٣ ، ٢٧ ، ٥٢ ، ١١٤ ،

• ١٣٢ ، ١٧٨ ، ٢١٨ ، ٢٠٨ ، ٢٤/٤

• قيايقية : (انظر كيليكية)

• كابوا : ٣٨٣/٣ ، ٣٩٨

• كاتم السر : ٢٣٥/١

• كادموس بن أجذور : ٦٤/٢ ، ١٣/٣

• كارياترب (أى الجليل) : ٨١/٢ ، ٢٠٩

• كازابلا : ٣٥٣/٢

• كاستليم : ٣٠٧/٤

• كاستوريا : ١٦٩/١

• كافاف : ٣٢٠/٤

• كافان : ٢٨٩/٤

• كالكاليا : ٢١٦/٤

• الكامل بن شاور : ٥٥/٤ ، ٥٨

• كامبلا (اسم حمص فى القديم) : ٤٣/٢

• كانه الأتراك : ١٥٢/٤

• كبادوكيا (أو كبادوشيا Cappadocia) : ٨٦/١

• الكباش : ٣٦٨/٤

• كتان مصر : ٢٦٤/٤

• كراسوس : ٢٤٨/٢

• كربوغا : ٣٣٩/١ - ٣٤١ , ٣٦١ , ٣٦٦ , ٣٦٩ , ٣٧٦

• ٣٧٨ , ٣٨٣ , ٣٨٩ , ٣٩٣ , ٣٩٤ , ٣٩٩ - ٤٠٢ , ٤٠٧

• ٤١٠ , ٤١١ , ٤١٤

• كرتياس (تلميذ أفلاطون) : ٦٠/٤

• الكردينال ثيوبولد : ٤٥/٣

• الكرك (وتسمى مونتريال) : ٢٢١/٣ , ٢٤١ , ١٥١/٤

• ١٦٧ , ٢٤٠ , ٢٥٥ , ٢٦١ , ٣٢٧ , ٣٣٤ , ٣٦٣

• الكرمل : ١٥٤/٤

• الكروات : ٣٧٨/٢

• كزيت : ٣٦١/٤

• كريونا : ٦٤/٤

• كسوى فارس : ٣٨٢/٤

• كفرييا : ١٥١/٣

• كفر سلام : ٤٥٤/٣ , ٢٤٣/٤

• كفر طاب : ٣١٤/٢

• كفر ناحوم : ٢٤٣/٢

• كلابريا (على قلهورية Calabria) ١٩٠/١ , ١٩٠/٢

• ١٤٥ , ١٨٧/٣

- كلارييو دى قنديل : ١٣٤/١ ، ١٥٦
- الكلدان : ٢٤٨/٢ ، ٢٣٦/٣ ، ٢٨٠/٤
- كلفارى : ٨٧/٢
- كلية الآداب — جامعة عين شمس : ٤١/١
- كلية الآداب والعلوم الانسانية بجدة : ٤١/١
- كلية ساوث ايلنج بلندن : ٦/١
- كليرمونت (Clermon) : ٢٤/١ ، ٩٨ ، ١٠٥ ، ١٠٧
- كليوباس : ٧٠/٢
- كمشتكين : ٢٩٦/٣ ، ٢٩٧
- كنداكة (ملكة الحبشة) : ٣٦١/٤
- كنفري (هو جودفروى عند الحرب) : ١٥٢/٣
- كنعان بن حام بن نوح : ٤٥/٢ ، ٤٨ ، ٢٤٨ ، ٢٩٢
- الكنعانيون : ٣٧٤/٤
- كنيسة الاسبتارية : ١٩٩/٤
- كنيسة الاسكندرية : ٧٠/٤
- كنيسة افسوس : ٣٦٢/٤
- كنيسة ام الاله : ١٢٣/٤
- كنيسة أنطاكية : ٣٢٣/٢ ، ٣٢٥ ، ١٠٨/٣ ، ١٠٩ ، ١٨٢
- ١٨٥ ، ٢١٩ ، ١٥/٤

- كنيسة بانياس : ١٨٥/٣
- كنيسة بالشرناي : ١٦٦/٤
- كنيسة بنتابولس : ٧٠/٤
- كنيسة بروكوبورس : ٩٢/٢
- كنيسة بيت لحم : ٢٠٩/٢ ، ٢٥٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٩٧/٤
- ١٥٩
- كنيسة بيزا : ١٤١/٢
- كنيسة جبل صهيون : ٨٦/٢ ، ٩٦ ، ١١٠ ، ٢٠٧
- كنيسة الجليل : ٩٧/٤
- كنيسة الرما : ٢٤٢/٣
- كنيسة روفوس : ٣٨١/٣
- كنيسة رومة (كنيسة القديس بطرس) : ٢٥٨/٢ ، ٢٨٧ ، ٤٥/٢ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١٨٢ ، ١٨٨
- ٢٧٤/٤ ، ٢٨١
- كنيسة ريمز : ١٩٤/٢ ، ٣٣٦ ، ٢٨٢ ، ٤٣٥
- كنيسة سنت أنجلو : ١٠٦/٢
- كنيسة سنت جورج : ١٥٩/١ ، ٢٤٢/٢ ، ٢٨٣ ، ١٥٠/٢
- كنيسة سنت روفوس
- كنيسة سنت صوفيا (القديسة صوفيا) : ٨٤/٤ ، ٢٦٢

كنيسة صهيون : ١٩٨/٣ .

كنيسة صور : ١٠٨/٣ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٣ ، ٢٦٥ ،

٢٦٦ ، ١٦/٤ ، ٨١ ، ٩٦ ، ١٩٢ ، ٢٢٩ ، ٢٤٥ ، ٢٦٠ ، ٣٢٨ .

كنيسة العذراء : ٢٣١/٤ .

كنيسة عسقلان : ٢٨٥/٢ ، ٣٧١/٣ .

كنيسة عكا : ٩٦/٤ .

كنيسة القبر المقدس (هي كنيسة القدس وكنيسة القيامة) :

٢٠/١ ، ٥٧ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٩٣ ، ١٠٢ ، ٤٩/٢ ، ٦٧ ،

٧٥ ، ٨٧ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٨٧ ،

١٩٠ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٣١٩ - ٣٢٣ ، ٦٧/٣ ، ٩٣ ،

١١٠ ، ٢١٥ ، ٢٣٣ ، ٢٦٥ ، ١٥/٤ ، ١٦ ، ١٧٦ ، ١٨١ ، ١٩٢ ،

٢٦٦ ، ٣٣١ .

كنيسة القديس بطرس برومة (هي كنيسة رومة) .

كنيسة القديس جورج : ٢١٦/٤ .

كنيسة قسطنطين برومة : ٢٢٩/٤ .

كنيسة القيامة (انظر كنيسة القبر المقدس) .

كنيسة كانتربري : ١٣٧/٤ .

كنيسة كمبراي : ١٩٤/٢ .

كنيسة كوريثيوم : ٣٤٣/٣ .

كنيسة كوزمو وداميين : ١٦٢/١ .

كنيسة كوستنزا : ١٨٧/٣ .

- كنيسة اللاتيران : ٢٢٩/٤ ، ٢٦٨
- الكنيسة اللاتينية : ١٥/٤
- كنيسة ليبيا : ٧٠/٤
- كنيسة ليبج : ١٩٤/٢
- كنيسة مانجانا : ١٥٩/١
- كنيسة الناصرة : ٩١/٢ ، ٢٩٠/٤
- كنيسة ميرابوليس : ٢٤٢/٢
- كنيسة وادي موسى : ٩٧/٤
- كوخ فاسيل الأرمني : ٢٧/٢ ، ٢٤٠
- كورا ميليروس (Carasilius) ٢٧/٢
- كورش (كسرى فارس) : ٨٨/٢
- كوريتيام : ٢٢٩/٢
- كوكب : ٢٨٩/٤
- كولان (Colman) ١١٢/١ ، ١٢٩ ، ١٣٦ ، ٢١/٤
- ٢٣
- كولونيا : ١٣٥/١
- كوم تروجة : ٨٩/٤
- الكومان (Comans) ١٨٧/١ ، ٧٩/٢
- كومي (موضع) : ٤٤٠/٣

كونان البريتوني : ١٢٤/٢ ، ٩٠/٣

• كونت أنجوليم : ٣٠/٤

• كونت اندرياس : ٣٩٤/٢

• كونت بواتو : ٢١٥/٢ ، ٢٢٩ ، ٢٧٠

• كونت تولوز : (انظر ايضا ريموند الصنجيلي ، وبرتنام) :

١١١/١ ، ١٧٦ ، ١٨٤ - ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ،

• ٢٧٨ ، ٤٠٦ ، ٤٢١

• كونت جارييه : ١٨٩/٢ ، ١٩٧ ، ١٩٨

• كونت جوسلين (خال الملك) : ٢١٧/٤ ، ٣١٢ ، ٣٢٤

• ٣٣٧

• كونت الرها : ١٣٨/٣ ، ٤٣٩ ، ٢٢/٤ ، ٣٣

• كونت ريترو دي برش : ٩٨/٤

• كونت ريزونولو : ١٦٩/١

• كونت ريموند بن ريموند الصنجيلي (صاحب طرابلس) :

١٨١/٤ ، ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، ٣٠٦ ، ٣١٥ ، ٣٣٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ،

• ٣٣٨ ، ٢٤٧

• كونت رينوبولد (من أورنج) : ١٢٤/٢

• كونت ستيفن : ١٤٧/٤

• كونت ستيفانوس (سفير مازويل) : ٤٤٤/٣

• كونت سنت بول (هيج الكبير) : ١٢٤/٢

- کونت شمبانيا : (ويدعى هنرى الثانى) : ۲۴۷/۴
- کونت طرابلس : ۴۴۶/۳ ، ۴۴۷ ، ۴۴۹ ، ۴۵۰ ، ۴۵۷ ، ۱۷۸/۴
- کونت عسقلان ، هر جى دى لوزنيان : ۱۵/۴
- کونت فارن : ۲۸۵/۳
- کونت فلاندرز : (انظر ايضا روبرت) : ۱۸۹/۱ ، ۳۷۸ ، ۲۴۳ ، ۸۱/۴
- کونت نامور : ۱۱۸/۳
- کونت هارتمان : ۱۳۴/۱ ، ۲۰۷
- کونت هينولت : ۱۱/۲
- کونت ولیم دى مائدفيل : ۲۰۳/۴
- کونت يافا (هو جى دى لوزنيان) : ۱۵/۴ ، ۱۶
- کونتسه برترادا : ۱۸۲/۴
- کونتسه فلاندرز (انظر سيبيلا اخت عمورى) : ۲۳/۴
- کونتية جارجان : ۱۲۴/۳
- کونتية ريثيل : ۲۳۶/۲
- کونستانس (بنت فيليب ملك فرنسا) : ۲۵۸/۲ ، ۲۷۱ ، ۵۹/۳ ، ۱۸۲/۴
- کونستانس (ارملة ريموند وزوجة ارنات) : ۷۴/۳ ، ۷۶ ، ۱۲۹ ، ۳۲۵ ، ۳۵۹ ، ۸۲/۴ ، ۱۹۶

• كونون دى بربانى : ۱۸۹/۱

• كونون دى خونت/اج : ۱۴۵/۱ ، ۱۶۰ ، ۱۶۵ ، ۲۸۳ ، ۱۲۴/۲

• كوماجار (من أعمال قيصرية فيليبي) : ۱۷۸/۳

• كهف رؤاب : ۵۱/۲ ، ۲۴۷ ، ۲۵۶

• الكى بالنار : ۲۴۴/۲

• كيريل القديس : ۷۰/۴

• كيسوم : ۴۴۰/۳

• كيفاس (اسم حيفا باللغة الدارجة) : ۱۹/۳

• كيكفا : ۲۸۶/۲

• كدل آب (ابن ايجال) : ۳۵۳/۴

• كيليكيا (اوقيلىقية) : ۷/۱ ، ۱۹ ، ۶۴ ، ۸۶ ، ۱۹۷

• ۲۰۱ ، ۲۳۵ - ۲۳۷ ، ۲۵۵ ، ۲۶۸ ، ۲۹۲ ، ۳۲۲ ، ۱۱/۲

• ۲۱ ، ۴۹ - ۵۱ ، ۲۰۹ ، ۲۱۰ ، ۲۱۵ ، ۳۰۹ ، ۱۸/۳ ، ۷۲

• ۱۳۵ ، ۱۳۶ ، ۱۴۸ ، ۱۵۹ ، ۱۶۵ ، ۱۷۱ ، ۱۹۸ ، ۲۰۰ ، ۲۰۲

• ۲۹۲ ، ۲۶۸ ، ۴۰۱ ، ۴۰۲ ، ۴۲۹ ، ۴۳۰ ، ۴۳۴ ، ۳۳/۴ ، ۱۴۷

• ۲۵۸ ، ۱۶۲ ، ۱۵۱ ، ۱۵۰

• كيليكية الصغرى : ۲۰۸/۳

• اللا ايقونيون (Non-Iconoclastics) : ۱۹۹/۱

• لا تورس (منطقة) : ۳۵۲/۲

لاتونا : ٢٥١/٤ .

اللاتين : ٢٠/١ ، ٢٢ ، ٣٥ ، ٨٧ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١٥١ ،
١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢١٨ ،
٢٢٧ ، ٣٥٧ ، ٣٨٨ ، ٤٢٠ ، ١٢/٢ ، ٢٩ ، ١٧٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٢ ،
٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٨٤ ، ٣١٨ ، ٣٣٥ ، ٣٤٢ ، ٣٦٠ ، ٢٣٦/٣ ،
٢٩٢ ، ٣٢١ ، ٨٤/٤ ، ١١٨ ، ١٦٣ ، ٢٦٣ ، ٢٧٣ - ٢٧٥ ،
٢٧٧ - ٢٨١ ، ٢٩١ ، ٣٣٦ ، ٣٣٩ ، ٣٧٦ .

اللانقية (أو لانقية الشام) : ٦٤/١ ، ٨٥ ، ٢٧٩ ، ٣٠٤ ،
١٣/٢ ، ١٤ ، ٤٢ ، ٤٩ - ٥١ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٩١ ،
٢٠٢ ، ٢١٤ ، ٢٣٣ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٩٦ ، ٢٣/٣ ، ٩٦ ، ١٢٩ ،
٢٨٧ ، ١٢٩/٤ ، ٢٢٥ ، ٢٦٧ .

لانقية آسيا الصغرى : ٢٢٨/٢ .

لازاروس : ٣٨٦/٤ .

لازكيا (بنت انتيوخس سلوقس) : ٢٣٨/٢ .

لامبرت (الأسقف) : ٤٥/٢ .

لامبرت (شماس انطاكية) : ١٨٦/٢ ، ١٩٢ - ١٩٤ .

لامبرت الفقير : ٣٧٦/١ .

لامبرت بن كونون : ١٢٤/٢ .

لاميرج كونان بن مونتاج : ٤٠٥/١ .

لاهونت المؤرخ : ٢٢١/٢ .

لاوى بن يعقوب : ٨٢/٢ ، ٣٨٠/٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ .

• الملاويون : ١٠٢/١ ، ٤١٠ ، ٢٨٣/٤ ، ٢٨٥ ، ٤٠٣

• لبنان : ١٦/٣ ، ٢٢ ، ٤١ ، ٢٧/٤

• اللجاة : ٢٩٦/٣ ، ٢٠١/٤ ، ٣٧٣

• لجنة البحث العلمى بجدة : ٤١/١

• اللجون : ٣٧٦/٤

• اللد : ١٤/٢ ، ٦٥ ، ٨٠ ، ١٠٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩

• ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ١٠٢/٣ ، ٢١٦/٤

• لدقيج دى مونسون : ٤٠٥/١

• لشم دان : ١٧٨/٣

• لعازر : ٢٢٩/٤ ، ٣٨٧ ، ٢٨٨ ، ٤٠٠

• اللغة الفارسية : ٢٩٩/١

• اللغة العبرية : ٢٩٢/٤

• اللغة العربية : ٢٩٩/١

• اللغة اللاتينية : ٢٦/١ ، ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٢٣٤ ، ٣٩٩

• ١٧/٣ ، ١٩ ، ٣٦٤/٤

• اللشة اليونانية : ٢٨٧/٣ ، ٣٥٨/٤

• لمبارديا : ١٧٧/١ ، ٣٠٦/٣ ، ٣٨٢ ، ٢٩٨

• اللعبارديون : ٣٢٣/٤

• لندن : ٦/١

• لوثرانجيا : ١١٥/١ ، ٢٨/٤

• لودلف الترنائى : ١٢٢/٢

• اللورين : ٣٧/٢ ، ٤٩

• لوط بن حاران : ٢٠٩/٢ ، ٢٤٨

• لوقا الانجيلي : ٢٧١/١

• لوكارنو المؤرخ : ١٤/٢

• لوكيانوس القنصل : ٦٨/٤

• لويس السابع : ٦/١ ، ٢٦٩/٣ ، ٢٧٠ ، ٢٧٥ ، ٢٧٩

٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٣٠٣ ، ٣٠٩ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٨/٤

• ٨١ ، ١١٥ ، ١٧٦ ، ١٩٩ ، ٢٦٠

• لياندور : ١٤٦/٤ ، ١٦٦

• ليبيا : ٦١/٤ ، ٦٨

• ليديا (بآسيا الصغرى) : ٢٧١/٣ ، ٣٥٧/٤

• لى سترانج : ٢٦٨/٤ ، ٢٩١

• ليسيدنا : ٢٨٧/٣

• ليكونيا : ٢٩٦/١ ، ٢٧٢/٣ ، ٢٥٨/٤

• ليكيا : ٨٦/١ ، ٢٥٨/٤

• ليموجس : ٣٦/٢ ، ٨١/٤

• لينارد (أسقف الناصرة) : ٤٢٦/٣

• لينة زوجة يعقوب : ٣٩٧/٤ ، ٣٩٨

• ليو الأرمنى : ٩٥/٣

• ليو (كردنيال كنيسة سنت ماري) : ١٠٦/٣

- ماتليا (خطيبة هنرى بن ملك انجلترا) : ٩٢/٣
- ماتيلدا (أخت بلدوين الثانى) : ٢٢٦/٢
- ماتيلدا : (بنت يوستاس) ١٥٢/٢
- ماتيو دى بارى (المؤرخ) : ٣١/١
- ماتيو كانتا كوز وميس : ١٦٦/٤
- ماثيوس القديس : ١٠٢/١
- مارتا (أخت لعازار) : ٢١٣/٢ ، ٢٣٩/٤
- مارتل : ٨٣/٤
- مارجاس الفارس ختن أنرفى زعم وليم) : ٢٤٥/٣
- ماركوس سكاوروس : ١٠٥/٢
- مارمولون : ١٧/٣
- مارو (المؤرخ) : ١٥/٢ ، ٩٧/٤
- المارون (طائفة بلبنان) : ٦٢/٢ ، ٢٧٠/٤
- ماريا (بنت امپراطور اسبانيا : ٣٢١/٢
- ماريا (بنت الامپراطور موريس البيزنطى) : ٦٥/١
- ماريا كومنينيا : ٨١/٤
- حارية بنت أحمير أنطاكية : (وهى أخت بوهيموند وزوجة مانريل) ٤٤٧/٢ ، ٣٧/٤ ، ٨٤

عارية (بنت يوحنا البروتوسيباستوس وزوجة عموري) :
• ٩٥/٤ ، ٩٦ ، ١٩٧ ، ٢١١ ، ٢٤٢ .

• مارينوس جينارد : ٢٦٨/٤ .

• الماعز : ٢٥٢/٤ .

• ماكسيموس الحاثليقي (اسقف أرمينية) : ١٩٨/٣ .

• مالك (هي بعلبك) : ١٨٤/٤ .

• مالين (على نهر الموز) : ٢٨٤/١ .

• ما ميليا (زوجة هيج دى بوسيه) : ١١٧/٢ ، ١١٨ .

• مانويل بن اندرونيكوس : ٢٦٢/٤ .

• مانويل سيباستوس : ٩٦/٤ .

• مانويل بن يوحنا : ٥/١ ، ٢٢ ، ٢٠٠/٢ ، ٢٠٦ - ٢٠٨ ،
٢٢٠ ، ٢٧٢ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٦ ،
٤٤٦ ، ٤٤٩ .

• المتحف البريطاني : ٣١/١ .

• المجاز (قرب صور القديمة) : ٢٤٢/٢ .

• المجاعة : ٣٢٩/١ ، ٣٦/٢ ، ٤١ ، ٢٩/٣ ، ٦٧/٤ ، ٧٦ ،
١٢٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٣٢٣ .

• مجد الدين (أمير قلعة حلب) : ٤٣٩/٣ ، ٤٤٠ ، ٤٥٥ .

• المجر : ٦٠/١ ، ١١١ - ١١٣ ، ١١٥ ، ١٣١ ، ١٣٥ .

• ١٣٨ ، ١٢٩ ، ١٤٦ ، ١٧٧ ، ٢٦٩/٣ ، ١٠٠/٤ .

- الجريون : ١٣٢/١ ، ١٣٤ ، ١٣٦ .
- المجلس العلمى بجامعة جدة : ٤١/١ .
- مجمع أغسطس ٧٥٤م : ١٦٦/٤ .
- مجمع افسوس : ٢٦٢/٤ .
- مجمع بياتشيزا : ٩٨/١ .
- مجمع رومة الكنسى : ٢٢٧/٤ .
- مجمع القسطنطينية : ٢٧٢/١ .
- مجمع الماتيران : ٢٣٦/٤ .
- المجمع المسكونى السادس : ٢٧٠/٤ .
- مجمع نيقية : ٢٧٢/١ ، ٨٢/٢ .
- مجير الدين (والى دمشق) : ٢٤٢/٣ .
- محاجر الرخام : ١٠٠/٤ .
- محافظة الجيرة : ٨٥/٤ .
- الحامى بيثون : ٢٠٣/٤ ، ٢٠٩ .
- المحلة : ٥٥/٤ .
- محمد (صلى الله عليه وسلم) : ٣١/١ ، ٥٢ ، ٥٧ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٣٣٣ ، ٢٢٢/٢ ، ٥٣/٤ ، ٨٥ .
- محمد بن تاج الملوك بورى : ٢١٨/٣ .
- الحمرة : ٣٩/٣ ، ١٣٥/٤ .

- محيي الدين (بن السلطان) : ١٠٤/٤
- مخاضة البيلانة : ٤٣٥/٣
- مخاضة يعقوب : ٤١٠/٣ ، ٢٢٧/٤ ، ٢٤٧ ، ٣٠٧
- المدارس الرومانية : ٢٨٨/٢
- مدرجات بوهيموند : ٢٧٣/١
- حديان : ٣٧٨/٤
- المديانيون : ٣٧٨/٤
- مدينة ابيدوس : ٢٨١/٤
- مدينة السنحا : ٢٦٩/٤
- مدينة جزرائيل : ٢٢٠/٤
- مدينة داود : ٣٩٢/٤
- مدينة ساؤون : ٢٦٩/٤
- مدينة سافونا : ٢٦٩/٤
- مدينة سالم : ٨٢/٢
- مدينة سستوس : ١٤٦/٤ ، ٢٨١
- مدينة الماورة : ٣٥١/٢
- مدينة مينز الالمانية : ١٣٥/١
- المدينة المنورة : ٢٨/١ ، ٣٦
- مدينة ناسون : ٢٣٢/٤
- مدينة نايبين : ٢٨٥/٤
- المدينة المنورة : ٢٨/١ ، ٣٦

مراقية (= مرقية) : ٥٢/٢ ، ٢٠/٣ ، ٢٩٢ ، ٢٥٧/٤

مرثا (أخت لعازر) : ٢٨٦/٤ ، ٣٨٧ ، ٤٠٠ .

المرج : ٨١/٣ .

مرج ابن عامر : ٢٧٥/٤ .

مرج الديباج : ٧٣/٣ .

مرج الصفر : ٥٢/٣ ، ٦٩ ، ٨١ .

مرج عيون : ٢٤٦/٤ ، ٢٣٣ .

مرج اللجون : ٣٧٦/٤ .

مرجريت (الوصية على صقلية) : ٨١/٤ .

مرعش : ١٩٦/١ ، ٢٣٤ ، ٢٤٦ ، ٢٥٥ ، ١٩٤/٢ ، ٣٠٩ .

٢٢١/٣ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ .

المرقب : ٥٢/٢ .

مرقس الانجيلي : ٣٨٠/٢ ، ٦٩/٤ .

مرقية (راجع مراقية) .

مريم العذراء : ١٧٣/٢ ، ١٩٨ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٣٨٨/٣ .

٢٥٦/٤ .

مريم المجدلية : ٣٨٩/٣ .

مريم (أخت مارتا ولعازر) : ٢١٣/٣ ، ٢٣٩/٤ ، ٢٨٦ .

٤٠٠ .

• المستنصر بالله الخليفة الفاطمي : ١٧٨/٢ ، ١٦٤/٤ .

• المسجد الأقصى : ٧٢/١ ، ٨٦/٤ .

• مسجد بزاعة : ٣٣٨/٤ .

• مسجد الحصن : ١٥١/٣ .

• المسح بالزيت : ١٤/١ ، ١٦/٤ ، ٩٦ ، ٢٢١ .

• المسعودي : ١٥١/٢ .

• المسلمون : ٢٢٣/١ ، ٩٢/٢ ، ٢١٨ ، ٤٥٠/٢ .

المسيح (انظر عيسى المسيح عليه السلام وكذلك يسوع)

• ٧٠/٢ ، ٢٠/٤ ، ٢١ ، ٩٧ ، ٢٣٩ ، ٣٦٤ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٩١ .

• ٤٠٠ ، ٣٩٩ ، ٣٩٥ .

• المسيحية : ٣٥٤/٤ .

• المصادرة : ٩٦/١ ، ٢٨/٢ ، ٢٩ .

• المصاراة : ١٩٤/٤ .

• مصر : ٥/١ ، ٩ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤١ ،

٤٥ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٢٠٤ ، ٨/٢ ، ١٤ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ٢٢٣ ،

٥/٣ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٥٣ ، ٣٦٨ ، ٣٧٢ ،

٣٨٧ ، ٢٥/٤ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤١ - ٤٣ ،

٤٦ ، ٥٩ - ٦١ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ،

١٠٥ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٦ ،

١٤٣ ، ١٥٢ - ١٥٤ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ، ١٨٨ ، ٢٠٦ ،

٢١٠ - ٢١٣ ، ٢٤٣ ، ٢٦٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣ ،

٢٩٤ ، ٢٥٨ ، ٢٧٣ ، ٢٩٣ ، ٣٩٨ .

• مصر القديمة : ٤٢/٤

المصريون : ١٩١ ، ١٧٥ ، ١٦٥ ، ١٦٢/٢ ، ٧٥ ، ٦٩/١ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٣٢٨ ، ٣٢٣ ، ٣٤٣ ، ٣٧٢ ، ٣٤/٣ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٣١٨ ، ٣٥٣ ، ٤٠٠ ، ١٦/٤ ، ٢٨ ، ٢٥ ، ٥١ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ٣٠١ ، ٣٥٨

المصيصة : ١٩٦/١ ، ١٩٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٦٦ ، ٣٠٩/٢ ، ١٠٤/٢ ، ١٣٦ ، ٢٢٢ ، ٤٢٩ ، ١٤٧/٤

• مضمار الحقائق (كتاب) : ٦/١

• مضيق أبيدوس : ١٤٠/٤ ، ١٤١

• مضيق البسفور : ١٦٦/٤

• أبو الطامير : ٨٩/٤

• مطرانية صور : ٢٩٢/٢

• مطيرة : ١٤٠/٢ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٦٦

• معاوية بن أبي سفيان : ١٤٩/٣

• معبد أبولو : ٢٧٥/١

• معبد ارطاميس : ٣٦٢/٤

• معجم البلدان : ١٥٠/٣

• المرة : ١٢/٢ ، ١٣ ، ٣٤ ، ٣٧ - ٤٠ ، ٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ٣١٤

• معركة ميروكيفالون : ٢٤٢/٤

• ٢٥٧

- المكتبيون : ١٠٢/١ ، ٢٦٠/٤ ، ٢٨٩
- مكة : ٢٨/١ ، ٢٦ ، ٩٠/٤
- مكتبة جامعة القاهرة ٤٢/١
- مكتبة سانت البانز : ٢١/١
- مكتبة الشرق الأوسط : ٣٥/١
- مكتبة الملك عمورى : ٢٦/١
- مكسيمافانوس أوجستوس : ٦١/٤
- الملاحه (من أعمال طبرية) : ٤٥٥/٢
- ملازكرت : ٨٤/١
- المسح : ٣٦٦/٤
- ملطية : ١٤٢/٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٠١ ، ٢٢٩ ، ٢٥٥
- ٢٨٠
- ملك بابل : ٢٧١/١ ، ٢٤/٢

- ملكشاه Meleke Salah ٨٦/١ ، ٢٠٠ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨
- الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين : ١٨٣/٤ ، ١٩٠ ، ٢١١
- ٢١٢ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٣٠٠ ، ٣٢٨
- الملك عوج : ٢٦٨/٤
- ملك يهوذا : ٢٧١/١
- ملوك اسرائيل : ٩٠/٢ ، ١٩٤/٤
- ملوك السامرة : ٩٠/٢
- ملتح الارمنى : ١٤٧/٤ ، ١٥٠ ، ١٥١
- مليزند (ملكة القدس وزوجة فولك) : ٦٦/٢ ، ٨٢ ، ٨٩ ، ٩٢
- ٩٦ ، ١٢٤ ، ١٢٩ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤
- ٢٣٨ ، ٢٤٣ ، ٢٥٨ ، ٢٩٢ ، ٣٠٧ ، ٣٢١ - ٣٢٣ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦
- ٨١ ، ٢٤/٤ ، ٤٤٨ ، ٤٣٨ ، ٤٢٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٣٦
- ٨٢ ، ٢٣٩ ، ٢١٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٣٣٦
- مليزند (أخت ريموند الثانى كونت طرابلس) : ٣٤٦/٣ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٨٤/٤
- حمر سنت بازل : ١٥٤/١
- محفيس : ٤٢/٤ ، ٤٣
- الملكة البونية : ١٥/٣
- الملكة اللاتينية الصليبية : ١٦٦/٤
- مناسيس (آخر بلدوين الثانى المعروف بدى بورج) : ٣٣٦/٢

- مناسيس (الكونستابل الملكى) : ٢٠٧/٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ .
- مناسيس دى هيرجز : ٢٢٦/٢ .
- منبيج : ٣١٢/١ ، ٣٦/٣ ، ١٠٩ .
- منسى بن يوسف : ٦٣/٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٨٩ ، ٣٧٨ .
- المهدي المنتظر : ٥٢/٤ ، ٨٧ .
- المهديّة ٥٢/٤ .
- مزاب (ارض) : ٣٧٢/٤ ، ٣٨٨ .
- مزاب رية (Moab Rahath) : ٢٢١/٣ .
- مزاب بن لوط : ٣٨٨/٤ .
- مؤاسيا : ٢٧٠/٣ .
- المواصلّة : ١٩١/٤ .
- مؤتة : ٢٢١/٣ .
- مودود : ٢٥٥/٢ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣١٠ .
- موديستوس (أسقف القدس زمن هرقل) : ٦٣/١ ، ٦٦ ، ٧٠ .
- مورفيا (بنت جبريل الملقى وزوجة بلدوين كونت الرها) : ٢٣٩/٢ ، ٣٤١ .
- مورييس النبيل البيزنطى : ١١٧/٤ .
- موريشيوس (أول الشّهداء) : ٦١/٤ .
- مورييل (شيخ عربى ذكره وليم) ٢٥٥/٣ ، ٢٩٧ .

• موزيا (داكيا البحرية) : ١٥٤/١ .

• موسى (النبي) : ٢٢٩/٢ ، ١/٢ ، ٢٤٠ ، ٢٥٨/٤ ، ٢٥٩ ، ٢٦٨ ، ٢٧٦ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٩٢ .

• الموصل : ٢٧/١ ، ٨١/٢ ، ٢٤٢ ، ٢٦٩/٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠٧ .
• ٣٠٩

• موتاكسوس (أسقف قيصرية) : ٢٦٦/٤ .

• مونتريال (الكرك) : ٢٤٠/٤ ، ٢٦١ .

• ديجالدوكس : ١٢٦/٤ .

• ميخائيل السرياني المؤرخ : ٨١/٤ .

• ميخائيل ميدرنسيس : ٩٩/٤ .

• الميخائيلية (عملة بيزنطية) : ٤٤/٣ .

• ميديا : ٢٧٢/٢ .

• الميديون : ٢/٢ ، ٢٠١ ، ١٨٧/٤ ، ٢٧٢ .

• ميروكيفاليون : ٢٤٢/٤ .

• ميسو بوتيميا : ١٩/٢ ، ٢٢٧/٤ .

• ميسينورج : ١٣٥/١ .

• ميللو : ٨٢/٢ .

• ميلون دي بلانسي : ٥٥/٤ ، ١٠٨ ، ١٢٤ ، ١٣٥ ، ١٧٧ -
• ١٧٩

• مين : ١٠٤/٣ .

• ميناء السويدية : ٢٣/٢ ، ٢٨٨/٢ ، ٢٥٢ ، ٤٤٧ ، ٢٥٨/٤ .

مينارد (Mainard أسقف بيروت) : ١٩٢/٤

• ميناندر (المترجم من الفينيقية الى اللاتينية) : ١٧/٢

• نابال الغبي : ١٥٤/٤ ، ٢٥١ - ٢٥٢

• نابخدانصر : ٢٧١/١ ، ٨٨/٢ ، ٢٤/٢

• نابلس : ٨٢/٢ ، ١٦٣ ، ١٨٢ ، ٢٨٦ ، ٢٢٢ ، ٢٥٧ ، ٢٧٧

، ١٤١/٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٤٠/٤ ، ١٦٠ ، ١٨٠ ، ٢٠٨ ، ٢١٠

• ٢٧٥

• نابلى : ٢٨٧/٢ ، ٢٩٤

• ناذان النبي : ٩٢/٢ ، ٢٨٩/٤ ، ٢٩٠

• ناسر (الشاعر) : ٢٨٢/٢ ، ١٤٢/٤

• الناصرة : ١٦٩/٢ ، ٢٧٧ ، ٢١/٢ ، ٤٤١ ، ١٤٦/٤

• ١٦٠ ، ٢٨٩ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٧٥/٤ ، ٢٩٠

• ناصري خسرو : ١٥٢/٢

• الناموس (الشريعة) : ٢٦٦/٤ ، ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، ٢٨٢

• نايين : ٢٨٥/٤ ، ٢٩٠ ، ٢٩١

• نبش القبور : ٢٢٥/١

• نبع أجانيب

• نبع ارتيوسا : ٢٧٥/١

- نبع بيجاسوس : ٢٧٥/١
- نبع دافنى : ٢٧٢/١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧
- نبع ديرسى : ٢٧٥/١
- نبع سالاس : ٢٧٥/١
- نبع صفورية : ٢٩٣/٤
- النبع القشتالى : ٢٧٢/١ - ٢٧٥
- النبع المسور : ٣٢٤/٣
- نبع هيبوديا : ٢٧٥/١
- نجم الدين أمير دمشق : ٤٢٧/٣
- تحميا : ٣٨٢/٤
- فرمندا : ١٠٤ / ٣
- الزرمنديون : ٢٨٢/١ ، ١٥٠/٣ ، ٢٩٨ ، ١٦٢/٤ ، ٣٣٩
- الترويج : ٢٩٠/٢
- الترويجيون : ٢٥٥/٢
- نزهة المشتاق : ٣٨٨/٤
- نصر الدين بن عباس : ٣٩٩/٣ ، ٤٠٠
- نصر الدين أمير ميران (أخو نور الدين) : ٤٢٠/٣ ، ٤٥٤
- ٤٥٦
- نفتاليم (نبطية) : ٢٢٧/٤

• النفى : ٢٨/٢

• النقرس : ٣١٧/٤

• نقفور (بطرك القدس) : ٧٤/١

• النفوذ الميخائيلية : ٢٨٣/٢

• نلكه (المستشرق النمساوى) : ٢٤٤/٤

• النمسا : ١١٥/١ ، ١٤٦ ، ٢٦٩/٣

• نهر الأردن : ١٧٣/٢ ، ١٩٠ ، ٢٥٦ ، ٣٠٠ ، ٣١٦ ، ٣١٨

• ٣٢٦ ، ٣٤/٤ ، ٣٨ ، ٢٨٦ ، ٢٩٠ ، ٣٢٤ ، ٣٧١ ، ٣٧٧ ، ٣٩٦

• نهر أرينوسا : ٢٧٥/١

• نهر اسميناس : ٢٧٥/١

• نهر البانة : ٣٦٩/١

• نهر بانياس : ٢٩٧/٢

• نهر بيلوس : ٢٤٣/٢

• نهر الثبير : ٤٣٦/٣

• نهر جارليانو : ٢٩٨/٢

• نهر جور : ٥٢/٣

• نهر جيحان : ١٥١/٣

• نهر جيحون : ٩٢/٢

• نهر دان : ٥١/٣ ، ٥٢ ، ٧/٤ ، ٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢

- نهر الدانوب : ١٣٥/١ ، ١٥٢ ، ١٥٢ ، ٧٩/٣ ، ٢٦٩
- نهر دجلة : ١٩/٣

نهر العاص (Orontos) ٢٦٩/١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٣١٢
 • ٢٥٨/٤ ، ٤٤٨ ، ٤٤٧ ، ٤٦٨ ، ١٨٩ ، ٥٨/٣ ، ٢٢٨

- نهر عين البقر : ٢٤٢/٢
- نهر قالينا : ١٩/٣

نهر الفرات : ٢٥٩/١ ، ٢٣٩ ، ٤١٥ ، ٢١/٢ ، ٩١ ، ١٨٣ ،
 ٢٢٩ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٩٦ ، ٣٠٦ ، ٣٦٣ ،
 ٢٦٤ ، ٣٦٨ ، ١٨/٣ ، ١٩ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٢٠٠ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠
 • ٢٥٢ ، ٢٦٤ ، ٢٩٢ ، ٣٠٠/٤ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٩

- نهر قرقر : ٢٦٩/١
- نهر كسترس : ٣٦٨/٤
- نهر الكلب : ١٨٩/٢ ، ٢٠٣ ، ٢٢٨
- نهر كويار : ٧٧/١ ، ٧٩
- نهر كيندس : ٢٣٦/١
- نهر ليننا : ١٣٥/١ ، ١٣٦
- نهر ماروس : ١١٢/٢
- نهر ماوس : ٦٢/٢
- نهر الموز : ٣٨٤/١
- نهر مياندر : ٢٨٢/٣
- نهر نبع الحنان : ٦٥/٢

نهر النيل : ٢٢٩/٢ ، ٢٧٧ ، ٤٢/٤ ، ٤٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ،
٠ ١٢٤ ، ١٢٠ ، ١١٩ ، ١١٠ ، ١٠٧ ، ٦٩ ، ٦٨ ، ٦٠ ، ٥٩

• نهر صنوم : ٨٥/٢

• نهر هيداسباس : ٢٢٦/١

• نهر الوردار : ١٧٠/١ ، ١٧٢ ، ٧٩/٢

• نواب بن صرويه : ٢٩١/٤ ، ٢٩٢

• نوب (للقرية المباركة) : ٨٠/٢ ، ٣٥٦/٤

• نوح الذهبى : ٢٠/١ ، ٢٣٥ ، ٢٤١/٤ ، ٢٦٥

• نور الدين بن قرا أرسلان : ٢١٣/٤

نور الدين محمود (بن عماد الدين زنكى) : ٣٧/١ ، ٢٧٨
٢٢٩ ، ٢٢٥ ، ٢٢٤ ، ٢٢٢ ، ٢٩٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٣ ، ٢١٨/٢
، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٧٢ ، ٤٠٦ — ٤٠٨ ،
٤١٢ ، ٤١٤ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤٢٢ ، ٤٢٤ — ٤٢٦ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨ ،
٤٢٧ ، ٢٨ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٧ — ٩٠ ، ٩٧ ، ١٠٥ ، ١١٨ ،
١٥٦ ، ١٥٠ — ١٥٢ ، ١٥٩ ، ١٨٧ — ١٨٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٩٩

• نورماندى (نرماندىا) : ٦٢/٢ ، ١٦٨

• نوكتيس (التركى الظالم) : ٢٧٢/٢

• نيش (البلد) : ١١٧/١ ، ١٥١ ، ١٥٣

• نيقوميديا : ١٧٨/١ ، ١٩٩ ، ٢٧١/٣

• نيقية : ٤٠/١ ، ٦٠ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٤٢ ، ١٨٨ ،
١٩١ ، ١٩٢ — ١٩٥ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٥٦ ،
٢٧٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠٤ ، ٣٩٢ ، ٤١١ ، ٢١٤/٢ ، ٢٧٢/٣ ،
• ٢٧٩

- هاتور (= قصر الاله حوريس) : ٨٨/٤ .
- هاجر (أم اسماعيل عليه السلام) : ١٠١/١ .
- هارتمان : ٤١٧/١ .
- الهارونية : ٢٢١/٣ .
- هافديك الأرمنى : ٣٦/٣ .
- الهراطقة : ١٩٩/١ .
- هرقل (اسقف قيصرية ثم بطرك بيزنطة) : ١٧/١ ، ٣٩ ، ١٩٣/٤ ، ٢٢٦ ، ٢٦٠ ، ٣٣٥ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ .
- هرقلية : ١٤١/٤ ، ٢٣٤ ، ٢٣١/١ .
- هرمنجارد (بنت غولك دانجو من برترادا) : ٩٠/٣ .
- هرون الرشيد : ٥٧/١ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٢٢٢/٣ .
- هرون (أخو موسى) : ٢٨٥/٤ ، ٢٨٩ .
- ابو هريرة : ٨٠/٣ .
- هلة (أخت فركسيس فى الاساطير الاغريقية) : ١٥٩/١ .
- هليم (موضع قرب البحر الأحمر) : ٢٢٦/٢ .

- هليوبوليس (موضع منابع العاصي) : ٢٧٠/١ ، ١٨٤/٤
- همفرى الكونستابل : ٤١/٢ ، ١٢٩ ، ٢٠٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٣ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٣٥١ ، ٤٠٥ ، ٤٢٦ ، ٢٥/٤ ، ١٠٧ ، ١٥١ ، ١٧٨ ، ١٩٢ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢١٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣١
- همفرى الصغير : ١٧٨/٤ ، ٢٤٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦١
- همفرى بن رالف : ١٦٩/١
- همفرى بن مونت سكاليزو : ١٦٩/١
- الهند : ٦٧/١ ، ٢٣٣ ، ٢٤/٣ ، ٦٩/٤
- هنرى الأول ملك انجلترا : ١٥/١ ، ١٠٢/٣ ، ١٢٦ ، ١٢٧
- هنرى الثانى ملك انجلترا : ٨١/٤ ، ١١٥
- هنرى (اسقف تول) : ٣٠٦/٣
- هنرى الصغير (دوق برجنديا) : ١٤٨/٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧
- هنرى (دوق اللوفان) : ٢٢٤/٤
- هنرى دوق ثرمنديا : ٣٢١/٣
- هنرى دوق النمسا : ٣٠٦/٣
- هنرى ديش (d'Esch) : ١١٠/١ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٦٠
- ٢٠٧ ، ٢٦٤ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٤٠٥ ، ٤١٨ ، ١٩/٢
- هنرى كونت تورى (ابن ثيوبولد الكبير) : ٣٠٦/٣ ، ١١٥/٤
- ١٧٨ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧
- هوتيه (بن ماتيلدا) : ٢٣٦/٢

هودييرنا (أخت بلدوين دى بورج) : ٢٣٦/٢ ، ٢٤٢ ، ١٨١/٤ .

• هوشع بن نون : ٢٩٣/٤ .

• مولدة : ٢٤٣/١ .

• هونين : ٢٦١/٤ ، ٣١٦ .

• هيوس (من مدن الانجيل العشرة) : ٢٥٨/٣ .

• هيچ الابليتى : ٢٥١/٣ ، ٤١١ ، ٤٣٣ ، ٢٤/٤ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٧٣ ، ٨٢ ، ٨٧ .

• هيچ اللوزنياني المعروف بالاسمر : ٣٠/٤ ، ٣٣ ، ٢٥٤ .

• هيچ أسقف جبلة : ١٩٣/٣ .

• هيچ أسقف كوريس : ١٩٣/٣ .

• هيچ أخبرياكوس : ٢٧٧/٢ ، ٢٧٨ .

• هيچ دى باينز (رئيس فرسان الهيكل) : ٦٨/٣ .

• هيچ دى بليان الكبير : ٢٠٨/٣ .

• هيچ دى بوسيه : ١١٧/٣ ، ١١٨ .

• هيچ (الكبير) دى سنت بول : ١٠٩/١ ، ١١٠ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٥٤ - ١٥٦ ، ١٨٩ ، ٢٠٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٨٣ ، ٣١٧ ، ٣٢٣ ، ٢٣٨ ، ٤٠٤ - ٤٠٨ ، ٤١٤ ، ٨/٢ ، ١٨ ، ١٢٤ .

• هيچ (الصغير ربيب كونت طرابلس) : ٢٩١/٤ ، ٢٩٢ .

• هيچ دى سنت اومير : ٢١٠/٢ ، ٢٣٥ ، ٢٥٤ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

• هيچ (صاحب طبرية) : ٢٣٦/٤ .

هيج (صاحب قيصرية) : ٤٦/٤ - ٥٠ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٤ - ٧٦ ، ٩٠ .

هيج كونت ريثيل : ١١٠/١ ، ٢٣٥/٢ .

هيج كونت فيرماندوا : ٢١٢/٢ ، ٢١٥ .

هيج كونت يافا .

هيج اللوزنياني : ٢٢٩/٢ ، ١١٧/٣ ، ١١٩ - ١٢٥ ، ١٥٢ .

هيدرا (حية الأساطير) : ٢٩٤/٢ .

هيدرا (راجع هودبيرنا) : ٣٢٦/٢ ، ٢٤٢ ، ١٨١/٤ .

هيرباند دي ميرجز : ٣٢٦/٢ .

هيرلوين (زميل بطرس الناسك في السفارة الى المسلمين) : ٣٩٩/١ .

هيرمان دي كانى : ١٦٩/١ .

هيرمان (ماركيذ فيرونا) ٣٠٦/٣ .

هيرمون (Hermon) ٢١٨/٢ .

هيرنيسيوس (أسقف قيصرية) : ٤٢٤/٣ ، ٩٥/٤ ، ١١٥ . ١٩٣ .

هيرو : ١٤٦/٤ ، ١٦٦ .

هيرودوس الكبير : ٢١٩/٢ ، ٢٢١ ، ٣٨٩/٤ .

هيروديا : ٣٩٦/٤ ، ٣٩٧ .

هيروسييلما (اسم اورشليم فى القديم) : ٨٢/٢ .

هيرونوبوليس (اسم بغداد في الحوليات المسيحية القديمة) :

• ٢٧٢/١

• ميكل جوبيتر : ٢٨٢/٤

• ميكل. داجون : ٢٦٠/٤

• ميكل سليمان : ٨٩/٢ ، ٤٠١/٤

• هيليسبونت : ١٥٩/١ ، ٤٠١/٤

• وادي الأردن : ٢٦٥/٤

• وادي بكار : ١٧٧/٢

• وادي الراهب : ٤٠٢/٤

• وادي ست مريم : ٤٠٢/٤

• وادي سرمد : ٢٤/٢

• وادي العبيد : ٢٠٨/٢

• وادي قدرون : ٢٩١/٤ ، ٤٠٢

• وادي موسى : ٢٤٠/٢ ، ٢٩٥

• وادي النار : ٤٠٢/٤

• وادي النمل : ١٥٣/٢

• وادي هنوم : ٨٥/٢ ، ٩٢ ، ٢٨١/٤ ، ٢٩١

• وادي ييوشافاط : ٨٤/٢ ، ٩٧ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٥٩ ، ٢٥٨

• ٢٣٠ ، ٣٣٧ ، ٢٥٧ ، ٢٨٣ ، ٤٠٢/٤

• ولتر دي سنت أوخير : ٢٥١/٢

• ولتر صاحب قيصرية : ١١٨/٢ - ١٢٠ ، ٣٠٧

• ولتر دي فيرا : ٦٤/٢

• ولتر القشتالي : ٢٣٢/٢

• ولتر دي عيدارد : ٤٠٥/١

• ولیم الأول (ملك انجلترا) : ١٠٩/١

• ولیم بروفوس (ملك الانجليز : ١٦٧/٢

• ولیم الأول (أسقف صور قبل مؤلف هذا الكتاب) : ١٢/١

• ١٤ ، ١٥ ، ٦٢/٢ - ٦٥

• ولیم الصوري (الثاني مؤلف هذا الكتاب) : ١٠ ، ٦ ، ٥/١

• ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٧ - ٢٢ ، ٢٤ - ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤١ ،

٤٩ ، ٥٥ ، ٥/٢ ، ٧ ، ٢٣ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ٢٠١ ، ٢١٣ ، ٢٧١ ،

٥/٣ ، ٦ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ١٥١ ، ٣١٩ ، ٤٥٣ ، ٢٥١/٤ ،

• ٢٥٥ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ - ٢٧٤ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤

• ولیم أسقف بيروت : ٢٠٧/٢

• ولیم بطرك القدس : ٧٢/٢ ، ٩٢ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١١ ،

• ١١٣ - ١١٥ ، ١٢١ ، ١٨٢ ، ١٩٣ ، ٢١٦ ، ٢٢٢ ، ٢٣٤ ، ٢٦٥

• ولیم دوق أبوليا : ٥٨/٢

• ولیم أفرسا : ٧٥/٢

• ولیم أمبرياكوس : ١٠٩/٢

• ولیم بن اوستاس (آخر جودفروي) : ١٥١/٢

• ولیم الكومليانو : ٤٢/٢

• ولیم الطويل السيف : ٩٢/٢

• ولیم دي باري : ٤٢٧/٢

• ولیم دي بواتو : ٢١٣/٢ ، ٢٢٨ ، ٩٠/٢ ، ٢٨٩

وليم دى بيورى (صاحب طبرية) : ٢/٢٥٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٦ ، ٢٤/٣ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٩٣ ، ١٢٦ ، ١٢٩ .

وليم (دى) جراند مستيل (ميزفيل) : ١/٢٧٦ ، ٢٨٧ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ .

وليم جوردان : ٢/٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٦٠ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

وليم دامانجو : ١/١١٠ ، ١٧٧ ، ٤٠٥ .

وليم بن روجر (صاحب حقلية) : ٢/٢٨٢ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

وليم الساؤنى : ٢/٩٥ .

وليم السابرائى : ٢/١٠٥ ، ١٢٦ .

وليم (دى) سبيونا : ٢/٩٦ .

وليم كونت فوريز : ١/١١٠ ، ١٧٧ ، ٢٠٧ .

وليم بن المركيز (أخو تانكريد) : ١/١٩٥ ، ٢٢٥ .

وليم (دى) مونبلييه : ١/١١٠ ، ١٧٧ ، ٤٠٥ .

وليم النجار : ١/١٢٤ ، ١٥٦ ، ٢٧٦ .

ويلز : ٢/١٦٨ .

ياروق : ١/٧٠ .

ياغى سيان : ١/٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٣١٠ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٣٥ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٧ ، ٣٥٩ ، ٢٣/٢ .

ياقا : ٢/٦٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٧٣ ، ١٨١ ، ١٩١ ، ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢١٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

٢٢٩ ، ٢٢٣ - ٢٢٧ ، ٢٥٦ ، ٢٦٢ - ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٩٠ ، ٢١١
٢١٢ ، ٢٢٣ ، ٢٧٠ - ٢٧٢ ، ٦٧/٢ ، ١١٨ ، ١٢٠ - ١٢٢ ، ٤/٤
٢٥٩ .

• يافث : ٢٣٥/١

• ياقوت الحموى : ٨٠/٢ ، ١٤٩ ، ٢١٦ .

• يبلعام : ٢٧٢/٤

• يبنى : ٨٠/٢ ، ٣٥٩/٤

• يبرس : ٨٣/٢

• اليبوسيون : ٢٩٢/٤

• يحيى بن زكريا : ٢٩٤/٤ - ٢٩٦

• يزدود : ٢٥٩/٤

• يسوع المسيح : ١٠١/١

• يشوع النبى : ٢٧٥/٤ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ .

• اليعاقبة : ٢٢/١

• يعقوب النبى : ١٠٠/١ ، ٢٠٩/٢ ، ٢٨٥/٤ ، ٢٨٦ ، ٢٩٢ ،

٢٩٤ .

اليهود : ٦١/١ ، ١٢٥ ، ٨٥/٢ ، ٨٦ ، ٤٥٠/٢ ، ٢٥٨/٤ -

٢٦٠ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٨٢ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ،

٢٩١ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

• يهود اخائية : ٣٦٧/٤

• يهوذا سمعان (انظر يهوذا الاسخريوطى)

• يهودام بن يهوذا شافاط : ٤٠٢/٤

• يهوذا بن يعقوب : ٢٩٧/٤ - ٢٩٩

• ١٣١ ، ٢٧٤/٤ ، ٢٨٩

يهوذا الاسخريوطي (الخائن) : ٢٩٤/١ ، ٨٥/٢ ، ٣١٤/٣

• ٢٨١/٤ ، ٣٩٧ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١

• يهوشافاط : ٤٠٢/٤

• يزأب بن صرورية : ٨٣/٢ ، ٣٩١/٤ - ٣٩٣

• يهوه (= الرب مخلص) : ٣٩٣/٤

• يهو ياريب : ٢٨٩/٤

• يوحنا (بطرك انطاكية وقت دخول الصليبيين : ٤٢٠/١

• يوحنا الانجيلي : ٢٨١/٣

• يوحنا (أسقف بيروت) : ٢٦٦/٣

• يوحنا (اسقف عكا) : ١١٢/٣

• يوحنا البروتوسيياستوس : ٢٠٧/٣

• يوحنا (كردينال كنيسة رومة) : ٤٤١/٣ ، ٤٤٢

• يوحنا (كردينال كنيسة سنت مارتن) : ٣٩٧/٣

• يوحنا المعمدان : ٨٢/٢ ، ٣٩٤/٤ ، ٣٩٥

• يوحنا من اهل بيزا : ٢٦٦/٣

• يوسف الصديق : ١٥٣/٣ ، ٣٥٨/٤ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨

• يوسو الكاهن : ٨٨/٢

• يوسيبوس القيصرى : ١٥٨/١

• يوسيفوس المؤرخ : ١٨٣/٢ ، ١٧/٣ ، ٢٤ ، ١٣٢ ، ٢٤٠ ، ٤٠٢/٤

• يوشع بن نون : ٨١/٢

• اليونان (شعب راجع الاغريق)

• اليونان (بلاد) : ٣٥/١ ، ١٣٨ ، ٢٧٩ ، ١٥٤/٢

• اليونانية (لغة) : ٥٢/١ ، ١٩/٢

• يوها (JOHA) : ٣٤٠/٣ ، ٣٤٢ ، ٣٧٤

• يوثيل (النبى) : ١٧٣/٢ ، ٤٠٣/٤

تصويب أخطاء الجزء الأول

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٢٩	٢٣	الحجاري	التجاري
٦٥	٨	خسروا	خسرو
٧٤	٣٤	وتكروا	وتقووا
١١٦	١١	غادروها	غادرها
١٣٥	١٥	فيزيلابورج	فيزينبرج
١٤٨	٧	تكلفه	نكلفه
١٦٥	٢١	يتم خلف	يتم حتى خلف
١٦٩	١٠	هو من معه	هو ومن معه
١٧٣	٢٠	الدق	الدوق
١٧٤	١٣	خليمه	خيامه
١٧٩	١٧	الآلى	الاهالى
١٨٢	١٣	كرمات	كلمات
١٨٤	٢٤	ثت	ومن ثم

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٢٠٠	١٦	كان	كاد
٢٠٨	١٣	يهدد	يهدد
٢٠٩	١٠	مستضمليين	مستعملين
٢١٤	١١	سحبوا	سجروا
٢١٥	١٤	تقويض	تقويض
٢٢٦	١٥	الثار الثار	(تحذف احدهما)
٢٢٩	١	المحاريين	المحاربون
٢٣٤	٦	اصلوت	اصلوات
٢٥٠	٣	ولدان	ولدا
٢٦٥	٣	فأبلوا	فقبلوا
٢٧٠	١٣	جزاء	جرائم
٢٧٤	٤	البويقية	البونية
٢٧٤	١٢	قيمته	قمته
٢٨٢	٥	قعقة	وقعقة
٢٨٧	١١	مذلفة	مخالفة
٢٨٨	٢١	تحت الجيش	تحت نظر الجيش
٢٩٦	١٨	الفصيل	الفصل
٣٠٠	٤	الذوحى	الذراحي
٣٠٤	٤	قاتنا	قادتنا

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٢١٨	٤	راح بعضا	راح بعضها
٢٢٦	١٦	تعانى	نعانى
٢٤٧	٢٤	منيا	مينا
٢٥٥	١١	مم	من
٢٥٩	٤	بينهم	بينهم طوائف تقتحم
٢٦٨	٢	تكاد الحوزاء	تكاد تبلغ الجوزاء
٢٧٩	٢٥	ظل	قل
٢٨٠	٢	وتقخذوهم	وتأخذوهم
٢٨٠	١٢	هؤلاء	كهؤلاء
٢٨٨	١٥	فيلو مينيروم	فيلو ميليام
٢٩٧	٢٣	فظهرأ	فظهروا
٢٩٩	١٥	قليدة	قيادة
٤٠٥	٣	السيح	السيد
٤٠٧	٦	للخروج من	للخروج في
٤٠٨	٥	ككتنفوه	اكتنفوه
٤٢٠	٩	مستعرة	مستعدة

تصويب أخطاء الجزء الثاني

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٢٢	١١	نستنى	تستنى
٢٦	١٣	رلوندال	رواندال
٣٠	٩	مرجوده	وجوده
٣٥	١٦	ب ا نلين	بانلین
٤١	٥	تصطرم	تضطررم
٤٥	٢٠	هذذه	هذه
٤٦	١٦	شرموطهم	شروطهم
٤٧	١٨	جززيرة	جزيرة
٥٠	٢٠	الكسباد	الكسياد
٥٤	١٢	تمليجهم	تمليه عليهم
٦٥	٤	نفيض	تفيض
٧٧	١	ارندوا	ارتدوا
٨٢	٦	سسبطلية	سبسبطلية

صفحة	يسطر	الخطا	الصواب
١٢١	٢٥	٢٢١	١٢١
١٣٦	١٦	ف بما	فيما
١٤٤	٨	يختم	يحتم
١٥٥	٤	يصب	يصيب
١٥٥	٤	٠ يتهشم	ويتهشم
١٥٨	٣	السكسونسون	السكسون
١٦٨	٧	جيتيسارت	جنيسارت
١٧٢	٥	صدورها	صدرها
١٩٥	٨	عباء	عباءة
١٩٥	١٨	سنذكر ذلك في	سنذكر ذلك في موضعه
٢١٢	٦	كمالوف	كمالوف
٢١٣	٢	اكويتية	اكويتين
٢١٣	١٧	أديبا	أديبا
٢١٨	٢٣	أهية	أهية
٢٤٣	٢٣	ناعوم	ناحوم
٢٤٨	٧	هارات	حاران
٢٥٠	٢٠	وقريبة	قريبه

صفحة	سطر	الخطا	الصواب
٢٥٢	٥	أب أم	أيام
٢٨٤	١٦	الت ي	التي
٣٠٣	١٠	فؤاد	قواد
٣١١	٢	شيزرة	شيزر
٣١٢	٧	الموجودين	الموجودين
٣٢٥	٨	بإداهية	بالبدية
٣٢٩	٢	وقربع	وقربع
٣٤٠	٢	رهظا	رهظا
٣٤٠	٥	الحزم	الحزم
٣٤٠	٨	أبوليا	أبوليا
٣٥٢	٣	ليروى خير	ليروى خير
٣٦٣	١٥	نقس	نقص
٣٦٥	٧	مسرّح	مسوح
٣٧٩	١٢	المطجود	الموجود

أعمال الأستاذ الدكتور حسن حبشي

★ نور الدين والصليبيون (حركة الافاقة الاسلامية في القرن الثاني عشر) - نشر دار الفكر العربي .

★ الحرب الصليبية الأولى - دار الفكر العربي .

★ أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس (الجستا) مترجم عن اللاتينية - نشر دار الفكر العربي .

★ الشرق العربي بين شقي الرعي (دراسة تاريخية عن حملة لويس التاسع على مصر والشام) - نشر دار الفكر العربي .

★ أهل النمة في الاسلام لترتون - نشر دار المعارف ودار الفكر وهيئة الكتاب .

★ زنجبار (من ١٨٩٠ - ١٩١٢) - نشره دار المعارف .

★ رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر - نشره دار المعارف .

★ مذكرات جوفيل عن القديس لويس مع دراسة تاريخية مطولة بقلم المترجم - نشره دار المعارف .

★ تاريخ مسلمي اسبانيا لدوزي (العصبية القبلية) - نشره دار المعارف .

★ الجزائر عبر التاريخ (مع اساتذة بعض الجامعات ، نشره معهد الدراسات الاسلامية بالقاهرة) .

☆ فتح القسطنطينية لكلارى (مترجم عن الفرنسية القديمة)
نشره مركز كتب الشرق الأوسط .

☆ حوليات دمشقية (لمؤرخ شامى مجهول) - مكتبة الانجلو
المصرية .

☆ الاحتكار فى العصر المملوكى - حوليات جامعة عين
شمس .

☆ انباء الهمر للجوهري الصيرفي - دار الفكر العربى .

☆ مضمار الحقائق ل محمد بن عمر بن شاهنشاه - نشره عالم
الكتب .

☆ نزهة النفوس والأبدان للصيرفي (٤ مجلدات) - نشره
مركز تحقيق التراث (بدار الكتب المصرية)

☆ الحروب الصليبية لوليم الصورى (٤ مجلدات) نشرته
هيئة الكتاب .

☆ مذكرات فلهاودوان (عن الحرب الصليبية الرابعة) -
نشره المجلس العلمى بجامعة الملك عبد العزيز بجدة .

Fifteenth Century Crusade Against Egypt (1959). (*)

☆ انباء الهمر لابن حجر العسقلاني (٤ مجلدات) - نشره
المجلس الأعلى للثئون الاسلامية بوزارة الأوقاف -
مصر .

☆ المسلمون فى الأندلس لدوزى (٣ مجلدات) - نشره هيئة
الكتاب .

The Egyptian Expeditions Against Castellrosso(*)
and Rhodes.

- ☆ الكسياد للأميرة أنا كومنيننا (مجلدان)
- ☆ فلسطين في ظل الحكم الاسلامى للى سترانج (مجلدان)
- التاريخ بين المؤرخين المسلمين والصليبيين
- ☆ A Transition Period in Antioch between 1090 and 1118 A.D.
- ☆ البقاعى (ابراهيم بن حسن) : عنوان الزمان فى تراجم الشيوخ والأقران فرع مركز التراث بدار الكتب المصرية من اعداد الجزء الأول منه ويتلوه خمسة أخرى
- ☆ البقاعى : المعجم الصغير (فى مجلدين)
- ☆ البقاعى : اظهار النصر لأمرام العصر (ذيل على انباء الغمر لابن حجر) فى ٤ مجلدات من مسودة المؤلف
- ☆ ابن الحنبلى ، در الحجب فى تاريخ أعيان حلب ، فى سبعة مجلدات روجع على نسخة أصلية منه بخط المؤلف
- ☆ ابن حجر العسقلانى وتلاميذه : دراسة تاريخية له ولأربعة من تلاميذه
- ☆ أحداث صنعت التاريخ (عرض لتسعة أحداث كبرى فى الشرق والغرب)
- ☆ العصر المملوكى : دراسة اجتماعية

- ★ الرحمة المهداة (عرض جديد للسيرة النبوية الطاهرة)
مجلدان (اذيعت بإذاعة مكة والرياض في ٣٥٦ حلقة) .
- ★ سرايا الرسول (صلى الله عليه وسلم) عرض وتحليل .
- ★ قرون الهجرة (دراسة عرضية للعالم منذ الهجرة
الشريفة ، وقد اذيعت أصلاً في إذاعات السعودية) .
- ★ سير الصحابة (وتذاع في إذاعات مكة وجدة والرياض
باسم قصة اسلام صاحبى) في عدة أجزاء .
- ★ الفتح المبين (وقد اذيعت حلقاتها بإذاعات السعودية
تمثيلية عن مكة حتى أنعم الله عليها بالاسلام) .

صدر في هذه السلسلة

- ١ - مصطفى كامل في محكمة التاريخ
د. عبد العظيم رمضان
- ٢ - على ماهر
اعداد : رشوان محمود جاب الله
- ٣ - ثورة يوليو والطبقة العاملة
اعداد : عبد السلام عبد الحليم عامر
- ٤ - التيارات الفكرية في مصر المعاصرة
د. محمد نعمان جلال
- ٥ - غارات اوربا على الشواطىء المصرية في العصور
الومطى
عليه عبد السميع
- ٦ - هؤلاء الرجال من مصر ج ١
لمى الطيلى
- ٧ - صلاح الدين الأيوبي
د. عبد المنعم ماجد
- ٨ - رؤية الجبرتي لأزمة الحياة الفكرية
د. على بركات
- ٩ - صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل
د. محمد أنيس

- ١٠ - توفيق دياب ملحة الصحافة الحزبية
محمود فوزى
- ١١ - مائة شخصية مصرية وشخصية
شكري القاضي
- ١٢ - هدى شعراوي وعصر التنوير
د. نبيل داغب
- ١٣ - اكدوبة الاستعمار المصرى للسودان
د. عيد العظيم رمضان
- ١٤ - مصر فى عصر الولاة
د. سيدة اسماعيل كاشف
- ١٥ - المستشرقون والتاريخ الاسلامى
د. على حسنى الخربوطلى
- ١٦ - فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعى فى مصر
د. حلمى أحمد شلبى
- ١٧ - القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى
د. محمد نور فرحات
- ١٨ - الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية
د. على السيد محمود
- ١٩ - مصر القديمة وقصة توحيد القطرين
د. أحمد محمود صابون
- ٢٠ - المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى
د. محمد أنيس
- ٢١ - التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ج ١
توفيق الطويل

- ٢٢ - نظرات في تاريخ مصر
جمال بدوى
- ٢٣ - التصوف في مصر ابان العصر العثماني ج ٢
توفيق الطويل
- ٢٤ - الصحافة الوفدية
د. نجوى كامل
- ٢٥ - المجتمع الاسلامى والغرب
ترجمة : د. عبد الرحيم مصطفى
- ٢٦ - تاريخ الفكر التربوى في مصر الحديثة
د. سعيد اسماعيل على
- ٢٧ - فتح العرب لمصر ج ١
ترجمة : محمد فريد أبو حديد
- ٢٨ - فتح العرب لمصر ج ٢
ترجمة : : محمد فريد أبو حديد
- ٢٩ - مصر في عهد الاخشيديين
د. سيدة اسماعيل كاشف
- ٣٠ - الموظفون في مصر
د. حلمى احمد شلبى
- ٣١ - خمسون شخصية وشخصية
شكرى القاضى
- ٣٢ - هؤلاء الرجال من مصر ج ٢
احى المطيضى

- ٣٣ - مصر وتضايبا الجنوب الافريقى
د. خماله الكومى
- ٣٤ - تاريخ الملاقات المصرية الغربية
د. يونان لبيب رزق
- ٣٥ - اعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة
عبد الحميد توفيق زكى
- ٣٦ - المجتمع الاسلامى والغرب ج ٢
ترجمة : د. احمد عبد الرحيم مصطفى
- ٣٧ - الشيخ على يوسف
تأليف : د. سليمان صالح
- ٣٨ - فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى
العصر العثمانى
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم
- ٣٩ - قصة احتلال محمد على لليونان
د. جميل عبيد
- ٤٠ - الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب ١٩٤٨
د. عبد المنعم الدسوقي الجميلى
- ٤١ - محمد فريد الموقف والمأساة
رفعت السعيد
- ٤٢ - تكوين مصر عبر العصور
محمد شفيق غربال
- ٤٣ - رحلة فى عقول مصرية
ابراهيم عبد العزيز

٤٤ - الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر
العثماني
د. محمد عفيفي

٤٥ - الحروب الصليبية ج ١
ترجمة : أ.د. حسن حبشي

٤٦ - تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية ١٩٢٦ : ١٩٥٧
ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمر

٤٧ - تاريخ القضاء المصري الحديث
تأليف : أ.د. لطيفة محمد سالم

٤٨ - الفلاح المصري
تأليف : د. زبيدة عطا

٤٩ - العلاقات المصرية الاسرائيلية
تأليف : د. عبد العظيم رمضان

٥٠ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية
تأليف : د. سهير اسكندر

٥١ - تاريخ المدارس في مصر الاسلامية
اعداد : د. عبد العظيم رمضان

٥٢ - مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في
القرن الثامن عشر
تأليف : د. الهام محمد علي ذهني

٥٣ - اربعة مؤرخين واربعة مؤلفات من دولة المالك
د. محمد كمال الدين عز الدين علي

- ٥٤ - الأقباط في مصر في العصر العثماني
تأليف : الدكتور محمد عفيفي
- ٥٥ - الحروب الصليبية ج ٢
ترجمة وتحقيق : د. حسن حبشي
- ٥٦ - المجتمع الريفي في عصر محمد علي
د. حلمي أحمد شلبي
- ٥٧ - مصر الإسلامية وأهل الذمة
د. سيدة اسماعيل كاشف
- ٥٨ - أحمد حلمي سجين الحرية والصحافة
د. إبراهيم عبد الله المسلمي
- ٥٩ - الرأسمالية الصناعية في مصر
د. عبد السلام عبد الحليم عامر
- ٦٠ - المفاصل من رواد الموسيقى العربية
عبد الحميد توفيق زكي
- ٦١ - تاريخ الاسكندرية
أ.د. عبد العظيم رمضان
- ٦٢ - هؤلاء الرجال من مصر ج ٣
لمعنى المطيحي
- ٦٣ - موسوعة تاريخ مصر عبد الحصور
اعداد : د. عبد العظيم رمضان
- ٦٤ - مصر وحقوق الانسان
د. محمد نعمان جلال
- ٦٥ - موقف الصحافة المصرية من الصهيونية
د. سهام نصار

- ٦٦ - المرأة في مصر في العصر الفاطمي
د. نريمان عبد الكريم أحمد
- ٦٧ - الأصول التاريخية لمساعي السلام العربية الاسرائيلية
أ. د. عبد العظيم رمضان
- ٦٨ - الحروب الصليبية ج ٣
ترجمة وتحقيق : أ. د. حسن حبشي
- ٦٩ - نبوة موسى ودورها في الحياة
د. محمد أبو الأسعاد
- ٧٠ - أهل الذمة في الاسلام
أ. د. حسن حبشي
- ٧١ - مذكرات اللورد كليرين
ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمر
- ٧٢ - رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية
لمصر في العصر الفاطمي
أمينة أحمد امام
- ٧٣ - تاريخ جامعة القاهرة
د. رؤوف عباس حامد
- ٧٤ - تاريخ الطب والصيدلة
د. يحيى سمير الجمال
- ٧٥ - أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول
د. سلام شافعي محمود
- ٧٦ - دور التعليم في مصر
د. سعيد اسماعيل علي

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم للدكتور عبد العظيم رمضان	٥
مقدمة المترجم للجزء الرابع	٩
الكتاب التاسع عشر : عمورى الأول والنزاع حول مصر	١١
الكتاب العشرون : الصراع حول مصر	٩١
الكتاب الحادى والعشرون : ارغام بلدوين الأبرص على تولى	
حكم القدس	١٦٩
الكتاب الثانى والعشرون : صراع المصالح الشخصية	٢٤٩
الكتاب الثالث والعشرون : هل فى استطاعة ريمون كونت	
طرابلس انقاذ بيت المقدس	٣٤٩
ملحق من وضع المترجم للتعريف بالاعلام والمصطلحات	٣٤٩
الكشاف العام للاجزاء الأربعة المترجمة	٤٠٥

رقم الايداع ١٩٩٢/٨٩٥٥

I.S.B.N. 977 — 01 — 4125 — 9 الترقيم الدولى

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

هذا الجزء هو ختام ما كتبه المؤرخ الصليبي ولیم
الصوری عن فترة من الحروب الصليبية ، شاهد معظمها
بنفسه وشارك في كثير من أمورهما ، كما ضمنه روايات
دقيقة لأحداث غاب هو عنها ، وكان روايتها حاضريها .
وقد قام بترجمة هذا الكتاب الهام إلى العربية
ترجمة إتسمت بالدقة واحد من كبار أساتذة التاريخ في
عالمنا العربي هو الدكتور حسن حبشي ، وعلق عليه
تعليقات علمية جادة ، كما زوده سيادته بملحق كان لابد
منه دلّ على سعة إطلاعه ، ويكشفاف يسهل على
القارئ الوقوف على ما ينشره .

ويقدم هذا الكتاب للقراء العرب أيا كانوا أساتذته
وطلابا ، لا نستهدف إلا أن نشارك الجادين في إضاءة
شمعة أخرى في طريق التنوير أمام الجيل الجديد .